

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فِي مَسْجِدِ الْبَيْتِ

الْمَكِّيِّ

الْمَكِّيِّ الْمَشْرِقِيِّ

الْمَكِّيِّ الْمَشْرِقِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ

الْمَكِّيِّ



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY



32101 012793376

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*

--	--

H. Hāshimī al-Khūnī

مِنْهَاجُ الْبِرِّ الرَّابِعُ

في شرح هنج البلاغة

لمؤلفه

العالم المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي قدس سره

عني بتصحيحه وتهذيبه العالم الفاضل: السيد ابراهيم المانجي

الطبعة الرابعة

مركز فروش



مَشَوَرَاتِ كَلِمَةِ الْمُهْجَرَةِ

إيران - قزوین

الجزء الثالث

الناشر:



مؤسسه مهدی طاهری تهران - ۱۳۶۰
تهران، خیابان مهادانک ۵۳۲۵۹۹

طبع فی المطبعة الاسلامیة بظهران

2264
. 1067
. 754
1985
Juz' 3

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة الثالثة

في كيفية غضب أهل الجلافة للخلافة و ما جرى منهم يوم السقيفة و بعدهما من إجبار أمير المؤمنين عليه السلام على البيعة و إنكار من أنكروا عليهم ذلك و ما جرى في تلك الوقايح من الظلم و الطغيان لعنة الله على أهل البغي و العدوان ، و نحن ذاكر هنا ما وصل إلينا من طرق أصحابنا رضوان الله عليهم ، و أما ما ذكره العامة في هذا الباب و رده في سيرهم و تواريخهم فتصدى لها كـ بعض روايات الخاصة بإنشاء الله في شرح الخطب الآتية مما أشار فيها الامام عليه السلام إلى هذا المرام .

فنقول : روى الشيخ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الاحتجاج عن أبي المفضل محمد بن علي الشيباني بإسناده الصحيح عن رجال ثقة عن ثقة ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في مرضه الذي توفي فيه إلى الصلاة متوكئاً

على الفضل بن عباس و غلام له يقال له : ثوبان وهى الصلاة التى أراد التخلف عنها لتقله ثم حمل على نفسه صلى الله عليه وسلم و خرج ، فلما صلى عاد إلى منزله فقال لغلامه : اجلس على الباب ولا تحجب أحداً من الأ نصار و تجلاه الغشى فجاء الأ نصار فأخذوا بالباب و قالوا : ائذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هو مغشى عليه و عنده نساؤه ، فجعلوا يبكون ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم البكاء ، فقال : من هؤلاء ؟ قالوا : الأ نصار ، فقال : من هيهنا من أهل بيتي ؟ قالوا : علي و العباس فدعاهما ، و خرج متوكئاً عليهما فاستند إلى جذع (٢) من أساطين مسجده و كان الجذع جريد نخل فاجتمع الناس و خطب صلى الله عليه وسلم ، و قال في كلامه : إنه لم يمّت نبي قط إلا خلف تركة و قد خلفت فيكم الشقلين : كتاب الله و أهل بيتي ، ألا فمن ضيعهم ضيعه الله ، ألا و إن الأ نصار كرشي (٢) و عيبتى التى آوى إليها ، و إنى أوصيكم بتقوى الله و الاحسان إليهم ، فاقبلوا من محسنهم و تجاوزوا عن مسيئتهم .

ثم دعا اسامة بن زيد و قال : سر على بركة الله و النصر و العافية حيث أمرتك بمن أمرتك عليه ، و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمره على جماعة من المهاجرين و الأ نصار فيهم أبو بكر و عمر و جماعة من المهاجرين الأولين ، و أمره أن يعبروا «يقبروا خل» على موة (٣) واد من فلسطين ، فقال اسامة : بأبى أنت و أمى يا رسول الله أتأذن لى فى المقام أيتاما حتى يشفيك الله ، فانى متى خرجت و أنت على هذه الحالة خرجت و فى قلبى منك قرحة ، فقال صلى الله عليه وسلم : انفذيا اسامة لما أمرتك ، فإن القعود عن الجهاد لانهب فى حال من الأ حوال ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الناس طعنوا فى عمله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلغنى أنكم طعنتم فى عمل اسامة و فى عمل أبيه من قبل ، و أيم الله إنه لخليق للامارة و إن أباه كان خليقاً لها و إنه لمن أحب الناس إلى ، فأوصيكم به خيراً فلان قلت فى أمارته فقد قال قائلكم فى أماره أبيه .

١- بالكسر ساق النخلة ، ق

٢- كرش الرجل عياله و صفارولده و العيبة من الرجل موضع سره . لغة .

٣- موضع قتل فيه جعفر بن ابيطالب ، منه .

ثم دخل رسول الله ﷺ بيته و خرج اسامة من يومه حتى عسكر على رأس فرسخ من المدينة و نادى منادي رسول الله ﷺ ! أن لا يتخلف عن اسامة أحد ممن أمرته عليه . فلحق الناس به ، و كان أزل من سارع إليه أبو بكر و عمرو أبو عبيدة ابن الجراح ، فنزلوا في زقاق (١) واحد مع جملة أهل العسكر .

قال : و نقل رسول الله ﷺ فجعل الناس ممن لم يكن في بعث اسامة يدخلون عليه إرسالاً (٢) و سعد بن عباد شاك (٣) فكان لا يدخل أحد من الأنصار على النبي ﷺ إلا انصرف إلى سعد يعود .

قال : و قبض رسول الله ﷺ وقت الضحى من يوم الاثنين بعد خروج اسامة إلى معسكره بيومين ، فرجع أهل العسكر و المدينة قد رجفت بأهلها ، فأقبل أبو بكر على ناقه له حتى وقف على باب المسجد فقال : أيها الناس مالكم تموجون إن كان محمد قد مات فرب محمد لم يموت .

« وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَإِنَّ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا »

ثم اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد و جاذبه إلى سقيفة بني ساعدة فلما سمع بذلك عمر أخبر به أبا بكر و مضيا مسرعين إلى السقيفة و معهما أبو عبيدة بن الجراح و في السقيفة خلق كثير من الأنصار و سعد بن عباد بينهم مريض ، فتنازعا الأمر بينهم قال الأمر إلى أن قال أبو بكر في آخر كلامه للأنصار : إنما أدعوكم إلى أبي عبيدة بن الجراح أو عمرو و كلاهما قد رضيت لهذا الأمر و كلاهما أراه له أهلاً ، فقال أبو عبيدة و عمر : ما ينبغي لنا أن نتقدمك يا أبا بكر . أنت أقدمنا اسلاماً و أنت صاحب الغار و ناني اثنين فأنت أحق بهذا الأمر و أولانا به ، فقالت الأنصار

١- زقاق زمين هو اورنوم و خاك بى ريك ، لغة .

٢ مكره - الزقاق كتراب السكة من الطريق التسد ، ق

٣- اى جماعات متتابعين ، منه

٣- الشوكة دا ، معروف و حمرة تطلو الجسد ، ق

نحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منّا ولا منكم فنجعل منّا أميراً ومنكم أميراً و نرضى به على أنه إن هلك اخترنا آخر من الأ نصار ، فقال أبو بكر بعد أن مدح المهاجرين : وأنتم يا معاشر الأ نصار ممن لا ينكر فضلهم ولا نعمتهم العظيمة في الاسلام ، رضيكم الله أنصاراً لدينه و لرسوله و جعل اليكم مهاجرته و فيكم محلّ أزواجه ، فليس أحد من الناس بعد المهاجرين الأ ولين بمنزلتكم فهم الامراء و أنتم الوزراء .

فقال الحباب بن المنذر الأ نصارى : يا معشر الأ نصار املكوا (١) على أيديكم فانما الناس في فيكم و ظلالكم ولن يجترى معتر على خلافكم ولن تصدر الناس إلا عن رأيكم ، و أثنى على الأ نصار ، ثم قال : فان أبى هؤلاء تأميركم عليهم فلسنا نرضى بتأميرهم علينا ولا نتنع بدون أن يكون منّا أمير و منهم أمير .

فقام عمر بن الخطاب فقال : هيهات لا يجتمع سيفان في غمد (٢) واحد انه لا ترضى العرب أن تأمركم و نييها من غيركم لكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النسبة فيهم و أولوا الأمر منهم ، و كنا بذلك على من خالفنا الحجة الظاهرة و السلطان اليبين فما ينازعنا سلطان محمد و نحن أولياؤه و عشيرته إلا مدلّ بباطل أو متجائف (٣) بانم أو متورط في الهلكة محب للفتنة .

فقام الحباب بن المنذر ثانية فقال : يا معشر الأ نصار امسكوا على أيديكم لاتسمعوا مقال هذا الجاهل و أصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، و إن أبوأن يكون أمير و أمير فاجلوهم عن بلادكم و تولوا هذا الأمر عليهم فأنتم والله أحق به منهم فقد دان بأسيافكم قبل هذا الوقت من لم يكن يدين بغيرها وأنا جدي لها (٤)

١- يقال املك عليك لسانك اى لاتجره الا بما يكون لك لاعليك ، نهاية

٢- الغمد بالسكس جفن السيف و هى غلافه ، لمة .

٣- الجنف معركة كالجنوف بالضم الميل عن الحق و الجائف البابل ، ق

٤- الجدل واحد لا جدال وهو اصول الحطب العظيم و منه قول حباب بن المنذر انا جدي لها المحك و الجاذل المنتصب مكانه لا يبرح شبه بالجدل الذى ينصب في المعادن لتحتك به الابل الجري اراد أنه يستغنى برايه و تديره ، صحاح

المحكك وعذيقها المرجب (١) والله لئن ردَّ أحد قولي لأحطمن أنفه بالسيف.

قال عمر بن الخطاب: فلما كان حباب هو الذي يجينني لم يكن لي معه جواب «في كلام نخل» فأنه جرت يمني وبينه منازعة في حياة رسول الله ﷺ فنهاني رسول الله ﷺ عن مهاترتي (٢) فحلفت أن لا أكلمه أبداً.

ثم قال عمر لأبي عبيدة: تكلم، فقام أبو عبيدة بن الجراح وتكلم بكلام كثير وذكر فيه فضائل الأنصار وكان بشير بن سعد سيِّداً من سادات الأنصار لما رأى اجتماع الأنصار على سعد بن عباد لتأثيره حسده وسعى في افساد الأمر عليه وتكلم في ذلك ورضى بتأثير قريش وحث الناس كلهم ولاسيما الأنصار على الرضا بما يفعلها المهاجرون:

فقال أبو بكر: هذا عمر وأبو عبيدة شيخا قريش فبايعوا أيهما شئتم.

فقال عمر وأبو عبيدة: ما تتولى هذا الأمر امد يدك بنايعة.

فقال بشير بن سعد: وأنا نالكمما، وكان سيداً لأوس وسعد بن عباد سيد الخزرج، فلما رأته الأوس صنيع بشير ومادته إليه الخزرج من تأمير سعد، أكبوا على أبي بكر بالبيعة وتكاثروا على ذلك وتزاحموا فجعلوا يطأون سعداً من شدة الزحمة وهو بينهم على فراشه مريض، فقال: قتلتهموني قال عمر: اقتلوا سعداً قتله الله.

فوثب قيس بن سعد فأخذ بلحية عمر وقال: والله يا ابن صهاك الجبان في الحروب الفرار اللئيم في الملا، والأمن لو حركت منه شعرة ما رجعت في وجهك واضحة (٣) فقال أبو بكر مهلاً يا عمر فإن الرفق أبلغ وأفضل، فقال سعد: يا ابن صهاك وكانت

١- في حديث السيفة انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب الرجبة ان تمد النخلة الكريمة بينا، من حجارة او خشب اذا خيف عليها طولها وكثرة حملها ان تقع ورجبتها فهي مرجبة والعذيق تصغير العنق بالفتح وهي النخلة وهو تصغير تعظيم وقد يكون ترجيبها بان يجعل حولها شوك لئلا يرتقى اليها النهاية. وترجيبيها ضم اعناقها الي سعفاتها وشدها بالخص لئلا تنفضها الريح او وضع

الشوك حولها لئلا يصل اليها آكل ومنه انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، ق

٢ - تهاثر الرجلان اذا ادعى كل واحد منهما على صاحبه باطلا

٣- الواضحة الاسنان التي تيد وعند الضحك، ق

جدة عمر حبشية : أما والله لو أن لي قوة على النهوض لسمعتما متي في سكرها زفيراً (١) أزعجك (٢) وأصحابك منها ولا لحقنكما يقوم كنتما فيهم أذناً أذلاً . تابعين غير متبوعين ، لقد اجترتتما ، ثم قال للخزرج احمولوني من مكان الفتنة ، فحملوه فأدخلوه منزله ، فلما كان بعد ذلك بعث إليه أبو بكر أن قد بايع الناس فبايع فقال : لا والله حتى أرميكم لكل سهم في كنانتي (٣) و اخضب منكم سنان رمحي وأضربكم بسيفي ما أقولت يدي فأقاتلكم بمن تبعني من أهل بيتي وعشيرتي ثم وأيم الله لو اجتمع الجن والأنس علي لما بايعتكما أيها الغاصبان حتى أعرض على ربي وأعلم ما حسابي ، فلما جائهم كلامه قال عمر : لا بد من بيعته ، فقال بشير بن سعد إنه قد أبى ولج وليس بمبايع أو يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه الخزرج والأوس فاتركوه ، فليس تركه بضائر فقبلوا قوله وتركوا سعداً .

فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يقضى بقضائهم ولو وجدوا عوانا لصال بهم ولقاتلهم فلم يزل كذلك مدة ولاية أبي بكر حتى هلك أبو بكر ، ثم ولى عمر وكان كذلك فخشي سعد غائلة (٤) عمر فخرج إلى الشام فمات بحوران (٥) في ولاية عمر ولم يبايع أحداً و كان سبب موته أن رمى بسهم في الليل فقتل و زعم أن الجن رموه ، و قيل أيضاً إن محمد بن سلمة الانصاري تولى ذلك بجعل جعلت له عليه وروى أنه تولى ذلك المغيرة بن شعبة وقيل خالد بن الوليد .

قال : وبايع جماعة الأنصار و من حضر من غيرهم و علي بن أبي طالب مشغول بجهاز رسول الله ﷺ ، فلما فرغ من ذلك و صلى على رسول الله ﷺ و الناس يصلون عليه من بايع أبي بكر و من لم يبايع و جلس في المسجد فاجتمع اليه بنوا هاشم و معهم الزبير بن العوام ، و اجتمعت بنوا أمية إلى عثمان بن عفان و بنوا

١- زبير صوت الاسد في صدره ص

٢- يزعجك زعجة قلعه من مكانه كازعجه ، ق

٣- كنانة السهام بالكسر جببة من جلد لاخشب فيها او بالعكس ، ق

٤- الغائلة صفة لخصلة مهلكة نهاية

٥- كورة بدمشق ق

زهرة إلى عبدالرحمان بن عوف فكانوا في المسجد مجتمعين إذ أقبل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، فقالوا : مالنا نريكم خلقا شتى؟ قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته الأنصار والناس ، فقام عثمان و عبدالرحمان بن عوف و من معهما فبايعوا وانصرف علي عليه السلام و بنوه هاشم إلى منزل علي ومعهم الزبير .

قال: فذهب إليهم عمر في جماعة ممن بايع فيهم أسيد بن حصين وسلمة بن سلامة فألقوهم مجتمعين ، فقالوا لهم بايعوا أبا بكر فقد بايعه الناس فوثب الزبير إلى سيفه فقال عمر عليكم بالكلب العقور فاكفونا شره فبادر سلمة بن سلامة فانتزع السيف من يديه فأخذ عمر فضرب به الأرض فكسره وأحدقوا بمن كان هناك من بني هاشم و مضوا بجماعتهم إلى أبي بكر فلما حضروا ، قالوا : بايعوا أبا بكر وقد بايعه الناس و أيم الله لئن أبيتم من ذلك لنحاكمنكم بالسيف ، فلما رأى ذلك بنو هاشم أقبل رجل رجل فجعل يبائع حتى لم يبق ممن حضر إلا علي بن أبي طالب عليه السلام . فقالوا له : بايع أبا بكر فقال علي عليه السلام : أنا أحق بهذا الأمر منه وأنتم أولى بالبيعة لي أخذتم هذا الأمر من الانصار و احتججتم عليهم بالقرابة من الرسول وتأخذونه من أهل البيت غضباً أستم زعمتم للانصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لمكانكم من رسول الله صلى الله عليه وآله فأعطوكم المقادة و سلموا لكم الامارة و أنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على الانصار ، أنا أولى برسول الله صلى الله عليه وآله حياً و ميتاً و أنا وصيته و وزيره و مستودع سره و علمه وأنا الصديق الأكبر أوّل من آمن به و صدقه و أحسنكم بلاه في جهاد المشركين و أعرضكم بالكتاب و السنة و أذر بكم (١) لسانا و أنبتكم جنانا ، فعلام تنازعونا هذا الامر ، أنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم ، و اعرفوا لنا من الامر مثل ما عرفته لكم الانصار و إلا فبوؤا بالظلم والعدوان و أنتم تعلمون .

فقال عمر : أمالك بأهل بيتك أسوة؟ فقال علي عليه السلام سلوهم عن ذلك، فابتدر

القوم الذين بايعوا من بني هاشم فقالوا : ما يبعتنا بحجة على علي عليه السلام ومعازلة أن نقول : إنما نوازيه في الهجرة و حسن الجهاد والمحل من رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عمر : إنك لست متروكا حتى تباع طوعاً أو كرهاً ، فقال علي عليه السلام : احلب حلباً لك شطره اشد له اليوم ليرد عليك غداً إذا والله لا أقبل قولك ولا أحفل بمقامكم ولا اباع ، فقال أبو بكر : مهلاً يا أبا الحسن مانشد فيك ولا نكرهك .

فقام أبو عبيدة إلى علي عليه السلام فقال : يا بن عم لسنا ندفع قرابتك ولا سابقتك ولا علمك ولا نصرتك ، ولكنك حدث السن ، و كان لعلي عليه السلام يومئذ ثلاث و ثلاثون سنة و أبو بكر شيخ من مشايخ قومك و هو أحمل لثقل هذا الامر و قد مضى الامر بما فيه فسلم له ، فان عمرك الله يسلموا هذا الامر إليك ولا يختلف فيك إننان بعد هذا إلا و أنت به خليق وله حقيق ولا تبعث الفتنة في أوان الفتنة فقد عرفت بما في قلوب العرب و غيرهم عليك .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يا معاشر المهاجرين والانصار ، الله الله لاتنسوا عهد نبيكم اليكم في أمرى ولا تخرجوا سلطان محمد صلى الله عليه وآله من داره و قعر بيته إلى دوركم و قعر بيوتكم ، ولا تدفعوا أهله عن حقه و مقامه في الناس فوالله يا معاشر الناس «الجمع خ» إن الله قضى و حكم و نبيه أعلم و انتم تعلمون بأنا أهل البيت أحق لهذا الامر منكم ما كان «فكان خ» القاري منكم لكتاب الله الفقيه في دين الله المظطلع (١) بأمر الرعية والله إنّه لفينا لإفيكم فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعداً و تفسدوا قديمكم بشر من حديثكم .

فقال بشير بن سعد الانصاري الذي وطأ الامر لأبي بكر و قالت جماعة من الانصار : يا أبا الحسن لو كان هذا الكلام سمعته منك الانصار قبل بيعتها «الانتظام خ» لأبي بكر ما اختلف فيك اننان .

فقال علي عليه السلام : يا هؤلاء كنت أدع الرسول و هو مسجى (٢) لا أواريه

١- و مظطلع أى قوى عليه ق

٢- سجيبت البيت تسجية اذا مدت عليه نوبا ، ق

وأخرج أنازع في سلطانه، والله ما خفت «خلت ظ» أحداً باسمو (١) له وبنازعنا أهل البيت فيه ويستحل ما استحلتتموه، ولا علمت أن رسول الله ﷺ ترك يوم غدیر خم لأحد حججة ولا لقائل مقالا، فانشد الله رجلا سمع يوم غدیر خم يقول عليه السلام: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله، أن يشهد الآن بما سمع.

قال زيد بن أرقم: فشهد اثنا عشر رجلا بدريةً بذلك و كنت ممن سمع القول من رسول الله ﷺ فكتمت الشهادة فذهب بصري، قال: و كثر الكلام في هذا المعنى و ارتفع السوت و خشى عمر أن يصفى «الناسخ» الى قول علي عليه السلام ففسخ المجلس و قال: إن الله يقرب القلوب و الأَبصار و لا تزال يا أبا الحسن ترغب عن قول الجماعة فانصرفوا يومهم ذلك.

وفي الاحتجاج أيضاً عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله ﷺ أنكروا علي أبي بكر فعله و جلوسه مجلس رسول الله ﷺ؟ فقال عليه السلام: نعم كان الذي أنكروا علي أبي بكر اثني عشر رجلا، من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص و كان من بني أمية، و سلمان الفارسي، و أبوذر الغفاري، و المقداد بن الأسود، و عمار بن ياسر، و بريرة الأسلمي و من الانصار أبو الهيثم بن التيهان، و سهل، و عثمان ابنا حنيف، و خزيمه بن ثابت، و ذوالشهادتين، و ابي بن كعب، و أبو أيوب الأنصاري، قال: فلمّا صعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم فقال بعضهم لبعض: والله لنا بينه و لنتزانه عن منبر رسول الله ﷺ، و قال آخرون منهم والله لئن فعلتم ذلك إذا لأعتم (٢) على أنفسكم، فقد قال الله تعالى:

١- يقال فلان يسمو الى المعالي اذا تطاول اليها، نهاية

٢- الاعنات دركاری افكندن كه از آن بيرون نتوان آمد و من ثم ضبطه في بعض النسخ اعنتم

« وَلَا تَأْتُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ »

فانطلقوا بنا إلى أمير المؤمنين عليه السلام لنستشيره و نستطلع على الأمر و نستطلع رأيه ، فانطلق القوم إلى أمير المؤمنين عليه السلام بأجمعهم فقالوا يا أمير المؤمنين : تركت حقاً أنت أحق به و أولى منه ، لأننا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : علي مع الحق و الحق مع علي يميل مع الحق كيف مال ، و لقد هممنا أن نصير اليه فننزله عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، فجنناك لنستشيرك و نستطلع رأيك فيما تأمرنا .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : و أيم الله لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم إلا حرباً و لكنكم كالملح في الزاد و كالكحل في العين ، و أيم الله لو فعلتم ذلك لا يقيموني شاهرين أسيافكم مستعدين للحرب و القتال و إذا لا توني فقالوا لى : بايع و إلا قتلناك ، فلا بد من أن أدفع القوم عن نفسي و ذلك إن رسول الله صلى الله عليه وآله أو عز (١) إلى قبل وفاته ، و قال لى يا أبا الحسن : إن الأمة ستغدر بك من بعدي و تنقض فيك عهدي و إنك مني بمنزلة هارون من موسى و إن الأمة من بعدي بمنزلة هارون « كهرون خ » و من اتبعه و السامري و من اتبعه ، فقلت يا رسول الله فما تعهد إلى إذا كان كذلك ؟ فقال إن « اذا خ » وجدت أعواناً فبادر إليهم و جاهدهم ، و إن لم تجد أعواناً كف يدك و احقن دمك حتى تلحق بي مظلوماً ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وآله اشتغلت بغسله و تكفينه و الفراغ من شأنه ، ثم آتيت يميناً أن لا أرثدي إلا للصلاة حتى أجمع القرآن ، ففعلت ثم أخذت بيد فاطمة و ابني الحسن و الحسين فدرت على أهل بدر و أهل السابقة فناشدتهم (٢) الله إلى حقي و دعوتهم إلى نصرتي فما أجابني منهم إلا أربعة رهط : سلمان ، و عمار ، و المقداد ، و أبوذر ، و لقد راودت في ذلك بقية أهل بيتي ، فأبوا علي إلا السكوت لما علموا من و غارة (٣) صدور القوم و بغضهم لله و لرسوله و لأهل بيت نبيه ، فانطلقوا بأجمعهم إلى هذا الرجل فعرفوه

١ - و عز اليه في كذا ان يفعل او يترك او عرو و عر تقدم و امر ق .

٢ - ناشده مناشدة و ناشداً أحلفه ق .

٣ - الوغرو يحرك الحقدوا الضغن و المداوة و التوقدمن الغيظ ، ق

ما سمعتم من قول نبيكم ﷺ ليكون ذلك أوكد للحجة و أبلغ للهدى و أعدلهم من رسول الله ﷺ إذا وردوا عليه ، فسار القوم حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ ، و كان يوم الجمعة ، فلما صعد أبو بكر المنبر قال المهاجرون للأَنْصار : تقدّموا فتكلموا ، فقال الأَنْصار للمهاجرين : بل تكلموا أنتم فإن الله عز وجل أدناكم في الكتاب إذ قال الله عز وجل :

« لَقَدْ تَابَ اللَّهُ بِالنَّبِيِّ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ »

فقال أبان : فقلت : يا بن رسول الله إن الأمة لا تقرأ كما عندك ، قال وكيف تقرأ يا أبان؟ قال : قلت : إنها تقرأ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار فقال ﷺ : ويلهم و أيّ ذنب كان لرسول الله حتى تاب الله عليه منه إنما تاب الله به على أمته ، فأول من تكلم به خالد بن سعيد بن العاص ثم باقي المهاجرين ثم من بعدهم الأنصار، وروي أنهم كانوا غيباً عن وفات رسول الله ﷺ فقدموا وقد تولى أبو بكر وهم يومئذ أعلام مسجد رسول الله ﷺ .

فقام خالد بن سعيد بن العاص و قال : اتق الله يا أبا بكر فقد علمت أن رسول الله ﷺ قال ، ونحن محتوشوه (١) يوم بني قريظة حين فتح الله له وقد قتل علي يومئذ عدّة من صناريد (٢) رجالهم واولى البأس والنجدة (٣) منهم : يا معاشر المهاجرين والأنصار إني أوصيكم بوصية فاحفظوها و مودعكم أمراً فاحفظوه ، ألا إن علي ابن أبي طالب أميركم بعدي و خليفتي فيكم بذلك أوصاني ربي ، ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي و توازروه و تنصروه اختلفتم في أحكامكم و اضطرب عليكم أمر دينكم و ولاكم شراركم ، ألا إن أهل بيتي هم الوارثون لأمرى و العاملون لمونخ ، بأمر أمّتي من بعدي ، اللهم من أطاعهم من أمّتي و حفظ فيهم وصيتي فاحشرهم في زمرتي و اجعل لهم نصيباً من مرافقتي يدركون به نور الآخرة ، اللهم و من أساء

١- احتوش القوم على كذا جعلوه وسطهم و احاطوا عليه و قد بعدي بنفسه يقال احتوشوه ، منه .

٢- الصند كزبرج السيد الشجاع او الجواد او الشريف ، ق .

٣- النجدة القتال و الشجاعة و الشدة و الهول و الفزع ، ق .

خلافتي في أهل بيتي فأحرمه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض.
فقال له عمر بن الخطاب : اسكت يا خالد فإست من أهل المشورة ولا من
يقتدى برأيه ، فقال خالد : اسكت أنت يا ابن الخطاب فإنك تنطق على لسان غيرك
وأيمن الله لقد علمت قريش أنك من الأئمة حسباً وأدناها منصباً وأخسها قدراً
وأخملها ذكراً وأفتهم غناه عن الله ورسوله وأنك لجبان في الحروب بخيل في المال
لثيم العنصر مالك في قريش من فخر ، ولا في الحروب من ذكر وأنتك في هذا الأمر
بمنزلة الشيطان :

« إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ
اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ »
فابلس (١) عمرو وجلس خالد بن سعيد .

ثم قام سلمان الفارسي (رض) وقال : كرديد و نكرديد (٢) أى فعلتم و لم
تفعلوا و امتنع من البيعة قبل ذلك حتى وجي عنقه فقال يا أبا بكر : إلى من تستند
أمرك إذا نزل بك ما لا تعرفه و إلى من تفزع إذا سئلت عما لا تعلمه فما عذرك في تقدم
من هو أعلم منك و أقرب إلى رسول الله و أعلم بتأويل كتاب الله و سنة نبيه ﷺ
و من قدمه النسبي ﷺ في حياته و أوصاكم به عند وفاته ، فنبذتم قوله و تناسيتم
وصيته و أخلفتم الوعد و نقضتم العهد و حللتم العقد الذي كان عقده عليكم من
النفوذ تحت راية اسامة بن زيد حذراً من مثل ما اتيموه و تنسبوا للأمة على عظيم
ما اجترتموه « حتموه خ » من مخالفة أمره فمن قليل يصفو لك الأمر و قد أثقلت
الوزر و نقلت إلى قبرك و حملت معك ما كسبت يدك فلو راجعت الحق من قرب
و تلافيت نفسك و تبت إلى الله من عظيم ما اجترمت كان ذلك أقرب إلى نجاتك يوم

١- و ابلس حتى ما او ضجوا لضا حكة و ابلسوا اى سكتوا و ابلس الساكت من العوف
والحزن ، نهاية .

٢- معنى كرديد تعيين خليفه باطل پيش خود و نكرديد اطاعت وصى رسول خدا و خليفه بر حتى
چنانكه بعد از اين ظاهر ميشود ، منه .

تفرد في حفرتك و يسلمك ذو و نصرتك ، فقد سمعت كما سمعنا و رأيت كما رأينا ، فلم يردعك (١) ذلك عما أنت متشبث به من هذا الأمر الذي لا عذر لك في تقلده ولا حظ للدين ولا للمسلمين في قيامك به ، فالله الله في نفسك فقد أعذر من أنذر ، ولا تكن أنت كمن أدبر و استكبر .

ثم قام أبوذر الغفاري فقال: يا معشر قريش أصبتم قباحة «قناعة خ» (٢) «قباعة خ» (٣) و تركتم قرابة الله ليرتدن جماعة من العرب و ليسكن في هذا الدين و لوجعلتم هذا الأمر في أهل بيت نبيكم ما اختلف عليكم سيفان ، والله لقد صارت لمن غلب و لتطمحن إليها عين من ليس من أهلها ، و ليسفكن فيها دماء كثيرة فكان كما قال أبوذر ، ثم قال : لقد علمتم و علم خياركم أن رسول الله ﷺ قال : الأمر بعدي لعلي ثم لابني الحسن والحسين ثم للطاهرين من ذريتي ، فأطرحتم قول نبيكم و تناسيتم ما عهد به إليكم فأطعتم الدنيا الفانية و نسيتم « بعتم شريتم خ » الآخرة الباقية التي لا يهرم شبابها ولا يزول نعيمها ولا يحزن أهلها ولا يموت سكانها بالحقير التافه (٤) الفاني الزايل و كذلك الامم من قبلكم كفرت بعد أنبيائها و نكصت على أعقابها و غيرت و بدلت و اختلفت فساويتهم و هم حذو النعل بالنعل و القذة بالقذة ، و عما قليل يدنوقون و بال أمركم و تجزون بما تقدمت أيديكم و ما الله بظلام للعبيد .

ثم قام المقداد بن الأسود فقال : يا أبا بكر ارجع عن ظلامك و تب إلى ربك و أزم بيتك و ابك على خطيئتك و سلم الأمر إلى صاحبه الذي هو أولى به منك ، فقد علمت ما عقده رسول الله ﷺ في عنقك من بيعته و أزمك من النفوذ تحت راية اسامة بن زيد و هو مولاه ، و نبه على بطلان و جوب هذا الأمر لك و لمن عضدك (٥)

١- رده كمنه كفه و رده فارتدع ، ق

٢- و قدمت به تناعة من باب تب رضيت به ، لفة .

٣- قب القنفذ كمنع قبوعا ادخل راسه في جلده و الرجل في قبضه و دخل و تخلف عن اصحابه ، قاموس

٤- شئ . تافه يفه حقير خسيس و قد تفه تفها من باب لبس مغرب .

٥- عضده بعضده قطعه و كصره اعانه و نصره ، ق

عليه بضمه لكما إلى علم التفاق و معدن الشئآن والشقاق عمرو بن العاص الذي أنزل الله فيه على نبيه:

« إِنْ شَانَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ »

فلا اختلاف بين أهل العلم أنها نزلت في عمرو و هو كان اميراً عليكما و على ساير المناققين في الوقت الذي انفضه رسول الله ﷺ في غزاة ذات السلاسل و أن عمرواً قلد كما حرس عسكره فأين الحرس إلى الخلافة اتق الله و بادر إلى الاستقالة قبل فوتها فإن ذلك أسلم لك في حياتك و بعد وفاتك ولا تركز إلى الدنيا « دنياك خ » ولا تغرّك قريش و غيرها فعن قليل تضمحلّ عنك دنياك ثمّ تصير إلى ربك فيجزيك بعملك و قد علمت و تيقنت أن عليّ بن أبي طالب عليه السلام صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ فسلمه إليه بما جعله الله له فإنه أتمّ لسترك و أخفّ لوزرك فقد والله نصحت لك إن قبلت نصحي و إلى الله ترجع الأمور.

ثمّ قام بريدة الأسلمى فقال : إنا لله و إنا إليه راجعون ماذا لقي الحق من الباطل يا أبا بكر أنسيت أم تناسيت و خدعت أم خدعتك نفسك و سوت تلك الأباطيل أولم تذكر ما أمرنا به رسول الله ﷺ من تسمية عليّ بأمرة (١) المؤمنين و النبي بين أظهرنا و قوله له في عدة أوقات هذا عليّ أمير المؤمنين و قاتل القاسطين اتق الله و تدارك نفسك قبل أن لا تدركها و أنقذها مما يهلكها و اردد الأمر إلى من هو أحقّ به منك و لا تمارى (٢) في اغتصابه و راجع و انت تستطيع أن تراجع فقد محضتك النصح و دلتك على طريق النجاة فلا تكوننّ ظهيراً للمجرمين.

ثمّ قام عمار بن ياسر فقال : يا معاشر قريش و يا معاشر المسلمين إن كنتم علمتم و إلاّ فاعلموا أن أهل بيت نبيكم أولى به و أحقّ بآرته و أقوم بأمر الدين و آمن على المؤمنين و أحفظ لمثلته و أنصح لآمته فمروا صاحبكم فليرد الحق إلى

١- و الامرة على وزن فاعلة مصدر امر علينا مثله اذ اولى و الاسم الامر بالكسر و قول

الجوهري مصدر واسم ق

٢- اى لا تجادل. منه .

أهله قبل أن يضطرب جبلكم ويضعف أمركم ويظهر شنائكم وتعظم الفتنة بكم وتختلفوا فيما بينكم ويطمع فيكم عدوكم ، فقد علمتم أن بني هاشم أولى بهذا الأمر منكم و عليّ من بينهم وليتكم بعهد الله ورسوله ، و فرق ظاهر قد عرفتموه في حال بعد عند سدّ النسبي عليه السلام أبوابكم التي كانت إلى المسجد كلّها غير بابه و إشاره إياه بكريمته فاطمة الزهراء دون ساير من خطبها إليه منكم ، و قوله عليه السلام : أنا مدينة الحكمة و عليّ بابها فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها ، و إنكم جميعاً مضطرون فيما اشكل عليكم من امور دينكم إليه ، و هو مستغن عن كل أحد منكم إلى ماله من السوابق التي لأفضلكم عند نفسه فما بالكم تحيدون (١) عنه وتبتزون (٢) عليّاً حقّه و تغيرون على حقّه (٣) و تؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ؟ بئس للظالمين بدلاء أعطوه ما جعله الله ولا تولّوا مدبرين ولا ترتدوا على أدياركم فتنقلبوا خاسرين .

ثمّ قام ابيّ بن كعب فقال : يا أبا بكر لا تجحد حتّى جعله الله لغيرك ولا تكن أول من عصى رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيّته و صفيه خ و صدق عن أمره ، اردد الحقّ إلى أهله تسلّم ولا تتماد في غيبك فتندم و بادر إلى الانابة يخف و زرك ولا تخصص بهذا الأمر الذي لم يحلّه « يجعله خ » الله لك نفسك فتلقى و بال عملك ، فعن قليل تفارق ما أنت فيه و تصير إلى ربك فيسألك عما جنيت ، و ما ربك بظلام للعبيد .

ثمّ قام خزيمة بن ثابت فقال : أيها الناس أستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قبل شهادتي وحدي ولم يرد معي غيري ؟ قالوا : بلى ، قال : فاشهد أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أهل بيتي يفرقون بين الحقّ والباطل ، وهم الأئمة الذين يقتدى بهم وقد قلت ما علمت و ما على الرسول إلاّ البلاغ المبين .

١- اي تيلون، منه

٢- ابتزت الشيء، استلبته، ص

٣- فيه من دخل الى طعام لم يدع اليه دخل سارقا وخرج مغيرا اسم فاعل من اغار يشير اذ انهب شبه دخوله عليهم بدخول السارق و خروجه بن اغار على قوم ، نهاية

ثم قام أبو الهيثم بن النسيان فقال : و أنا أشهد على نبيينا ﷺ أنه أقام علينا
 ﷺ يعني في يوم غدير خم فقالت الأنصار : ما أقامه إلا للخلافة ، و قال بعضهم :
 ما أقامه إلا ليعلم الناس أنه مولى من كان رسول الله ﷺ مولاه ، و كثر الخوض في
 ذلك فبعثنا رجالا منا إلى رسول الله ﷺ فسألوه عن ذلك فقال لهم قولوا : علي
 ولي المؤمنين بعدي وأنصح الناس لأمتي وقد شهدت بما حضرني فمن شاء فليؤمن
 و من شاء فليكفر إن يوم الفصل كان ميقاتا .

ثم قام سهل بن حنيف فحمد الله و أتنى عليه و صلى على النبي محمد و آله ثم
 قال : يا معاشر قريش اشهدوا على أنني أشهد على رسول الله ﷺ و قدرأيته في هذا
 المكان يعني الروضة (١) و قد أخذ بيد علي بن أبي طالب ﷺ و هو يقول : أيها
 الناس هذا علي إمامكم من بعدي و وصيي في حياتي و بعد وفاتي و قاضي ديني
 و منجز وعدي و أول من يصفحني على حوضي فطوبى لمن اتبعه و نصره و الويل لمن
 تخلف عنه و خذله .

ثم قام من بعده أخوه عثمان بن حنيف فقال : سمعنا رسول الله ﷺ يقول :
 أهل بيتي نجوم الأرض فلا تتقدموهم و قدّموهم ، فيهم الولاية بعدي . فقام إليه رجل
 فقال : يا رسول الله و أي أهل بيتك ؟ فقال ﷺ علي و الطاهرين من ولده ، و تد
 بين ﷺ فلا تكن يا أبا بكر أول كافر به فلا تخونوا الله و الرسول و تخونوا أمانتكم
 و أنتم تعلمون .

ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال : اتقوا الله عباد الله في أهل بيت نبيكم و ارددوا
 إليهم حقهم الذي جعله الله لهم ، فقد سمعتم مثل ما سمع إخواننا في مقام بعد مقام
 لنبينا ﷺ ، و مجلس بعد مجلس يقول : أهل بيتي أئمتكم بعدي و يؤموني إلى علي
 ﷺ يقول : هذا أمير البردة و قاتل الكفرة ، مخذول من خذله منصور من نصره
 فتوبوا إلى الله من ظلمكم إن الله تواب رحيم ، ولا تتولوا عنه مدبرين ، ولا تتولوا
 عنه معرضين .

قال الصادق عليه السلام فافهم (١) أبو بكر على المنبر حتى لم يحجر (٢) جواباً ثم ، قال: وليتكم ولست بخيركم أقيلوني أقيلوني .

فقال له عمر بن الخطاب : انزل عنها بالكعب (٣) إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لم أقمت نفسك هذا المقام ؟ والله لقد همت أن أخلعك وأجعلها في سالم مولى أبي حذيفة ، قال فنزل ثم أخذ بيده وانطلق إلى منزله وبقى ثلاثة أيام لا يدخلون مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فلما كان في اليوم الرابع جائهم خالد بن الوليد و معه ألف رجل فقال لهم : ما جلوسكم فقد طمع فيها والله بنوهاشم ، و جائهم سالم مولى أبي حذيفة و معه ألف رجل ، و جائهم معاذ بن جبل و معه ألف رجل فما زال يجتمع رجل رجل حتى اجتمع أربعة آلاف رجل فخرجوا شاهرين أسيافيهم يقدمهم عمر بن الخطاب حتى وقفوا بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال عمر : الله يا أصحاب علي لئن ذهب الرجل منكم يتكلم بالذي تكلم به بالأمر لناخذن الذي فيه عيناه .

فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص و قال يا بن صهناك الحبشية أفسيافكم تهددوننا أم بجمعكم تفرعوننا ؟ والله إن أسيافنا أحد من أسيافكم وإنما لأكثر منكم و إن كنا قليلين لأن حجة الله فينا والله لولا أنني أعلم أن طاعة الله و طاعة رسوله و طاعة إمامي أولى بي لشهرت سيفي و جاهدتكم في الله إلى أن أبلى (٤) عذري ، فقال له خ : أمير المؤمنين عليه السلام : اجلس يا خالد فقد عرف لك مقامك . و شكر لك سعيك ، فجلس .

و قام إليه سلمان الفارسي فقال الله أكبر الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و إلا صمتا (٥) يقول : بينا أخي و ابن عمي جالس في مسجدي و معه نفر من

١- افهمها استنها ، نهاية

٢- ما اخرجوا ما رد ، ق .

٣- اللكع كصرد اللثيم والعبد والاحمق ق

٤- وبلاء عذرا او اه اليه قبله ، ق

٥- اى صمت اذناى ان كذبت ، منه

أصحابه إذ تكبسه (١) جماعة من كلاب أهل النار يريدون قتله و قتل من معه ،
و لست أشك إلا و أنكم هم ، فهم به عمر بن الخطاب ، فوثب إليه أمير المؤمنين عليه السلام
و أخذ بمجامع ثوبه ثم جلد (٢) به الأرض ثم قال : يا بن صهناك الحبشية لولا
كتاب من الله سبق و عهد من الله تقدم لأزيتك أيتنا أضعف ناصرأ و أقل عدداً، ثم
التفت إلى أصحابه فقال : انصرفوا رحمكم الله فوالله لا دخلت المسجد إلا كما دخل
أخوای موسى و هارون إذ قال له أصحابه:

« فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ »

والله لا دخلته إلا لزيارة رسول الله ﷺ أدل قضية أفضيها ، فإنه لا يجوز لحجة أقامه
رسول الله أن يترك الناس في حيرة .

وفي الاحتجاج أيضاً عن عبدالله بن عبدالرحمن قال: إن عمر احتزم (٣) بازاره
وجعل يطوف بالمدينة وينادي ألا إن أبا بكر قد بويغ فهلّموا إلي البيعة فينثال (٤) الناس
يبايعون فعرف أن جماعة في بيوت مستترون فكان يقصدهم في جمع كثير فيكبسهم
و يحضرهم المسجد فيبايعون حتى إذا مضت أيام أقبل في جمع كثير إلى منزل
علي عليه السلام فطالبه بالخروج فأبى ، فدعا عمر بحطب و نار ، و قال والذي نفس عمر
بيده ليخرجن أولاً حرقنه على ما فيه ، فقيل له : إن فاطمة بنت رسول الله و ولد
رسول الله و آثار رسول الله ﷺ فيه ، و أنكر الناس ذلك من قوله فلما عرف
إنكارهم قال: ما بالكم أتروني فعلت ذلك إنما أردت التسهيل فراسلهم علي عليه السلام أن ليس
إلى خروجي حيلة ، لأنني في جمع كتاب الله الذي قد نبذتموه وأهتكم (٥) الدنيا عنه،

١- كبس داره هجم عليه ، ق

٢- جلده اي رمى به الارض، نهاية

٣- ومنه الحديث نهى ان يصلى الرجل حتى يحتزم اي يتلبب و يشد وسطه ، نهاية

٤ - انثال عليه الناس من كل وجه اي انصبوا ، ص

٥- اهتكم الدنيا اي شغلتمكم قال تعالى الهيكم التكاثر، منه .

وقد حلفت أن لا أخرج من بيتي ولا ادع ردائي على عاتقي حتى أجمع القرآن ، قال : وخرجت فاطمة بنت رسول الله ﷺ إليهم فوفقت على الباب ، ثم قالت لا عهد لي بقوم أسوء محضراً منكم تركتم رسول الله جنازة (١) بين أيدينا وقطعتم أمركم فيما بينكم ولم تؤامرونا ولم تردوا لنا حقاً ، كأنكم لم تعلموا ما قال يوم غد يرخم ، والله لقد عقد له يومئذ الولاة ليقطع منكم بذلك منها الرجاء ، ولكنكم قطعتم الأسباب والله حسيب بيننا و بينكم في الدنيا والآخرة .

وفي غاية المرآة من كتاب سليم بن قيس الهلالي وهو كتاب مشهور معتمد نقله عنه المصنفون في كتبهم وهو من التابعين رأى علياً و سلمان و أبازر وفي مطلع كتابه ما هذه صورته : فهذه نسخة كتاب سليم بن قيس الهلالي رفعه إلى أبان بن أبي عبيس و قرأه عليٌّ و ذكر أبان أنه قرأه عليٌّ بن الحسين عليه السلام فقال صدق سليم هذا حديثنا نعرفه ، قال سليم : سمعت سلمان الفارسي أنه قال : فلما أن قبض رسول الله ﷺ و صنع الناس ما صنعوا جالهم أبوبكر و عمر و أبو عبيدة بن الجراح و خاصموا الأنصار بحجة عليٍّ فخصمهم فقالوا يا معاشر الأنصار قريش أحق بالأمر منكم ، لأن رسول الله من قريش ، والمهاجرون خير منكم لأن الله سبحانه به بهم في كتابه و فضله ، وقد قال رسول الله ﷺ : الأئمة من قريش .

قال سلمان : فأنت و هو يغسل رسول الله ﷺ و قد كان أوصى علياً أن لا يلبس غسله إلا هو ، فقال : يا رسول الله و من يعينني عليك ؟ فقال : جبرئيل عليه السلام ، و كان عليٌّ لا يريد عضواً إلا أنقلب له ، فلما غسله و كفته أدخلني و أدخل أبازر و المقدار و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام ، فتقدم عليٌّ و صفنا خلفه و صلى عليه و عايشة في الحجر لا تعلم ، ثم أدخل عشرة من المهاجرين و عشرة من الأنصار يدخلون في دعون ثم يخرجون فيصلون ويخرجون ثم حتى لم يبق أحد من المهاجرين و الأنصار إلا صلى عليه .

قال سلمان : فأتيت علياً وهو يغسل «قلت لعليّ ﷺ حين يغسل خ» رسول الله ﷺ فأخبرته بما صنع الناس فقلت : إن أبا بكر الساعة قدرني منبر رسول الله ﷺ ولم يرضوا أن يبايعوه بيد واحدة وأنهم ليباعونه بيديه جميعاً يمينه وشماله ، فقال ﷺ : يا سلمان وهل تدري أول من بايعه علي منبر رسول الله ﷺ؟ فقلت : لا إلا أنتى رأيت «رأيت خ» في ظلّة بني ساعدة حين خصمت الأ نصار فكان «وكان خ» أول من بايعه المغيرة بن شعبه ، ثم بشير بن سعد ، ثم أبو عبيدة بن الجراح ثم عمر بن الخطاب ، ثم سالم مولى أبي حذيفة ، و معاذ بن جبل ، قال : لست أسألك عن هؤلاء ولكن هل تدري أول من بايعه حين صعد المنبر؟ قال «قلت خ» : لا ولكن رأيت شيخاً كبيراً متوكيماً على عصاين عينيه سجادة شديدة التشمير صعد المنبر أول من صعد خ» وهو يبكي و «هو خ» يقول : الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك في هذا المكان ابسط يدك ، فبسط يده فبايعه ، ثم نزل فخرج من المسجد.

فقال عليّ ﷺ : وهل تدري يا سلمان من هو؟ قلت: وقد سائنتني مقالته كأنه شامت بموت رسول الله ﷺ ، قال عليّ ﷺ : فإن ذلك إبليس لعنة الله عليه «أخبرني رسول الله ﷺ خ» ان إبليس وأصحابه شهدوا نصب رسول الله ﷺ إتيى بغدير خمّ لما أمره الله تعالى وأخبرهم أنني أولى بهم من أنفسهم وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب ، فأقبل إلى إبليس أبالسته و مردة أصحابه ، فقالوا : هذه الأمة مرحومة معصومة لا لك ولانا عليهم سبيل قد اعلموا مقرهم و إمامهم «علموا امامهم وصرعهم خ» بعد نبيهم فانطلق إبليس آيساً حزيناً.

قال فأخبرني رسول الله ﷺ بعد ذلك (١) وقال تباع الناس أبا بكر في ظلّة بني ساعدة حتى ما يخاصمهم (٢) بحقنا و حجتنا ، ثم يأتون المسجد فيكون

١- الظاهر انه غلط وليس في نسخة الاحتجاج ولا في البحار، منه

٢- الظاهر ان المراد به ما يخاصمهم احد لحقنا و في البحار هكذا في ظلّة بني ساعدة بعد تضاصمهم بحقنا وحجتنا و في الاحتجاج بعد تضاصمهم بحقك و حجتك وهو الاصح والانسب، منه

أول من يبايعه على منبري إبليس في صورة شيخ كبير مستبشر يقول له : كذا وكذا
ثم يخرج فيجمع أصحابه و شياطينه و أبالسته فيخرون سجداً فينخر ويكسع ، ثم
يقول : كلاً زعمتم أن ليس لي عليهم سلطان ولا سييل فكيف رأيتموني صنعت بهم
حتى تركوا ما أمرهم الله به من طاعته و أمرهم به رسول الله و ذلك قول
الله تعالى :

« وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ »

قال سلمان : فإما كان الليل حمل فاطمة على حمار و أخذ بيد الحسن
والحسين عليهما السلام فلم يدع أحداً من أهل بدر من المهاجرين ولا من الأنصار
إلا أتاه في منزله و ذكره حقه و دعاه إلى نصرته فما استجاب له إلا أربعة وأربعون
رجلاً فأمرهم أن يصبحوا محلقي رؤوسهم ومعهم سلاحهم على أن يبايعوه على الموت وأصبحوا
لم يوافقهم منهم إلا أربعة، فقلت لسلمان: من الأربعة؟ قال : أنا وأبوزر والمقداد والزبير بن
العوام، ثم عاودهم ليلاً يناشدهم، فقالوا: نصحبك بكرة فما أتاه منهم أحد غيرنا فلما رأى
علي عليه السلام غدرهم و قلته وفاتهم لزم بيته و أقبل على القرآن يؤلفه و يجمعه، فلم يخرج
من بيته حتى جمعه و كان المصحف في القرطاس والاسيار (١) والرقاع.

فلما جمع كلّه و كتبه على تنزيله والناسخ والمنسوخ و بعث إليه أبو بكر
أن اخرج فبايع فبعث إليه علي عليه السلام إني مشغول، ولقد آليت على نفسي يمينا أن
لا ارتدي برداء إلا للصلاة حتى أؤلف القرآن و أجمعه ، فجمعه في ثوب واحد وختمه
ثم خرج إلى الناس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فنادى
بأعلى صوته : يا أيها الناس إني لم أزل منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله مشغولاً بغسله ،
ثم بالقرآن حتى جمعت كلّه في هذا الثوب الواحد فلم ينزل الله على رسوله آية إلا
وقد جمعتها ، وليست منه آية إلا وقد أقرنتني « أقرنتها » إياها رسول الله صلى الله عليه وآله
و علمني تأويلها .

«ثم قال علي عليه السلام لثلاثا تقولوا غدا إنا كنا عن هذا غافلين خ» ثم قال علي عليه السلام لا تقولوا يوم القيامة إنسى لم أدعكم إلى نصرتي ولم أذكركم حقي، فأدعوكم إلى كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته، فقال عمر: ما أغنانا بما معنا من القرآن عما تدعوننا إليه، ثم دخل علي عليه السلام بيته، فقال عمر لأبي بكر: أرسل إلى علي فليسلنا في شيء، حتى يبايع ولو قد بايع آمنا، فأرسل إليه أبو بكر أجب خليفة رسول الله، فأناه الرسول فقال له ذلك، فقال له علي عليه السلام: ما أسرع ما كذبتكم على رسول الله ﷺ إنه ليعلم ويعلم الذين حوله أن الله ورسوله لم يستخلف غيري، فذهب الرسول فأخبره بما قال له، فقال: اذهب فقل له أجب أمير المؤمنين أبا بكر، فأناه فأخبره بذلك، فقال له علي عليه السلام: سبحان الله والله ما طال العهد فينسى، والله إنه ليعلم أن هذا الاسم لا يصلح إلا لي وقد أمره رسول الله ﷺ وهو سابع سبعة فسأموا عليه «على خ» بأمره المؤمنين فاستفهمه هو وصاحبه من بين السبعة وقالوا: أحق من الله ورسوله؟ قال رسول الله: نعم حقاً حقاً من الله ومن رسوله إنه أمير المؤمنين وسيد المسلمين وصاحب لواء «الفرخ» المحجلين يقعده الله عز وجل يوم القيامة على الصراط فيدخل أوليائه الجنة وأعدائه النار، فانطلق الرسول فأخبره بما قال فسكتوا عنه يومهم ذلك.

فلما كان الليل حمل علي فاطمة وأخذ بيد ابنه الحسن والحسين عليهم السلام فلم يدع أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ إلا أتاه في منزله فناشدهم الله حقه ودعاهم إلى نصرته، فما استجاب له منهم أحد غير الأربعة فأننا حلقنا رؤوسنا وبذلنا نصرتنا وكان الزبير أشد نصرة فلما رأى علي عليه السلام خذلان الناس له وتركهم نصرته واجتماع كلمتهم مع أبي بكر وتعظيمهم له لزم بيته.

وقال عمر لأبي بكر: ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع فإنه لم يبق أحد إلا وقد بايع غيره وغير هؤلاء الأربعة، وكان أبو بكر أرق الرجلين وأرقهما وأدهما وأبعدهما غوراً، والآخر أفضهما وأجفاهما، فقال له أبو بكر: من ترسل إليه؟ فقال عمر: نرسل إليه قنفذاً وكان رجلاً فظاً غليظاً جافاً من الطلقاء

أحد بني عدي بن كعب ، فأرسله إليه و أرسل معه أعراباً فانطلق فاستأذن علي بن أبي طالب ، فأبى أن يأذن لهم فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر و عمر و هما في المسجد والناس حولهما ، فقالوا : لم يؤذن لنا ، فقال عمر : اذهبوا فان أذن لكم وإفادخلوا عليه من غير إذن ، فانطلقوا فاستأذنوا فقالت فاطمة عليها السلام أخرج (١) عليكم أن تدخلوا علي بيتي بغير إذني ؟ فرجعوا فثبت القنفذ الملعون ، فقالوا : إن فاطمة قالت لنا كذا وكذا فحرجتنا أن ندخل بيتها من غير إذن ، فغضب عمر فقال : مالنا والنساء .

ثم أمر أناساً حوله يحملون حطباً فحملوا الحطب و حمل عمر معهم فجعلوه حول بيت علي بن أبي طالب وفيه علي و فاطمة و ابناهما صلوات الله عليهم ، ثم نادى عمر حتى أسمع علياً و فاطمة : والله لتخرجن يا علي ولتبايعن خليفة رسول الله ﷺ وإلا أضرت عليك بيتك أراً ، ثم رجع قنفذ إلى أبي بكر وهو متخوف أن يخرج علي إليه بسيفه لما يعرف من بأسه و شدته ، فقال أبو بكر لقنفذ : ارجع فان خرج وإلا فاهجم فاقتمخ عليه بيته ، فان امتنع فاضرم عليهم بيتهم ناراً .

فانطلق القنفذ الملعون فاقتمخ هو و أصحابه بغير إذن و سار نارخ علي بن أبي طالب إلى سيفه و سبقوه إليه وهم كثيرون فتناول بعضهم سيفه و كانوا (٢) فالتقوا في عنقه حبلاً و حالت بينهم وبينه فاطمة عليها السلام عند باب البيت فضر بها فنفذ لعنه الله بسوط كان معه فماتت صلوات الله عليها وأن في عضدها مثل الدمالج «الدمالجخ» (٣) من ضربته ثم انطلق به يعتل (٤) عتلاً حتى انتهى إلى أبي بكر ، و عمر قائم بالسيف على رأسه و خالد بن الوليد و أبو عبيدة بن الجراح و سالم مولى أبي حذيفة و معاذ بن جبل

١- التعريج التضيق، ق

٢- و كانوا وهم فكثروهم غالبوهم في الكثرة فغلبوهم ق .

٣- الدمالج هو العضد، ق

٤- عتله يعتل فاعتل جره عنيفة، ق

والمغيرة بن شعبة و اسيد بن حصين و بشير بن سعد و ساير الناس حول أبي بكر عليهم السلاح .

قال: قلت لسلمان : أدخلوا علي فاطمة بغير إذن ؟ قال : اي والله ما عليها خمار فنادت وا أبتاه و ا رسول الله يا أبتاه لبئس ما خلفك أبو بكر و عمر و عيناك لم تنفقا في قبرك تنادى بأعلى صوتها ، فلقد رأيت أبا بكر و من حوله يبكون و ينتحبون و ما فيهم إلا باك غير عمر و خالد بن الوليد و المغيرة بن شعبة و عمر يقول : إننا لسنا من النساء و رأين في شيء .

قال فانتهوا به إلى أبي بكر و هو يقول : أما والله لو وقع سيفي في يدي لعلمت أنكم لن تصلوا إلى هذا أبداً و الله لم ألم نفسي في جهادكم لو كنت استمكنت من الأربعين لفرقت جماعتكم ولكن لعن الله أقواماً بايعوني ثم خذلوني و قد كان قنفذ لعنه الله حين ضرب فاطمة بالسوط حين حالت بينه و بين زوجها أرسل إليه عمر إن حالت بينك و بينه فاطمة فاضربها ، فألجأها قنفذ لعنه الله إلى عضادة باب بيتها و دفعها فكسر لها ضلعاً من جنبها و ألقت جنيماً من بطنها ، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت صلوات الله عليها من ذلك شهيدة .

قال: فلما انتهى بعلي إلى أبي بكر انتهره عمر و قال له : بايع ، فقال له علي عليه السلام إن أنا لم أبايع فما أنتم صانعون ؟ قالوا نقتلك ذلاً و صغاراً ، فقال : إذا تقتلون عبد الله و أخا رسول الله ، فقال أبو بكر : أما عبد الله فنعم ، و أما أخو رسول الله فما نعرفك «نقرلك خ» بهذا ، قال عليه السلام : أتجحد أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخا بيني و بينه ؟ قال : نعم ، فأعاد ذلك عليه ثلاث مرات .

ثم أقبل عليهم علي عليه السلام ، فقال : يا معاشر المسلمين و المهاجرين و الأنصار انشدكم الله أسمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم : كذا و كذا و في غزوة تبوك كذا و كذا فلم يدع شيئاً قال «قاله فيه خ» له رسول الله صلى الله عليه وآله علانية للعامة إلا ذكرهم إياه «إياها خ» قالوا : اللهم نعم : فلما أن تخوف أن ينصره الناس و أن يمنعوه منه بادروهم ، فقال له : كلما قلت حق قد سمعناه بأذاننا و عرفناه و وعته قلوبنا ولكن سمعت

رسول الله ﷺ يقول بعد هذا: إننا أهل بيت اصطفانا الله تعالى و اختار لنا الآخرة على الدنيا فإن الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النسبوة والخلافة ، فقال علي رضي الله عنه : هل أحد من أصحاب رسول الله ﷺ شهد هذا معك ؟ فقال عمر : صدق خليفة رسول الله قد سمعته منه كما قال .

قال: وقال أبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل: قد سمعنا من رسول الله ﷺ فقال علي رضي الله عنه : لقد وفيتم بصحيفتكم الملعونة التي تعاهدتم « قد تعاهدتمخ » عليها في الكعبة إن قتل الله محمداً أو مات لتزورن (١) هذا الأمر عنا أهل البيت ، فقال أبو بكر : فما علمك بذلك اطلعناك عليها ، فقال علي رضي الله عنه : يا زبير و أنت يا سلمان و أنت يا أبازرو أنت يا مقداد أسألكم بالله و بالاسلام أسمعتم رسول الله يقول ذلك و أنتم تسمعون إن فلانا و فلانا حتى عد هؤلاء الأربعة « الخمسة » قد كتبوا بينهم كتاباً و تعاهدوا فيه و تعاهدوا إيماناً على ما أن قتلتم أو مت أن يتظاهروا عليكم و أن يزوروا عنك هذا الأمر يا علي ؟ فقلت : بأبي أنت يا رسول الله فما تأمرني إذا كان ذلك ، فقال إن وجدت عليهم أعوانا فجاهدهم و نابذهم ، و إن لم تجد أعوانا فبايع و احقن دمك .

فقال علي رضي الله عنه : أما والله لو أن أولئك الأربعة رجال الذين بايعوني و فوالى لجاهدتمكم في الله ، فقال عمر : أما والله لا ينالها أحد من أعقابكم إلى يوم القيامة ثم نادى علي رضي الله عنه قبل أن يبايع والحبل في عنقه :

« يَا بَنَ أُمَّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَ كَادُوا يَقْتُلُونِي »

ثم تناول يد أبي بكر فبايع ، و قيل للزبير: بايع فأبى فوثب إليه عمرو خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة و اناس معهم فانتزعوا سيفه فضربوا به الأرض حتى كسروه ثم لبسوه (٢) فقال الزبير وعمر على صدره: يا بن صهك أما والله لو أن سيفي في يدي لحدث (٣)

١- زواه زيا وزوبا نعام، ق

٢- ليه تلبيا جمع ثيابه عند نحره في الغصومة ثم جره ، ق

٣- حاد عنه مال ، ق

عني ثم بايع .

قال سلمان ثم أخذوني فوجؤوا عنقي حتى تركوه كالسَّلعة ثم أخذوا يدي فبايعت مكرهاً ، ثم بايع أبوذر والمقداد مكرهين و ما من أحد بايع مكرها غير عليؑ و أربعتنا ولم يكن أحد منا أشدّ قولا من الزبير ، فإنه لما بايع قال : يا بن صهّاك أما والله لولا هؤلاء الطغاة الذين اعانوك لما كنت تقدم عليؑ و معي سيفي لما اعرف من جبنك ولومك ، ولكن وجدت طغاة تقوى بهم و تصول بهم ، فغضب عمر فقال: أنذرك صهّاك ؟ فقال: ومن صهّاك ومن «ماخ» بمنعني من ذكرها وقد كانت صهّاك زانية وتتنكر ذلك أوليس كانت أمة لجدّي عبدالمطلب فزني بها جدك ففيل فولدت أباك الخطاب فوهبها عبدالمطلب لجدك بعد ما ولدته و أنه لعبد جدي ولدزنا ، فأصلح أبو بكر بينهما وكف كل واحد منهما عن صاحبه .

قال سليم: فقلت لسلمان : فبايعت أبا بكر ولم تقل شيئاً ؟ قال : بلى قد قلت بعد ما بايعت : تبألكم ساير الدهر لو تدرّون ما صنعتم بأنفسكم أصبتم و أخطأتم أصبتم سنة الأولين من كان قبلكم من الفرقة والاختلاف ، و أخطأتم سنة نبيكم حين أخرجتموها من معدنها و أهلها فقال عمر: أما إذا قد بايعت ياسلمان فقل ما شئت و افعل ما بدالك وليقل صاحبك ما بداله ، قال سلمان: قلت إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن عليك وعلى صاحبك الذي بايعته مثل ذنوب امته إلى يوم القيامة ومثل عذابهم جميعاً ، فقال عمر قل ما شئت أليس قد بايعت ولم يقر الله عينك بأن يلبسها صاحبك ، فقلت اشهد أنني قرأت في بعض كتب الله إنك باسمك و صفتك باب من أبواب جهنم ، فقال : قل ما شئت أليس قد أزالها الله عن أهل البيت الذين اتخذتموهم أرباباً ؟ فقلت : إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول وقد سألته عن هذه الآية:

« قَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ »

فأخبرني بأنك أنت هو ، فقال لي عمر: اسكت أسكت الله نأمتك (١) أيها العبد ابن

الخناء ، فقال لي علي عليه السلام : اسكت يا سلمان فوالله لولم يأمرني علي بالسكوت لخبرته بكل شيء نزل فيه وكل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله فيه وفي صاحبه ، فلما رأني عمر قدسكت قال لي : إنك له لمطيع مسلم فلما أن بايع أبوذر والمقدار ولم يقولوا شيئاً قال عمر : ألا كفت كما كف صاحبك والله ما أنت أشد حياءً بأهل هذا البيت منهما ولا أشد تعظيماً لحقهم منهما وقد كفا كما ترى وقد بايعا .

فقال أبوذر : أفتميرنا يا عمر بحب آل محمد عليهم السلام وتعظيمهم وقد فعل من أبعضهم وافتري عليهم و ظلمهم حقهم وحمل الناس على رقابهم و رد هذه الامة القهقري على أديارهم ، فقال عمر : آمين لعن الله من ظلمهم حقهم لا والله مالهم فيها من حق وما هم فيها و عرض الناس للأسواء ، قال : لم خاصمت الأ نصار بحقها ؟ فقال علي عليه السلام لعمر : يا بن صهاك فليس لنا فيها حق وهي لك ولا بن آكلة الذبان ، فقال عمر كف يا أبا الحسن إذ قد بايعت : فإن العامة رضوا بصاحبي ولم يرضوا بك فما ذنبي ، فقال علي عليه السلام : لكن الله ورسوله لم يرضيا إلا بي فأبشر أنت و صاحبك ومن أتبعكما و أزركما بسخط الله و عذابه و خزيه و يلك يا بن الخطاب لو ترى ماذا جنيت على نفسك و على صاحبك ؟ فقال أبو بكر يا عمر أما إذا بايع و امننا شره و فتكه و غائلته فدعه يقول ماشاء .

فقال علي عليه السلام : لست قائلاً غير شيء ، واحد أذكركم بالله أيها الأربعة قال لسلمان والزبير و أبي ذر والمقدار ، أسمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إن تابوتا من نار فيه انني عشر ستة من الأولين و ستة من الآخريين في قعر جهنم في جب في تابوت مقفل على ذلك الجب صخرة فاذا أراد الله أن يسع جهنم كشفت تلك الصخرة عن ذلك الجب فاسعرت جهنم من وهج ذلك الجب و من حره ، قال علي عليه السلام فسألت رسول الله صلى الله عليه وآله وأتم شهود ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أما الأ ولون فابن آدم الذي قتل أخاه ، وفرعون ذوالفراغة ، والذي حجاج إبراهيم في ربه ، ورجلان من بني اسرائيل بدلا كتابهم و غير أسنتهم ، أما أحدهما فهو اليهود والآخر نصر

النصارى، وعاقر الناقة، وقاتل يحيى بن زكريا، والدجال في الآخرين وهؤلاء الأربعة أصحاب الكتاب (١) وجبتهم وطاغوتهم الذي تعاهدوا عليه و تعاودوا على عداوتك يا أخى و يتظاهرون عليك هذا وهذا حتى عدّهم و سمّاهم.

قال : قلنا : صدقت نشهد أنه قد سمعنا ذلك من رسول الله، فقال عثمان : يا أبا الحسن أما عندك في حديث ؟ فقال عليّ عليه السلام : بلى لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يلعنك ثم لم يستغفر لك بعد «مذبح» لعنك ، فغضب عثمان ثم قال : مالي و ماليك لاتدعني على حال كنت على عهد النبي صلى الله عليه وآله ولا بعده ، فقال له عليّ عليه السلام : فأرغم أنفك ثم قال له عثمان لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إن الزبير يقتل مرتداً.

قال سلمان : فقال لي عليّ عليه السلام فيما بيني و بينه : صدق عثمان ، وذلك انه يبني يعني بعد قتل عثمان ثم ينكث بيعتي فيقتل مرتداً . قال سلمان : فقال عليّ عليه السلام إن الناس كلهم ارتدوا و بعد رسول الله صلى الله عليه وآله غير أربعة، إن الناس صاروا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون و من تبعه و منزلة العجل و من تبعه فعلي عليه السلام في شبه هارون ، و عتيق (٢) في شبه العجل، و عمر في شبه السامري و سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ليحيى قوم من أصحابي من أهل العلية و المكانة مني ليعروا على الصراط فاذا رأيتهم و رأوني و عرفتهم و عرفوني اختلجوا و نبي فأقول يا رب أصحابي أصحابي فيقال : لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا و على أربابهم حيث فارقتهم ، فأقول بعداً و سحقاً .

و سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لتركبن أممتي سنة بنى إسرائيل حدوا النعل بالنعل و القذة بالقذة شبراً بشبر باعاً و ذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحراً لدخلوا فيه معهم و انه كتب التوراة و القرآن ملك واحد في رق واحد و جرت الأمثال و السنن.

أقول : هذه الرواية زواها الطبرسي أيضاً في الاحتجاج و المحدث المجلسي (ره) في المجلد الثامن من بحار الأنوار بنقصان في الأول و زيادة في الثاني و تغيير يسير في غير الزايد و الناقص ، و كانت نسخة غاية المرام التي عندنا غير خالية من الغلط

والتحريف يسيراً في متن الرواية فاصلحناها من نسختي الاحتجاج والبحار بما رأيناه أصلح وأنسب ، فلو وجدت فيما رويناه شيئاً غير مطابق لما في الاصل (١) فسرهما ذكرناه ولا نحمّلنه على التقصير في الضبط والنقل والله الهادي.

و في البحار من رجال الكشي عن علي بن الحكم عن ابن عميرة عن أبي بكر الحضرمي قال : قال أبو جعفر عليه السلام : ارتد الناس إلا ثلاثة نفر : سلمان وأبوذر والمقداد ، قال : قلت : فغمار ، قال قد كان حاص (٢) حيصه ثم رجع ، ثم قال : إن أردت الذي لم يشك ولم يدخله شك فالمقداد ، فأما سلمان فإنه عرض في قلبه عارض إن عند أمير المؤمنين عليه السلام اسم الله الأعظم لو تكلم به لأخذتهم الأرض وهو هكذا فلبب ووجيت حتى تركت كالسلة ، فمر به أمير المؤمنين عليه السلام فقال له ، يا أبا عبد الله هذا من ذلك بايع فبايع ، وأما أبوذر فأمره أمير المؤمنين عليه السلام بالسكوت ولم يكن يأخذه في الله لومة لائم فأبى إلا أن يتكلم فمر به عثمان فأمر به ، ثم أناب الناس بعد و كان أول من أناب أبو ساسان الأنصاري وأبو عمرة وشيرة وكان نواظره سبعة فلم يكن يعرف حق أمير المؤمنين عليه السلام إلا هؤلاء السبعة.

أقول : أبو ساسان اسمه الحصين بن المنذر بالحاء المهملة المضمومة والصاد المهملة ، وأبو عمرة من الأنصار أيضاً اسمه نعلبة بن عمرو ، وشيرة يقال له سمير أيضاً صاحب راية علي عليه السلام بصفين و قتل هناك مع اخوته قاله في الخلاصة .

ومن كتاب الاختصاص للمفيد باسناده عن عمرو بن ثابت قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن النبي صلى الله عليه وآله لما قبض ارتد الناس على أعقابهم كقماراً إلا ثلاثة : سلمان والمقداد وأبوذر الغفاري أنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جاء أربعون رجلاً إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقالوا : لا والله لا نعطي أحداً طاعة بعدك أبداً ، قال : ولم ؟ قالوا : سمعنا من رسول الله فيك يوم غدیر ، قال : و تفعلون ؟ قالوا : نعم ، قال فأتوني

١- أى كما في غاية اليرام ، منه

٢- في أكثر النسخ بالمهملتين يقال حاص عليه حيصه أى عدل و حادو في بعض النسخ بالجيم والصاد المهملة بهذا المعنى وفي بعضها بالمجتميتين بهذا المعنى أيضاً و قال الفيروز آبادي السلمة بالكسر كالغدة في الجسد و يفتح و يحرك كعنية أو جراح العنق أو غدة فيما حوله فمر به عثمان فأمر به أى فتكلم أو هو يتكلم فى شأنه فأمر به فأخرج من المدينة بجوار الأنوار .

غداً محلّقين ، قال : فما أتاه إلا هؤلاء الثلاثة ، قال : و جاءه عمّار بن ياسر بعد الظهر ف ضرب يده على صدره ثم قال : ما آن لك أن تستيقظ من نومة الغفلة ، ارجعوا فلاحاجة لي فيكم أنتم لم تطيعوني في حلق الرؤوس فكيف تطيعوني في قتال جبال الحديد ، ارجعوا فلاحاجة لي فيكم .

وفي الاحتجاج عن الباقر عليه السلام أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر : اكتب إلى اسامة ابن زيد يقدم عليك فان في قدمه قطع الشنعة ، فكتب أبو بكر إليه : من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اسامة بن زيد ، أما بعد ، فانظر إذا أتاك كتابي فأقبل إلى أنت و من معك فان المسلمين قد اجتمعوا عليّ و ولوني أمرهم ، فلا تتخلفن فتعصني ويأتيك مني ماتكره والسلام .

قال فكتب إليه اسامة جواب كتابه : من اسامة بن زيد عامل رسول الله صلى الله عليه وآله على غزوة الشام الى أبي بكر بن أبي قحافة ، أما بعد فقد أتاني منك كتاب ينقض أو له آخره ، ذكرت في أو له أنك خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وذكرت في آخره أن المسلمين قد اجتمعوا عليك فولوك أمرهم و رضوا بك ، فاعلم أنني و من معي من جماعة المسلمين فلا والله ما رضينا بك ولا وليناك أمرنا ، و انظر أن تدفع الحق إلى أهلهم و تخليهم و إياهم فانهم أحقّ به منك فقد علمت ما كان من قول رسول الله صلى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام يوم الغدير ، فما طال العهد فتنسى فانظر مركزك ولا تخالف فتعصي الله ، و رسوله و تعصي من استخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله عليك و علي صاحبك ، ولم يعزني حتى قبض رسول الله و أنتك و صاحبك رجعتما و عصيتما فأقمتما في المدينة بغير اذني .

قال : فأراد « فهمّخ » أبو بكر أن يخلعها من عنقه قال : فقال له عمر : لا تفعل قميص قمصك الله لانخلعه فتندم ولكن ألحّ عليه بالكتب و مرفلانا و فلانا يكتبون الى اسامة أن لا يفرّق جماعة المسلمين و أن يدخل معهم فيما صنعوا ، قال : فكتب إليه أبو بكر و كتب إليه ناس من المنافقين : أن ارض بما اجتمعنا عليه و إيمانك أن تشمل المسلمين فنتته فانهم حديث عهد بالكفر ، قال : فلم ياورد الكتب على اسامة انصرف بمن معه

حتى دخل المدينة ، فلما رأى اجتماع الخلق على أبي بكر انطلق إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له : ما هذا ؟ قال له علي عليه السلام : هذا ما ذاترى ، قال له اسامة : فهل بايعته ؟ فقال : نعم يا اسامة ، فقال : أطاعنا أو كارهاً ؟ قال : لا بل كارهاً ، قال : فانطلق اسامة فدخل على أبي بكر وقال له : السلام عليك يا خليفة المسلمين ، قال : فرد عليه أبو بكر ، وقال : السلام عليك أيها الأمير هذا .

و يأتي بعض أخبار هذا الباب من طرق الخاصة كساير الأخبار العامة إنشاء الله عند شرح الخطب الآتية والله المستعان وعليه التكلان.

المقدمة الرابعة

في الإشارة الى بعض طرق الخطبة و رفع الاختلاف بينها فأقول :

اعلم أن المستفاد من مضمون هذه الخطبة الشريفة كما هو المستفاد من بعض طرقها الآتية أيضاً أنه عليه السلام خطب بها في أواخر عمره الشريف و ذلك بعد ما انقضى أيام خلافة المتخلفين الثلاثة و بعد ما ابتلى به من قتال الناكثين و القاسطين و المارقين و هذا ممّا لا يخفى فيه ، و أمّا المقام الذي خطب عليه السلام بها فيه فقد اختلفت فيه الروايات .

منها ما هي ساكتة عن تعيين المكان ، مثل ما رواه العلامة الحلبي طاب نراه في كتاب كشف الحق و نهج الصدق عن الحسن بن عبدالله بن عبد بن مسعود العسكري من أهل السنة في كتاب معاني الأخبار باسناده إلى ابن عباس قال : ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال : والله لقد تمصصها أخوتيم و أنه يعلم إلى آخر ما ذكره الرضي بتغيير يسير .

و مثلها ما رواه المحدث المجلسي في المجلد الثامن من البحار من معاني الأخبار و علل الشرايع للصدوق عن ماجيلويه عن عمه عن البرقي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبان بن عثمان عن أبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس قال : ذكرت الخلافة

عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : والله لقد تميمتها أخوتيم اه ، ومن الكتابين أيضا عن الطالقاني عن الجلودي عن أحمد بن عثمان بن خالد عن يحيى بن عبد الحميد الحماني عن عيسى بن راشد عن علي بن حذيفة عن عكرمة عن ابن عباس مثله ، و من أمالي الشيخ عن الحفّار عن أبي القاسم الدّعيلي عن أبيه عن أخى دعبل عن محمد بن سلامة الشّامي عن زرارة عن أبي جعفر الباقر عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام ، والباقر ، عن ابن عباس قال : ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال : والله لقد تميمتها ابن أبي قحافة، وذكر نحوه بأدنى تغيير .

و منها ما هي دالة على أنه عليه السلام خطب بها في منبر مسجد الكوفة وهو ما رواه المحدث المجلسي طاب ثراه في المجلد الرابع عشر من البحار من بعض مؤلفات القدماء ، عن القاضي أبي الحسن الطبري عن سعيد بن يونس المقدسي عن المبارك عن خالص بن أبي سعيد عن وهب الجمال عن عبد المنعم بن سلمة عن وهب الرامدي عن يونس بن ميسرة عن الشيخ المعتمر الرقي دفعه إلى أبي جعفر ميثم التمار ، قال . كنت بين يدي مولاي أمير المؤمنين عليه السلام إذ دخل غلام و جلس فسى وسط المسلمين ، فلما فرغ عليه السلام من الأحكام نهض إليه الغلام ، وقال يا أبا تراب : أنا إليك رسول جئتك برسالة تززع لها الجبال من رجل حفظ كتاب الله من أوله إلى آخره و علم علم القضايا والأحكام و هو أبلغ منك في الكلام و أحقّ منك بهذا المقام ، فاستعد للجواب ولا تزخرف (١) المقال ، فلاح الغضب في وجه أمير المؤمنين عليه السلام ، وقال لعمار : اركب جملك وطف في قبائل الكوفة وقل لهم أجيّبوا علينا ليعرفوا الحق من الباطل والحلال والحرام والصحة والسقم ، فركب عمار فما كان إلا هنيئة حتى رأيت العرب كما قال الله تعالى :

«إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ»

فضاق جامع الكوفة و تكائف الناس تكائف الجراد على الزرع الغض (٢)

١- اي لا تكذب المقال، منه .

٢- اي الطرى الغض، منه .

في أوامه ، فهض العالم الأردع (١) والبطل الأتزع ورقى في المنبر وراقى ثم
تنحج فسكت جميع من في الجامع ، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : رحم الله من سمع فوعى ، أيتها
الناس يزعم أنه أمير المؤمنين والله لا يكون الامام إماماً حتى يحيي الموتى أو ينزل من
السماء مطراً أو يأتي بما يشاكل ذلك مما يعجز عنه غيره و فيكم من يعلم أني الآية
الباقية والكلمة التامة والحجة البالغة ولقد أرسل إلي معاوية جاهلاً من جاهلية
العرب عجرف (٢) في مقاله و أنتم تعلمون لو شئت لطحنت عظامه طحناً ونسفت (٣)
الأرض من تحته نسفاً ، و خسفتها عليه خسفاً إلا أن احتمال الجاهل صدقة .
ثم حمد الله و أنى عليه و صلى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و أشار بيده إلى الجو
فدمدم (٤) ، وأقبلت غمامة و علت سحابة و سمعنا منها إذ يقول : السلام عليك يا
أمير المؤمنين و يا سيد الوصيين و يا إمام المتقين و يا غياث المستغيثين و يا كنز
المساكين و معدن الرغنين ، و أشار إلى السحابة فذنت ، قال ميثم : فرأيت الناس
كلهم قد أخذتهم السكرة ، فرفع رجله و ركب السحابة ، و قال لعمار : اركب
معي و قل ، بسم الله مجريها و مرسيا ، فركب عمار و غاب عن أعيننا ، فلما كان بعد
ساعة أقبلت السحابة حتى أظلت جامع الكوفة ، فإذا مولاى جالس على دكة
القضاء و عمار بين يديه و الناس حافون به ، ثم قام و صعد المنبر و أخذ الخطبة
المعروفة بالششقية ، فلما فرغ اضطرب الناس ، و قالوا فيه أقاويل مختلفة ، فمنهم
من زاده الله ايماناً و يقينا ، و منهم من زاده كفراً و طغياناً .

قال عمار : وقد طارت بنا السحابة في الجو فما كانت هنيئة حتى أشرفنا
إلى بلد كبير حواليه أشجار و أنهار ، فنزلت بنا السحابة و إذا نحن في مدينة كبيرة
و الناس يتكلمون بكلام غير العربية فاجتمعوا عليه و لاذوا به فوعظهم و أنذرهم
بمثل كلامهم ، ثم قال : يا عمار اركب ففعلت ما امرنى فادر كنا جامع الكوفة ، ثم

١- الأردع من الرجال من يعجبك حسنه، منه .

٢- العجرفة الغرق و قلة الببالاة، بعار ٣- اى قلت ، م .

٤- يقال دمدم عليه اى كلمه مفضبا، بعار .

قال عليه السلام لي يا عمار ، تعرف البلدة التي كنت فيها ؟ قلت : الله اعلم ورسوله ووليّه
قال عليه السلام : كنا في الجزيرة السابعة من الصين أخطب كما رأيته إن الله تبارك
و تعالي أرسل رسوله إلى كافة الناس و عليه أن يدعوهم و يهدي المؤمنين منهم إلى
الصراط المستقيم ، و اشكر ما أوليتك من نعمه ، و اكنتم من غير أهله فان لله تعالي
أطافا خفية في خلقه لا يعلمها إلا هو و من ارتضى من رسول .

ثم قالوا : أعطاك الله هذه القدرة و أنت تستنهض الناس لقتال معاوية ، فقال
عليه السلام : إن الله تعبدهم بمجاهدة الكفار و المنافقين و النساكين و القاسطين
و المارقين ، والله لو شئت لمددت يدي هذه القصيرة في أرضكم هذه الطويلة و ضربت
بها صدر معاوية بالشام و أخذت بها من شاربه أو قال من لحيته ، فمد يده و ردها
و فيها شعرات كثيرة ، فتعجبوا من ذلك ، ثم وصل الخبر بعد مدة أن معاوية سقط من
سريره في اليوم الذي كان عليه السلام مديده و غشى عليه ثم أفاق و افتقد من شاربه
ولحيته شعرات .

وقد ذكرت الرواية بتمامها إذ فيها قرّة عين للشريعة فهنيئاً لهم ثم هنيئاً بما
خصهم الله به من موالة صاحب المناقب الفاخرة والمعجزات القاهرة .

و منها ما هي مفيدة لكونه عليه السلام خاطباً بها في الرحبة ، مثل ما رواه الطبرسي في
الاحتجاج قال : و روى جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن عباس قال :
كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام بالرحبة فذكرت الخلافة و تقدم من تقدم عليه ،
فتنفس الصعداء ، ثم قال : أما والله لقد تغمصها و ذكر قريباً مما رواه الرضي ، ومثله
ما رواه في البحار من إرشاد المفيد قال روى جماعة إلى آخر ما ذكره في الاحتجاج
إلا أن فيه و تقديم من تقدم ، و أم والله بدلأما ، و في البحار أيضاً عن الشيخ قطب
الدين الراوندي قدس سره في شرحه على نهج البلاغة بهذا السند ، أخبرني
الشيخ أبو نصر الحسن بن محمد بن إبراهيم عن الحاجب أبي الوفاء محمد بن بديع والحسين
ابن أحمد بن عبد الرحمن عن الحافظ أبي بكر بن مردويه الاصفهاني عن سليمان بن
أحمد الطبراني عن أحمد بن علي البار عن إسحاق بن سعيد أبي سلامة الدمشقي عن

خليد بن دعلج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : كنا مع علي عليه السلام بالرحبة فجرى ذكر الخلافة و من تقدم عليه فيها ، فقال : أما والله لقد تميمصها فلان إلى آخر الخطبة.

هذه جملة ما عثرت عليها من طرق الخطبة وإسنادها و يمكن الجمع بين مختلفها بأن يكون عليه السلام قد خطب بها تارة بالرحبة و أخرى بمنبر الكوفة والله العالم .

و اذا تمهد لك هذه المقدمات فلنشرع في شرح كلامه عليه السلام بتوفيق من الله سبحانه فأقول : و شرحها في ضمن فصول.

الفصل الاول

أما والله لقد تميمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي ، ينفدر مني السيل ، ولا يوقى إلي الطير ، فسدت دونها ثوباً ، و طويت عنها كشحاً ، و طفت أرتاي بين أن أصول يدي جذآء ، أو أصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها الكبير ، و يشيب فيها الصغير ، و يكدح فيها مؤمن حتى يلقى فيها ربه ، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت و في العين قذى ، و في الحلق شجى ، أرى ترائي نهياً .

اللغة

يقال تمصه قميصاً ألبسه فتتمص هو و (تحافة) بضم القاف و تخفيف الحاء و (قطب الرحي) مثلثة و كعق : الحديدية التي تدور عليها الرحي و (سدل الثوب) يسد له أرسله و أرخاه ، و (الكشح) ما بين الخاصرة إلى أقصر الاضلاع ، يقال فلان طوى كشمه أى أعرض مهاجرأ ، و (طلق) في كذا أى شرع و أخذ

و(ارتأى) في الأمر إذا فكر طلباً لرأى الأصلاح وافتعل من روية القلب، و(الصولة) الوثبة والحملة، و(اليد الجذاء) بالجيم والذال المعجمة المقطوعة المكسورة، قال في النهاية في حديث علي عليه السلام أصول بيد جذاء كنتى به عن قصور أصحابه و تقاعدهم عن الغزو، فإن الجند للأمير كاليدوي يروى بالحاء المهملة وفسره في موضعه باليد القصيرة التي لانمتد إلى ما يراد، قال و كانتها بالجيم أشبه و(الطخية) بالضم، على ما في أكثر النسخ أو بالفتح الظلمة أو الغيم و في القاموس الطخية الظلمة و يثلك و (العمياء) تأنيث الأعمى يقال مفاضة عمياء أى لا يهتدى فيها الدليل، و وصف الطخية بها إشارة إلى شدة الظلمة، و (هرم) كفرح أى بلغ أقصى الكبر، و (الشيب) بياض الشعر، و (الكدح) السعى و كدح في العمل كمنع سعى و عمل لنفسه خيراً و شراً و (أحجى) أى أولى وأجدر و أحق من قولهم حجى بالمكان إذا أقام و ثبت ذكره في النهاية، و قيل: أى اليق و أقرب بالحجى و هو العقل و (القذى) ما يقع في العين و في الشراب أيضاً من نتن أو تراب أو سنخ و (الشجى) ما اعترض في الحلق و نشب من عظم و نحوه و (التراث) ما يخلفه الرجل لورثته و التاء فيه بدل من الواو و (النهب) السلب و الغارة و الغنيمة.

الاعراب

أما حرف تنبيه تدل على تحقق ما بعدها مثل ألا و لكونها مفيدة للتحقيق لاتقع الجملة بعدها إلا مصدرية بالقسم قال الشاعر:

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات و أحبى والذي أمره الأمر والضمير في تقمصها راجع الى الخلافة المستفادة بقرينة المقام كما في قوله تعالى:

« حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ »

أى الشمس أو المصروح بها كما في سائر طرق الخطبة على ما تقدم ومثله الضمائر الثلاثة بعدها، و جملة و أنه ليعلم اه حاليتها، و جملة ينحدر آه استينافية، و أو، في قوله أو أصبر بمعنى الواو، لاقتضآ كلمة بين ذلك، لأن العطف بعدها لا تقع إلا بواو الجمع يقال: جلست بين زيد و عمرو ولا يقال أو عمرو، وفي بعض النسخ وأصبر

بالواد ، وكلمة ها في هاتا ، للتسبيه ، و تا للإشارة إلى المؤنث اشير بها إلى الطخية الموصوفة .

المعنى

(أما والله لقد تغمصها) أى لبس الخلافة مثل القميص (ابن أبي قحافة)
والإشارة به إلى أبي بكر و اسمه عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سلام
ابن تيم بن مرة ، و أمه سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب ، و في بعض الكتب أن اسمه
في الجاهلية عبدالعزى فغيره النبي ﷺ إلى عبدالله ، قال في القاموس : اسمه عتيق
سمته به أمه أولقب له ، و في التعبير عنه بهذا اللفظ دون الألقاب المادحة دلالة على
الاستخفاف ، كتعبيره عن الثاني فيما سيأتي بابن الخطاب .

و ما تكلفه قاضي القضاة في دفع دلالة عليه بأنه قد كانت العادة في ذلك
الزمان أن يسمي أحدهم صاحبه و يكنيه و يضيفه إلى أبيه حتى كانوا ربما قالوا
لرسول الله ﷺ : يا محمد ، فليس في ذلك دلالة على الاستخفاف ولا على الوضع .

فقد أجاب عنه السيد (ره) في محكي الشافى بأنه ليس ذلك صنع من يريد
التعظيم والتبجيل ، وقد كانت لأبي بكر عندهم من الألقاب الجميلة ما يقصد إليه من
يريد تعظيمه ، و قوله : إن رسول الله ﷺ كان ينادى باسمه فمعاذ الله ما كان ينادى
باسمه إلا شك أو جاهل من طعام مطعاريه العرب ، و قوله : إن ذلك عادة العرب
فلا شك أن ذلك عادتهم فيمن لا يكون له من الألقاب أفخمها و أعظمها كالصديق
و نحوه انتهى .

و قال المحدث المجلسي (قده) في ترجمة أبي بكر : اعلم أنه لم يكن له
نسب شريف ولا حسب منيف ، و كان في الإسلام خيطا و في الجاهلية معلّم الصبيان
و نعم ما قيل :

معلّم صبيان وان كان فاضلا

كفى المرء نقصا أن يقال له

و كان أبوه سييء الحال ضعيفا وكان كسبه أكثر من عمره من صيد القماري والدباسي
 (١) لا يقدر على غيره ، فلمّا عمى و عجز ابنه عن القيام به التجأ إلى عبد الله بن جعدان
 من رؤساء مكة فنصبه ينادي على ما مدتة كل يوم لاحتضار الاضياف و جعل (٢) له
 على ذلك ما يعونه من الطعام ، و ذكر ذلك جماعة منهم الكلبي في كتاب المثالب
 على ما أورده في الصراط المستقيم ، و لذا قال أبو سفيان لعليّ عليه السلام بعد ما غضب
 الخلافة أرضيتم يا بني عبدمناف أن يلى عليكم تيمي رذل
 و قال أبو قحافة مارواه ابن حجر في صواعقه حيث قال : و أخرج الحاكم
 أن أباقحافة لما سمع بولاية ابنه ، قال : هل رضى بذلك بنو عبدمناف و بنوالمغيرة؟
 قالوا : نعم ، قال : اللهم لا واضع لما رفعت ولا رافع لما وضعت ، و قالت فاطمة عليها السلام في
 بعض كلماتها : إنّه من اعجاز قريش و أذنا بها ، و قال بعض الظرفاء : بل من ذوي
 أذنا بها ، و قال صاحب إلزام النواصب : أجمع النسابون أن أباقحافة كان جراً (٣)
 لليهود ، و العجب أنهم مع ذلك يدعون أن الله أغنى النبي صلى الله عليه وآله بمال أبي
 بكر انتهى.

أقول : و ذكر الشارح المعتزلي نظير ما رواه ابن حجر هذا.

و في الاحتجاج روى ان أباقحافة كان بالطايف لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله و بويح
 لأبي بكر ، فكتب إلى أبيه كتابا عنوانه من خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبيه أبي قحافة
 أمّا بعد فإنّ الناس قد تراضوا بي فاني اليوم خليفة الله فلو قدمت علينا كان أحسن
 بك ، قال : فلما قرء أبوقحافة الكتاب قال للرّسول : ما منعكم من عليّ عليه السلام ؟ قال
 الرّسول : هو حدث السنن و قد أكثر القتل في قريش و غيرها و أبوبكر أسن منه ، قال
 أبوقحافة : إن كان الأمر في ذلك بالسنن فأنا أحق من أبي بكر ، لقد ظلموا عليّا

١- الدبسي بالضم ضرب من الفواخت قيل نسبته الى طيردبسي و هو الذي لونه بين السواد
 والحمره ، مصباح .

٢- اقول و بيالى اني رأيت في بعض السير انه كان ياخذ كل يوم اربعة دراهم من عبد الله بن
 جعدان اجرة و ينادى على طعامه ، منه .

٣- اي راعي ابل لهم قال في القاموس الجران تركب ناقه و تتركها توعي ، منه .

حقه وقد بايع له النبي ﷺ وأمرنا ببيعته ثم كتب إليه : من ابى قحافة إلى ابى بكر
 أما بعد ، فقد أتاني كتابك فوجدته كتاب أحق بنقض بعضه بعضاً ، مرة تقول :
 خليفة رسول الله ﷺ ، ومرة تقول : خليفة الله ، ومرة تقول : تراضى بي الناس ، و هو
 امر ملتبس فلا تدخلن في أمر يصعب عليك الخروج منه غداً و يكون عقبك منه إلى
 الندامة وملامة النفس اللوامة لدى الحساب يوم القيامة ، فان للأمر مداخل
 ومخارج و أنت تعرف من هو أولى بها منك ، فراقب الله كأنك تراه ولا تدعن صاحبها ،
 فان تركها اليوم أخف عليك وأسلم لك .

ثم اعلم أنه لم يتعرض عليه أحد بسوء النسب لا من الخاصة ولا من العامة
 حسبما طعنوا في أنساب أمثاله ، ولعل سره ما أشار إليه المحدث الجزيري في أنوار
 السنعمانية : من أن الأئمة عليهم السلام من نسله وذلك ، لأن أم فروة و هي أم
 الصادق عليه السلام بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر .

ثم إنه عليه السلام لما ذكر تلبسه بالخلافة أراد التنبيه على عدم استحقاقه بذلك
 الكلباس ، و نبه على بطلان خلافة المتقمص بذكر مراتب كماله الدالة على أفضليته
 المشيرة إلى قبح تفضيل المفضول والعدول عن الأفضل ، فقال : (و إنه ليعلم أن محلي
 منها) أى من الخلافة (محل القطب من الرحى) شبه عليه السلام نفسه بالقطب والخلافة
 بالرعى و محله من الخلافة بمحل القطب من الرعى ، والأول من قبيل تشبيه
 المحسوس بالمحسوس ، والثاني من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس ، والثالث من قبيل تشبيه
 المعقول بالمعقول ، والمقصود أن الأثر المطلوب من الرعى كما لا يحصل إلا
 بالقطب و لولاه لم يحصل لها ثمر قط كذلك الثمرة المطلوبة من الولاية والخلافة أعنى
 هداية الأنام و تبليغ الأحكام و نظام امور المسلمين و انتظام أمر الدنيا والدن ،
 لا تحصل إلا بوجوده عليه السلام فيكون الخلافة دائرة مدار وجوده كما أن الرعى دائرة
 مدار القطب ، ففيه إشارة إلى عدم إمكان قيام غيره مقامه و إغناؤه عنه كما لا يقوم
 غير القطب مقامه ولا يفنى عنه .

و بهذا المضمون صرح عليه السلام في بعض كلماته الآتية ، و هو قوله في الكلام المائة

والثامن عشر: وإِنما أنا قطب الرّحى تدور علىّ وأنا بمكاني فاذا فارقته استحار مدارها واضطرب ثقلها، ومنه يظهر أنّ ما ذكره الشّارح المعزّي من أنّ مراده عليه السلام بهذا الكلام هو أنّه من الخلافة في الصّميم وفي وسطها وبحبوحتها كما أنّ القطب وسط دائرة الرّحى مع كونه خلاف الظاهر ليس على ما ينبغي هذا.

وفي إتيان قوله: وإِنَّه ليعلم مؤكداً بأنّ واللام، دلالة على منتهى المبالغة في الطعن عليه لدلالته على أنّ تَمَمَّصه بالخلافة لم يكن ناشياً عن الجهالة والغفلة عن مرتبته عليه السلام حتى يكون جاهلاً قاصراً معذوراً فيه ومعفواً عنه، بل قد تَمَمَّص بها مع علمه بأنّ مدارها عليه وانتظامها به فيكون تَمَمَّصه بها مع وجود ذلك العلم ظلماً فاحشاً و غصباً يسيئاً.

و يدل على علمه بذلك ما رواه في الاحتجاج عن عامر الشّعبي عن عروة بن الزبير عن الزبير بن العوام قال: لَمَّا قال المنافقون: إنّ أبابكر تقدّم علينا وهو يقول أنا أدلى بالمكان منه، قام أبوبكر خطيباً فقال: صبراً على من ليس يؤل إلى دين ولا يحتجب برعاية ولا يرعوى لولاية، أظهر الإيمان ذلة وأسرفاق غلّة (١) هؤلاء عصابة الشيطان وجمع الطغيان، يزعمون أنّي أقول إنّني أفضل من عليّ وكيف أقول ذلك ومالي سابقته ولا قرابته ولا خصوصيته، ووحّد الله وأنا ملحد و عبد الله قبل أن أعبد، و والى الرسول وأنا عدوّ، و سابقني بساعات لم الحق شأوه (٢) ولم أقطع غباره، إنّ ابن أبي طالب فاز والله من الله بمحبة، و من الرسول بقربة، و من الإيمان برتبة. لوجه الألوّن والآخرون إلّا النسيون لم يبلغوا درجته ولم يسلكوا منهجه.

بذل في الله مهجته ولا بن عمّه مودّته، كاشف الكرب ودامغ (٣) الرّيب وقاطع السبب إلّا سبب الرّشاد وقامع الشّرك، و مطهر ماتحت سويداء حبة النفاق محنة لهذا العالم، لحقّ قبل أن يلاحق و برز قبل أن يسابق، جمع العلم والحلم

١ - اي-قد أو الفل العقد كالفل بالكسر، ق.

٢- الشاو الناية والامد، لفة

٣- دمع فلانا ضرب دماغه، ق

والفهم فكان جميع الخيرات لقلبه كنوزاً لا يدخر منها مثقال ذرة إلا أنفته في بابه فمن ذا يؤتمل أن ينال درجته ، وقد جعله الله ورسوله للمؤمنين ولياً و للنبي وصياً و للخلافة راعياً و بالامامة قائماً ، أفيعتر الجاهل بمقام قمته إذا أقامني و أطعته إذا أمرني ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : الحق مع علي و علي مع الحق ، من أطاع علياً رشد و من عصى علياً فسد ، و من أحبته سعد ، و من أبغضه شقي ، والله لو لم يحب ابن أبي طالب إلا لأجل أنه لم يواقع لله محرماً و لا عبد من دونه صنماً و لا حاجة الناس إليه بعد نبينهم ، لكان في ذلك ما مماخ يجب ، فكيف لا سباب أفلها موجب و أهونها مرغب ، للرحمة الماسة بالرسول و العلم بالذيق و الجليل و الرضا بالصبر الجميل و المواساة في الكثير و القليل و خلال (١) لا يبلغ عدوها و لا يدرك مجدها و أدالتمنون أن لو كانوا تراب أقدام ابن أبي طالب ، أليس هو صاحب لواء الحمد و الساقى يوم الورود و جامع كل كريم و عالم كل علم و الوسيلة إلى الله و إلى رسوله .

ثم إنّه ﷺ أشار إلى علو مقامه و سمو مكانه بقوله (ينحدر عنّي السيل) تشبيهاً لنفسه بذروة الجبل المرتفع فاستعار له ما هو من أوصاف الجبل و هو السيل المنحدر عنه إلى الغيطان ، و لعل المراد بالسيل المنحدر عنه ﷺ هو علومه و حكمه الواصلة إلى العباد و الفيوضات الجارية منه ﷺ على المواد القابلة ، و تشبيه العلم بالماء و السيل من أطف التشبيهات و وجه الشبه هو اشتراكهما في كون أحدهما سبب حياة الجسم و الآخر سبب حياة الروح ، و قد ورد مثل ذلك التشبيه في الكتاب العزيز قال تعالى :

« قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَعَنْ يَأْتِيكُمْ بِآءٍ مُّهِينٍ »

روى علي بن إبراهيم القمي (ره) في تفسيره باسناد عن فضالة بن أيوب قال: سئل الرضا ﷺ عن قول الله عز وجل: قل أرايتم الآية ، فقال ﷺ : ماؤكم أبوابكم أي الأئمة ،

١- جمع خلة مثل خصلة وزنا و معنى لفة .

٢- يعني ان غاب امامكم كما في عدة روايات، منه

(ج ٣) في أن الأئمة عليهم السلام البئر المعطلة والقصر المشيد (٤٣)

و الأئمة أبواب الله بينه و بين خلقه ، فمن يأتيكم بماء معين ، يعني يأتيكم بعلم الامام ، و في تفسير القمي أيضاً في قوله تعالى :

« وَ بئرٍ مُعَطَّلَةٍ وَ قَصْرِ مَشِيدٍ »

قال : (١) هو مثل جرى لآل محمد عليهم السلام قوله: بئر معطلة ، هو الذي لا يستقى منها و هو الامام الذي قد غاب فلا يقتبس منه العلم إلى وقت الظهور ، والقصر المشيد هو المرتفع ، و هو مثل لأمر المؤمنين و الأئمة صلوات الله عليهم و فضائلهم المنتشرة في العالمين المشرفة على الدنيا ثم يشرف على الدنيا ، وهو قوله :

« لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ »

و قال الشاعر في ذلك :

بئر معطلة و قصر مشرف

فالقصر مجدهم الذي لا يرتقى

و البئر علمهم الذي لا ينزف

ثم إنه عليه السلام ترقى في الوصف بالعلو و ادخلوا شأنه و رفعة مقامه بقوله: (ولا يرقى إلى الطير) فان مرقى الطير أعلى من منحدر السيل فكيف مالا يرقى إليه كأنه قال : انني لعلو منزلي كمن في السماء التي يستحيل أن يرقى الطير إليها قال الشاعر :

مكلام لجت (٢) في علو كأنما

تحاول تاراً عند بعض الكواكب

و لعله عليه السلام أراد بعدم رقى الطير إليه عجز طائر الاوهام عن الوصول إلى مقاماته

الجليلة ، و قصور العقول عن الاحاطة بمناقبه الجميلة من حيث عدم انتهائها بعد ،

و عدم وقوفها إلى حد ، قال تعالى :

« وَ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٍ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ

سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »

قال في الاحتجاج : سأل يحيى بن أكرم أبا الحسن العالم عليه السلام عن قوله تعالى : سبعة

١- هذا من عبارة التفسير والفاعل راجع الى الامام (ع) منه .

٢- اي صوتت واللجة . بالفتح الصوت منه .

أبحر ما نفدت كلمات الله ماهي؟ فقال : هي عين الكبريت و عين اليمين وعين البرهوت و عين الطبرية و حمة (١) ما سيدان و حمة افرقية (٢) و عين باحوران و بلعوران ، ناحوران خ، و نحن الكلمات التي لاندرك فضاءنا ولا نستقصى .

ثم إنّه ^{إلا} لما أشار إلى اغتصاب الخلافة نبيه على اعراضه عنها وبأسه منها قال: (فسدلت) أى أرخيت و أرسلت (دونها ثوبا) و ضربت بيني و بينها حجاباً فعل الزاهد فيها والرغب عنها (و طويت عنها كشحاً) (٣) و أعرضت عنها و يئست منها مهاجراً ، و قيل : إن المراد إنني أجمعت نفسي عنها ولم أقمها لأن من أجاج نفسه فقد طوى كشحه كما أن من اكل و أشبع فقد ملاء كشحه (و) لما رأيت الخلافة في يدمن لم يكن أهلالها (طفقت) أى أخذت و شرعت (أرتأي) فى الأمر و أفكر في طلب الأصلاح و أجيل الفكر في تدبير أمر الخلافة و أردده (بين) أمرين أحدهما (أن أصول) عليهم و أقاتل معهم (بيد جذاء) أى مقطوعة مكسورة والمراد حملته عليهم بلا معاون ولا ناصر، واستعار وصف الجذاء لعدمها لمشابهاة أن قطع اليد كما أنه مستلزم لعدم القدرة على التصرف بها والصيال ، فكذلك عدم المعين والناصر مستلزم لذلك أيضاً فحسنت الاستعارة وثانيهما الصبر على معاينة الخلق على شدة و جهالة و ضلالة و هو المراد بقوله (أو أصبر على طخية عمياء) أى على ظلمة والتباس من الأمور متصف بالعمى بمعنى أنه لا يهتدى فيه السالك إلى سلوك طريق الحق بل يأخذ يميناً و شمالاً ، و إلى هذه الظلمة أشيرت في قوله تعالى:

« أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ قَوْقَبٍ مِّنْ قَوْقَبٍ
سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ
يَجْمَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ »

١- حمة بفتح الحاء و تشديد اليم كل عين فيها ماء حار تنبع يستشفى بها المرضى، لغة.

٢- بتخفيف الياء و تشديدها من بلاد الغرب مغرب

٣- عطف على سبيل لتفسير مثل قوله ضربت بيني و بينها حجاباً، منه

وقد فسرت الظلمات في الأخبار بخلافات الثلاثة، ثم أشار عليه السلام إلى طول مدة هذه الطاخية بأنه (يهرم فيها الكبير) أى يبلغ أقصى الكبر (ويشيب فيها الصغير) أى يبيض رأسه و يحتمل أن يراد بهما المجاز والتوسع بمعنى أن أيام اغتصاب الخلافة لشدة صعوبتها وكثرة أهوالها يكاد أن يهرم الكبير فيها ويشيب الصغير قال تعالى :

« يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا »

(ويكدر فيها مؤمن) أى يسعى المؤمن المجتهد في الذب عن الحق والأمر بالمعروف ويكدر ويقاسي الأحزان والشدائد (حتى) يموت و (يلقى ربه) ثم إنه عليه السلام لما ذكر تردده بين الصبر والقتال أشار إلى ترجيحه الأول علي الثاني بقوله: (فرأيت أن الصبر على هاتنا أحجى) أى أليق وأصلح وأجدد ، أو أقرب بالحجج والعقل ، وذلك لأن ترك الخلق على الضلالة والجهالة وإبقائهم على الغي والغفلة إنما يقيح مع الاستطاعة والقدرة ويلزم معهم ردعهم عن الباطل ونهيم عن المنكر وإرجاعهم إلى الصراط المستقيم والنهج القويم ولو بالقتال والصيال ، وأما مع عدم التمكن والقدرة من حيث عدم المعاون والناصر فلا يلزم شيء من ذلك ، بل يجب التحمل والصبر حذراً من إلقاء النفس على الهلاكه وتعريضها على العطب واستيصال آل محمد عليهم السلام سيما وأن مقصوده عليه السلام من الخلافة لم يكن إلا هداية الأنام وإعلاء كلمة الاسلام وإنارة الحرب والجدال إذا كانت موجبة لاضتراب نظام المسلمين ، بل مؤدية إلى رجوع الناس إلى أعقابهم القهقرى واضمحلال كلمة الاسلام لغلبة الأعداء فلا يحكم العقل حينئذ إلا بالكف عن الجهاد والصبر على البلاء والتحمل على الأذى كيلا يلزم ضد المقصود ولانقض الغرض (فصبرت) و الحال إن (في العين فذى) يوجب أذيتها كما يصبر الرجل الأرمم (وفي الحلق شجى) اعترض فيه كما يصبر المكابد للخنق ، والجملتان كنايةتان عن شدة تأذيه بسبب اغتصاب ما يرى أنه أولى به من غيره (أرى تراني) وفي بعض الروايات تراث محمد وآله (نهياً) أى سلباً وغارة والمراد بترائه المنهوب المسلوب إما فذلك الذي خلفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لابنته من حيث إن مال الزوجة في حكم مال الزوج، وإما الخلافة الموروثة منه عليه السلام لصدق لفظ الارث عليها كصدقه على منصب النسبوة في قوله تعالى حكاية عن زكريا :

« يَرْفِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ »

والأظهر حملة على العموم والله العالم.

الترجمة

آگاه باش بخدا قسم که پوشید خلافت را مثل پیراهن پسر اُبی قحافه و حال آنکه بدرستی آن عالم بود باینکه محل من از خلافت مثل محل قطب است از سنک آسیا، منحدر میشود و پائین می آید از من سیل علوم و ترقی نمیکند بسوی من پرندۀ بلند پرواز از ادهام و عقول، پس فرو گذاشتم نزد آن خلافت لباس صبر را، و در نور دیدم از آن تهیگاه را، و شروع کردم بفکر کردن در امر خود میان آنکه حمله کنم بدست بریده و یا اینکه صبر نمایم بر ظلمتی که متصف است بصف کوری که کنایه است از خلافت اهل جلافت، آنچنان ظلمتی که بنهایت پیری میرسد در آن بزرگ سال، و بحال پیری میرسد در آن خورد سال، و سعی میکنند و بمشقت و رنج میافتد در آن مؤمن تا اینکه میمیرد و ملاقات میکند پروردگار خود را؛ و چون حال بر این منوال بود پس دیدم که صبر کردن بر این ظلمت و بر خلافت اعلی شقاوت الیق وانسب است، پس صبر نمودم و ترک قتال وجدال کردم و حال آنکه در چشم من غبار و خاشاک بود که از آن اذیت میکشیدم و در گلوی من استخوان بود که گلوگیر شده بودم، و سبب این اذیت و گلوگیری آن بود که می دیدم میراث خود را غارت شده و خلافت خود را تاراج گردیده.

الفصل الثاني

حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى ابْنِ الْخَطَابِ بَعْدَهُ ، ثُمَّ
تَمَثَّلَ بِهَا بِقَوْلِ الْأَعْمَشِيِّ :

شَتَانٌ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَ يَوْمَ حَيَاتِ أَخِي جَابِرٍ
فَمَا عَجَبًا بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِآخِرِ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدِّ مَا
تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا ، فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَفَاطُظُ كَلِمَهَا ، وَ يَخْشَنُ مَسَهَا ،
وَ يَكْتُرُ الْعِنَارُ فِيهَا ، وَ الْإِعْتِدَارُ مِنْهَا ، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّغْبَةِ إِنْ
أَشْنَقَ لَهَا حَرَمَ ، وَ إِنْ أَسَاسَ لَهَا تَقَحَّمَ ، فَمُنَى النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبْطِ
وَ شِمَاسٍ ، وَ تَلَوْنٍ وَ اعْتِرَاضٍ ، فَصَبَّرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ ، وَ شِدَّةِ الْمِحْنَةِ .

اللغة

يقال فلان (مضى) لسبيله أى مات و(أدلى) بها إلى فلان أى القاها إليه و(دفعها)
قال تعالى :

« وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ بَيْنَكُمُ بِالْبَاطِلِ وَ تَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ »

أى تدفعوها إليهم رشوة و أصله من أدليت الحبل في البئر إلقاء أى أرسلتها ليستقى
بها و (تمثل) بالبيت أنشده للمثل و (شتان) إسم فعل فيه معنى التعجب يقال : شتان
ماهما وما بينهما وما عمرو و أخوه أى بعد ما بينهما ، قال الشارح المعترلي ولا يجوز
شتان ما بينهما إلا على قول ضعيف و (الكور) بالضم رحل البعير بأداته و (الاقالة)
فك فقد البيع و نحوه ، والاستقالة طلب ذلك و(شد) أى صار شديداً مثل حب إذا صار
حبيباً (تشطر) إما مأخوذ من الشطر بمعنى النصف يقال : فلان شطر ماله أى نصفه ، أو من
الشطر بمعنى خلف الناقه بالكسر ، قال الشارح المعترلي : وللناقه أربعة أخلاف خلفان

قادمان (١) وخلفان آخران و كل اثنين منهما شطر وتشطرا ضرعيا اقتسما فايدتها،
و الضمير للخلافة و سمي القادمين معاً ضرعاً و سمي الآخرين معاضرعاً لتجاردهما
و لكونهما لا يحلبان إلا معاً كالشبيء الواحد انتهى ، و لفظ التشطر على وزن
التفعل غير موجود في كتب اللغة

قال العلامة المجلسي : و في رواية المفيد و غيره شاطرا على صيغة المفاعلة
يقال : شاطرت ناقتي إذا احتلبت شطراً و تركت الآخر ، و شاطرت فلاناً مالى إذا
ناصفته و (الحوزة) الطبيعة و الناحية و (الفاظ) ضد الرقة و (الكلم) بفتح الكاف
و سكون اللام يقال : كلمته كلما من باب قتل جرحته و من باب ضرب لغة ، ثم اطلق المصدر
على الجرح و يجمع على كلوم و كلام مثل بحر و بحور و بحار و (الغار) بالكسر
مصدر من عثر الرجل و الفرس أيضاً يعثر من باب قتل و ضرب و علم كبا و (الصعبة)
من النوق غير المنقادة لم تذلل بالمحمل ولا بالر كوب و (أشلق) بعيره أى جذب
رأسه بالزمام ليمسكه عن الحركة العنيفة كما يفعل الفارس بفرسه و هو راكب ،
و أشلق هو بالألف أيضاً كشنق رفع رأسه فيستعمل الرباعي لازماً و متعدياً كالثلاثي .
قال الرضي بعد ایراد تمام الخطبة : قوله ^{لأن} إن أشلق لها خرم و إن أسلس لها تقحم ،
يريد أنه إذا شد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها و إن أرخى
لها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها ، يقال : أشلق الناقة إذا جذب رأسها
بالزمام فرفعه و شنقها أيضاً ذكر ذلك ابن السكيت في اصلاح المنطق و إنما قال :
أشلق لها ولم يقل : أشنقها ، لأنه جعله في مقابلة قوله أسلس لها فكانه ^{لأن} قال : إن
رفع لها رأسها بالزمام بمعنى أمسكها عليها انتهى .

و (الخرم) الشق يقال خرم فلاناً كضرب أى شق و ترة أنفه (٢) و هي ما بين
منخرية فخرم هو كفرح و (أسلس لها) أرخى زمامها و (تقحم) فلان رمى نفسه في

١- وها اللذان ببيان السرة منه

٢- و ترة الانف حاجزها ، ق

المهلكة و تقحم الانسان في الأمر ألقى نفسه فيه من غير روية و تقحم الفرس راكبه رماه على وجهه و (مني) على المجهول اي ابتلى و (الغبط) بالفتح السير على غير معرفة و في غير جادة و (الشماس) بكسر الشين النفازيقال : شمس الفرس شموساً و شماساً أي منع ظهره فهو فرس شمس بالفتح و (التلون) في الانسان أن لا يثبت في خلق واحد و (الاعتراض) السير على غير استقامة كأنه يسير عرضاً و (المحنة) البليّة التي يمتحن بها الانسان.

الاعراب

اللام في قوله اللام : لسيله ، بمعنى على كما في قوله :

فخر صريعاً للدين و الفم

و شتان مبنى على الفتح لتضمنه معنى افترق مع تعجب، أي ما أشد الافتراق فيطلب فاعلين كافترق نحو شتان زيد و عمرو ، وقد يزداد بعده ما كما في البيت ، و يومي و يوم حيان مرفوعان على الفاعلية ، و يا عجباً منصوب بالنداء ، و أصله يا عجبني ثم قلبت الياء ألفاً ، كأن المتكلم ينادي عجبه و يقول له : احضر فهذا أو ان حضورك ، و بينا هي بين الظرفية اشبعت فتحها فصارت ألفاً و تقع بعدها إذا الفجائية غالباً ، و اللام في قوله اللام : لشدّ جواب للقسم المقدر ، و شدّ أي صار شديداً ، و ما مصدرية و المصدر فاعل شدّ و لا يستعمل هذا الفعل إلا في التعجب ، و الضمير في قوله : فيها و منها ، راجع إلى الحوزة ، و يحتمل رجوع الثاني إلى العثرات المستفادة من كثرة العثار ، و من في قوله : منها صلة للاعتذار أو المصنفة المقدره صفة للاعتذار أو حالاً عن يكثر أي الناشي أو ناشياً منها.

و قال الشراح المعتزلي : و يمكن أن يكون من هنا للتعليل و السببية أي

و يكثر اعتذار الناس عن أفعالهم و حر كاتهم لأجلها ، و العمر بالضم و الفتح مصدر عمر الرجل بالكسر إذا عاش زماناً طويلاً و لا يستعمل في القسم إلا العمر بالفتح فإذا أدخلت عليه اللام رفعته بالابتداء ، و اللام لتوكيد الابتداء و الخبر محذوف و التقدير لعمر الله قسمي ، و إن لم تأت باللام نصبت نصب المصادر .

المعنى

(حتى اذا مضى الأول) و هو أبو بكر (لسيله) أى على سبيله الذي يسلكه كل إنسان و هو سبيل الآخرة، و ذلك بعد ما مضى من خلافته سنتان و ثلاثة أشهر إلا خمس ليال، و قيل: سنتان و ثلاثة أشهر و سبع ليال، و قال ابن اسحاق: توفى على رأس اثنتين و ثلاثة أشهر و اثني عشر يوماً من متوفى رسول الله ﷺ، و قيل: وعشرة أيام، و قيل: و عشرين يوماً، ذكر ذلك كله في البحار من كتاب الاستيعاب. و كيف كان فإنه لما ظهر له علام الموت (أدلى بها) أى بالخلافة أى دفعها (إلى ابن الخطاب بعده) بطريق النص والوصية من دون أن يكون له استحقاق لها كما يشير إليه لفظ الأدلاء على ما نبه به الشارح المعتزلي حيث قال بعد ما فسّر الأدلاء بالدفع على وجه الرشوة:

فان قلت: فان أبا بكر إنما دفعها إلى عمر حين مات و لا معنى للرشوة عند الموت قلت: لما كان عليه السلام يرى أن العدول بهاعنه إلى غيره إخراج لها إلى غير جهة الاستحقاق شبه ذلك بادلاء الإنسان بماله إلى الحاكم، فإنه إخراج للمال إلى غير وجهه فكان ذلك من باب الاستعارة هذا.

والمراد بابن الخطاب هو عمر و هو ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بالمشناة التحتانية و أمه حنتمة (١) بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم.

و ينبغي لنا تحقيق الكلام في هذا النسب الشريف من طريقنا و من طريق العامة فأقول:

قال العلامة في كشف الحق: و روى الكلبي و هو من رجال السنة في كتاب المثالب قال: كانت صهناك أمة حبشية لهاشم بن عبد مناف فوقع عليها نفيل بن هاشم ثم وقع عليها عبد العزى بن رياح و جاءت بنفيل جد عمر بن الخطاب، و قال الفضل

١- في نسخة ابن أبي الحديد حنظمة بالحاء والنون والطاء. و في نسخة البحار حنتمة بالطاء. المنقولة و ضبطه في القاموس مطابقاً لما في البحار منه.

ابن روزبهان في الشرح بعد القدح في صحّة النقل : إن أنكحة الجاهلية على ما ذكره أرباب التواريخ على أربعة أوجه ، منها أن يقع جماعة على امرأة ثم ولد منها يحكم فيه القاييف أو تصدق المرأة و ربما كان هذا من أنكحة الجاهلية ، و أورد عليه شارح الشرح بأنه لو صح ما ذكره لما تحقق زنا في الجاهلية ولما سمي مثل ذلك في المثالب وكان كل من وقع على امرأة كان ذلك نكاحاً منه عليها ولم يسمع عن أحد أن من نكاح الجاهلية كون امرأة واحدة في يوم واحد أو شهر واحد في نكاح جماعة من الناس .

و قال المحدث المجلسي في البحار : و حكى بعض أصحابنا عن محمد بن شهر آشوب و غيره أن صهّاك كانت أمة حبشية لعبدالمطلب و كانت ترعى له الابل ، فوقع عليها نفيل فجاءت بالخطاب ، ثم إن الخطاب لما بلغ الحلم رغب في صهّاك فوقع عليها فجاءت بابنة فلفقتها في خرقه من صوف و رمتها خوفاً من مولاها في الطريق فرآها هاشم بن المغيرة مرمية في الطريق فأخذها و ربّاهها و سماها حنمة فلما بلغت رآها خطاب يوماً فرغب فيها و خطبها من هاشم فأنكحها إياه فجاءت بعمر بن الخطاب فكان الخطاب أباً و جدّاً و خالاً لعمر ، و كانت حنمة أماً و اختاً وعمّة له فتأمل .

ثم قال المجلسي (ره) فأقول : وجدت في كتاب عقد الدرر لبعض الأصحاب روى بإسناده عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن ابن الزيات عن الصادق عليه السلام أنه قال : كانت صهّاك جارية لعبدالمطلب و كانت ذات عجز و كانت ترعى الابل و كانت من الحبشة و كانت تميل إلى النكاح ، فنظر إليها نفيل جدّ عمر فهو اها و عشقها من مرعى الابل ، فوقع عليها فحملت منه بالخطاب . فلما أدرك البلوغ نظر إلى أمه صهّاك فأعجبه عجزها فوثب عليها فحملت منه بحنمة فلما ولدتها خافت من أهلها فجعلتها في صوف و ألقتها بين أحشام مكة ، فوجدتها هشام بن المغيرة بن الوليد ، فحملها إلى منزله و ربّاهها و سماها بالحنمة ، و كانت شيمة العرب من ربي يتيماً يتخذ مولداً ، فلما بلغت حنمة نظر إليها الخطاب فمال إليها

وخطبها من هشام فتزوجها فأولد منها عمر ، فكان الخطاب أباه و جدّه و خاله ،
و كانت حنّمة أمّه و اخته وعمّته ، و ينسب إلى الصّادق عليه السلام في هذا المعنى شعر :

من جدّه خاله و والده و أمّه اخته و عمّته

أجدر أن يبغض الوصي وأن ينكر يوم الغدير بيعته

أقول : هذا النسب و أمّا الحساب فقد حكى العلامة في كشف الحقّ عن
ابن عبد ربّه في كتاب العقد الحديث استعمل عمر بن الخطاب لعمر بن العاص في
بعض ولايته، فقال: عمرو بن العاص: قبح الله ما نعمل فيه عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب،
والله إنّي لأعرف الخطاب على رأسه حزمة من حطب وعلى ابنه مثلها وما نمنها إلا تمرّة
لا تبلغ مضغته ، وروى نحو ذلك الشّارح المعتزلي عن زيبر بن بكار في حديث طويل
و فيه فلما رأى عمرو كثرة ما أخذ منه قال : لعن الله ما نأخذ فيه عاملاً لعمر والله لقد
رأيت عمرو أباه على كل واحد منهما عبائة قطوانية لا يجاوز ما بضع ركبتيه وعلى عنقه
حزمة حطب والعاص بن وائل في مزررات الديباج انتهى.

و في البحار عن النهاية في تفسير المبرطش كان عمر في الجاهليّة مبرطشا وهو
السّاعي بين البايع والمشتري شبه الدّلال ، و يروى بالسّين المهملة بمعناه و في
القاموس المبرطش الذي يكتري للنّاس الابل والحمير و يأخذ عليه جعلا.

و قال المحدث الجزائري : و من عجيب ما روه عن الخطاب والد عمر بن
الخطاب أنّه كان سراقا و قطع في السرقة ما ذكره ابو عبيدة القاسم بن سلام في كتاب
الشّهاب في تسمية من قطع من قریش في الجاهلية في السرقة ما هذا لفظه : قال :
والخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عدي بن كعب أبو عمر بن الخطاب قطعت
يده في سرقة قد و محاه ولاية عمرو رضي الناس عنه ، قال بعض المسلمين : ألا تعجب
من قوم رءوا أن عمر كان ولدزنا و أنّه كان في الجاهليّة نخاس (١) الحمير و أنّه
كان أبوه سراقا و أنّه ما كان يعرف إلاّ بعمير لردّالته ثمّ مع هذا جعلوه خليفة قائما

مقام نبيهم ﷺ و نائباً عن الله تعالى في عباده و قدموه على من لاطعن عليه في حسب ولا نسب ولا أدب ولا سب ، و باليتهم حيث ولوه و فضحوا أنفسهم بذلك كانوا قدسكتوا عن نقل هذه الأحاديث التي قد شتمت بها الأعداء و جعلوها طريقاً إلى جهلهم بمقام الأنبياء و خلافة الخلفاء هذا

و بقي الكلام في كيفية عقد أبي بكر الخلافة لعمر و إدلائمه بها إليه فأقول : قال الشارح المعتزلي و روى كثير من الناس أن أبا بكر لما نزل به دعاء عبد الرحمان ابن عوف فقال : أخبرني عن عمر فقال : إنه أفضل من رأيت إلا أن فيه غلظة ، فقال أبو بكر ذاك لأنه يراني رقيقاً ولو قد افضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه و قد رمقته إذ أنا غضبت على رجل أراني الرضى عنه و إذ ذلت له أراني الشدة عليه ، ثم دعا عثمان بن عفان فقال : أخبرني عن عمر ، فقال : سربرته خير من علانيته و ليس فينا مثله ، فقال لهما لا تذكرهما مما قلت لكما شيئاً ولو تركت عمر لما عدتكم يا عثمان والخيرة لك أن لاتلي من امورهم شيئاً ولوددت أني كنت من اموركم خلواً و كنت فيمن مضى من سلفكم .

و دخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر فقال : إنه بلغني أنك يا خليفة رسول الله ﷺ استخلفت على الناس عمر و قدرأيت ما يلقي الناس منه و أنت معه فكيف به إذا خال بهم و أنت غداً لاق ربك فسألك عن رعيتك ، فقال أبو بكر اجلسوني ثم قال : أبا لله تخوفني إذ ألقيت ربّي فسألني قلت : استخلفت عليهم خير أم أهلك ، فقال طلحة : أعمر خير الناس يا خليفة رسول الله ﷺ ؟ فاشتد غضبه فقال : اي والله هو خيرهم و أنت شرهم أم والله لو وليتك لجعلت أنفك في قفاك و لرفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو الذي يضعها ، أتيتني وقد دلكت عينيك تريد أن تفتني عن ديني و تزيلني عن رأيي ، قم لأقام الله رجلك ، أما والله لئن عشت فواق ناقة و بلغني أنك غمضته فيها أو ذكرته بسوء لا لحقنك بخمصات (١) قنة (٢) حيث كنتم تسقون

١- البخسة الجوعة ، ق

٢- اسم موضع ، ق

ولا تروون و ترعون ولا تشبعون و اتم بذلك مبتجحون (١) راضون ، فقام طلحة فخرج .

ثم قال الشارح : أحضر أبو بكر عثمان وهو وجود بنفسه فأمره أن يكتب عهده و قال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد عبد الله بن عثمان إلى المسلمين أما بعد ، ثم اغمي عليه و كتب عثمان قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، وأفاق أبو بكر فقال : اقره ، فقرمه فكبر أبو بكر و سر ، وقال : أراك خفت أن تختلف الناس ان مت في غشيتي ؛ قال : نعم ، قال : جزاك الله خيراً عن الاسلام و أهله ، ثم أتم العهد و أمر أن يقره على الناس فقره عليهم ، ثم أوصى عمر بوصايا و توفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الآخرة من سنة ثلاث عشر .

أقول : انظروا يا أهل البصيرة والانصاف والدقة والاعتبار إلى الخلافة العظمى والرياسة الكبرى كيف صارت لعبة للجهال ودولة لاهل الغي والضلال وانظروا رئيس الضالين والمضلين كيف اجترى على رب العالمين في تلك الحالة التي كان يفارق الدنيا و ينتقل إلى نزاعة للشوى ، فحكم بكون عمر أفضل الصحابة مع كون أمير المؤمنين عليه السلام بينهم ، وقد قال فيه نبيهم عليه السلام : اللهم ائتني بأحب الخلق إليك ، و سائر احاديث الفضل التي لا تحصى حسبما عرفت بعضها في مقدمات هذه الخطبة وغيرها ، ثم انظر إلى ابن الخطاب عليه النكال والعذاب كيف لم يقل لأبي بكر في هذه الحالة التي يغمى عليه فيها مرة و يفيق اخرى إنه ليهجر (٢) كما قال للنبي عليه السلام حين أراد أن يكتب كتاباً أن لا يضلوا بعده : انه ليهجر ولنعم ما قيل :

اوصى النبي فقال قائلهم
ورأى أبا بكر اصاب و لم
قد دخل يهجر سيد البشر
يهجر فقد اوصى الى عمر
ثم العجب من النعل الفاجر عثمان بن عفان عليه سخط الرحمن حيث كتبها برأيه

١- البجع بتقديم الجيم على العاء الفرج ، ق
٢- الهجر الهديان منه .

بدون مصلحة الخليفة الخوآن، والعجب كل العجب من هذا الشقي كيف مدحه وشكره
وجزاه خيراً عن الاسلام وأهله ولم يقل له : لم اجترمت على هذا الأمر العظيم والخطب
الجسيم الذي هو مقام الأنبياء و ميراث الأوصياء يترتب عليه أمر الدين والدنيا
بمحض رأيك و رضاك و طبعك و هواك ، مع أن سيد الوصي عليه السلام لا يجترى أن يخبر
بأدنى حكم إلا بوحي يوحى و يلزم على زعمهم الفاسد و رأيهم الكاسد أن يكون
أبو بكر و عثمان أشفق على أهل الاسلام والايمن من سيد الانس و العجان لأنه بزعمهم
أهمل أمر الامة ولم يوصلهم بشيء ، وهما أشققا على الامة حذراً من ضلالتهم فنصباهم
جاهلاً شقياً و فظاً غليظاً.

يا ناغي الاسلام قم فانه

قد مات عرف و بدا المنكر
و غير خفي على العاقل اللبيب و الكامل الأريب أن تلك الامور الفاضحة و الحيل
الواضحة لم تكن إلا لتأسيس أساس الكفر و النفاق و هدم بنيان الاسلام و الاتفاق، و إرجاع
الناس إلى أعقابهم القهقري و ترويج عبودية اللات و العزى، فجزاهم الله عن الاسلام
و أهله شر الجزاء ، و غضب عليهم ملؤ الارض و السماء.

(ثم تمثل عليه السلام بقول الأعشى) أعشى قيس و هو أبو بصير ميمون بن

قيس بن جندل:

(شتان ما يومي على كورها و يوم حيان أخي جابر)

و هو من قصيدة طويلة له قالها في منافرة علقمة بن علانة بن عوف و عامر بن الطفيل
ابن مالك بن جعفر و تفصيل قصة نفاهما ذكره أبو الفرج في الأغاني و قبل ذلك البيت الذي
تمثل عليه السلام به قوله:

و قد اسلي (١) الهم اذ يعترى بحسرة د و سرة عاقر

١- قوله اسلي من التسلية و سلاموا النساء و اسلاه عنه تسلى ، و الناقة الحسرة التي
أعيها السفر ، و الدوسرة مؤنت الدوسر و هو الجمال الضخم العظيم الهيكل، و عقرت الناقة
انقطع حملها فهي عاقر ، و زاف الرجل و كذا الا بل تبخر في مشيه، و الناقة الغطارة التي
ضربت بذنبها بيننا و شمالا، و شرخا الرجل مقدمه ومؤخره، و البص شجر يتخذ منه الرحال، و رحل
فاتر جيد الوقوع على ظهر البعير، و الهاجرة نصف النهار و عند زوال الشمس مع الظهر و هجرت
تهجيراً سارت في المهاجرة ، و القرد الاجانة للشرب و قدح او اناة صغير، و العاصر الذي يعصر
الضرب، و المجدل كمنبر القصر و الجمع مجادل و وصفه بقوله يزل عنه اه اشارة الى ارتفاعه، منه .

زيافة بالوحد خطارة
ارمى بها البيداء إذ هجرت
في مجدل شيد بنيسانه
تلوى بشرخى ميسة فاطر
و أنت بين القرد والعاصر
يزلُّ عنه ظفر الطاير

و معنى البيت بعد ما بين يومي على رحل هذه الناقة الموصوفة ، و بين يوم حيان و هو في مسكرة الشرب ناعم البال مرفه من الأكدار والمشاق ، و حيان و جابر ابنا السمين الحنفيان و كان حيان صاحب حصن باليمامة و كان من سادات بني حنيفة مطاعاً في قوله يصله كسرى في كل سنة و كان في رفاهية و نعمة مصوناً من و عثاء السفر ، لم يكن يسافر أبداً ، و كان الأعمى ينادمه و كان أخوه جابر أصغر سنامه ، حكى ان حيان قال للأعمى نسبتي إلى أخي وهو أصغر سناً مني فقال : إن الروى اضطرني إلى ذلك ، فقال : والله لا نازعتك كاساً أبداً ما عشت هذا .

و معنى البيت على ما ذكرناه هو الذي أفاده المرتضى (قده) و هو الظاهر المطابق للبيت الذي بعده أعني قوله: أرمى بها البيداء . و هو أيضاً مما تمثل بها به على ما حكى عن بعض النسخ ، فيكون غرضه بها من التمثل على ذلك بيان البعد بين يومه صابراً على القذى والشجى و بين يومهم فايزين بما طلبوا من الدنيا ، و قريب منه ما قال الشارح المعتزلي حيث قال : يقول أمير المؤمنين عليه السلام : شتان بين يومي في الخلافة مع ما انتقض على من الأمر و منيت به من انتشار الجبل واضطراب أركان الخلافة ، و بين يوم عمر حيث وليها على قاعدة ممهدة و أركان ثابتة و سكون شامل ، فانتظم أمره و اطرد حاله .

و قال بعض الشارحين : المعنى ما أبعد ما بين يومي على كور الناقة اداب و انصب و بين يومي منادماً حيان أخي جابر في خفض ودعة ، فالغرض من التمثل إظهار البعد بين يومه عليه السلام بعد وفات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مهجوراً ممنوعاً عن حقه ، و بين يومه في صحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فارغ البال مرفه الحال كاسباً للفيوضات الظاهرية والباطنية ، و هذا المعنى هو الأقرب إلي النظر و الأنسب إلى السياق ، و به فسره

المحدث الجزائري حيث قال : و قوله عليه السلام : شتان البيت و هو الاعشى يقول :
تفرق ما بين يومي يوم سروري و هو منادمتي لأخي حيان ، و يوم شدتي و ركوبي
على متن ناقتي في البراري والقفار ، و هو عليه السلام قد استعار هذا ليوميه يوم فرجه لما
كان نديمه النبي صلى الله عليه وآله ، و يوم تعب و يوم ركوبه المشاق والحروب وحده بلامعاون
ولا نصير.

ثم إنّه عليه السلام أظهر التعجب من إدلائمه بالخلافة إليه مع استقالته منها بقوله :
(فيا عجباً بينا هو) يعني أبا بكر (يستقبلها) أي يطلب الاقالة منها (في حياته) ويقول:
أقبلوني أقبلوني (إذ عقدها آخر) أراد به عمر أي جعلها معقودة له لتكون له (بعد
وفاته) و وجه التعجب أن استقالته منها في حياته دليل على رغبته عنها و زهده فيها
و عقدها لغيره دليل على رغبته فيها و ميله اليها ، و هو يضاد الاستقالة الحقيقية
فيكون دليلاً على كون الاستقالة منه صورية ناشئة عن وجه الخدعة ، و التدليس ،
و نعم ما قيل :

حملوها يوم السقيفة وزراً تخف الجبال و هي ثقال
ثم جاؤا من بعدها يستقبلون و هيئات عشرة لانتقال

هذا و خبر الاقالة مما رواه الجمهور ، و هو قوله : اقبلوني اقبلوني فليست بخيركم
و عليّ فيكم ، و رواه في البحار عن الطبري في تاريخه و البلاذري في أنساب الأشراف
و السمعاني في الفضائل و أمي عبيدة في بعض مصنفاته ، قال : و لم يقدح الفخر
الرازي في صحته إن أجاب عنه بوجوه ضعيفة ، و كفى كلامه عليه السلام شاهداً على
صحته انتهى .

و قال بعض المحققين من أصحابنا : معنى استقالته الأمر بقتل علي بن أبي
طالب عليه السلام يعني مادام عليّ فيكم موجوداً فأنا لست بخيركم فاقتلوه حتى أكون
خليفة بلامنازع ، و قوله عليه السلام : (لشد ما تشرط اضرعيا) شبه الخلافة بناقة لها ضرعان
و كان كل واحد منهما أخذ منها ضرعاً يحلبه لنفسه ، فالمعنى والله لصار شديداً

أخذ كل واحد منهما شطراً أي نصفاً أو شطراً بالكسر أي خلفاً من ضرعيها، والمقصود اقتسامهما فايدتها بينهما، وفي بعض روايات السقيفة أنه عليه السلام قال لعمر بن الخطاب بعد يوم السقيفة: احلب حلباً لك شطره، اشد له اليوم يرد عليك غداً (فصيرها في حوزة) أي في طبيعة أو ناحية (خشناه) متصفاً بالخشونة لا ينال ما عندها، ولا يرام ولا يفوز بالنجاح من قصدها.

قال بعض الأفاضل: الظاهر أن المفاد على تقدير إرادة الناحية تشبيه المتولي للخلافة بالأرض الخشنة، في ناحية الطريق المستوي، و تشبيه الخلافة بالركب السائر فيها أو بالناقة أي أخرجها عن مسيرها المستوي وهو من يستحقها إلى تلك الناحية الحزنة هذا: والأظهر إرادة معنى الطبيعة.

ثم وصف عليه السلام الحوزة ثانياً بأنها (يفلظ كلمها) أي جرحها وفي الإسناد توسع، قال الشارح البحراني غلظ الكلم كناية عن غلظ المواجهة بالكلام والجرح به، فإن الضرب باللسان أعظم من دخز السنان (١)، أقول: ومن هنا قيل: جراحات السنان لها التيام ولا يلتام ما جرح اللسان

(و) وصفها ثالثاً بأنها (يخشن مسها) أي تؤذي وتضر من يمساها قال البحراني: وهي كناية عن خشونة طباعه المانعة من ميل الطباع إليه المستلزمة للأذى كما يستلزم من الأجسام الخشنة.

أقول: والمقصود من هذه الأوصاف الإشارة إلى فظاظه وعمر وغلظته وجفاوته وقبح لقاؤه وكراهة منظره، و رغبة الناس عن مواجهته ومكالمته، ويدل على ذلك ما روي أن ابن عباس لما أظهر بطلان مسألة العول بعد موت عمر قيل له: من أول من أعال الفرياض؟ فقال: عمر بن الخطاب، قيل له: هلاً أشرت عليه؟ قال هيبته، ومارواه الشارح المعتزلي في شرح هذا الفصل أن عمر هو الذي غلظ (٢) على جبلة بن

١- أي طعن السنان منه

٢- قصة جبلة بن الأيهم النسائي على ما ذكره أبو الفرج الإصهاني في كتاب الإغاني هو انه لما اسلم جبلة بن الأيهم وكان من ملوك آل جفنة كتب الي عمر يستأذنه في القدوم عليه فأذن له عمر فصرح اليه في خساسة من اهل بيته من عك و غسان حتى اذا كان على مرحلتين كتب الي

الأيهم حتى اضطره إلى مفارقة دارالهجرة بل مفارقة بلاد الاسلام كلها حتى عاد مرتداً داخل في دين النصرانية لأجل لطمه لطمها، وقال جبلة بعد ارتداده متنداً ما على ما فعل :

تنصرت الاشراف من أجل لطمه و ما كان فيها لوصبرت لها ضرر

عمر لعلمه بقدمه فسر عمرو والناس باستقباله و بعث اليه بانزال وامر جبلة ما تى رجل من اصحابه فلبسوا السلاح والحريير و ركبو الخيل معقودة اذناها والبسوها قلائد الذهب والفضة و لاس جبلة تاجه و فيه قرطاً مارية و هي جدته و دخل المدينة فلم يبق بها بكر ولا عانس الا تبرجت و خرجت تنظر اليه و الى زيه فلما انتهى الى عمر رحب به والطفه و ادنى مجلسه ثم اراد عمر الحج فخرج معه جبلة فبينما هو يطوف بالببيت و كان مشهوراً بالموسم اذ وطى ازاره رجل من بنى فزاره فانحل فرفع جبلة يده فهشم انف الفزاري فاستمدى عليه عمر فبعت الى جبلة فاتاه فقال ما هذا ؛ قال نعم يا امير المؤمنين انه تصد حل ازارى و لولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف فقال له عمر قد اقررت فاما ان رضى الرجل و اما ان اقيده منك قال جبلة ماذا تصنع بي قال آمر بهشم انفك كما فعلت قال و كيف ذاك يا امير المؤمنين و هو سوقه و انا ملك قال ان الاسلام جمعك و اياه وليس تفضل بشئ الا بالتقى و العافية قال جبلة قد ظننت انى اكون فى الاسلام اعزمنى فى الجادلية تال عمر دع عنك هذا فانك ان لم ترض الرجل اقدته منك قال اذا انتصر قال ان تنصرت ضربت عنقك لانك قد اسلمت فان ارتدت قتلتك فلما راي جبلة الصدق من عمر قال انا ناظر فى هذا ليلى هذه و قد اجتمع بباب عمر من حى هذا و حى هذا خلق كثير حتى كادت تكون بينهم فتنة فلما امسوا اذن لهم عمر فى الانصراف حتى اذا نام الناس و هودوا فحمل جبلة بغيه و رواجه الى الشام فاصبحت مكة و هى منهم بلاقع فلما انتهى الى الشام تجمل فى خمسة من قومه حتى اتى الى القسطنطينية فدخل الى هرقل فنصروه و اصحابه فسر هرقل بذلك جدا و ظن انه فتع من الفتوح عظيم و اقطعه حيث شاء و اجرى عليه من المنزل ماشاؤا و جعله من محدثيه هكذا ذكر ابو عمرو و ذكر ابن الكلبي ان الفزاري لما وطى ازار جبلة لطم جبلة كما لطمه فوثب غسان و همسوا انفه واتوا به عمر ثم ذكر ما فى الخبر نحو ما ذكرناه و شعر جبلة على مارواه ابو الفرج هكذا

و ما كان فيها لوصبرت لها ضرر	تنصرت الاشراف من عار لطمه
و بعت بها العين الصحيحة بالمرور	تكفنى فيها لججاج و نضوة
رجعت الى القول الذى قال لى عمر	فيا ليت امى لم تلدنى و ليتنى
و كنت اسيراً فى ربيعة او مضر	و ياليتى ارعى الضمض بدمنة
اجالس قومي ذاهب السمع والبصر، انتهى منه	و ياليت لى بالشام اولى معيشة

فياليت أمي لم تلدني و ليتني رجعت الى القول الذي قاله عمر
أقول: هذه الرواية كافية في فضل هذا الرجل و منقبته ، فان النبي ﷺ لم يبعده
الله إلا لهداية الأنام والارشاد إلى دعائم الاسلام ، فعاش معهم بمحاسن الأخلاق
و مكارم الآداب حتى نزل فيه:

« إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ »

و كان ﷺ كثيراً ما يتحمل الأذى و يصبر على شدائد البلوى ، لهداية نفس واحدة
و إنجائها من الضلالة ، و هذا الرجل الجلف الذي يزعم أنه خليفة رسول الله ﷺ
كيف يصرف الناس عن الاسلام إلى النصرانية بمقتضى خبث طينته و سوء سريره و غلظ
كلمته ؛ و فوق كل ذلك فظاظة جسارته على النبي ﷺ بكلمات يكره اللسان بيانها و يأتي
القلم عن كتبها و إظهارها ، مثل قوله له ﷺ في صلح الحديبية لم تقل لنا ستدخلونها
في ألفاظ نكره حكايتها ، و مثل الكلمة التي قالها في مرض رسول الله ﷺ ، قال
الشارح المعتزلي : و معاذ الله أن يقصد بها ظاهرها و لكنّه أرسلها على مقتضى خشونة
غريزية و لم يتحفظ منها ، و كان الأحسن أن يقول : مغمور أو مغلوب بالمرض
و حاشاه أن يعني بها غير ذلك .

أقول : و شهد الله أن قصده ما كان إلا ظاهرها و حاشاه أن يقصد بها
إلا ذلك .

و قال الشارح أيضاً في شرح الخطبة الخامسة و العشرين عند الكلام على حديث
الفلته : و اعلم أن هذه اللفظة من عمر مناسبة للفظات كثيرة كان يقولها بمقتضى ما
جبله الله تعالى من غلظ الطينة و جفاء الطبيعة و لا حيلة له فيها ، لأنه مجبول عليها
لا يستطيع تغييرها ، و لا ريب عندنا أنه كان يريد أن يتلطف و أن يخرج ألفاظه خارج
حسنة لطيفة ، فينزح به الطبع الجاسي و الغريزة الغليظة إلى أمثال هذه اللفظات ،
و لا يقصد بها سوء ولا يريد بها ذمًا و لا تخطئة كما قدّمنا قبل ذلك في اللفظة التي قالها
في مرض رسول الله ﷺ ، و كالألفظات التي قالها عام الحديبية و غير ذلك ، و الله

لا يجازي المكلف إلا بما نواه ، و لقد كانت نيته من أظهر النيات و أخلصها لله سبحانه انتهى .

و فيه أن اقتضاء الطبيعة و استدعاء الغريزة التي جعله معذرة له إن أراد به انه بلغ إلى حيث لم يبق لعمر معه قدرة على إمساك لسانه عن التكلم بخلاف ما في ضميره ، بل كان يصدر عنه الذم في مقام يريد به المدح ، والشتم في موضع يريد الاكرام و يخرج بذلك عن حد التكليف فلا مناقشة في ذلك ، لكن مثل هذا الرجل يعده العقلاء في زمرة المجانين ، و لا خلاف في أن العقل من شروط الامامة ، و إن أراد أنه يبقى مع ذلك ما هو مناط التكليف فذلك مما لا يسمن ولا يغني من جوع ، فان ابليس استكبر آدم بمقتضى الجبلة النارية ، و مع ذلك استحق النار و شملته اللعنة إلى يوم الدين ، و الزاني إنما يزني بمقتضى شهوته التي جبله الله تعالى عليها و مع ذلك يرجم ولا يرحم هذا ،

(و) وصف **بالتيمم** الحوزة رابعاً بأنها (يكثر العثار فيها والاعتذار منها) ومعناه على جعل الحوزة بمعنى الطبيعة واضح أي يكثر العثار في تلك الطبيعة والاعتذار من هذه الطبيعة أو اعتذار صاحبها منها أو الاعتذار من عثراتها وقد مضى في بيان الاعراب احتمال كون من نشوية و تعاليلية ، و أما على تقدير جعلها بمعنى الناحية فالمعنى ما ذكره بعض الأفاضل عقيب كلامه الذي حكيناه في شرح قوله **عَلَيْكُمْ** : فصيهرافي حوزة خشناء ، بما لفظه : فيكثر عثارها أو عثار مطيتها فاحتاجت إلى الاعتذار من عثراتها الناشئة من خشونة الناحية و هو في الحقيقة اعتذار من الناحية ، فالعائر والمعتذر حينئذ هي الخلافة توسعاً .

و كيف كان فالغرض من هذه الجملة الاشارة إلى كثرة خطأ عمر في القضايا والأحكام ، و جهالته بالفتاوى و شرايع الاسلام ، و لا بأس بالاشارة إلى بعض عثراته و نبذ من جهالاته و يسير من هفواته و زلاته .

فمنها ما ذكره الشارح المعتزلي حيث قال : و كان عمر يفتي كثيراً بالحكم ثم ينقضه و يفتي بضده و خلافه ، قضى في الجدد مع الاخوة قضايا كثيرة مختلفة ثم

خاف من الحكم في هذه المسألة فقال : من أراد أن يتفهم جرائم جهنم فليقل في الجدد برأيه .

و منها ما ذكره أيضاً وهو أنه لمآمات رسول الله ﷺ و شاع بين الناس موته طاف عمر على الناس قائلاً إنه لم يمّت و لكنّه غاب عنا كما غاب موسى عن قومه ، فليرجع و ليقطع أيدي رجال و أرجلهم يزعمون أنه مات فجعل لا يمر بأحد يقول : إنه مات إلا و يبخطه ويتوعده حتى جاء أبو بكر فقال : أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، و من كان يعبد ربّ محمد ، فإنه حيّ لم يمّت ثم تلا قوله تعالى :

« أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَابْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ »

قالوا : فوالله لكان الناس ما سمعوا هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، و قال عمر لما سمعته يتلوها هويت إلى الأرض و علمت أن رسول الله ﷺ قد مات .

أقول : من بلغ من قلة المعرفة إلى مقام ينكر موت النبي ﷺ و يحكم مع ذلك من تلقاء نفسه بأنه يرجع و يقطع أيدي رجال و أرجلهم كيف يكون إماماً واجب الطاعة على جميع الخلق ؟

و منها ما رواه أيضاً كغيره من أنه قال مرة لا يبلغني أن امرأة تجاوز صداقتها صادق نساء النبي ﷺ إلا ارتجعت ذلك منها ، فقالت امرأة ما جعل الله لك ذلك إنه قال تعالى :

« وَآتَيْتُمُ إِحْدِيهِنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَ بِهِ إِنَّا

وَإِنَّمَا مُبِينًا »

فقال : كلُّ الناس أفتقه من عمر حتى ربّات العجبال ، ألا تعجبون من إمام أخطأ و امرأة أصابت فأضلت إمامكم ففضلته ، واعتذار قاضي القضاة بأنه طلب الاستحباب في ترك التجاوز (١) والتواضع في قوله : كلُّ الناس أفتقه من عمر ، خطأ ، فإنه

لا يجوز ارتكاب المحرم و هو ارتجاع المهر ، لأجل فعل المشتحب ، و أما التواضع فإنه لو كان الأمر كما قال عمر لاقتضى إظهار القبيح و تصويب الخطاء ، و لو كان العذر صحيحاً لكان هو المصيب والمرأة مخطئة مع أنه مخالف لصريح قوله : ألا تعجبون من إمام أخطأه .

و منها ما رواه هو و غيره من أنه كان يعسُّ بالليل فسمع صوت رجل وامرأة في بيت فارتاب فتسور الحائط فوجد امرأة و رجلاً و عندهما زق خمر ، فقال : يا عدو الله كنت ترى أن الله يسترک و أنت على معصيته ؟ قال : إن كنت أخطأت في واحدة فقد أخطأت في ثلاث ، قال الله تعالى : ولا تجسسوا ، وقد تجسسست ، و قال : و أتوا البيوت من أبوابها ، و قد تسورت ، و قال : إذا دخلتم بيوتا فسلموا ، و ماسلمت .

و منها ما رواه أيضاً و جماعة من الخاصة و العامة من أنه قال : متعتان كانتا على عهد رسول الله و أنا محرماً مهماً و معاقب عليهما : متعة النساء و متعة الحج ، قال الشارح المعتزلي و هذا الكلام و إن كان ظاهره منكرأ فله عندنا مخرج و تأويل أقول : بل هو باق على منكريته و التأويل الذي ارتكبه مما لا يسمن و لا يفتني من جوع ، و لعلنا نسوق الكلام فيه مفصلاً في مقام أليق بإنشاء الله .

و منها ما رواه أيضاً من أنه مر يوماً بشاب من فتيان الأنصار و هو ظمآن فاستسقاها فجدح له ماء بعسل فلم يشربه ، و قال : إن الله تعالى يقول :

« أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا »

فقال له الفتى : إنها ليست لك و لا لأحد من أهل هذه القبلة ، اقرء ما قبلها :

« وَ يَوْمَ يُفْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي

حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا » .

فقال عمر : كلُّ الناس أفتقه من عمر .

و منها أنه أمر برجم امرأة حامله فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن كان لك عليها سبيل فليس لك على ما في بطنها سبيل ، فقال : لولا علي لهلك عمر .
 ومنها أنه أمر برجم معجونة فنبهه أمير المؤمنين عليه السلام وقال : القلم مرفوع عن المعجون حتى يفيق ، فقال : لولا علي لهلك عمر .
 ومنها ما رواه في الفقيه عن إبراهيم بن محمد الثقفي قال : استودع رجلان امرأة وديعة وقالوا لها لا تدفعي إلى واحد منّا حتى نجتمع عندك ثم انطلقا فغابا ، فجاء أحدهما إليها وقال : اعطيني وديعتي فإن صاحبي قد مات فأبت حتى كثر اختلافه إليها ثم أعطته ، ثم جاء الآخر فقال هاتي وديعتي ، فقال «فقال ظ» : أخذها صاحبك و ذكر أنك قدمت فارتفعنا إلى عمر ، فقال لها عمر : ما أراك إلا وقد ضمنت ، فقالت المرأة اجعل عليا عليه السلام بيني وبينه ، فقال له : اقض بينهما ، فقال علي عليه السلام : هذه الوديعة عندها وقد أمرتماها أن لا تدفعها إلى واحد منكما حتى تجتمعا عندها فأتني بصاحبك ، ولم يضمنها ، وقال علي عليه السلام : إنما أراد أن يذهب بمال المرأة .
 و منها ما في الفقيه أيضاً عن عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعد بن طريف عن الأصبغ ابن نباتة ، قال : أتني عمر بامرأة زوجها شيخ ، فلما أن واقعتها مات على بطنها ، فادعى بنوه أنها فجرت و شاهدوا «تشاهدوا» عليها فأمر بها عمر أن ترحم ، فعمروا بها على علي عليه السلام بن أبي طالب عليه السلام ، فقالت : يا بن عم رسول الله إني مظلومة و هذه حجتي فقال عليه السلام : هاتني حجتك ، فدفعت إليه كتاباً فقرأ فقال : هذه المرأة تعلمكم بيوم تزوجها و يوم واقعتها و كيف كان جماعه لها ردُّ والمرأة ، فلما كان من الغد دعا علي عليه السلام بصبيان يلعبون أتراب (١) و فيهم ابنها فقال لهم : العبوا ، فلعبوا حتى إذا لها هم اللعب ثم فصاح عليه السلام بهم فقاموا و قام الغلام الذي هو ابن المرأة متكياً على راحتيه ، فدعا به علي عليه السلام فورته من أبيه و جلد اخوته المفترين حداً ، فقال عمر كيف صنعت؟ قال : قد عرفت ضعف الشيخ في تكلمة الغلام على راحتيه .

و منها مارواه الصدوق أيضاً عن سعد بن طريف عن الأصبع بن نباتة قال :
 أتى عمر بن الخطاب بجارية فشهد عليها شهود أنها بغت ، و كان من قصتها أنها
 كانت يتيمة عند رجل و كان للرجل امرأة و كان الرجل كثيراً ما يغيب عن أهله ،
 فشبت اليتيمة و كانت جميلة فتخوفت المرأة أن يتزوجها زوجها إذا رجع إلى
 منزله ، فدعت بنسوة من جيرانها فأمسكتها ، ثم افتضتها باصبعها ، فلما قدم زوجها
 سأل امرأته عن اليتيمة فرمتها بالفاحشة و أقامت اليتيمة من جيرانها على ذلك ،
 قال : فرجع ذلك إلى عمر فلم يدر كيف يقضي في ذلك ، فقال : للرجل اذهب بها
 إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ، فاتوا علياً و قصوا عليه قصتها « القصة خ » فقال
 لامرأة الرجل ألك يئنة ؟ قالت : نعم ، هؤلاء جيرانني يشهدون عليها بما أقول ،
 فأخرج علي عليه السلام السيف من غمده و طرحه بين يديه ، ثم أمر عليه السلام بكل واحدة من
 الشهود فأدخلت بيتاً ، ثم دعا بامرأة الرجل فأدارها لكل وجه فأبت أن تزول عن
 قولها ، فردّها إلى البيت الذي كانت فيه .

ثم دعا باحدى الشهود و جثا على ركبتيه ، فقال لها : أتعرفيني أنا علي
 ابن أبي طالب و هذا سيفي وقد قالت امرأة الرجل ما قالت ، و رجعت (١) إلى
 الحق و أعطيتها الأمان فاصدقيني و إلا ملأت سيفي منك ، فالتفت المرأة إلى علي
 فقالت : يا أمير المؤمنين الأمان على الصدق ، قال لها علي فاصدقي فقالت : لا والله
 ما زنت اليتيمة ولكن امرأة الرجل لما رأته حسنها و جمالها و هيئتها خافت فساد
 زوجها بها فسقتها المسكروود عتنا فأمسكناها فافتضتها باصبعها ، فقال علي عليه السلام :
 الله أكبر الله أكبر أنا أول من فرق بين الشهود إلا دانيال ثم حدّ المرأة حدّ
 القاذف و ألزمها و من ساعدها على افتضاض اليتيمة المهر لها أربعمائة درهم ، و فرق
 بين المرأة و زوجها و زوجته اليتيمة ، و ساق عنه المهر إليها من ماله .

فقال عمر بن الخطاب : فحدّتنا يا أبا الحسن بحديث دانيال النبي عليه السلام فقال : إن

١- قوله و رجعت الى الحق قيل يدل على انه يجوز الكذب لهذه المصالح وقيل اراد بالحق
 البيت الذي يستحقها المرأة ان يدخلها وقد اعطيتها الامان اى فى الذهاب الى محلها السابق منه

دانيال كان غلاماً يتيماً لأب له ولا أم ، و إن امرأة من بني إسرائيل عجوزاً ضمته إليها و ربته و إن ملكاً من ملوك من بني إسرائيل كان له قاضيان و كان له صديق و كان رجلاً صالحاً و كان له امرأة جميلة و كان يأتي الملك فيحدثه فاحتاج الملك إلى رجل يبعثه في بعض أموره ، فقال للقاضيين : اختارا لي رجلاً ابعثه في بعض اموري ، فقالا : فلان ، فوجهه ملك و كان القاضيان يأتیان باب الصديق فعشقا امرأته فراودها عن نفسها ، فأبت عليهما فقالا لها ، إن لم تفعلني شهدنا عليك عند الملك بالزنا ليرجمك ، فقالت : افعلا ما شئتما ، فأتيا الملك فشهدا عليها أنها بغت و كان لها ذكر حسن جميل فدخل الملك من ذلك أمر عظيم و اشتد غمه و كان بها معجباً ، فقال لهما : إن قولكما مقبول فاجلدوها ثلاثة أيام ثم ارجموها و نادى في مدينته : احضروا قتل فلانة العابدة فانسها قد بغت ، و قد شهد عليها القاضيان بذلك ، فأكثر الناس القول في ذلك فقال الملك لوزيره : ما عندك في هذا حيلة ؟ فقال : لا والله ما عندي في هذا شيء .

فلما كان اليوم الثالث ركب الوزير و هو آخر أيامها و إذا هو بغلمان عراة يلعبون و فيهم دانيال ، فقال دانيال : يا معشر الصبيان تعالوا حتى أكون أنا الملك و تكون أنت يا فلان العابدة و يكون فلان و فلان القاضيين الشاهدين عليها ، ثم جمع تراباً (١) و جعل سيفاً من قصب ثم قال : للغلمان خذوا بيد هذا فنحوه إلى موضع كذا و الوزير واقف و خذوا هذا فنحوه إلى كذا ثم دعا بأحدهما فقال : قل حقاً فانك إن لم تقل حقاً قتلتك ، قال : نعم و الوزير يسمع فقال بم تشهد على هذه المرأة قال اشهد انها زنت قل في أي يوم قال : في يوم كذا و كذا ، قال في أي وقت ؟ قال : في وقت كذا و كذا ، قال : في أي موضع ؟ قال : في موضع كذا و كذا قال : مع من ؟ قال : مع فلان بن فلان ، قال : فردوه إلى مكانه و هاتوا الآخر ، فردوه و جاؤا بالآخر فسأله عن ذلك فخالف صاحبه في القول ، فقال دانيال : الله اكبر الله اكبر شهدا عليها بزور ثم نادى في الغلمان إن القاضيين شهدا على فلانة العابدة بزور

فاحضروا قتلها ، فذهب الوزير إلى الملك مبادراً فأخبره الخبر فبعث الملك إلى القاضيين فأحضرهما ثم فرق بينهما ففعل كما فعل دانيال بالغلامين ، فاختلفا كما اختلفا فنادى في الناس وأمر بقتلها .

ومنها ما رواه الشارح البحراني وهو أن عمر أمر أن يؤتى بامرأة لحال اقتضت ذلك و كانت حاملاً فانزعجت من هيئته فاجهزت « فاجهضت به خ » جنينا فجمع جمعاً من الصحابة و سألهم ماذا يجب عليه ، فقالوا : أنت مجتهد « مؤدب خ » ولا نرى أنه يجب عليك شيء ، فراجع علياً عليه السلام في ذلك و أعلمه بما قال بعض الصحابة ، فانكر ذلك وقال : إن كان ذلك عن اجتهاد منهم فقد أخطأوا ، وإن لم يكن عن اجتهاد فقد غشوك ، أرى عليك الأثرة (١) ، فعندها قال : لا عشت له معضلة لا تكون لها يا أبا الحسن . ورواه الشارح المعتزلي بتغيير في متنه ، إلى غير ذلك من موارد خطائه وخطبه وجهالته التي لو أردنا استقصائها لطالت ، وكثيراً ما كان أمير المؤمنين عليه السلام ينسب عليه خطائه فيها و يبين له معضلات المسائل التي كان يعجز عنها ، و قد روي أنه قال في سبعين موضعاً : لولا علي لهلك عمر ، والعجب أنه مع اعترافه بذلك يدعي التقدم عليه و مع جهله بكل ذلك يرى نفسه قابلة للخلافة و مستحقة لها مع أن قابلية الخلافة واستحقاق الولاية لا يكون إلا بالعلم بجميع الأحكام و الاحاطة بشرايع الاسلام ، ولا يكون ذلك إلا بالهام إلهي و تعليم رباني و إرشاد نبوي ، و ذلك مختص بالأئمة و مخصوص بسراج الامة ، إذ هم الذين اتبعوا آثار النبوة ، و اقتبسوا أنوار الرسالة ، و عندهم معاقل العلم و أبواب الحكمة و ضيآء الأمر و فصل ما بين الناس ، وهم المحدثون المفهمون المسددون المؤيدون بروح القدس .

كما يدل عليه ما رواه في البحار من كتاب بصائر الدرجات باسناده عن جعيد الهمداني قال : سألت علي بن الحسين عليه السلام بأي حكم تحكمون ؟ قال : نحكم بحكم آل داود (٢) فان عيننا شيئاً تلقنا به روح القدس .
وعن الساباطي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : بما تحكمون إذا حكمتم ؟ فقال :

١- يعني عنق رقبة

٢- أي نحكم لملنا ولا نسال بيعة كما كان داود احبانا بفعله ، بحار

بحكم الله وحكم داد، فاذا ورد علينا شيء، ليس عندنا تلقانا به روح القدس . وعن عبد العزيز عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك إن الناس يزعمون أن رسول الله ﷺ وجهه علياً عليه السلام إلى اليمن ليقضى بينهم، فقال علي عليه السلام: فما اورد الله على قضية إلا حكمت بحكم الله وحكم رسوله، فقال عليه السلام: صدقوا، قلت: وكيف ذلك ولم يكن انزل القرآن كله وقد كان رسول الله غائباً عنه؟ فقال: تلقاه به روح القدس هذا .

وقد ظهر مما ذكرنا كله أن الحكم الصواب وفصل الخطاب مختص بالمعصومين من آل الرسول سلام الله عليه وعليهم وأن أحكام عمر إنما كانت عن هوى نفس وبدعة وضلالة وجهالة، ولذلك كان يفتي كثيراً ثم يرجع عن فتياه ويعتذر، وربما كان يحكم بشيء ثم ينتقضه ويحكم بخلافه لقلّة المعرفة وكثرة الجهالة واختلاف دواعي نفسه الأمارّة التي تارة تحكم بذلك واخرى بخلافه، هذا كله مضافاً إلى قوة إفراط القوة الغضبية فيه وخشونة الحوزة وغلظة الطبيعة (فصاحبها) أي صاحب تلك الحوزة والطبيعة (كراكب) الناقة (الصعبة) الغير المتقادة (إن أشق لها حرم وإن أسلس لها تقمّم) قال الرضوي (ره) بعد تمام الخطبة: يريد عليه السلام أنه إذا شدّ وعليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها حرم أنفها، وإن أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقمّمّت به فلم يملكها.

أقول: وقد أرخى زمامها ولم يمسكها فرمت به في أودية الضلالة وتقمّمّت به في ورطات الهلاكة فلم يمكنه التخلص منها والخروج عنها، وعلى هذا المعنى فالمراد بصاحب الحوزة هو عمر وهذا أظهر وقد ذكروا في المقام وجوهاً آخر. منها أن الضمير في صاحبها يعود إلى الحوزة الممكنة بها عن الخليفة أو اخلاقه، والمراد بصاحبها من يصاحبها كالمستشار وغيره، والمعنى أن المصاحب للرجل المنعوت حاله في صعوبة الحال كراكب الناقة الصعبة فلو تسرع إلى إنكار القبايح من أعماله أدى إلى الشقاق بينهما وفساد الحال، ولو سكت وخلاه وما يصنع

أدى إلى خسران المآل.

ومنها أن الضمير راجع إلى الخلافة أو إلى الحوزة ، والمراد بصاحبها نفسه عَلَيْهِ ، والمعنى أن قيامي في طلب الأمر يوجب مقاتلة ذلك الرجل وفساد أمر الخلافة رأساً وتفرق نظام المسلمين ، و سكوتي عنه يورث التسخيم في موارد الذل والصغار .

ومنها أن الضمير راجع إلى الخلافة و صاحبها من تولى أمرها مراعيًا للحق وما يجب عليه ، والمعنى أن المتولي لأمر الخلافة إن أفرط في إحقاق الحق و زجر الناس عما يريدونه بأهوائهم أوجب ذلك نفاق طباعهم و تفرقهم عنه ، لشدة الميل إلى الباطل ، و إن فرط في المحافظة على شرايطها ألقاه التفریط في موارد الهلكة و ضعف هذا الوجه و بعده واضح هذا.

ولما ذكر عَلَيْهِ أوصاف الرجل الذميمة و أخلاقه الخبيثة الخسيسة أشار إلى شدة ابتلاء الناس في أيام خلافته بقوله: (فمني الناس) أي ابتلوا (لعمركم الله بخبط) أي بالسير على غير معرفة و في غير جادة (و شماس) و نفار (و تلون) مزاج (و اعتراض) أي بالسير على غير خط مستقيم كأنه يسير عرضاً ، قال الشارح المعتزلي: و إنما يفعل ذلك البعير الجامح الخابط و بعير عرضي يعترض في سيره لأنه لم يتم رياضته و في فلان عرضية أي عجز فيه و صعوبة ، و قال البحراني في شرح تلك الجملة: إنها إشارة إلى ما ابتلوا به من اضطراب الرجل و حر كانه التي كان ينقمها عليه ، فكنى بالخبط عنها و بالشماس عن جفاوة طباعه و خشونتها ، و بالتلون و الاعتراض عن انتقاله من حالة إلى أخرى في أخلاقه ، و هي استعارات ووجه المشابهة فيها أن خبط البعير ، و شماس الفرس و اعتراضها في الطريق حر كات غير منظومة ، فأشبهها ما لم يكن منظوماً من حر كات الرجل التي ابتلي الناس بها.

أقول: و على ذلك فالأربعة أوصاف للرجل و المقصود كما ذكره الإشارة إلى ابتلاء الناس في خلافته بالقضايا الباطلة لجهله و استبداده برأيه مع تسرعه إلى الحكم مع ايذائهم بحدته و بالخشونة في الأقوال و الأفعال الموجبة لنفارهم عنه ،

وبالتفار عن الناس كالفرس الشموس والتلون في الآراء والأحكام لعدم ابتنائها على أساس قوي، وبالخروج عن الشرع السواء والعجادة المستقيمة أو بالحمل على الأمور الصعبة والتكاليف الشاقمة هذا.

و يحتمل كونها صفات للناس، فإن خروج الوالي عن العجادة يستلزم خروج الناس أحياناً وكذا تلوّن نه واعتراضه يوجب تلوّن الرعية و اعتراضهم على بعض الوجوه و خشونته يستلزم نفارهم وهو ظاهر.

ثم إنه عليه السلام أورد ذلك كله بتكرير ذكر صبره على ما صبر عليه مع الثاني كما صبر مع الأول و قال: (فصبرت على طول المدة) أي طول مدة تخلف الأمر عنه عليه السلام (و شدة المحنة) أي شدة الابتلاء بسبب فوات حقه و ما يستتبع ذلك من اختلال قواعد الدين و انهدام أركان اليقين.

الترجمة

تا آنکه گذشت اول یعنی ابوبکر براه خود که طریق جهنم است، پس دفع کرد و واگذاشت خلافت را بسوی پسر خطاب بعد از خود، بعد از آن مثل زد امیر المؤمنین عليه السلام بقول أعشى که در مفاخرة علقمه و عامر گفته و عامر رامدح و علقمه را هجو نموده. و معنی بیت این است که چقدر دور است میان دو روز هن روزیکه بر کوهان و بالان شتر سوار و برنج و تعب سفر گرفتار، و روز حیان برادر جابر که ندیم وی بودم و بناز و نعمت میگذرانیدم، و یا اینکه بعید است میان روز من که بر پشت ناقه سوار و روز حیان که راحت از مشقت سفر و فارغ از ملال و کدورات.

و مقصود امام عليه السلام از تمثیل باین بیت بنا بر این معنی اظهار بعد است میان حال خود که گرفتار محنت بوده و قرین مشقت و میان حال قومی که بمقاصد خودشان واصل و در سعة و رفاهیت محفوظ؛ و بنا بر معنی اول اظهار مباحثت و دوریست میان دو روز خود یکی بعد از وفات حضرت رسالت مآب صلی الله علیه و آله که از حق خود مغضوب و در خانه خود معتزل و بصحبت اشرار گرفتار و بقتن و محن مبتلا،

و روز دوم زمان حضور آنحضرت صلوات الله علیه که در خدمت او کسب فیوضات ظاهریه و کمالات معنویه میگردند.

و بهر تقدیر امام علیه السلام بعد از مثل زدن فرمود ، پس بسا تعجب وقتیکه ابوبکر طلب اقاله و فسخ نمود خلافت را در حال حیات خود و هنگامیکه عقد کرد آن را بجهت دیگری که آن عمر است تا آنکه بوده باشد او را بعد از مردن او بخداوند قسم هر آینه سخت شد گرفتن ابوبکر و عمر هر یکی يك نصف خلافت را یا اینکه گرفتن ایشان جانب هر دو پستان آن را ، و این کنایه است از اشتراك ایشان در قسمت منفعت و فواید خلافت همچنانکه دو نفر دوشنده دو پستان شتر بعد از دوشیدن نفع آنرا تقسیم مینمایند.

پس گردانید ابوبکر خلافت را در طبیعتی زبر و خشن که غلیظ بود جراحی که حاصل بود از آن طبیعت و درشت بود مس آن و بسیار بود بسر در آمدن او در احکام شرعیه و مسائل دینیه و عذرخواهی او از عثرات خود ، پس صاحب آن طبیعت با خشونت مثل سوار ناقه سرکش است اگر سر آن ناقه را با افسار و خرام نگه بدارد بینی خود را پاره مینماید ، و اگر رها کند و بحال خود فرو گذارد واقع میشود در مهالك و معاطب ، پس مبتلا شدند مردم قسم ببقای خدا بانداختن خود در غیر طریق قویم و برمیدن از صراط مستقیم و بتلون مزاج و بسیر نمودن در عرض طریق ، پس صبر نمودم مرتبه دوم بر درازی روزگار اعتزال ، و سختی اندوه و ملال .

الفصل الثالث

حَتَّى إِذَا مَضَىٰ لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي سِتَّةِ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ ، فَيَا لَلَّهِ وَاللِّشُّورَى
مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِي مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أَقْرَنُ إِلَى هَذِهِ
النَّظَائِرِ ، وَلَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسْفُؤُوا ، وَطَرْتُ إِذْ طَارُوا ، فَصَنَى رَجُلٌ
مِنْهُمْ لَضِغْنِهِ ، وَمَالَ الْآخِرُ لِصَهْرِهِ ، مَعَ هُنِ وَهَنِ .

اللفظة

(الزَّعَم) مثلثة الفاء الفتح للحجاز والضم للأسد والكسر لبعض قيس و هو
قريب من الظن ، وقال المرزوقي : أكثره يستعمل فيما كان باطلاً أو فيه ارتياب ،
وقال ابن الأثير : إنما يقال : زعموا في حديث لا سند له ولا ثبت فيه ، وقال
الزمخشري : هي ما لا يوثق به من الأحاديث و (الشُّورَى) اسم من تشاور القوم
واشتوروا ، و قيل : إنه مصدر كبشري بمعنى المشورة والأول أظهر و (اعترض) الشسيء
إذا صار عارضاً كالخشبة المعترضة في النهر و (أقرن) على لفظ المجهول أى أجعل
قريباً لهم و يجمع بينى و بينهم و (أسف) الطائر إذا دانا من الأرض في طيرانه وأسفَّ
الرجل للأمر إذا قاربه و (طرت) أى ارتفعت استعمالاً للكناية فى أكمل الأفراد
و (صغى) إلى كذا مال إليه وصغت النجوم مال إلى الغروب و (الضغنى) المحقد
و البغض .

و (الصهر) قال الخليل : هو أهل بيت المرأة ، قال : و من العرب من يجعل
الأحماء والاختان جميعاً أصهاراً ، وقال الأزهري : الصهر يشتمل على قرابات
النساء ، ذوي المحارم و ذوات المحارم كالأبوين و الاخوة و اولادهم و الأعمام
و الأخوال و الخالات ، فهؤلاء أصهار زوج المرأة ، و من كان من قبل الزوج من ذوي قرابته
المحارم فهم أصهار المرأة أيضاً ، وقال ابن السكيت كل من كان من قبل الزوج من
أبيه أو أخته أو عمته فهم الأحماء ، و من كان من قبل المرأة فهم الأختان و يجمع

الصنفين الأصهارو (هن) خفيف النون كناية عن كل اسم جنس ومعناه شيء، ولاهما محذوفة فالمعروف أنها واو بدليل جمعها على هنوات، وقيل: هي هاء لتصغيره على هنية، وقيل: نون والأصل هن بالتثنية والتصغير هين، وقال نجم الأئمة الرضي^٣: الهن الشيء المنكر الذي يستهجن ذكره من العورة والفعل القبيح وغير ذلك.

الاعراب

اللام في لله مفتوحة لدخولها على المستغاث ادخلت للدلالة على الاختصاص بالنداء للاستغاث، وفي قوله للشورى مكسورة لدخولها على المستغاث لأجله قال الشاعر:

بيكيك ناه بعيد الدار مقرب يا للكهول وللشبان للعجب

فتح لام الكهول وكسر لام العجب وكسرها في للشبان لكونه معطوفاً على المستغاث من غير إعادة حرف النداء ولواعدت فتحت قال الشاعر:

بالقومي ويا لامثال قومي لاناس عتوهم في ازدياد

والواو في قوله: وللشورى إما زائدة أو عاطفة على محذوف مستغاث له أيضاً كما ستعرفه في بيان المعنى.

المعنى

(حتى إذا مضى) الثاني (لسبيله) و مات و ذلك بعد ما غضب الخلافة عشر سنين و ستة أشهر على ما حكاه في البحار من كتاب الاستيعاب و ستعرف تفصيل الكلام في كيفية موته و تعيين يوم موته في التذنيبات الآتية ، وكيف كان فانه لما أراد الله أن يقبضه إلى ما هيأه من أليم العذاب (جعلها في ستة) نفر و في بعض النسخ في جماعة (زعم أنني أحدهم) و في تلخيص الشافعي زعم أنني سادسهم وهؤلاء الجماعة هم : أمير المؤمنين عليه السلام و عثمان و طلحة و الزبير و سعد بن أبي وقاص و عبد الرحمن ابن عوف، هذا هو المعروف و قيل : إنهم خمسة ، قال الطبري : لم يكن طلحة ممن ذكر في الشورى ولا كان يومئذ بالمدينة ، و عن أحمد بن أعثم لم يكن بالمدينة ، فقال عمر : انتظروا لطلحة ثلاثة أيام فان جاء وإلا اختاروا رجلا من الخمسة .

(فيالله) أنت الناصر والمعين والمغيث أستغيث بك لما أصابني عنه أولنواب
الدهر عامة (و للشورى) خاصة والاستغاثة للتألم من الاقتران بمن لا يدانيه في
الفضائل ولا يقارنه في الفواضل ولا يستأهل للخلافة ولا يليق بالولاية ، و لذلك أتبعه
ﷺ بالاستفهام على سبيل الانكار والتعجب بقوله:

(متى اعترض الرب في مع الأول منهم) يعنى متى صار الشك عارضاً
لأذهانهم في بمساوات أبي بكر (حتى صرت أقرن) أى أجعل قرينا (إلى هذه
النظائر) الخمسة أو الأربعة و يجمع عمر بيني و بينهم و يجعلهم نظائر لي مع كونهم
أدنى من الأول رتبة و أخس منزلة فكيف بقياسهم إلى و تناظرهم (١) بي (ولكني
أسففت) مع القوم (إذ أسفوا و طرت) معهم (إذ طاروا) يعنى أنني تابعتهم تقيّة
و جريت معهم على ماجرهما و دخلت معهم في الشورى مع أنهم لم يكونوا نظراً
لي و تركت المنازعة من حيث اقتضآ، المصلحة (فصغى) و مال (رجل منهم) من الحق
إلى الباطل (لضعفه) وحقده الذي كان في صدره.

والمراد بذلك الرجل على ما ذكره القطب الراوندي والشارح البحراني
والمحدث الجزائري وغيرهم هو سعد بن أبي وقاص اللعين ، و سبب ضعفه على ما
ذكره الراوندي هو أنه رضي الله عنه قتل أباه يوم بدر ، و قال سعد أحد من تخلف عن
بيعة أمير المؤمنين رضي الله عنه عند رجوع الأمر إليه، إلا أن الشارح المعتزلي أورد عليه بأن
أبا وقاص و اسمه مالك بن اهيب مات في الجاهلية حنف أنفه ، و قال : إن المراد
به طلحة و علل ميله عنه رضي الله عنه بقوله : و إنما مال طلحة إلى عثمان لانحرافه عن
علي رضي الله عنه باعتبار انه تيممي و ابن عم أبي بكر ، وقد كان حصل في نفوس بني هاشم
من بني تيم حنق شديد لأجل الخلافة وكذلك صار في صدور تيم علي بني هاشم، و هذا
أمر مركوز في طباع البشر وخصوصا طينة العرب و طباعها و التجربة إلى الآن بتحقيق ذلك.
قال : و أما الرواية التي جاءت بأن طلحة لم يكن حاضراً يوم الشورى فان
صححت فذوالضعف هو سعد بن أبي وقاص لأن أمه حمنة بنت سفيان بن امية بن

عبد شمس ، والضغنة التي كانت عنده على علي عليه السلام من قبل أخواله الذين قتل سناريدهم و تقلد دمائهم ولم يعرف أن علياً عليه السلام قتل أحداً من بني زهرة لينسب الضغن إليه (و مال الآخر) و هو عبدالرحمن بن عوف (لصهره) و هو عثمان والمصاهرة بينهما من جهة أن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت تحتها وهي أخت عثمان من أمه وروى بنت كرزو هذا الميل أيضاً لم يكن لمجرد المصاهرة ومحض القرابة بل (مع هن وهن) أى مع شيء و شيء قبيح يستهجن ذكره ، و هو البغض والحسد منه له عليه السلام أو نفاسته عليه أو رجائه وصول الخلافة بعد عثمان إليه أو انتفاعه بخلافته بالانتساب و اكتساب الأموال والترفع على الناس والاستطالة أو غير ذلك مما هو عليه السلام أعلم به و كنى عنه.

و ينبغي التذليل بامور : الاول

كيفية قتل عمر و قاتله ، و يوم قتله .

اما الاول فقاتله أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة ، روى المحدث المجلسي (ره) في البحار من مؤلف العداد القوية نقلا من كتب المخالفين والجزائري في الأنوار من كتاب الاستيعاب لابن عبدالبر من رجال العامة قال : ذكر الواقدي قال : أخبرني نافع عن أبي نعيم عن عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال : غدوت مع عمر بن الخطاب الى السوق و هو متسكى على يدي فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال له : ألا تكلم مولاي بضع عني من خراجي ؟ قال : كم خراجك ؟ قال : دينار فقال عمر : ما أرى أن أفعل انك لعامل محسن و ما هذا بكثير ، ثم قال له عمر : ألا تعمل لي رحي ؟ قال : أبو لؤلؤة : لأعملن لك رحي يتحدث بها ما بين المشرق والمغرب ، قال ابن الزبير : فوقع في نفسي قوله ، قال : فلما كان في النداء لصلاة الصبح و خرج عمر إلى الناس قال ابن الزبير : و أنا في مصلاي وقد اضطجع له أبو لؤلؤة فضربه بالسكين ست طعنات إحديهن تحت سرتة و هي قتلته ، قال في البحار : و جاء بسكين له طرفان فلما خرج عمر خرج معه ثلاثة عشر رجلا في المسجد ، ثم أخذ ، فلما أخذ قتل نفسه .

ومن كتاب الاستيعاب أيضاً أن عمر لما ضربه أبو لؤلؤة بالسكين في بطنه قال: ادعوا لي الطيب، فدعى الطيب، فقال: أي الشراب أحب إليك؟ فقال: النبيذ فسقى نبيذاً فخرج من بعض طعناته فقال الناس: هذا دم هذا صديد، فقال: اسقوني لبناً، فسقوه لبناً فخرج من الطعنة، فقال له الطيب: لا أرى أن تمسى فما كنت فاعلاً فافعل، وتمام الخبر مذكور في الشنورى، قال بعض أصحابنا: ولقد كان يحب أن يلقى الله سبحانه و بطنه الممزوق ممتلى من الشراب فانظروا بسا أولى الأبواب.

واما الثاني فالمشهور بين العلماء أن قتله كان في ذي الحجة وهو المتفق عليه بين العامة، ولكن المشهور بين العوام في الأقطار والامصار هو أنه في شهر ربيع الأول قال الكفعمي في المصباح في سياق أعمال شهر ربيع الأول: إنه روى صاحب مسار الشيعية أنه من أنفق في اليوم التاسع منه شيئاً غفر له ويستحب فيه إطعام الاخوان، وتطيبهم والتوسعة والنفقة و لبس الجديد والشكر والعبادة وهو يوم نفى الغموم و روي أنه ليس فيه صوم و جمهور الشيعية يزعمون أن فيه قتل عمر بن الخطاب وليس بصحيح.

قال محمد بن ادريس في سرائره من زعم أن عمر قتل فيه فقد أخطأ باجماع أهل التواريخ والسير، وكذلك قال المفيد (ره) في كتاب التواريخ و إنما قتل يوم الاثنين لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث و عشرين من الهجرة نص على ذلك صاحب الغرة وصاحب المعجم و صاحب الطبقات و صاحب كتاب مسار الشيعية وابن طاوس بل الاجماع حاصل من الشيعية و أهل السنة على ذلك انتهى.

أقول: قد عرفت أن المشهور بين جمهور الشيعية هو أنه في شهر ربيع فدعوى الاجماع على كونه في ذي الحجة ممنوعة و يدل على ذلك ما رواه في الأنوار من كتاب محمد بن جرير الطبري قال: المقتل الثاني يوم التاسع من شهر ربيع الأول أخبرنا الأمين السيد أبوالمبارك أحمد بن محمد بن أردشير الدستاني قال: أخبرنا السيد أبو البركات محمد الجرجاني، قال: أخبرنا هبة الله القمي

و اسمه يحيى ، قال : حدّثنا أحمد بن إسحاق البغدادي ، قال : حدّثنا الفقيه الحسن ابن الحسن السّامري أنّه قال : كنت أنا و يحيى بن أحمد بن جريح ، فقصدنا أحمد ابن إسحاق القمي و هو صاحب الامام العسكري عليه السلام بمدينة قم ، فقررنا عليه الباب فخرجت علينا من داره صبيّة عراقية فسألناها عنه ، فقالت : هو مشغول و عياله فانه يوم عيد ، قلنا : سبحان الله الأعياد عندنا أربعة : عيد الفطر و عيد الضحى التحر و الغدير و الجمعة ، قالت : روي سيدي أحمد بن إسحاق عن سيده العسكري عن أبيه علي بن محمد عليهم السلام أنّ هذا يوم عيد و هو خيار الأعياد عند أهل البيت عليهم السلام و عند مولاهم ، قلنا : فاستأذني بالدخول عليه و عرفني بمكاننا ، قال : فخرج علينا و هو متزّر بدتزرله و محتبي بكسائه يمسح وجهه ، فأنكرنا عليه ذلك ، فقال : لاعليكما إنني كنت أغتسل للعيد فان هذا اليوم «عيدظ» و هو اليوم التاسع من شهر ربيع الأوّل فدخلنا داره و أجلسنا على سريره .

ثم قال : إنني قصدت مولاي أبا الحسن العسكري عليه السلام مع جماعة من إخواني في مثل هذا اليوم و هو اليوم التاسع من ربيع الأوّل فرأينا سيدينا قد أمر جميع خدمه أن يلبس ما يمكنه من الثياب الجدد و كان بين يديه مجرة يحرق فيها العود ، قلنا يا بن رسول الله عليه السلام : هل تجد في هذا اليوم لأهل البيت عليهم السلام فرحاً ؟ فقال عليه السلام : و أيّ يوم أعظم حرمة من هذا اليوم عند أهل البيت و أفرح ؟

وقد حدّثني أبي عليه السلام أنّ حذيفة (رض) دخل في مثل هذا اليوم و هو اليوم التاسع من ربيع الأوّل على رسول الله عليه السلام ، قال حذيفة : فرأيت أمير المؤمنين مع ولديه الحسن و الحسين مع رسول الله صلوات الله عليه و عليهم ياكلون و الرسول يتبسم في وجوههما و يقول كلاهنياً مريئاً لكما ببركة هذا اليوم و سعادته فانه اليوم الذي يقبض الله فيه عدوه و عدو كما و عدو جد كما و يستجيب فيه دعاء أمكما ، فانه اليوم الذي يكسر فيه شوكة مبغض جد كما و ناصر عدو كما ، كلا فانه اليوم الذي يفقد فيه فرعون أهل بيتي و هامانهم و ظالمهم و غاصب حقهم ، كلا فانه اليوم الذي يفرح الله فيه قلبكما و قلب أمكما .

قال حذيفة: فقلت يا رسول الله في أمّتك وأصحابك من يهتك هذا الحرم؟
قال رسول الله ﷺ: جبت من المنافقين يظلم أهل بيتي ويستعمل في أمّتي الرّيا
و يدعوهم إلى نفسه و يتطاول على الامّة من بعدي و يستجلب أموال الله من غير حله
و ينفقها في غير طاعته و يحمل على كتفه درّة الخزى و يضلّ الناس عن سبيل الله
و يحرف كتابه و يغيّر سنتي و يغصب ارث ولدي و ينصب نفسه علما و يكذبني
و يكذب أخي و وزيرني و وصيي و زوج ابنتي و يتغلب على ابنتي و يمنعها حقها
و تدعو فيستجاب الله لها الدّعاء في مثل هذا اليوم.

قال حذيفة (رض): قلت: يا رسول الله ادع الله لي لئلا يهلكني في حياتك قال: يا
حذيفة لا أحب أن أجتري على الله عزّ وجلّ لما قد سبق في علمه لكنني سألت الله
تعالى أن يجعل اليوم الذي يقبضه فيه إليه فضيلة على سائر الأيام و يكون ذلك سنة
يستن بها أحبائي و شيعة أهليتي و محبيهم، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى:

فقال: يا محمد إنه قد سبق في علمي أن يمسك و أهل بيتك محن الدنيا و بلائها
و ظلم المنافقين و المعاندين من عبادي ممن نصحتهم و خانوك و محضتهم و غشوك
و صافيتهم و كاشحوك و أوصلتهم و خالفوك و أوعدتهم و كذبوك، فأنني بحولي
و قوتني و سلطاني لأفتح على روح من بغض «بغض خ» بعدك علياً حقّه و صيك
و ولي خلقي «من العذاب الاليم خ» ألف باب من النيران من سفال القيلوق،
ولا وصلته و أصحابه قعراً يشرف عليه إبليس لعنه الله فيلعنه، ولا جعلن ذلك المنافق
عبرة في القيامة مع فراعنة الانبياء و أعداء الدين في المحشر، و لاحشرتهم و أوليائهم
و جميع الظالمة و المنافقين في جهنم و لاد خلنهم «ولا خلدنهم خ ك» فيها أبدالاً بدين.

يا محمد أنا أنتقم من الذي يجتري عليّ و يبدل كلامي و يشرك بي و يصدّ الناس
عن سبيلي و ينصب نفسه عجلاً لامتك و يكفر بي، إنني قد أمرت سبع سماوات من
شيعتكم و محبيكم أن يتعيّدوا في هذا اليوم (١) الذي أقبضه إلى فيه و أمرتهم أن

(١) هكذا في النسخة و الظاهر سقوط لفظ «ملائكة» قبل قوله: سبع سماوات و مع ذلك لا

يفهم المقصود و لعل في لفظ الحديث تقدماً و تأخيراً و المراد: اني امرت ملائكة سبع سماوات
أن يجعلوا هذا اليوم عيداً لشيعتكم و محبيكم. «المصحح»

ينصبوا كراسي كرامتي بازاء البيت المعمور و يشنوا علي و يستغفروا لشيعتكم من ولد آدم .

يا محمد و أمرت الكرام الكائين ان يرفعوا القلم عن الخلق « كلهم خ » ثلاثة أيام من أجل ذلك اليوم ولا أكتب عليهم شيئاً من خطاياهم كرامة لك و لوصيك .

يا محمد إنني قد جعلت ذلك عيداً لك و لأهل بيتك وللمؤمنين من شيعتك، وآيت علي نفسي بعزتي و جلالتي و علوي في رفيع مكاني إن من وسع في ذلك اليوم علي عياله و أقاربه لأزيدن في ماله و عمره و لأعتقه من النار و لأجعلن سعيه مشكوراً و ذنبه مغفوراً ، و أعماله مقبولة ، ثم قام رسول الله ﷺ فدخل بيت أم سلمة فرجعت عنه و أنا غير شاك في أمر الشيخ الثاني حتى رأته بعد رسول الله ﷺ قد فتح الشر و أعاد الكفر و الارتداد عن الدين و حرّف القرآن .

وفي البحار من كتاب الاقبال لابن طلاس بعد ذكر اليوم التاسع من ربيع الأول: اعلم أن هذا اليوم وجدنا فيه رواية عظيم الشأن و وجدنا جماعة من العجم و الاخوان يعظمون السرور فيه و يذكرون أنه يوم هلاك من كان يهون بالله جل جلاله و رسوله و يعاديه، ولم أجد فيما تصفحت من الكتب إلى الآن موافقه اعتماد عليها للرواية التي رويناها عن ابن بابويه تغمده الله رضوانه، فان أراد أحد تعظيمه مطلقاً لسر يكون في مطاويه غير الوجه الذي يظهر فيه احتياطاً للرواية فهكذا عادة ذوي الدراية ، و إن كان يمكن تأويل مارواه أبو جعفر بن بابويه في أن قتل من ذكر كان في تاسع ربيع الأول لعل معناه أن السبب الذي اقتضى قتل المقاتل على قتله كان في ذلك اليوم ، و يمكن أن يسمي مجازاً سبب القتل بالقتل، أو يكون توجه القاتل من بلده في ذلك اليوم ، أو وصول القاتل إلى مدينة القتل فيه ، و أمّا تأويل من تأول أن الخبر وصل إلى بلد ابن بابويه فيه فلا يصح ، لأن الحديث الذي رواه ابن بابويه عن الصادق عليه السلام تضمن أن القتل في

ذلك اليوم فكيف يصحُّ هذا التاويل .

قال : في البحار بعد حكايته ذلك : و يظهر منه و رود رواية اخرى عن الصادق عليه السلام بهذا المضمون رواها الصدوق ، و يظهر من كلام خلفه (١) الجليل و رود عدة روايات دالة على كون قتله في ذلك ، فاستبعاد ابن إدريس و غيره رحمة الله عليهم ليس في محله ، إذ اعتبار تلك الروايات مع الشهرة بين أكثر الشيعة سلفاً و خلفاً لا يقصر عما ذكره المورخون من المخالفين ، و يحتمل أن يكونوا غيروا هذا اليوم ليشبه الأمر على الشيعة فلا يتخذوه يوم عيد و سرور .

فان قيل : كيف اشتبه هذا الأمر العظيم بين الفريقين مع كثرة الدواعي على ضبطه و نقله .

قلنا : نقلب الكلام عليكم مع أن هذا الأمر ليس بأعظم من وفات رسول الله ﷺ مع أنه وقع الخلاف فيه بين الفريقين بل بين كل منهما مع شدة تلك المصيبة العظمى و ما استتبعه من الدواهي الأخرى مع أنهم اختلفوا في يوم القتل و إن اتفقوا في كونه ذي الحجة ، و من نظر في اختلاف الشيعة و أهل الخلاف في أكثر الامور التي توفرت الدواعي على نقلها مع كثرة حاجة الناس إليها كالأذان و الوضوء و الصلاة و الحج و تأمل فيها لا يستبعد أمثال ذلك ، و الله أعلم بحقايق الامور .

الثاني

في ذكر أخبار الشورى من طرق العامة فأقول : روى في البحار عن ابن الأثير في الكامل والطبري عن شيوخه بطرق متعددة أنه لما طعن أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب و علم أنه قد انقضت أيامه و اقترب أجله ، قال له بعض أصحابه : لو استخلفت يا أمير المؤمنين ، فقال : لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته و قلت لربي إن سألتني : سمعت نبيك يقول : أبو عبيدة امين هذه الامة ، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته

وقلت لرَبِّي إن سألني : سمعت نبيك يقول : إن سالماً شديد الحب لله فقال رجل : ولَّ عبدالله بن عمر ، فقال : قاتلك الله ، والله ما أردت الله بهذا ، وبعك كيف استخلفت رجلاً عجز عن طلاق امرأته .

و في شرح المعتزلي أن عمر لما طعنه أبولؤلؤة و علم أنه ميت استشار فيمن يوليهِ الأمر بعده فأشير إليه بابنه عبدالله فقال لاهاء (١) الله لا يليها رجلاً من ولد الخطاب حسب عمر ما حمل حسب عمر ما احتقبت (٢) لاهاء الله ، لا تحمأها حياؤه ميتنا ، ثم قال : إن رسول الله ﷺ مات و هو راض عن هذه الستة من قريش : علي و عثمان و طلحة و الزبير و سعد و عبدالرحمن بن عوف ، و قد رأيت أن أجعلها شوري بينهم ليختاروا لأنفسهم ، ثم قال : إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني أبا بكر و إن أترك فقد ترك من هو خير مني يعني رسول الله ، ثم قال : ادعهم لي ، فدعهم فدخلوا عليه و هو ملقى على فراشه و هو يجود بنفسه ، فنظر إليهم فقال : أكلكم يطمع في الخلافة بعدي ؟ فوجموا (٣) فقال لهم : ثانية فأجابهُ الزبير و قال : و ما الذي يبعدنا منها وليتها أنت فقامت بها و لسنادونك في قريش ولا في السابقة و القرابة .

قال السَّارح قال الشيخ أبو عثمان الجاحظ : والله لولا علمه أن عمر يموت في مجلسه ذلك لم يقدم على أن يفوه من هذا الكلام بكلمة ولا أن ينبس (٤) منه لفظ ، فقال عمر : أفلا أخبركم عن أنفسكم ؛ قالوا : قل فاننا لو استعفيناك لم تعفنا ، فقال : أما أنت يا زبير فوعقة (٥) لقس (٦) مؤمن الرضى كافر الغضب ، يوماً إنسان و يوماً شيطان ، و لعلها الوأفضت إليك ظلَّت قومك تلاطم بالبطحاً ، على مد من شعير ،

١- قال في القاموس ها تكون للتنبية ويدخل على اربعة الى ان قال الرابع اسم الله في القسم عند حذف الحرف يقال هاهنا بقطع الهمزة و وصلها و كلاهما مع اثبات الفها و حذفها انتهى

٢- واحتقبت واستحقبت ادخره ق

٣- وجم وجماً ووجو ماسكت على غيظ والشيء كرهه .

٤- نبس ينبس نبسا تكلم فاسرع ق

٥- رجل وعق كمدل ووعقة كصخرة شرس سبي ، الغلق ضجر متبرم وبه وعقة شراسة

ووعقت على بارجل عجلت ما اوعقتك اعجلك ، قاموس

٦- لست نفسه الى الشيء ، نازت اليه وحرصت عليه والرجل لفسر و قبل لفت حبث

و عن ابي زيد اللقب هو الذي يلقب انسان ويسخر منهم فايق اللغة

أفرايت إن أفضت إليك فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطاننا و من يكون يوم تغضب إماماً ، و ما كان الله ليجمع لك أمر هذه الامة و أنت على هذه الصفة .

ثم أقبل على طلحة و كان له مبغضاً منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قال فسي عمر ، فقال له : أقول أم أسكت ؟ قال : قل فانك لاتقول من الخير شيئاً ، قال : أما أني أعرفك منذ اصببت إصبعك يوم احد والبياد (١) الذي حدث لك ، لقدعات رسول الله ﷺ ساخطاً عليك للكلمة (٢) التي قلتها يوم انزلت آية الحجاب .

قال الشارح : قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ : الكلمة المذكورة أن طلحة لما انزلت آية الحجاب قال بمحضر ممن نقل عنه الى رسول الله ﷺ : ما الذي يغنيه حجابهن اليوم سيموت غداً فننكهن ، قال : قال أبو عثمان أيضاً : لوقال لعمر قائل أنت قلت : إن رسول الله ﷺ مات وهو راض عن الستة فكيف تقول الآن لطلحة إنه ﷺ مات ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها ، لكان قد رماه بمشاقصة (٣) ولكن من الذي كان يجسر على عمر أن يقول له : ما دون هذا فكيف هذا ؟

ثم أقبل على سعد بن أبي وقاص فقال : أما أنت صاحب مقنب (٤) من هذه المقانب تقاتل به و صاحب قنص (٥) و قوس وأسهم وما زهرة و الاخلافة و امور الناس ثم أقبل على عبدالرحمن بن عوف فقال : و أما أنت يا عبدالرحمن فلو وزن نصف ايمان المسلمين بايمانك لرجح ايمانك به ولكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك و ما زهرة و هذا الأمر

١ - الباد العجب والكبير وقد كانت اصيبت يده مع رسول الله (ص) وناه بها يوم احد فابق اللثة

٢ - روى المقسرون عن مقاتل قال قال حذجة بن عبيد الله لئن قبض رسول الله (ص) لانكحن عايشة بنت ابي بكر فنزلت و ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله و لان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا و في رواية علي بن ابراهيم ان طلحة قال لئن اقامت الله محمد النركضن بين خلايل نسائه كما ركض بين خلايل نساتنا منه

٣ - المشقق كثير نصل عربى او سهم فيه ذلك او نصل طويل او سهم فيه ذلك
٤ - المقنب من الغيل الاربعون والخمسون و في كتاب الفين زها ثلاثا معنى انه صاحب جيوش وليس يصلح لهذا الامر فابق
٥ - القس معركة الصيدق

ثم أقبل على علي عليه السلام فقال : لله أنت لولا دعاية (١) فيك أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء.

ثم أقبل على عثمان فقال هيباً (٢) إليك كأنني بك قد قلدتكم قريش هذا الأمر لحببها إياك فحملت بنى أمية و بنى أبي معيط على رقاب الناس و آثرتهم بالقيء فسارت فسارت ظم إليك عصا بقة من رابان (٣) ذو بان خ العرف فذبحك على فراشك ذبحاً والله لئن فعلوا لتفعلن و لئن فعلت ليفعلن ، ثم أخذ بناصيته فقال : فإذا كان ذلك فاذا كر قولتي فإنه كايين .

ثم قال : ادعوا لي أبا طلحة الأ نصاري فدعوه له فقال : انظر يا أبا طلحة إذا عدتم من حفرتي فكن في خمسين رجلا من الأ نصار حاملي سيوفكم فخذ هؤلاء النفر بامضاء الأمر و تعجيله و اجمعهم في بيت وقف بأصحابك على باب البيت ليتشاوروا و يختاروا واحداً منهم ، فان اتفق خمسة وأبي واحد فاضرب عنقه ، وإن اتفق أربعة و أبي اثنان فاضرب أعناقهما ، و إن اتفق ثلاثة و خالف ثلاثة فانظر الثلاثة التي فيها عبدالرحمن فارجع الى ما قد اتفقت عليه فان اصررت الثلاثة الأخرى على خلافها فاضرب أعناقها ، و ان مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا على أمر فاضرب أعناق الستة ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم .

فلما دفن عمر جمعهم أبو طلحة و وقف على باب البيت بالسيف في خمسين من الأ نصار حاملي سيوفهم ثم تكلم القوم و تنازعوا ، فأول ما عمل طلحة أنه أشهدهم على نفسه أنه قد وهب حقه من الشورى لعثمان ، و ذلك لعلمه أن الناس لا يعدلون به علياً و عثمان و أن الخلافة لا تخلص له و هذان موجودان ، فأراد تقوية أمر عثمان و إضعاف جانب علي عليه السلام ببهة أمر لا انتفاع ولا تمكن له منه ، فقال الزبير رضي عنهما معارضته و أنا أشهدكم على نفسي أنني قد وهبت حقي من الشورى لعلي عليه السلام ، و إنما فعل

١- الدعابة كمزاحة دعب يدعب كمزح يمزح و رجل دعب ، فايق اللفه

٢- الهبة من ينحى لدنس ثيابه و يقال لنسي . يطرد هيبه بالكسر قاموس .

٣- الراب سبعون من الابل والسيد الضخم قاموس

ذلك لأنه لما رأى علياً عليه السلام قد ضعفوا فخذل بهبة طلحة حقه لثمان دخلته حمية النسب ، لأنه ابن عمّة أمير المؤمنين عليه السلام وهي صفية بنت عبدالمطلب و أبوطالب خاله ، فبقي من الستة أربعة ، فقال سعد بن أبي وقاص : و أنا قد وهبت حقي من الشورى لابن عمي عبدالرحمن ، و ذلك لأنهما من بني زهرة و لعلم سعد أن الأمر لا يتم له .

فلما لم يبق إلا الثلاثة قال عبدالرحمن لعلي و عثمان : أيتكما يخرج نفسه من الخلافة و يكون إليه الاختيار في الانئين الباقيين ؟ فلم يتكلم منهما أحد ، فقال عبدالرحمن : إنني اشهدكم قد أخرجت نفسي من الخلافة على أن اختار أحدهما ، فأمسكاً ، فبده بعلي عليه السلام و قال له : أبايك على كتاب الله و سنة رسول الله و سيرة الشياخين أبي بكر و عمر ، فقال : بل على كتاب الله و سنة رسوله و اجتهاد رأيي ، فعدل عنه إلى عثمان فعرض ذلك عليه ، فقال : نعم ، فعاد إلى علي عليه السلام فأعاد قوله ، فعل ذلك عبدالرحمن ثلاثاً ، فلما رأى أن علياً غير راجع عما قاله و أن عثمان ينعم له بالاجابة صفق على يد عثمان ، و قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فيقال : إن علياً عليه السلام قال له : والله ما فعلتها إلا لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه ، دق الله بينكما عطر منشم (١) قيل : ففسد بعد ذلك بين عثمان و عبدالرحمن فلم يكلم أحدهما صاحبه حتى مات عبدالرحمن .

و قال الشارح أيضاً : لما بنى عثمان قصره طمارد الزوراء و صنع طعاماً كثيراً و دعا الناس إليه كان فيهم عبدالرحمن ، فلما نظر إلى البناء و الطعام قال : يا ابن عفان لقد صدقنا عليك ما كنا نكذب فيك و إنني أستعيز بالله من بيعتك ، فغضب عثمان و قال : أخرجه عني يا غلام ، فأخرجوه و أمر الناس أن لا يجالسوه فلم يكن يأتيه أحد إلا ابن عباس كان يأتيه فيتعلم منه القرآن و الفرائض ، و مرض عبدالرحمن فعاذه عثمان ،

١- منشم كقصد عطر شاق الدق او قرون السنبل سم ساعة و نبت الوجبه المطارة بركة و كانوا اذا ارادوا القتال و تطيبوا بطبيها كثر القتلى فقالوا اخام من عطر منشم قاموس

فكلمه ولم يكلمه حتى مات .

أقول : هذا مارواه الشارح المعتزلي في قضية الشورى و أتبعه بروايات أخرى لامهم في إطالة الكلام بذكرها ، وإنما المهم الإشارة إلى بعض ما يطعن به على عمر في هذه القضية من ابداعه في الدين وخروجه عن نهج الحق المبين و غير ذلك مما لا يخفى على أهل البصيرة واليقين :

منها مخاطبته القوم و مواجهتهم بمثل تلك الكلمات الكاشفة عن غلظ طبيعته و خشونة مسه و جفوته ، و ذلك شاهد صدق على ما ذكره عليه السلام سابقا بقوله : فصيها في حوزة خشنا ، يغلظ كلمها ويخشن مسها .

و منها خروجه في هذا الأمر عن النص والاختيار جميعاً .
و منها حصر الشورى في ستة و ذم كل واحد منهم بأن ذكر فيه طعناً لا يصلح معه الامامة ثم أهله بعد أن طعن فيه .

و منها نسبة الامام عليه السلام إلى الدعابة و المزاحه و هو افتراء عليه و ظلم في حقه ، و مثل ذلك زعم عمرو بن العاص و كذبه عليه السلام في بعض خطبه الآتية بقوله : تعجبا لابن النابغة يزعم أن في دعابة او أني امرء قلعابة إلى آخر ما يأتي و هو المختار الثالث و السمانون .

و منها جعل الأمر إلى ستة ثم إلى أربعة ثم إلى واحد و صفه بالضعف و القصور .
و منها ترجيح قول الذين فيهم عبدالرحمن لعلمه بأنه لا يكاد يعدل بالأمر عن ختنه و ابن عمه .

و منها إدخاله عثمان في الشورى مع دعواه العلم بظهور الفساد و القتل من خلافته و صرف مال الله في غير أهله كما يدل عليه قوله : والله لئن فعلوا لتفعلن .

و منها أمره بقتل الثلاثة الذين ليس فيهم عبدالرحمن لوأصر و على المخالفة و من المعلوم أن مخالفته لا يوجب استحقات القتل

و منها أمره بقتل الستة و ضرب أعناقهم إن مضت ثلاثة أيام و لم يتفقوا ، و من

الواضح أن تكليفهم إذا كان الاجتهاد في اختيار الامام فربما طال زمان الاجتهاد و ربما قصر بحسب ما يعرض فيه من العوارض ، وكيف يسوغ الأمر بالقتل إذ تجاوزت الثلاثة إلى غير هذه مما هي غير خفية على أهل البصيرة والمعرفة .

الثالث

في ذكر طائفة من الاحتجاجات التي احتج بها الامام عليه السلام في مجلس الشورى ومناشداته معهم وتعدد فضائله وذكر خصائصه ، وهي كثيرة روتها الخاصة والعامة في كتبهم ونحن نقصر على رواية واحدة.

وهو ما رواه الطبرسي في الاحتجاج عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال : إن عمرو بن الخطاب لما حضرته الوفاة وأجمع على الشورى بعث إلى ستة نفر من قريش : إلى علي بن أبي طالب عليه السلام و إلى عثمان ابن عفان و إلى زبير بن العوام و إلى طلحة بن عبيد الله و عبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبي وقاص ، و أمرهم أن يدخلوا إلى بيت ولا يخرجوا منه حتى يبايعوا لأحدهم فان اجتمع أربعة على واحد وأبي واحد أن يبايعهم قتل ، وإن امتنع اثنان و بايع ثلاثة قتل فاجمع رأيهم على عثمان.

فلما رأى أمير المؤمنين عليه السلام ما هم القوم به من البيعة لعثمان قام فيهم ليتخذ عليهم الحجة ، فقال عليه السلام لهم : اسمعوا مني فان يك ما أقول حقا فاقبلوا ، و إن يك باطلا فانكروه ثم قال عليه السلام : انشدكم « نشدتكم خ » بالله الذي يعلم صدقكم إن صدقتم و يعلم كذبكم إن كذبتم هل فيكم أحد صلى القبلتين ككثيما غيري ؟ قالوا : لا ، قال : نشدتكم بالله هل فيكم من بايع البيعتين ككثيما بيعة الفتح و بيعة الرضوان غيري ؟ قالوا : لا ، قال نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخوه المزيّن بالجناحين « يطير بهما في الجنة خ » غيري ؟ قالوا : لا ، قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد عمّة سيّد الشهداء غيري ؟ قالوا : لا ، قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد زوجة سيّدته نساء أهل الجنة غيري ؟ قالوا : لا . قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد ابناه ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وهما سيّد شباب

أهل الجنة غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد عرف الناسخ من المنسوخ في القرآن غيري؟ قالوا: لا.

قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد أذهب الله عنه الرجس و طهره تطهيراً غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد عابن جبرئيل في مثال رحية الكلبى غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد أدى الزكاة وهو راكم غيري؟ قالوا: لا، قال فانشدتم بالله هل فيكم أحد مسح رسول الله صلى الله عليه وآله عينيه وأعطاه الرأية يوم خيبر فلم يجد حرّاً ولا برداً غيري؟ قالوا: لا،

قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد نصبه رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدیر خم بأمر الله فقال: من كنت مولاه فعليّ مولا، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد أخو رسول الله في الحضر و رفيقه في السفر غيري؟ قالوا: لا.

قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد بارز عمرو بن عبدود يوم الخندق و قتله غيري؟ قالوا: لا، قال فانشدتم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلوات الله عليه وآله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي غيري؟ قالوا: لا.

قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد سماء الله تعالى في عشر آيات من القرآن مؤمناً غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد ناول رسول الله صلى الله عليه وآله قبضة من التراب فرمى بها في وجوه الكفار فانهمزوا غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد وقفت الملائكة يوم احد حتى ذهب الناس عنه غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد قضى دين رسول الله صلى الله عليه وآله غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد اشتاقت الجنة إلى رؤيته غيري؟ قالوا: لا.

قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد شهد وفات رسول الله صلى الله عليه وآله غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد غسل رسول الله صلى الله عليه وآله و كفنه غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد ورث سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله و رأيت و خاتمه

غيري؟ قالوا: لا،

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد جعل رسول الله ﷺ طلاق نساءه بيده
غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد حمله رسول الله ﷺ على ظهره حتى
كسر الأصنام على باب الكعبة غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد
نودي باسمه يوم بدر من السماء لاسيف إلا ذوالفقار ولا فتى إلا علي غيري؟
قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أكل مع رسول الله ﷺ من الطائر المشوي
الذي أهدي إليه غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله
ﷺ: أنت صاحب رابتي في الدنيا و صاحب لوائتي في الآخرة غيري؟ قالوا: لا؛
قال: فانشدتكم بالله هل فيكم أحد قدم بين يدي نجويه صدقة غيري؟ قالوا: لا، قال:
فانشدتكم بالله هل فيكم أحد خصف (١) نعل رسول الله ﷺ غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ، أنا أخوك وأنت
أخي غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتكم بالله هل فيكم أحد قل له رسول الله ﷺ
اللهم انتني بأحب خلقك الخلق خ، إلى وأقواهم بالحق غيري؟ قالوا: اللهم خ، لا
قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد استقى ماء دلو بمائة تمر وجاء بالتمر فأطعمه رسول
الله ﷺ وهو جايح غيري؟ قالوا: اللهم خ، لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد سلم عليه جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل
في ثلاثة آلاف من الملائكة كل واحد منهم في ألف من الملائكة خ، يوم بدر
غيري؟ قالوا: اللهم خ، لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد غمض عين رسول الله
ﷺ غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد وحدثه قبلي غيري؟ (٢)
قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد كان أول داخل على رسول الله ﷺ
و آخر خارج من عنده غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتكم بالله هل فيكم أحد مشى

١- خصف النمل بخصفها خرزها ق

٢- هكذا في النسخة والظاهر زيادته منه.

مع رسول الله فمرّ على حديقة فقال «قلت خ» ما أحسن هذه الحديقة ، فقال رسول الله ﷺ و حديقتك في الجنة أحسن من هذه الحديقة حتى إذا مرّ «مررت خ» على ثلاثة حدائق كل ذلك يقول رسول الله ﷺ حديقتك في الجنة أحسن من هذه غيري؟ قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : أنت أوّل من آمن بي وأوّل من بصافحني يوم القيامة غيري؟ قالوا : لا ، قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخذ رسول الله ﷺ بيده ويد امرأته وابنيه حين أراد أن يباهل نصارى نجران غيري؟ قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : أوّل طالع يطلع عليكم من هذا الباب يا أنس فأنه أمير المؤمنين وسيد المسلمين وخير الوصيين وأوّل الناس بالناس فقال أنس : اللهم اجعله رجلاً من الأنصار فكنت أنا الطالع فقال رسول الله ﷺ لا أنس : ما أنت بأوّل رجل أحبّ قومه غيري ؟ قالوا : لا ، قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية :

« إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . »

غيري ؟ قالوا : لا ، قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد أنزل الله فيه وفي ولده :
« إِنَّا لِلَّهِ رَاكِعُونَ وَمِنَّا مَن كَفَرَ » .

إلى آخر السورة غيري؟ قالوا : لا ، قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد أنزل الله فيه :
« أَجْمَعْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوِينَ عِنْدَ اللَّهِ »

غيري ؟ قالوا : لا ، قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد علمه رسول الله ﷺ ألف كلمة كل كلمة مفتاح ألف كلمة غيري؟ قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحدنا جاء رسول الله يوم الطائف فقال أبو بكر وعمر : ناجيت علياً دوننا ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ما انا ناجيته بل الله أمرني بذلك غيري ؟ قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد سقاه رسول الله ﷺ من المهراس (١) غيري ؟ قالوا : لا . قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله : أنت أقرب الخلق مني يوم القيامة يدخل بشفاعتك الجنة أكثر من عدد ربيعة و مضر غيري ؟ قالوا : لا ، قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : أنت تكسى حين اكسى غيري ؟ قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : أنت وشيعتك هم الفائزون يوم القيامة غيري ؟ قالوا : لا ، قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : كذب من زعم أنه يحبني و يبغض هذا غيري ؟ قالوا : لا ، قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : من أحب شعراتي «هذه» فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ، فقبل له : وما شعراتك يا رسول الله ؟ قال : علي والحسن والحسين و فاطمة غيري ؟ قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : أنت خير البشر بعد النبيين غيري ؟ قالوا : لا . قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : أنت الفاروق تفرق بين الحق و الباطل غيري ؟ قالوا : لا ، قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : أنت أفضل الخلائق عملاً يوم القيامة بعد النبيين غيري ؟ قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخذ رسول الله ﷺ كساء عليه و علي زوجته و علي ابنيه ثم قال : اللهم أنا و أهل بيتي إليك لا إلى النار غيري ؟ قالوا : لا ، قال : نشدتكم بالله هل فيكم أحد كان يبعث إلى رسول الله ﷺ الطعام وهو في

١- المهراس حجر منقور يدق فيه وبتوضأ منه ، ق

(١ مكرراً) المهراس صغيرة منقورة تسع كثير من الماء ، وقد يعمل منه حياض للماء ، نهايه .

الغار و يخبره بالأخبار غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: لاسر لله دونك غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت أخي ووزيري وصاحبي من أهلي غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت أقدمهم سلماً (١) وأفضلهم علماً و أكثرهم حلماً غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قتل مرحباً اليهودي مبارزة فارس اليهود غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد عرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام فقال له: أنظرني حتى ألقى والدي، فقال له رسول الله: يا علي فأنها أمانة عندك، فقلت: فان كانت أمانة عندي فقد أسلمت غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد احتمل باب خيبر حين فتحها فمضى به مائة ذراع ثم عالجه بعده أربعون رجلاً فلم يطيقونه غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد (٢) نزلت فيه هذه الآية:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ».

فكنت أنا الذي قدّم الصدقة غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: من سبّ علياً فقد سبني و من سبني فقد سب الله غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: منزلي مواجهمنزلك في الجنة غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: قاتل الله من قاتلك

١- السلم بفتح السين وكسرهما وهما لغة الصلح والسلم بفتح السين واللام الاستسلام والالتحاق

كقوله تعالى القوا اليكم السلم، نهاية

٢- هكذا في النسخة والظاهر انه غلط، منه.

٣ مكرر- الظاهر ان قبل نزلت لما ساقطة من النسخة، منه.

و عادي الله من عاداك غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد اضطلع على فراش رسول الله ﷺ حين أراد أن يسير إلى المدينة ووقاه بنفسه من المشركين حين أراد واقتله غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله أنت أولى الناس بأمّتي من بعدي غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت يوم القيامة عن يمين العرش والله يكسوك ثوبين أحدهما أخضرو الآخر وردي غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد صلى قبل الناس « مع رسول الله خ » بسبع ثنين و أشهر غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنا يوم القيامة آخذ بحجزة ربي والحجزة النور و أنت آخذ بحجزتي (١) وأهل بيتي آخذون بحجزتك غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت كنفسى وحبك حبي و بغضك بغضى غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: ولايتك كولايتى عهد عهده إلى ربي وأمرني أن ابلغكموه غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: اللهم اجعله لى عوناً و عضداً و ناصرأ غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: المال يعسوب الظلمة و أنت يعسوب (٢) المؤمنين غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: لا بعثن اليكم رجلاً امتحن الله قلبه للإيمان غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أطمعه رسول الله ﷺ رمانة وقال: هذه من رمان الجنة لا ينبغي أن يأكل منه إلا نبي أو وصي نبي غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: ما سألت ربي شيئاً إلا

١- بالحاء المهملة والجيم والزاء، حجرة الازار مقده و حجرة السراويل مجمع شده والجمع حجز

مثل غرفة و غرف نهاية

٢- يعسوب امير النحل و منه قيل للسيد يعسوب قومه، ص

أعطانيه ولم أسأل ربي شيئاً إلا سألت لك مثله غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت أقومهم بأمر الله و أوفاهم بعهد الله واعلمهم بالقضية و أقسمهم بالسوية و أعظمهم عند الله مزية غيري؟ قالوا: لا .

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: فضلك على هذه الأمة كفضل الشمس على القمر و كفضل القمر على النجوم غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يدخل الله وليك الجنة وعدوك النار غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: الناس من أشجار شتى و أنا و أنت من شجرة واحدة غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيد ولد آدم و أنت سيد العرب و العجم خ و لافخر غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد رضى الله عنه في الآيتين من القرآن غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: موعداك و موعدي و موعد شيعتك الحوض إذا خافت الامم و وضعت الموازين غيري؟ قالوا: لا .

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم اني احبته فأحبهه اللهم اني أستودعك غيري؟ قالوا: لا؛ قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت تحتاج الناس فتحبهم باقام الصلاة و ايتاء الزكاة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و إقامة الحدود و القسم بالسوية غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيده يوم بدر (١) «غدير خ» فرفعا حتى نظر الناس إلى بياض ابطيه و هو يقول: ألا إن هذا علي بن أبي طالب أخي و ابن عمي و وزيرى فوازدوه و ناصحوه و صدقوه فهو وليكم غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية:

« وَ يُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحًّا

نَفْسِهِ فَأَوْلَسِيكَ ثُمَّ الْمُفَاحُونَ».

غيري؛ قالوا: لا، قال: فهل فيكم أحد كان جبرئيل أحد ضيفانه غيري؟ قالوا: لا، قال: فهل فيكم أحد أعطاه رسول الله ﷺ حنوطاً من حنوط الجنة ثم قال: اقسمه أنلانا ثلثاً لي تخنطني به وثلثاً لابنتي وثلثاً لك غيري؛ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد كان إذ ادخل على رسول الله ﷺ حياها وأدناه ورحب به و تهلل له وجهه غيري؟ قالوا: لا، قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنا أفتخر بك يوم القيامة إذا افتخرت الأنبياء بأوصيائها غيري؛ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد سرحه (١) رسول الله ﷺ بسودة براءة إلى المشركين من أهل مكة بأمر الله غيري؟ قالوا: لا، قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: إني لأرحمك من ضغائن في صدور أقوام عليك لا يظهر ونهاحتسى يفقدوني فاذا فقدوني خالفوا فيها غيري؛ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أدى الله (٢) عن أمانتك أدى الله عن ذمتك غيري؛ قالوا: لا قال: نشدتم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت قسيم النار تخرج منها من زكى و تذر فيها كل كافر غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد فتح حصن خيبر و شبي بنت مرحب فأدأها إلى رسول الله غيري؟ قالوا: لا، قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: ترد على الحوض أنت و شيعتك رؤاه مرويين مبيضة وجوههم و يرد على عبدوك ظمأ مظميين مقمحين (٣) مسودة وجوههم غيري؛ قالوا: لا.

ثم قال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: أما إذا أقرتم على أنفسكم واستبان لكم ذلك

١- سرحت فلانا الى موضع كذا ارسلته، م

٢- قال تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها، منه

٣- في حديث على «ع» قال له النبي «ص» ستقدم على الله انت و شيعتك راضين ومرضيين و يقدم عليك عدوك غضا با مقمحين ثم جمع يده الى عنقه يراهم كيف الاقماح رفع الراس و غضى البصر يقال اقمحه الغل اذا ترك راسه مرفوعا من سيفه و منه قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون نهايه

من قول نبيكم فعليكم بتقوى الله وحده لا شريك له ، و أنهاكم من سخطه و غضبه ولا تعصوا أمره ، وردوا الحق إلى أهله و اتبعوا سنة نبيكم فانكم إن خالفتم خالفتم الله ، فادفعوها إلى من هو أهله وهي له ، قال : فتغامزوا فيما بينهم وتشاوروا وقالوا : قد عرفنا فضله و علمنا أنه أحق الناس بها ، ولكنه رجل لا يفضل أحداً على أحد ، فان وليتموها إياه جعلكم و جميع الناس فيها شرعاً سواء ، ولكن ولوها عثمان فإنه يهوى الذي تهوون فدفعوها إليه .

الترجمة

تا هنگامی که در گذشت عمر براه خود و جان بمالکان دوزخ سپرد گردانید خلافترا در شش نفر گمان نمود که من یکی از ایشان ، پس خداوند بفریاد من برس از برای شوری ، چگونه شك عارض شد بمردم در شأن من با اول ایشان که ابوبکر بود تا این که گشتم مقرون به امثال این اشخاص ، ولكن بجهة اقتضاء مصلحت مدارا کردم من با ایشان و نزدیک شدم بزمین در طیران هنگامی که ایشان نزدیک شدند ، و طیران کردم وقتی که ایشان طیران کردند ، پس میل کرد یکی از ایشان از من بجهة حقد و حسد که آن سعد و قاص بود یا طلحه ، و میل کرد دیگری از آنها بسوی قرابت زن خود و آن عبدالرحمن بن عوف بود که میل نمود بعثمان بجهة آنکه برادر زن او بود ، و تنها میل آن بسوی او بجهة مصاهرت و قرابت نبود بلکه با شیء قبیح و شیء قبیح که آن بغض و عداوت امیر المؤمنین علیه السلام بود ، یا طمع در وصول خلافت باو بعد از انقضای ایام عثمان یا سایر اغراض نفسانیه که اظهار آن قبیح و ذکر آن مستهجن است .

الفصل الرابع

إلى أن قام ثالثُ القومِ نافجاً حُضْنِهِ بَيْنَ نَيْبِهِ وَمُعْتَابِهِ ، وَقَامَ مَعَهُ
بَنُو أَبِيهِ يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ تَعَالَى خَضْمَ الْأَيْلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ ، إِلَى أَنْ أَنْتَكَّتْ

عَلَيْهِ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَّتْ بِهِ بَطْنَتُهُ.

اللغة

(النَّفِج) بالجيم الرَّفَع يقال نفج الثدى الثوب أى رفعه و(الحضن) الجنب وما بين الابط والكشح يقال للمتكبر جاء نافجاً حضنيه ولمن امتلاء بطنه من الأكل جاء نافجاً حضنيه ، والأنسب في المقام الثاني تشبيهاً بالبعير المنتفج الجنين من كثرة الأكل (النثيل) الروث وفي رواية الصدوق بين ثيله كذا وهو بالكسر وعاء القضيبي أو نفسه و (المعتلف) موضع الاعتلاف وهو أكل الدابة العلف و (الخضم) الأكل بجميع الفم و يقابله القضم وهو الأكل باطراف الأسنان ، يقال خضم الشيء كعلم و ضرب أكله بجميع فمه ، و عن النهاية الخضم الأكل بأقصى الأضراس ، والقضم بأدناها. و منه حديث أبي ذر (ره) و تأكلون خضماً و تأكل قضمأ ، و قيل : الخضم خاص بالشيء الرطب ، والقضم باليابس و (النبتة) بكسر النون النبت يقال : نبت الرطب نباتا و أنبته و (النكث) النقص يقال : نكث فلان العهد والحبل فانتكث نفسه فانتقض و (قتل) الحبل لواه و برمه و (الاجهاز) إتمام قتل الجريح و إسرعه و (كبا) الفرس يكبو سقط على وجهه و كبابه أسقطه و (البطنة) بالكسر الكظة و هو الامتلاء من الطعام والاسراف في الأكل.

الاعراب

بين نثيله و معتلفه متعلق بقام أى قام بين رونه و معتلف ، و جملة يخضمون منصوب المحل على الحالية .

المعنى

لما ذكر عنه خلافة الثاني و نبه على جعله الخلافة شورى بين الستة وأشار الى عدول بعض هؤلاء عن منهج الصواب ، أنبئه بما ترتب على ذلك و هو خلافة الثالث بقوله: (إلى أن قام ثالث القوم) والمراد بالقيام الحركة في تولي أمر الخلافة ،

و نالت القوم هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ، و كان أبوه عفان ممن يضرب بالدَّف و يتخنث به و يلعب ، رواه العلامة في كشف الحقّ و مؤلف كتاب إلزام النواصب عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى هذا .

و أثبت عليه السلام له حالا يستلزم تشبيهه بالبعير واستعاز له صفته بقوله : (نافجا حضييه) أى نافجا حضييه و رافعا ما بين إبطه و كسحه من كثرة الأكل والشرب كالبعير المنتفج الجنين (بين نثيله و معتلفه) أى قام بالأمر و كان حركته بين روثه و معتلفه يعنى لم يكن همه إلا الأكل والرّجيع كالبهائم التي لا اهتمام لها إلا بالأكل والرّوث قال الشارح المعتزلي : وهذا من أمض الذّم وأشدّ من قول الحطية الذى قيل إنه أهجى بيت للعرب :

دع المكلام لاترحل لبغيتها و اقعذ فانك انت الطاعم الكاسي

هذا والمعنى على رواية الصدوق أن قيامه كان بين منكحه و مطعمه وبالجملة فالمقصود أن همه لم يكن إلا بطنه و فرجه و الترفه بالمال و اصلاح مصالحي نفسه و أعمال دواعي خاطره من دون أن يكون له قيام بمصالح المسلمين و توجهه إلى اصلاح امور الخلافة و مراعاة لوازم الولاية (و قام معه بنو أبيه) أراد بهم بني امية فانهم قاموا معه حال كونهم (يخضمون مال الله) و يأكلونه بأقصى أضراسهم .

و هو كناية عن كثرة توسّعهم بمال المسلمين و شدة أكلهم من بيت المال من غير مبالاة لهم فيه (كخضم الابل) و أكلها بجميع فمها (نبته الربيع) و نباته ، و وجه الشبه أن الابل لما كانت تستلذّ نبت الربيع بشهوة صادقة و تملأ منه أحناكها و ذلك لمجيئه عقيب يبس الأرض و طول مدة الشتاء ، كان ما أكله أقارب عثمان من بيت المال مشبهاً بذلك ، لاستلذّهم به و انتفاعهم منه بعد طول فقرهم ، و امتداد ضررهم ، و ذلك الكلام منه عليه السلام خارج معرض التوبيخ والذم إشارة إلى ارتكابه معهم مناهي الله المستلزم لعدم قابليته للخلافة و استعداده للإمامة .

قال الشارح المعتزلي : وصحت فيه فإسرة عمر فإنه أوطأ بني أمية رقاب الناس وولاهم الولايات و أقطعهم القطايع و افتتحت ادمينية في أيامه فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان ، و طلب إليه عبدالله بن خلد بن اسيد صلة فأعطاه أربعمائة ألف درهم ، و أعاد الحكم بن أبي العاص بعد ان رسول الله ﷺ قد سيره ثم لم يرد أبو بكر ولا عمر و أعطاه مائة ألف درهم ، و تصدق رسول الله ﷺ بموضع سوق بالمدينة يعرف بمهروز على المسلمين فأقطعها عثمان الحرث بن الحكم أخا مروان ابن حكم ، و أقطع مروان فذلك وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفات أبيها صلوات الله عليه تارة بالميراث و تارة بالنحلة فدفعت عنها ، و حمى المراعي حول المدينة كلها عن مواشي المسلمين كلهم إلا عن بني أمية .

و أعطى عبدالله بن ابي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح افرقيصة بالمغرب وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين .
و أعطى أباسفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال ، و قد كان زوجته ابنته أم أبان فجاه زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان و بكى ، فقال عثمان : أتبكي ان وصلت رحمي ؟ قال : لا ، ولكن أبكي لأنني أضنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقتة في سبيل الله في حياة رسول الله ﷺ والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً فقال : ألق المفاتيح فانا سنجد غيرك ، و أتاه أبو موسى بأموال من العراق جليلة فقسّمها كلها في بني أمية ، و أنكح الحرث بن الحكم ابنته عايشة فأعطاه مائة ألف من بيت المال أيضاً بعد صرفه زيد بن أرقم عن خزنة انتهى .

و قال السيد المرتضى (قده) في محكي الشافعي : روى الواقدي باسناده عن المسود بن عنبسة قال : سمعت عثمان يقول : إن أبابكر و عمر كانا و لان في هذا المال طلاق انفسهما و ذوى ارحامهما و إنني ناولت فيه صلة رحمي ، و روى إنه كان بحضوره زياد بن عبيد مولى الحرث بن كلدة الشّقي وقد بعث إليه أبو موسى بمال عظيم من البصرة فجعل عثمان يقسمه بين ولده و اهله بالصّحاف ، فبكي زياد فقال : لا تبك

فان عمر كان يمنع اهله و ذوي قرابته ابتغاء وجه الله ، و انا اعطي ولدي و أهلي و قرابتي ابتغاء وجه الله .

وقد روى هذا المعنى عنه من عدة طرق بألفاظ مختلفة ، و روى الواقدي ايضا قال قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان فوهبها للحريث بن الحكم بن أبي العاص ، و روى أيضاً أنه ولى الحكم بن أبي العاص صدقات قضاة قبلت ثلاثمائة ألف فوهبها له حين أتاه بها . و روى ابو مخنف و الواقدي ان الناس انكروا على عثمان اعطاه سعد بن العاص مائة ألف و كلمه علي عليه السلام و الزبير و طلحة و سعد و عبدالرحمن في ذلك فقال : إن له قرابة ورحماً ، قالوا : و ما كان لأبي بكر و عمر قرابة و ذوو رحم ؟ فقال : إن أبا بكر و عمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما و أنا احتسب في اعطاء قرابتي ، قالوا فهديهما والله احب الينا من هديك .

و روى ابو مخنف ان عبدالله بن خالد بن اسيد بن ابي العاص بن امية قدم على عثمان من مكة و معه ناس فأمر لعبدالله بثلاثمائة الف و لكل واحد من القوم بمائة الف و صك بذلك على عبدالله بن الأرقم و كان خازن بيت المال فاستكره و رد الصك به ، و يقال : إنه سأل عثمان ان يكتب عليه بذلك كتاباً فأبى و امتنع ابن الأرقم ان يدفع المال إلى القوم ، فقال له عثمان : إنما انت خازن لنا فما حملك على ما فعلت ؟ فقال ابن الأرقم : كنت اراني خازن المسلمين و إنما خازنك غلامك والله لا آل لك بيت المال ابداً ، و جاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر و يقال بل القاهها إلى عثمان فدفعها إلى نائل مولاه .

و روى الواقدي ان عثمان أمر زيد بن ثابت أن يحمل من بيت مال المسلمين إلى عبدالله بن الأرقم في عقيب هذا الفعل ثلاثمائة ألف درهم ، فلما دخل بها عليه قال له : يا أبا محمد إن أمير المؤمنين أرسل إليك يقول قد شغلناك عن التجارة و لك رحم أهل حاجة ففرق هذا المال فيهم و استعن به على عيالك ، فقال عبدالله بن الأرقم مالي إليه حاجة و ما عملت لأن يشينني عثمان والله إن كان هذا من بيت مال المسلمين ما بلغ قدر عملي أن اعطي ثلثمائة ألف ، و لئن كان مال عثمان فما لي إليه حاجة .

والحاصل أنه قد كان يصرف مال الله على نفسه و على أقاربه و أصحابه، وكان مستمرّاً في إتلاف بيت مال المسلمين مستتبداً برأيه في ذلك.

و انضم إليه أمور أخرى من تسيير أبي ذر إلى ربذة ، و ضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر أضلاعه ، و ما أظهر من الحجاب ، و العدول عن جادة الشريعة في إقامة الحدود و ردّ المظالم و كفّ الأيدي العادية و الانتصاب لسياسة الرعية .

(إلى أن) ضاق له المخرج و عمى المصدر و انجرّ الأمر إلى اجتماع أهل المدينة عليه مع جماعة من أهل مصر (فانتكث) أى انتقض (عليه قتله) أى برم حبله وهو كناية عن انتقاض تدابير المبرمة و رجوعها إليه بالفساد و تأديتها إلى الهلاك (و اجهز عليه) أى أسرع إليه بالقتل بعد كونه مجروحاً (عمله) أى أعماله الشنيعة و أفعاله القبيحة التي صارت سبباً لقتله ففي الاسناد توسّع (و كبت به) أى أسقطته على وجهه (بطنته) و إسرافه في الشبّع كالجواد الذي يكبومن كثرة الأكل و الاهتلاء و الكظة ، و هذه كلها إشارة إلى تأدي حر كاته الشنيعة إلى سوء الخاتمة.

وقد قتل و انتقل إلى الحامية في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة من سنة خمس و ثلاثين من الهجرة ، و ذلك بعد ما غصب الخلافة اثنى عشرة سنة إلا اثنى عشر يوماً ، و قيل إحدى عشرة سنة و أحد عشر شهراً و أربعة عشر يوماً ، و قيل ثمانية عشر يوماً ، و قد كان بعد قتله مطروحاً في خندق اليهود إلى ثلاثة أيام لا يستحل أحد دفنه و لا يقدم أحد على ذلك خوفاً من المهاجرين و الأنصار حتى نهى بنو أمية و دفنوه ، و قيل: كان مطروحاً في مزبلة اليهود ثلاثة أيام حتى أكلت الكلاب إحدى رجله فاستأذنوا عليّاً عليه السلام فأذن في دفنه و دفن في حش كركب وهي مقبرة كانت لليهود بالمدينة، فلما ولى معاوية وصلها بمقابر أهل الاسلام و يأتي تفصيل الكلام في كيفية قتله في شرح الكلام الثلاثين إن شاء الله هذا .

والعجب أن الشارح المعتزلي بعد ذكره ما حكينا عنه سابقاً في ذيل قوله عليه السلام: يخضمون مال الله ، قال : وقد أجاب أصحابنا عن المطاعن في عثمان بأجوبة

مشهورة في كتبهم والذي نقول نحن : إنها وإن كانت احدانا إلا أنها لم تبلغ المبلغ الذي يستباح به دمه وقد كان الواجب عليهم أن يخلعوه من الخلافة حيث لم يستصلحوه لها ولا يعجلوا بقتله.

أقول : وهذا الكلام منه صريح في عدم قابليته للخلافة ومع ذلك لا يكاد ينقضي عجبني منه كيف يجعله ثالث الخلفاء ويعتقد بخلافته ؟ وما ذلك إلا من أجل أنهم «ألقوا آبائهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون»

الترجمة

تا آنکه ایستاد و متولی خلافت گردید سوم قوم که عثمان بن عفان علیه النیران بود در حالتی که باد کننده بود هر دو جانب خود را از کثرت کبر و غرور یا از زیادتی اکل و شرب، ایستاد او در میان سرکین یا در میان ذکر خود و موضع علف آن، یعنی همت او مصروف بخوردن و آشامیدن و سرکین انداختن بود مثل بهائم، و ایستادند با او فرزندان پدر او یعنی بنی امیه در حالیکه میخوردند با جمیع دهان خودشان مال خدارا با لذت و رفاهیت مثل خوردن شتر بهمه دهان خود علف بهار را، و مستمر بودند بر این حالت تا اینکه باز شد تاب ریسمان تاییده او و بکشتن شتاب نمود بعد از جراحت بسیار کردار ناپسندیده او و برویش افکند کثرت اکل و شدت امتلاء او.

الفصل الخامس

فَمَارَاغِي إِلَّا وَالنَّاسُ إِلَيَّ كَعُرْفِ الضَّبُعِ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ حَتَّى لَقَدْ وُطِيَ
الْحَسَنَانِ ، وَشَقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَيْضَةِ الْفَنَمِ ، فَلَمَّا نَهَضْتُ
بِالْأَمْرِ نَكَّتْ طَائِفَةٌ ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى ، وَفَسَقَ آخَرُونَ ، كَأَنَّهُمْ لَمْ
يَسْمَعُوا اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
عُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » ، لَيْ وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا

وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُ «لَكِنَّهُمْ خ» حَايَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَأَقَهُمْ زَبْرُجُهَا.

اللغة

(راعني) الشّيء روعاً من باب قال أفزعني و روعني مثله وراعني جماله أعجبني، وفي شرح المقامات عن الأزهري ما راعني إلاّ مجيئك أي ما شعرت إلاّ بمجيئك كأنه قال: ما أصاب روعي إلاّ لذلك، وهذا كلام يستعمل في مفاجأة الأثرى أنه يعاقب إذا المفاجأة تقول: خرجنا فإذا زيد بالباب و خرجت فما راعني إلاّ فلان بالباب و (عرف) الدابة شعر عنقها و عرف الضبع يضرب به المثل في الازدحام و (الشول) صبّ ما في الاناء و انثال انصبّ و انثال عليه القول تتابع و كثر فلم يدر بأية بيده.

وقال المطرزي في شرح المقامات للحريري: الانتيال الاجتماع و الانصباب انفعال من الشول و هو جماعة النحل و من قولهم: ثوبلة من الناس، أي جماعة من بيوت متفرقة يقال: منه انثالوا عليه و ثولوا أي اجتمعوا و انثال التراب انصب و منه انثال عليه الناس من كل وجه أي انصبوا انتهى، و (عطف) الشّيء بجانبه و العطفان الجانبان.

و في بعض النسب و شقّ عطا في وهو بالكسر الرّداء و هو أنسب و (الرييض و الرّبيضة) الغنم برعاتها المجتمعة في مراتبها (١) و (النسكث) النقص و (المروق) الخروج يقال مرق السهم من الرمية مروقا من باب قعد خرج منه من غير مدخله و منه قيل: مرق من الدّين أيضاً إذا خرج منه و (فسق) الرّجل فجرو في بعض النسب قسط و هو من باب ضرب جار و عدل من الاضداد و المراد به هنا الأوّل و (وعى) الحديث و عياً من باب وعد حفظه و (حلى) الشّيء بعيني و بصدرى يحلى من باب تعب حسن عندي و أعجبني و (راقني) الشّيء أعجبني و (الزّبرج) الزّينة و الذهب.

الاعراب

فاعل راعني محذوف مدلول عليه بالفعل ، وجملة والناس إلى حالة مينة لهيئة المفعول ومفسرة للمستنى المحذوف، وإلى متعلق بمحذوف تقديره والناس رسل إلى وقد صرح به في رواية الاحتجاج ، وكون الجملة مفسرة للمحذوف نظير قوله تعالى:

« ثُمَّ بَدَأَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجْنُهُ حَتَّىٰ حِينٍ » .

قال الزمخشري في الكشاف: فاعل بدا مضمرة لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجنته والمعنى بداهم بداه أى ظهر لهم رأى ليسجنته اه ، وتقدير كلام الامام (عليه السلام) على ما ذكرنا: ما راعني رابع إلا حالة أعني كون الناس رسلا إلى والرسل بفتحين القطيع من الابل والجمع إرسال مثل سبب و أسباب ويشبهه به الناس فيقال : جاءوا أرسالا أى جماعات متتابعين ، وجملة ينثالون إما خبر بعد خبر للناس ، أو حال بعد حال و مجتمعين حال من فاعل ينثالون .

المعنى

اعلم انه (عليه السلام) لما ذكر خلافة المتخلفين الثلاثة و بين حال أيام خلافتهم وأشار إلى ما ابتلى به الناس في تلك الأيام ، شرع في بيان كيفية انتقال الأمر إليه (عليه السلام) ظاهراً كما كان له باطنا و كان ذلك في شهر ذى الحجة يوم الجمعة بعد ماضى من الهجرة خمس وثلاثون سنة فقال (عليه السلام) (فما راعني) رابع (إلا) حالة (و) هو كون (الناس) متتابعين (إلى) متزاحمين (كعرف الضبع ينثالون على) يتتابعون ويكثرون القول (من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان) الحسن والحسين صلوات الله عليهما من شدة الأزحام .

و عن المرتضى (قده) ان أبا عمر محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب روى في قوله (عليه السلام) وطئ الحسنان أنهما الابهامان * وانشد للشنفر مہزومة (١) الكشحي خرماء

الحسن «كذا» وروى أن أمير المؤمنين عليه السلام إنما كان يومئذ جالساً محتبياً وهي جلسة رسول الله صلى الله عليه وآله المسمّاة بالقر فصاء، وهي جمع الركتين وجمع الذيل ، فلما اجتمعوا ليباعوه زاحموه حتى وطئوا ابهاميه و شقوا ذيله بالوطى ولم يعن الحسن والحسين عليهما السلام وهما رجلان كساير الحاضرين .

و كيف كان فالمقصود بهذه الجملة الاشارة إلى كثرة تراحم الناس عليه عليه السلام وقد أكده ثانياً بقوله: (وشق عطفاي) أراد بشق عطفيه خدش جانبيه لشدة الاصطكاك منهم والزحام ، أوشق جانبي قميصه بعلاقة المجاورة ، أو جانبي ردايه ، و يؤيده الرواية الاخرى أعني شق عطا في كما في بعض النسخ هذا.

وشققهم عطفيه عليهم السلام أو عطافه إما لكثرة فرحهم به عليه السلام ، أو جر يا على ماهو عادتهم من قلة مراعاة شرايط التوقير والأدب في المعاشرات والمخاطبات (مجتمعين حولي كربيضة الغنم) المجتمعة في مراضها (فلما نهضت بالأمر) وقمت به بعد مضي السنين المتطاولة (نكثت طايفة) و نقضت بيعتها ، والمراد بها أصحاب الجمل وقد كان عليه السلام يتلو وقت مبايعتهم :

« وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ » .

(ومرقت) طايفة (اخرى) أى خرجت من الدين كمروق السهم من الرمية، والمراد بها أصحاب النهروان (وفسق آخرون) بخر وجههم على الامام العادل وتعديهم عن سنن الحق ، وهم معاوية وأتباعه، و في بعض النسخ و قسط آخرون أى جادوا في حق أمير المؤمنين وظلموا آل محمد عليهم السلام حقهم ، وتسميتهم بالقاسطين كتسمية الأوليين بالناكثين والمارقين مما سبقت من النسب عليه السلام عند إخباره عليه السلام بالملاحم والوقايح التي تكون بعده صلوات الله عليه.

روى في غاية المرام من أمالي الشيخ باسناده عن المفضل بن عمر عن أبي عبدالله الصادق عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال : بلغنا سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله أن مولى لها ينتقص علياً عليه السلام ويتناوله ، فأرسلت إليه فلما صار إليها قالت له:

يا بنى بلغني أنك تنقص علياً و تتناوله؟ قال: نعم يا أمه، قالت له: أقمه كلتك
أمك حتى أهدئك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، ثم اختر لنفسك.

إننا كنا عند رسول الله ﷺ ليلة تسع نسوة وكانت ليلتي و يومي من رسول
الله ﷺ فأتيت الباب فقلت: أدخل يا رسول الله؟ قال: لا، فكبوت كبوة شديدة مخافة
أن يكون ردني من سخطه أو نزل في شيء من السماء.

ثم البت «كذا» حتى أتيت الباب الثاني فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: لا، فكبوت
كبوة أشد من الأولى ثم البت «كذا» حتى أتيت الباب الثالث فقلت: أدخل يا رسول الله؟
فقال: ادخلي يا أم سلمة فدخلت و علي عليه السلام جالس بين يديه وهو يقول: فذاك أبي
و أمي يا رسول الله إذا كان كذا و كذا فما تأمرني؟ قال: آمرك بالصبر، ثم أعاد
عليه القول ثانية فأمره بالصبر، فأعاد عليه القول الثالثة فقال له: يا علي يا أخي إذا
كان ذلك منهم فسل سيفك وضعه على عاتقك و اضرب قدماً قدماً حتى تلقاني و سيفك
شاهر يقطر من دماهم.

ثم التفت عليه السلام إلي فقال لي تالله ما هذه الكأبة يا أم سلمة؟ قلت: الذي كان
من ردك إيتى يا رسول الله، فقال لي: والله ما رددتك من موجدة و إنك لعلى خير
من الله و رسوله، ولكن أتيتني و جبرائيل يخبرني بالأحداث التي تكون بعدي فأمرني
أن اوصي بذلك علياً.

يا أم سلمة اسمعي و اشهدي هذا علي بن أبي طالب أخي في الدنيا و أخي
في الآخرة.

يا أم سلمة اسمعي و اشهدي هذا علي بن أبي طالب حامل لوائي في
الدنيا و حامل لواء الحمد، غداً في القيامة.

يا أم سلمة اسمعي و اشهدي هذا علي بن أبي طالب وصيبي و خليفتي من بعدي
وقاضي عداتي و الذائد عن حوضي.

يا أم سلمة اسمعي و اشهدي هذا علي بن أبي طالب سيد المسلمين و إمام

المتقين وقائد الفرّ المحجلين وقاتل النّسّاكين والقاسطين والمارقين ، قلت :
يا رسول الله من النّسّاكون؟ قال : الذين يبايعونه بالمدينة و ينكثون بالبصرة، قلت :
من القاسطون؟ قال : معاوية وأصحابه من أهل الشّام ، قلت : من المارقون؟ قال :
أصحاب النّهر وان ، فقال مولى أم سلمة فرّجت عني فرّج الله عنك والله لا سببت عليّاً
أبداً ، هذا .

والأخبار في هذا المعنى كثيرة يأتي في مواقعها إنشأء الله ، ثم انه عَلَيْكَ شَدْر
النكير على الجماعة في مخالفتهم له وإعراضهم عنه بقوله : (كانهم لم يسمعوا الله تعالى
يقول : تلك الدّار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة
للمتقين) لما كانت الآية دالة على كون استحقاق الآخرة معلقاً على عدم إرادة العلوّ
والفساد كان اللازم على من سمعها وتدبر فيها إن كان ذاعقل أن لا يريد هـما، وهؤلاء
الجماعة لما علوا في الأرض وأفسدوا فيها وخالفوا الامام العادل وتركوا متابعتة
لاجرم شبههم بمن لم يسمعها لما ذكرنا من أن لازمة السّماع ترك إرادتهما.

ثم دفع توهم الاعتذار عنهم بعدم السّماع لواعذر به بقوله : (بلى والله لقد سمعوها
ووعوها) مؤكداً بالقسم واللام و كلمة التحقيق ، ثم استدرك ذلك بالإشارة إلى
سرّ عدم حصول ثمرة السّماع بعد حصول نفسه بقوله : (ولكنهم حليت الدنيا في
أعينهم وراقهم زبرجها) فكان ذلك هو المانع عن ترتب ثمرة السّماع عليه و الباعث
على إعراضهم عن الدّار الآخرة والسبب لاشترائهم الضلالة بالهدى ولسمعهم في
الأرض بالعلوّ والفساد .

و خاصل الكلام أن سماع الآية مقتض لعدم إرادة العلوّ والفساد و يترتب
عليه مقتضاه لو لم يصادف وجود المانع ، و أمّا مع المصادفة له كما في حق هؤلاء
الجماعة حيث افتتنوا بالدنيا و أعجبهم ذهبها وزينتها فيبقى المقتضي على اقتضائه
ولا يترتب عليه آثاره هذا .

والضمائر الأربعة في قوله : ولكنهم ، ولم يسمعوا ، وسمعوا ، ووعوا ، إمّا

راجعة إلى الطوائف الثلاث : الناكثين والمارقين والقاسطين و هو الأقرب لفظاً والانسب معنى والأظهر لمن تدبر ، أو إلى الخلفاء الثلاثة على ما استظهره المحدث المجلسي (قده) معللاً بأن الغرض من الخطبة ذكرهم لا الطوائف ، و بأنه المناسب لما بعد الآية لاسيما في سموها، ووعوها ، ضمير الجمع .

بقي الكلام في معنى الآية الشريفة و بعض ما تضمنتها من النكات واللطائف فأقول : المشار إليها في الآية هي الجنة ، والاشارة إلى التعظيم والتفخيم ، يعني تلك التي سمعت بذكرها و بلغك وصفها ، والمراد بالعلو في الأرض هو التجبر والتكبر على عبادة الله والاستكبار عن عبادة الله ، و بالفساد الدعاء إلى عبادة غير الله أو أخذ المال و قتل النفس بغير حق أو العمل بالمعاصي .

روى في مجمع البيان عن زاوان (١) عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يمشي في الأسواق وحده وهو دال يرشد الضال و يعين الضعيف و يمر بالبياع والقبال فيفتح عليه القرآن و يقره : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، و يقول : نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة و أهل القدرة من ساير الناس .

و في غاية المرام عن أبي الحسن الفقيه ابن المغازلي الشافعي في مناقبه باسناده عن زاوان (١) أيضاً قال : رأيت علياً عليه السلام يمسك الشسوع بيده ثم يمر في الأسواق فيناول الرجل الشسوع ويرشد الضال و يعين الحمال على الحمولة و يقره هذه الآية : تلك الدار الآخرة الآية ، ثم يقول : هذه الآية نزلت في الولاة و ذوي القدرة من الناس . و في مجمع البيان عن أبي سلام الأعرج عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : إن الرجل ليعجبه شرك نعله فيدخل في هذه الآية ، و قريب منه ما في الكشاف ، قال الطبرسي : يعني ان من تكبر على غيره بلباس يعجبه فهو ممن يريد علواً في الأرض و قيل : إن الآية لما كانت بعد قصة قارون و قبل قصة فرعون ، كان العلو إشارة

١- كذا في النسخة في الغامين والصحيح «زاذان» بالزا، والذال المعجنتين كان من خواص أمير المؤمنين «ع» وكان حافظاً للقرآن باعراجه و همزه بعد ما تكلم على «ع» بكلام في اذنه ، و نقل في فيه «المصحح» .

إلى كفر فوعون لقوله تعالى:

«عَلَا فِي الْأَرْضِ» والفساد إلى بني قارون لقوله: «وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ

فِي الْأَرْضِ» .

ففي كلام الامام عليه السلام يحتمل كون الأوّل إشارة إلى الأولين والثاني إلى الثالث أو الجميع اليهم جميعاً ، وعلى ما استظهرناه فالأظهر كون الأوّل إشارة إلى طلحة وزبير و أتباعهما و معاوية و أصحابه والثاني إلى أصحاب النهروان ، و يحتمل الإشارة فيهما إلى جميعهم هذا.

و بقي هنا شيء وهو أنه سبحانه لم يعلق الموعد في الآية الشريفة بترك العلو و الفساد لكن بترك إرادتهما و ميل القلوب إليهما كما علق الوعيد بالركون في قوله :

«وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ» .

فيدل على قبح إرادة السوء و كونها معصية و يستفاد ذلك أيضاً من قوله سبحانه: «وَالَّذِينَ يُجِبُونَ أَنْ تَشِيَعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» وقوله: «إِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ» .

وهو المستفاد من الأخبار المستفيضة مثل قوله عليه السلام : إنما يحشر الناس على نياتهم ، وقوله عليه السلام : نية الكافر شر من عمله ، و ماورد من تعليق خلود أهل النار فيها و أهل الجنة في الجنة بعزم كل منهما على الثبات على ما كانوا عليه من المعصية والطاعة لو كانوا مخلصين في الدنيا إلى غير هذه مما رواها المحدث الشيخ الحرّ في أدبائل الوسائل ، و إلى ذلك ذهب جمع من الأصحاب منهم العلامة و ابن إدريس و صاحب المدارك و شيخنا البهائي و المحقق الطوسي في التجريد ، إلا أن المستفاد من الأخبار الاخر هو العفو عن نية السوء و أنها لا تكتبوهي كثيرة أيضاً رواها في الوسائل ، و هو مذهب شيخنا الشهيد في القواعد ، قال في محكي كلامه:

لا يؤثر نية المعصية عقابا ولا زماما لم يتلبس بها و هو مما ثبت في الأخبار العفو عنه انتهى .

وقد جمع شيخنا العلامة الأنصاري طاب رمسه بينهما بحمل الأدلة الأولى على من اشتغل بعد القصد ببعض المقدمات ، والثانية على من اكتفى بمجرد القصد أو حمل الأول على من بقي على قصده حتى عجز عن الفعل لا باختياره ، و حمل الآخر على من ارتدع عن قصده بنفسه .

وربما يجمع بينها بحمل أخبار العفو على نية المسلم وأخبار العقوبة على نية الكافر ، أو حمل النفي على عقوبة الآخرة والاثبات على عقوبة الدنيا ، أو حمل النفي على فعلية العقاب والاثبات على الاستحقاق ، أو حمل النفي على عقوبة السيئة التي هم بها فلا يكون عقوبة القصد كعقوبة العمل و حمل أخبار العقوبة على ثبوتها في الجملة ، إلى غير هذه من المحامل مما لا يخفى على الفطن العارف ، والله العالم بحقايق أحكامه

الترجمة

پس تعجب نیاورد مرا تعجب آورنده مگر حالت پیایی آمدن مردم بسوی من بجهت عقد بیعت مثل یال کفتار در حالتیکه تراحم میکردند بر من از هر طرف حتی این که بتحقیق پایمال گردانیده شدند حسن و حسین علیهم السلام و شکافته شد دو طرف پیراهن من یا عبای من از کثرت ازدحام در حالتیکه مجتمع بودند گردا گرد من مثل گله گوسفند ، پس زمانیکه برخاستم بامر خلافت شکستند طایفه عهد بیعت مرا ، و خارج شدند طایفه دیگر از جاده شریعت مثل خروج تیر از کمان ، و فاسق شدند طایفه سیم گویا نشنیده اند آنها خداوند تعالی را که میفرماید در قرآن مجید خود ، که این دار آخرت است میگردانیم آن را بجهت کسانی که اراده نمیکنند بلندی را در زمین و نه فساد و فتنه را و عاقبت بخیر متقین و پرهیزکاران راست ، بلی بخدا قسم که بیقین شنیده اند این آیه را و حفظ کرده اند آنرا و لکن زینت داده شده است دنیا در نظر آن ها و تعجب آورده است زینت و زر دنیای فانی ایشان را .

الفصل السادس

أما والذي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ ، وَ قِيَامُ
الْحَبَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى الْعُمَاءَ أَنْ لَا يُقَارُوا عَلَى كَيْفَةِ
ظَالِمٍ ، وَلَا سَغَبٍ مَظْلُومٍ ، لَا لَقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا ، وَ لَسَقَيْتُ آخِرَهَا
بِكَأْسِ أَوْلِيهَا ، وَ لَا لَفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنزٍ .

اللغة

(الفلق) الشق قال تعالى: فالق الحب والنوى (وبره) أى خلق قيل: وكلما يستعمل
في غير الانسان و(النسمة) محرّكة الانسان أو النفس والروح، وقد يستعمل فيما عدا الانسان
و(قارمه) مقاراة قرّمه و قيل إقرار كل واحد صاحبه على الأمر و تراضيهما به
و(الكظة) ما يعترى الانسان من الامتلاء من الطعام و(السغب) بالتحريك الجوع
و(الغارب) أعلى كتف الناقة و(الزهد) خلاف الرغبة والزهد القليل و(العفطة)
قال ابن الأثير: الضرطة ، و قال الشارح المعتزلي: عفطة عنز ما تنثره من أنفها
وأكثر ما يستعمل ذلك في النعجة ، فأما العنز فالمستعمل الأشهر فيها النقططة بالنون
و يقولون: ماله عافط ولا نافط أى نعجة ولا عنز، ثم قال:
فان قيل أيجوز أن يقال العفطة هنا الحبة (١) فان ذلك يقال في العنز خاصة
عفطت (٢) تعفط .

قيل ذلك جازيماً إلا أن الأحسن والأليق بكلام أمير المؤمنين عليه السلام التفسير
الأول ، فان جلالته وسودده يقتضي أن يكون ذلك أراد لا الثاني فان صح أنه لا يقال
في العطسة عفطة إلا للنعجة ، قلنا إنه عليه السلام استعمله في العنز مجازاً .

١- الحبة الضرطة ق

٢- اي ضرطت ق

الاعراب

كلمة ما في قوله : و ما أخذ الله مصدريةً والجملة في تأويل المصدر معطوفة على الحضور أو موصولة والعايد محذوف و على الأول فجملة أن لا يقاروا في محل النصب مفعولا لاخذ ، وعلى الثاني بيان لما أخذ الله بتقدير حرف جر أو نفس أن تفسيرية على حد قوله تعالى :

« وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ » وقوله : « فَأَنْطَلَقَ الْمَلَائِكَةُ أَنْ أَمْشُوا »

على ما ذهب إليه بعضهم ، و يحتمل أن يكون بدلا أو عطف بيان.

المعنى

لما ذكر ﷺ حاله مع القوم و حالهم معه من غضب الأول للخلافة وإدلائمه بها بعده إلى الثاني وجعله لها بعده شورى وإقرانه له ﷺ إلى النظائر المذكورين و إنتهائها إلى ثالث القوم و نبه على خلاف الناكثين والقاسطين والمارقين له ﷺ بعد قبوله الخلافة و نهوضها ، أردف ذلك كله ببيان العذر الحامل له على قبول هذا الأمر بعد عدوله عنه إلى هذه الغاية وقدم على ذلك شاهد صدق على دعواه بتصدير كلامه بالقسم العظيم فقال:

(أما والذي فلق الحبة) أى شقها و أخرج النبات منها بقدرته الكاملة (و بره النسمة) أى خلق الانسان و أنشأه بحكمته التامة الجامعة (لولا حضور الحاضر) للبيعة من الأنصار والمهاجر أو حضور الوقت الذي وقته رسول الله ﷺ لقيامه بالنواهي والأوامر (و قيام الحجّة) عليه ﷺ (بوجود الناصر) والمعين (و لولا) ما أخذ) (الله على العلماء) أى الأئمة عليهم السلام أو الأعم من (أن لا يقاروا) ولا يتراضوا ولا يسكنوا (على كظظ ظالم) و بطنته (ولا سغب مظلوم) وجوعه وتعبه ، والكظظ كناية عن قوة ظلم الظالم والسغب كناية عن شدة مظلومية المظلوم والمقصود أنه لولا أخذ الله على أئمة العدل و عهده عليهم عدم جواز سكوتهم على المنكرات عند التمكّن و القدرة (لا لقيت حبلها) أى زمام الخلافة (على غاربها) شبه الخلافة بالناقة التي يتركها راعيها لترعى حيث تشاء ولا يبالي من يأخذها

و ما یصیبها ، و ذکر المغارب و هو ما بین السنام و العنق تخبیل و إلقاء الجبل ترشیح (ولسقیمت آخرها بکاس اولها) ای ترکتها آخراً کما ترکتها أو لا و خلقت الناس یسربون من کأس الحیرة و الجباله بعد عثمان و یعمهون فی سکرتهم کما شربوا فی زمن الثلاثة (ولألفیتم دنیاکم هذه) التي رغبتم فیها و تمکن حبها فی قلوبکم (أزهد عندي) و أهون (من عطفة عنز) ای شرطتها أو عطستها .

الترجمة

آگاه باش ای طالب منہج قویم و سالک صراط مستقیم ، قسم بآن خداوندی کہ دانه را شکافت بقدرت کامله و انسان را خلق فرمود بحکمت بالغه ، اگر نمی بود حضور حاضرین از برای بیعت و قائم شدن حجج بر من بجهت وجود یاری کنندگان و آن چیزی کہ اخذ فرمود آن بپای خداوند بر علماء کہ قرار ندهند با یکدیگر و راضی نشوند بر امتلاء ستمکار و نه بر گرسنگی ستم رسیده ، هر آینه میانداختم افسار خلافت را بر کوهان آن و هر آینه سیراب می کردم آخر خلافت را با جام اول آن ، و هر آینه می یافتید نیای خودتان را کہ بآن مینازید و دین خود را کہ در طلب آن مینازید ، بی مقدارتر در نزد من از جیفه بز یا از عطسه آن

الفصل السابع

قالوا: وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِهِ فَنَاقَلَهُ كِتَابًا فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ فِيهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَائَتِهِ قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ اطَّرَدَتْ مَقَالَتُكَ مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ ، فَقَالَ: هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَسْفَتْ عَلَى كَلَامٍ قَطُّ كَأَسْفِي عَلَى هَذَا الْكَلَامِ أَلَّا يَكُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ بَلَّغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ .

اللغة

(أهل السواد) ساكنو القرى و تسمى القرى سواداً لخضرتها بالزرع والنبات والأشجار والعرب تسمى الاخضر أسود و (ناوله) أعطاه و (الاطراد) هو الجرى يقال : اطرد الأمر أى تبع بعضه بعضاً و جرى بعضه أثر بعض ، و نهران يطردان أى يجريان و (الافضاء) الانتهاء قال الشارح المعتزلي : أصله خروج إلى الفضاء فكأنه شبهه حيث سكت بجده عما كان يقوله بمن خرج من خباء أو جدار إلى فضاء من الأرض ، و ذلك لأن النفس والقوى والهمة عند ارتجال الخطب والشعارات تجتمع إلى القلب ، فإذا قطع الانسان و فرغ تفرقت و خرجت عن حجر الاجتماع و استراحت و (الشقشقة) بالكسر شيء كالرّية يخرج البعير من فيه إذا هاج ، و يقال للخطيب ذوشقشة تشبيهاً له بالفحل و (هدير) الجمل تردده الصوت في حنجرتة.

الاعراب

كلمة لولا إما للتمني أو الجواب محذوف أى لكان حسناً، والمقالة إمامرفوعة على الفاعلية لو كان اطردت بصيغة المؤنث الغائب من باب الافتعال ، أو منصوبة على المفعولية لو كان بصيغة الخطاب من باب الافعال أو الافتعال أيضاً.

المعنى

(قالوا و قام إليه رجل من أهل السواد) قيل : إنه كان من أهل سوادالعراق عند بلوغه إلى إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً) وأعطاه (فأقبل) إليه و كان (ينظر فيه فلما فرغ) عليه (من قرائته) وأجاب الرجل بما أراد حسب ما نشير إليه (قال له ابن عباس رحمه الله : يا أمير المؤمنين لو اطردت) أى جرت (مقالتك من حيث أفضيت) وانتهيت لكان حسناً (فقال إلى : هيهات يا بن عباس تلك شقشقة هدت نم قرت) وسكنت .

شبهه بجده نفسه بالفحل الهادر فاستعار لخطبته لفظ الشقشقة التي من خواص الفحل قيل : في الكلام إشعار بقلّة الاعتناء بمثل هذا الكلام إما لعدم التأثير في السامعين كما ينبغي ، أو قلّة الاهتمام بأمر الخلافة من حيث إنها سلطنة ، أو للإشعار

بانقضاء مدته ، فإنها كانت في قرب شهادته ، أو لنوع من التسمية أو لغيرها (قال ابن عباس : فوالله ما أسفت على كلام قط كاسفي) و حزني (على هذا الكلام ألا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد)

قال الشارح المعتزلي : حدثني شيخي أبو الخير مصدق بن شيبب الواسطي ، قال قرأت على الشيخ أبي محمد عبدالله بن أحمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبة ، فلما انتهيت إلى هذا الموضع قال لي : لو سمعت ابن عباس يقول هذا لقلت له : وهل بقي في نفس ابن عمك أمر لم يبلغه في هذه الخطبة لتتأسف أن لا يكون بلغ من كلامه ما أراد ؟ والله ما رجعت عن الأولين ولا عن الآخرين ولا بقي في نفسه أحد لم يذكره إلا رسول الله صلى الله عليه وآله .

و بقي الكلام في الكتاب الذي ناوله الرجل فأقول روى الشارح البحراني والمحدث الجزائري وغيره عن أبي الحسن الكندي (ره) أنه قال : وجدت في الكتب القديمة أن الكتاب الذي دفعه الرجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام كان فيه عدة مسائل إحداها ما الحيوان الذي خرج من بطن حيوان آخر و ليس بينهما نسب ؟ فأجاب عليه السلام بأنه يونس عليه السلام خرج من بطن حوت .

الثانية ما الشيء الذي قليله مباح و كثيره حرام ؟ فقال عليه السلام : هو نهر طالوت لقوله تعالى : إلا من اغترف غرفة بيده .

الثالثة ما العبادة التي إن فعلها أحد استحق العقوبة وإن لم يفعلها أيضاً استحق العقوبة ؟ فأجاب عليه السلام بأنها صلاة السكرى .

الرابعة ما الطائر الذي لا فرخ له و لا فرع ولا أصل ؟ فقال عليه السلام : هو طائر عيسى عليه السلام في قوله :

« وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ

طَيْرًا بِإِذْنِي » .

الخامسة رجل عليه من الدين ألف درهم وله في كيسه ألف درهم فضمنه ضامن

بألف درهم فحال عليه الحول فالزكاة على أي المالين تجب؟ فقال عليه السلام: إن ضمن الضامن باجازه من عليه الدين فلا يكون عليه، وإن ضمنه من غير إذنه فالزكاة مفروضة في ماله.

السادسة حج جماعة ونزلوا في دار من دورمكة وتركوا فيها نياهم واغلق واحد منهم باب الدار وفيها حمام فمتن من العطش قبل عودهم إلى الدار فالحجزاء على أيهم يجب؟ فقال عليه السلام: على الذي أغلق الباب ولم يخرجهم ولم يضع لهم ماء السابعة شهد شهادته أربعة على محصن بالزنا فأمرهم الامام برجمه فرجمه واحد منهم دون الثلاثة الباقين ووافقهم قوم أجانب في الرجم فرجع من رجمه عن شهادته والمرجوم لم يموت ثم مات فرجع الآخرون عن شهادتهم عليه بعد موته فعلى من يجب ديته؟ فقال عليه السلام: يجب على من رجمه من الشهود ومن واقفه.

الثامنة شهد شاهدان من اليهود على يهودي أنه أسلم فهل يقبل شهادتهما؟ فقال عليه السلام: لا تقبل شهادتهما لأنهما يجوز أن يغير كلام الله وشهادة الزور.

التاسعة شهد شاهدان من النصارى على نصارى أو مجوسى أو يهودي أنه أسلم؟ فقال عليه السلام: تقبل شهادتهما لقول الله سبحانه:

«وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْقَرَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى» الآية

ومن لا يستكبر عن عبادة الله لا يشهد شهادة الزور.

العاشرة قطع إنسان يد آخر فحضر أربعة شهود عند الامام وشهدوا على من قطع يده وأنه زنى وأنه محصن فأراد الامام أن يرميه فمات قبل الرجم بقطع يده على القاطع دية القاطع أو دية النفس؟ فقال عليه السلام: على من قطع يده دية القاطع حسب ولو شهدوا أنه سرق نصابا لم يجب دية يده على قاطعها، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

الترجمة

راويان كويند برخاست بسوى آنحضرت مردی از اهل سواد كوفه نزد

رسیدن او باینموضع از خطبه خود پس داد اورا نوشته پس روی آورد و نظر میفرمود بسوی آن ، پس چون فارغ شد از خواندن آن کتاب عرض کرد خدمت آنحضرت عبدالله بن عباس رحمه الله ای امیر مؤمنان و مقتدای عالمیان اگر جاری میفرمودی کلام بلاغت نظام خود را از آنجا که باقی مانده بود هر آینه خوب بود ، پس آنحضرت فرمود چه در راست آنحالت نسبت باینحالت ای ابن عباس این مانند شقه شتر بود که نزد هیجان نفس و اشتغال آن باصوت و غریبیدن از ذهن بیرون آمد بعد از آن قرار گرفت و ساکن شد ؛ گفت عبدالله بن عباس بخدا قسم که تأسف نخوردم بر هیچ کلامی هرگز در مدت عمر خود چون تأسف خوردن خود بر این کلام که نشد امیر المؤمنین عَلَيْهِ السَّلَامُ برسد از آن کلام بجائیکه اراده کرده بود .

و من خطبة له عليه السلام (بعد مقتل طلحة و الزبير خ)

وهي الخطبة الرابعة

خطب بها امير المؤمنين عليه السلام بعد قتل طلحة و الزبير كما في شرح البحراني و المعتزلي و زاد في الأخير مخاطباً بها لهما و لغيرهما من أمثالهما وفيه أيضاً هذه الكلمات و الأمثال ملتقطة من خطبة طويلة منسوبة إليه قد زاد فيها قوم أشياء حملتهم عليها أهوائهم لا يوافق ألفاظها طريقته عليه السلام في الخطب و لا تناسب فصاحتها فصاحته و لا حاجة إلى ذكرها فهي شهيرة ، وفي البحار قال القطب الراوندي : أخبرنا بهذه جماعة عن جعفر الدويرستي عن أبيه محمد بن العباس عن محمد بن علي بن موسى عن محمد بن علي الاستربادي عن علي بن محمد بن سيار عن أبيه عن الحسن العسكري عن آباءه عن أمير المؤمنين عليهم السلام و هذا ما نظرت بعد إلى تلك الخطبة التي تقطت هذه منها على ما ذكره الشارح المعتزلي ، نعم رواها في كتاب الارشاد للمفيد (ره) بأدنى تغيير و اختلاف ، قال : من كلامه عليه السلام حين قتل طلحة و انقض أهل البصرة :

بناتسنتم الشرف ، و بنا انفجرتم عن السرار ، و بنا اهتديتم في الظلماء ، و قر سمع لم يفقه الواعية ، كيف يراعي النبأة من أصمته الصيحة ، ربط جنان لم يفارقه

الخفقان ، ما زلت أنتظركم عواقب الغدر، و أتو سَمِّكم بحلية المغترين ، سترني عنكم جلباب الدين وبصرتيكم صدق النية أقمت لكم الحق حيث تعرفون ولا دليل وتحثرون ولا تميهون ، اليوم أنطق لكم العجاء ذات البيان ، عزب فهم امرء تخلف عني ، ما شككت في الحق منذ رأيت ، كان بنو يعقوب على المحجبة العظمى حتى عقنوا آباءهم وباعوا أخاهم ، وبعد الاقرار كانت توبتهم ، وباستغفار أبيهم وأخيمهم غفر لهم هذا، وشرح ما ذكره الرضي قدس سره في ضمن فصلين .

الفصل الأول

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلَامَاءِ ، وَتَسَنَّمْتُمْ الْعَلِيَاءَ ، وَبَدَا أَنْفَجَرْتُمْ عَنِ السَّرَارِ ،
وَقَرَّ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهُ الْوَاعِيَةَ ، وَكَيْفَ يُرَاعِي النَّبَأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ ، رُبِطُ
جَنَانٍ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ ، مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ ، وَأَتَوَسَّعُكُمْ
بِحَلِيَّةِ الْمُغْتَرِّينَ ، سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ ، وَبَصَرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ .

اللغة

(الظلاماء) كصحراء الظلمة وقد تستعمل و صفاً يقال ليلة ظلماء أي شديدة الظلمة و (التسنم) هو العلو وأصله ركوب السنام و (العلياء) كصحراء أيضاً السماء و رأس الجبل و المكان العالي و كل ما علا من شيء و الفعلة العالية المتضمنة للرفعة والشرف و (انفجرتم) أي دخلتم في الفجر و (السرار) الليلة والليلتان يستتر فيهما القمر في آخر الشهر و روى أفجرتم قال الشارح المعزلي : وهو أفصح وأصح لان انفعال لا يكون إلا لتطاول فعل نحو كسرته فانكسر و حطمته فانحطم إلا ما شذ من قولهم : غلقت الباب فانغلق ؛ و أز عجته فانزعج ، وأيضا فإنه لا يكون إلا حيث يكون علاج وتأثير نحو انكسروا نحطم ولهذا قالوا : إن قولهم : انعدم خطاه ، وأما افعال فيجبي لصيرورة الشيء على حال و أمر نحو أغد البعير أي صار ذاغدة وأجرب

الرجل إذا صار ذا إبل جربي وغير ذلك وأفجرتهم أي صرتم ذوي فجر و (الوقر) نقل في الأذن أو ذهب السمع كله ، وقد وقر كوعد ووجل ومصدره وقر بالسكون والقياس بالتحريك وقر كعنى أيضاً وقرها الله يقرها .

و (الواعية) الصراخ والصوت كما في القاموس لا الصارفة كما ذكره الشارح البحراني والمعتزلي تبعاً للجوهري ، و في القاموس أنه وهم ، وعن الأساس ارتفعت الواعية أي الصراخ والصوت ، وفي الأقيانوس سمعت واعية القوم أي أصواتهم و (النبأة) الصوت الخفي و (خفقت) الرأية كحسب خفقاً وخفقاناً محرّكة اضطربت وتحركت و (توسم) الشيء تفرسه وتخيّله والمتوسم الناظر في السمة الدالة وهي العلامة و توسم فيه الخير أو الشر أي عرف سمة ذلك و (الجلباب) بفتح الجيم و كسرهما القميص وفي المصباح ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء وقال ابن فارس : الجلباب ما يغطي به من ثوب وغيره والجمع الجلابيب .

الاعراب

الباء في قوله **بنا** للسببية ، و كلمة عن في قوله عن السرار على حقيقتها الأصلية وهي المجاوزة أي منتقلين عن السرار و متجاوزين له ، و وقر بفتح الواو وضمها على صيغة المعلوم أو المجهول وسمع فاعله على الأول وعلى الثاني الفاعل هو الله .

المعنى

اعلم أن هذه الخطبة من أفصح كلامه **عليه السلام** وهي على و جازتها متضمنة لمطالب شريفة ونكات لطيفة ، ومشملة على مقاصد عالية وإن لا حظتها بعين البصيرة والاعتبار وجدت كل فقرة منها مفيدة بالاستقلال مطابقة لما اقتضاه المقام وإحال وسيجيء الإشارة إلى بعض ذلك حسب ما ساعدته الوقت والمجال إنشاء الله .

فاقول قوله : (بنا اهتديتم في الظلماء) أي بآل محمد عليهم السلام اهتديتم في ظلمات الجهل ، والخطاب لأهل البصرة وغيرهم من طلحة وزبير وسائر حاضري الوقت وهو جار في حق الجميع وفيه إشارة إلى كونهم عليهم السلام سبب هداية الأنام في الغياهب والظلام ، ولما كان الظلمة عبارة عن عدم الضوء عما من شأنه أن يكون

مضيئاً فتقابل النور تقابل العدم للملكة على ما ذهب إليه محققو المتكلمين والفلاسفة ، أو عبارة عن كيفية وجودية تقابل التضاد كما ذهب إليه آخرون وهو الأظهر نظراً إلى أنها على الأول لا تكون شيئاً لأنها عدم وكيف ذلك والله سبحانه خالقها ، وعلى أي تقدير كان قوله دالاً بالمطابقة على كونهم الهداة إلى سبيل النجاة في المدلهمات والظلمات ، وبالالتزام على كونهم نوراً مضيئاً و قمرأ منيراً إذا اهتداه في الظلمة لا يكون إلا بالنور الظاهر في ذاته المظهر لغيره .

أما المدلول المطابقي فقد اشير إليه في غير واحدة من الآيات الكريمة وصرح به في الأخبار البالغة حد التظافر بل التواتر .

منها ما رواه في الكافي باسناده عن عبدالله بن سنان قال سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل :

« وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ »

قال : هم الأئمة صلوات الله عليهم .

و منها ما في تفسير علي بن إبراهيم في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى :

« أَقْمَنَ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي »

فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ »

فأما من يهدي إلى الحق فهو محمد صلى الله عليه وآله عليه السلام من بعده ، وأما من لا يهدي إلا أن يهدي فهو من خالف من قريش وغيرهم أهل بيته من بعده .

و منها ما في البحار من تفسير العياشي باسناده عن المعلّى بن خنيس عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى :

« وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ »

قال عليه السلام هو من يتخذ دينه برأيه بغير هدى إمام من الله من أئمة الهدى .

و منها ما في البحار أيضا من كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات بالاسناد عن عيسى بن داود النجار عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام أنه سأل أباه عن قول الله عز وجل :

« قَمَنَ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى »

قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أيها الناس اتبعوا هدى الله تهتدوا وترشدوا و هو هدى علي بن أبي طالب عليه السلام فمن اتبع هداه في حياتي و بعد موتي فقد اتبع هداي ومن اتبع هداي فقد اتبع هدى الله فلا يضل ولا يشقى، إلى غير هذه مما لا نطيل بذكرها .
وأما المدلول الالتزامي و هو كونهم عليهم السلام أنواراً يستضاء بها في الليلة الظلماء و نجوماً يهتدى بها في غياهب الدجى فقد اشير إليه في قوله سبحانه و تعالى :

« قَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا »

روى علي بن إبراهيم في تفسيره عن علي بن الحسين عن البرقي عن ابن محبوب عن أبي أيوب عن أبي خالد الكابلي قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية فقال : يا أبا خالد النور والله الأئمة من آل محمد إلى يوم القيامة هم والله نور الله الذي انزل وهم والله نور الله في السماوات والأرض ، والله يا أبا خالد لنور الامام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار و هم والله بنورون قلوب المؤمنين و يحجب الله نورهم عمن يشاء فتظلم قلوبهم ، والله يا أبا خالد لا يحبنا عبد وبتولانا حتى يطهر الله قلبه و لا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا و يكون سلماً لنا فإذا كان سلماً سلمه الله من شديد الحساب و آمنه من فزع يوم القيامة الأكبر .

وقال الصادق عليه السلام في مروية العياشي إن الله قال في كتابه :

« اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَ الَّذِينَ

كَفَرُوا أُولَئِكَ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ »

فالنور هم آل محمد عليهم السلام والظلمات عدوهم .

و في البحار من تفسير فرات بن إبراهيم عن جعفر بن محمد الفزاري معنعناً عن ابن عباس في قول الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفَايَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ »

قال : الحسن والحسين عليهما السلام

« وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ »

قال : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وفي تفسير علي بن إبراهيم في قوله تعالى :

« هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ »

قال : النجوم آل محمد عليه وعليهم السلام .

وفيه أيضاً عن عبدالرحمان بن محمد العلوي بإسناده عن عكرمة ، و سئل عن قول الله تعالى :

« وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّيَهَا وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا »

قال : الشمس و ضحيتها هو محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ، و القمر إذا تليها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، والنهار إذا جليها آل محمد الحسن والحسين عليهما السلام ، والليل إذا يغشها بنو أمية .

و في البحار من تفسير العياشي عن معلى بن خنيس عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى :

« وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ »

قال : هو أمير المؤمنين عليه السلام ، وفيه من المناقب لابن شهر آشوب عن أبي الورد عن أبي جعفر عليه السلام في قوله :

« وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ »

قال : نحن النجم إلى غير هذه مما يطلع عليها العارف الخبير و المتتبع المجدد و الجملة فقد ظهر وتحقق مما ذكرنا كله أنهم عليهم السلام نور الله في السماوات والأرض و النجوم التي يهتدى بها في ظلمات البر والبحر والقمر الهادي في أجواز البلدان والغفار وغياب الليالي ولجج البحار .

فإن قلت : سلمنا ذلك كله ولكنك قد ذكرت أن الخطاب في قوله : بناهتديتم في الظلماء لطلحة والزيير ونظرائهما من أهل الجمل ، ومن المعلوم أنهم كانوا من المنافقين الناكثين فكيف يكونون من المهتدين ؟ مع أن اعتقادنا أنهم مخلدون في النار بخروجهم على الامام العادل و تقضهم بيعته ، والمهتدون يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يوم القيامة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما قال تعالى :

« وَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى »

قلت : أولاً إن اهتديتم بصيغة الماضي دالة على اهتدائهم فيما مضى فهو لا ينافي بارتدادهم بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذا اهتداه تارة يكون بالوصول إلى المطلوب وهو الموجب للأجر الجميل وهو الذي لا يتصور بعده الضلالة ، وأخرى بالوصول إلى ما يوصل إلى المطلوب وهو لا يستلزم الوصول إليه البتة ولا ينافي الخذلان والضلالة قطعاً وثانياً إن المراد بالظلماء في قوله عليه السلام هو ظلمة الكفر وبالاهتداء هو الاهتداء إلى الاسلام وهو بانفراده لا يكفي في استحقاق الثواب ، بل لابد وأن ينضم إلى ذلك نور الولاية كما مر تحقيق ذلك وتفصيله في التذنيب الثالث من تذييبات الفصل الرابع من فصول الخطبة الأولى ، ويشهد بذلك ويوضحه مضافاً إلى ما مر :

ما رواه في البحار من كتاب غيبة النعماني عن الكليني بإسناده عن ابن أبي يعفور ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنني أخالط الناس فيكثر عجبني من أقوام لا يتوا لونكم

ويتوالون فلاناً وفلاناً لهم أمانة وصدق ووفاء ، وأقوام يتوالونكم ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء ولا الصدق قال : فاستوى أبو عبد الله عليه السلام جالساً وأقبل على كالمغضب ثم قال : لا دين لمن دان بولاية إمام جائر ليس من الله ، ولا عتب (١) على من دان بولاية إمام عادل من الله ، قلت : لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء ، ثم قال عليه السلام : ألا تسمع قول الله عز وجل :

« اللَّهُ وَرِئَاسَةُ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ »

من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة أو المغفرة لولايتهم كل إمام عادل من الله قال : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ مِمَّنْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ »

فأي نور يكون للكافر فيخرج منه إنما عنى بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام فلمّا تولوا كل إمام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم إيتاهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب لهم النار مع الكفار فقال :

« أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ »

وأوضح من هذه الرواية دلالة ما في البحار من تفسير العياشي عن سعيد بن أبي الأصبح قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يسأل عن مستقر ومستودع ، قال : مستقر في الرحم ومستودع في الصلب ، وقد يكون مستودع الإيمان ثم ينزع منه ولقد مشى الزبير في ضوء الإيمان ونوره حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى مشى بالسيف وهو يقول لا نباع إلا علياً عليه السلام وعن العياشي أيضاً عن جعفر بن مردان قال : إن الزبير اخترط سيفه يوم قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال لا أعمدته حتى اباع لعلي عليه السلام ثم اخترط سيفه فضارب علياً وكان ممن اعير الإيمان فمشى في ضوء نوره ثم سلبه الله إيتاه .

(وتسنتمم العلياء) أي بتلك الهداية و شرافة الاسلام ركبتم سنام العلياء

والرفعة علا ذكركم ورفع قدركم ، شبه ببئير العلياء بالناقة وأثبت لها سنامها تخيلاً
 و رشح ذلك بذكر التسنم الذي هو ركوب السنام (و بنا انفجرتم) أو أفجرتم
 (عن السرار) أى انفجرتم انفجار العين من الأرض ، أو دخلتم في الفجر ، أو صرتم
 ذوى فجر منتقلين عن السرار ، واستعار ببئير لفظ السرار لما كانوا فيه من ليل
 الجهل وخمول الذكر في الجاهلية وغيرها ، ولفظ الانفجار عنه لخروجهم من ذلك
 إلى نور الإسلام واستضاءتهم بضياء صباح وجودهم عليهم السلام كما قال عز من قائل :
 « وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ »

قال أمير المؤمنين عليه السلام لابن الكواحين سألته عن ذلك : يعني ظلمة الليل وهذا ضربه
 الله مثلاً لمن ادعى الولاية لنفسه وعدل عن ولاية الأمر قال : فقوله والصبح إذا تنفس
 قال : يعني بذلك الأوصياء يقول : إن علمهم أنور وأبين من الصبح إذا تنفس هذا
 ولما ذكر فضله عليهم بكونه عليه السلام سبب هدايتهم و علة لعلو مقامهم وسمو
 مكانهم وجهة لشرافتهم ورفعة قدرهم وداعيا لصوررتهم من ظلمة النواية والضلالة إلى
 فجر الهداية والرشاد مع مقابلتهم كل ذلك بالنفاق والنفاق والعتو والاستكبار ،
 أردف ذلك بالدعاء عليهم بقوله (و قر سمع لم يفقه الواعية) إشارة إلى أنهم كيف
 لم يفقهوا بيانه بعد ما بينه ولم يقبلوه بعد ما سمعوه ولم يطيعوه بعد ما فهموه وجعلوا
 قدره بعد ما عرفوه .

قال البحراني : وهذا كما يقول أحد العلماء لبعض تلاميذه المعاند له المدعي
 لمثل فضيلته : إنك بي اهتديت من الجهل وعلا قدرك في الناس وأنا سبب لشرفك
 أفتكبر عليّ وقر سمعك لم لاتفقه قولي وتقبله هذا ، وعلى ما ذكرناه من كون الواعية
 بمعنى الصوت يكون معنى كلامه عليه السلام نقل سمع لم يفقه الصوت بعد ما سمعه ، وعلى
 قرائة وقر بصيغة المجهول يكون المعنى أنقل الله سمعاً لم يفقه الصراخ ، وعلى ذلك
 فلا حاجة إلى ما تكلفه بعض شارحي كلامه عليه السلام تارة بجعل الواعية صفة لمحذوف
 مع حذف مفعول لم يفقه أى و قر سمع لم يفقه صاحبه بإذنه الواعية علم الشريعة ،

و اخرى بجعل الفاعل بمعنى المفعول مع حذف الموصوف أيضاً أى لم يفقه الأشياء الموعية ، وثالثة بجعلها بمعنى الصارفة .

فإن قلت : ما السر في وصفه السمع بعدم الفقه لا بعدم السماع و تعبيره بقوله : لم يفقه دون لم يسمع مع كون الواعية أيضاً من قبيل المسموعات لا للمقنوعات والحال أن الموصوف والمتعلق كإيهما مقتضيان للتعبير بالثاني دون الأول .

قلت : بعد الغض عن عدم ملائمة الوصف بالثاني للدعاء بالوقر لاستلزامه تحصيل الحاصل أن السر في ذلك هو أن المقصود بالسمع ليس مجرد السماع والاستماع بل الفقه والفهم والانعاط بالمواعظ والنصائح بعد إدراك السمع لها ، فإذا أدركها ولم يفقهها و لم يتم بمقتضياتها فهو حري بالدعاء عليه بكونه موقوراً ثقيلاً مع أن في التعبير بهذه اللفظة إشارة إلى غاية نفارهم واستكبارهم وشدة لجاجهم وعنادهم ونهاية بغضهم وعداوتهم ومنتهى نفرتهم عن قبول الحق كما قال عز من قائل :

«وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَكَانُوا لَا يُعْقِلُونَ»

و صفهم بالصمم مع إثبات الاستماع أولاً من حيث عدم انتفاعهم بما يستمعون ، فهم والأصم على السواء وذلك فإن الانسان إذا قوى بغضه لانسان آخر و عظمت نفرتة عنه صارت نفسه متوجهة إلى طلب مقابح كلامه معرضة عن جميع الجهات الحسن فيه ، فالصمم في الأذن معنى ينافي حصول إدراك الصوت فكذلك حصول هذا البغض والاستكبار والمنافرة كالمنافي للوقوف عن محاسن ذلك الكلام والاطلاع بما اريد منه .

ثم كما أنه لا يمكن جعل الأصم سمياً فكذلك لا يمكن جعل العدو البالغ إلى هذا الحد صديقاً مطيعاً ، ولذلك اعتذر عنه من عدم تأثير كلامه فيهم بقوله : (وكيف براعي النبأة) أى الصوت الخفي (من أصمته الصيحة) إشارة إلى أن من لم يؤثر فيه كلام الله وكلام رسوله الذي هو كالصيحة المكرورة عليهم حتى جعلهم أصم من كثرة التكرار و شدة الاصرار ، كيف يؤثر فيهم كلامه عنه الذي

نسبته إلى كلامها نسبة النبأ إلى الصيحة ، ومن المعلوم أن الصوت الضعيف لا يدرك عند الصوت القوي أو الحواس لا تدرك الأضعف مع وجود الأقوى المماثل في كفيته ، ففي هذه الفقرة من كلامه دلالة على عدم اختصاص تمردهم به بالحق فقط ، بل كانوا متمردين من أول الأمر مستكبرين عن طاعة الله وطاعة رسوله أيضاً كما أن فيها وفي سابقها إشارة إلى تماديهم في الغفلة بما غشت قلوبهم من الظلمة والقسوة حيث لم يسمعوا داعي الله ولم يفقهوا كلام الله ولم يتدبروا في القرآن ونكثوا بيعة ولي الرحمان ، قال سبحانه في الحديث القدسي : يا ابن آدم استقامة سماواتي في الهواء بلا عمد باسم من أسمائي ولا يستقيم قلوبكم بألف موعظة من كتابي ، يا أيها الناس كما لا يلين الحجر في الماء كذلك لا يعني الموعظة للقلوب القاسية .

ثم إنه بالحق لما دعى بالوقر على الأذن الغير الواعية للواعية وأتبعه بالإشارة إلى عدم إمكان تأثير نبأته فيمن أصمته الصيحة لاستحالة تأثر القلوب القاسية بالموعظة و الصيحة ، أورد ذلك بالدعاء للقلوب الوجلة الخائفة بقوله : (ربط جنان) أي سكن وثبت (لم يفارقه) الاضطراب (والخفقان) من خشية الله والاشفاق من عذابه ثم خاطب بالحق بقية أصحاب الجمل أو المقتولين أوهما معاً وقال : (ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر) و الحيلة و أترقب منكم المكر و الخديعة ، و ذلك إما من أجل أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بذلك و بأنهم ينقضون بيعته بعد توكيدها ، و إما من أجل استنباطه عليه السلام ذلك من حركاتهم ووجنات أحوالهم كما يشعر به قوله : (وأتوسمكم بحلية المغترين) و ذلك لأنه عليه السلام فهم أنهم من أهل الغرّة و قبول الباطل عن أدنى شبهة بمالاح له من صفاتهم وسماتهم الدالة على ذلك ، و كان علمه عليه السلام بذلك مستلزماً لعلمه بغدرهم بعهد و تقضيم لبيعته فكان ينتظر ذلك منهم .

ولذلك إن طلحة و الزبير لما دخلا عليه عليه السلام يستأذنانه في العمرة قال : ما العمرة تريدان ، فحلفا له بالله إنهما ما يريدان غير العمرة ، فقال لهما : ما العمرة تريدان و إنما تريدان الغدرة و نكث البيعة ، فحلفا بالله ما لخلاف عليه و لا نكث بيعته يريدان و ما رأيهما غير العمرة ، قال لهما ، فاعيدا البيعة لي ثانياً ، فأعاداهما بأشد

ما يكون من الأيمان و الموائيق ، فاذن لهما فلما خرجا من عنده قال لمن كان حاضراً : والله لا ترونيما إلا في فتنة يقتتلان فيها ، قالوا : يا أمير المؤمنين فمر برؤهما عليك ، قال : ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

و قوله : (سترني عنكم جلباب الدين) قال البحراني : و لرد مورد الوعيد للقوم في قتالهم له ومخالفتهم لأمره ، والمعنى ان الدين حال عيني وبينكم وسوني عن أعين بصائركم أن تعرفوني بما أقوى عليكم من العنف بكم والغلظة عليكم ومحور وجوه تقويكم وردعكم عن الباطل وراه ما وقني عليه الدين من الرفق و الشفقة وشبه ذيل المفوعن الجرائم ، فكان الدين غطاء حال بينهم وبين معرفته فاستعار له لفظ الجلباب قال : وروي ستركم عنسي أي عصم الاسلام منسي دماكمم واتباع مدبركم وأن اجهد على جريحكم وغير ذلك مما يفعل من الأحكام في حق الكفار هذا .

ولما أشار ﷺ إلى عد معرفتهم له حق معرفته وغفلتهم عن مراتب شأنه ووظيفته أتبعه بقوله : (وبصر نيكم صدق النية) وأشار بذلك إلى معرفته لهم حق المعرفة بعين اليقين و البصيرة من حيث صفاء نفسه وخلوص نيته و نور باطنه كما قال ﷺ : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ، وقال الرضا ﷺ في رواية بصائر الدرجات لنا أعين لا تشبه أعين الناس و فيها نور ليس للشيطان فيه شرك ، و بذلك النور يعرفون كل مؤمن ومنافق ويعرفون صديقهم من عدوهم كما يدل عليه أخبار كثيرة .

مثل ما رواه في البحار عن العيون عن تميم القرشي عن أبيه عن أحمد بن علي الأنصاري عن الحسن بن الجهم قال : سئل عن الرضا ﷺ ما وجه إخباركم بما في قلوب الناس ؟ قال : أما بلغك قول الرسول ﷺ : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ؟ قال : بلى ، قال : فإمن مؤمن إلا وله فراسة ينظر بنور الله على قدر إيمانه ومبلغ استبصاره وعلمه ، وقد جمع الله للأمة مناس ما فرقته في جميع المؤمنين و قال عز وجل في كتابه :

« إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ »

فَأُولَ الْمُتَوَسِّمِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) مِنْ بَعْدِهِ ، ثُمَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالْأُمَّةَ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَمِنْ كِتَابِ الْبَصَائِرِ وَالْإِخْتِصَاصِ عَنِ السَّنَدِيِّ بْنِ الرَّبِيعِ عَنِ ابْنِ فَضَالٍ عَنِ ابْنِ رَمَابٍ عَنِ أَبِي بَكْرٍ الْحَضْرَمِيِّ عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) قَالَ : لَيْسَ مَخْلُوقٌ إِلَّا وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ أَوْ كَافِرٌ وَذَلِكَ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ وَلَيْسَ بِمَحْجُوبٍ مِنَ الْأُمَّةِ مِنْ آلِ عَمَدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَيْسَ يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ إِلَّا عَرَفُوهُ هُوَ مُؤْمِنٌ أَوْ كَافِرٌ ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ :

« إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ » فَهَمُّ الْمُتَوَسِّمُونَ

وَمِنْ الْإِخْتِصَاصِ أَيْضًا بِإِسْنَادِهِ عَنِ جَابِرِ قَالَ : بَيْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ إِذْ جَاءَتْ امْرَأَةٌ تَسْتَعِدِّي عَلَيَّ زَوْجَهَا فَقَضَى (عليه السلام) لَزَوْجِهَا عَلَيْهَا ، فَغَضِبْتُ فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ مَا الْحَقُّ فِيمَا قَضَيْتَ وَمَا تَقْضَى بِالسُّوِيَّةِ وَلَا تَعْدِلُ فِي الرَّعِيَّةِ وَلَا قَضَيْتَكَ عِنْدَ اللَّهِ بِالْمَرْضِيَّةِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لَهَا : كَذَبْتَ يَا جَرِيَّةُ يَا بَدِيَّةُ (١) يَا سَلْفِيقِيَّةُ (٢) يَا الَّتِي لَا تَحْمَلُ مِنْ حَيْثُ تَحْمَلُ النِّسَاءُ ، قَالَ : فَوَلَّتْ الْمَرْأَةُ هَارِبَةً مَوْلُودَةً وَتَقُولُ : وَيْلِي وَيْلِي لَقَدْ هَتَكْتَ يَا بِنَ أَيْطَالِبٍ سِتْرًا كَانَ مُسْتَوْرًا .

قَالَ : فَلَحِقَهَا عَمْرُوبُ بْنُ حَرِيثٍ فَقَالَ : يَا أُمَّةَ اللَّهِ لَقَدْ اسْتَقْبَلْتَ عَلِيًّا بِكَلَامٍ سَرَرْتَنِي بِهِ ثُمَّ إِنَّهُ نَزَعَ (٣) لَكَ بِكَلَامٍ فَوَلَّيْتَ عَنْهُ هَارِبَةً تَوْلُولِينَ ، فَقَالَتْ إِنَّ عَلِيًّا (عليه السلام) وَاللَّهِ أَخْبَرَنِي بِالْحَقِّ وَبِمَا أَكْتَمَهُ مِنْ زَوْجِي مِنْذُ وَلِي عَصْمَتِي وَمِنْ أَبِي ، فَعَادَ عَمْرُو إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ ، وَقَالَ لَهُ فِيمَا يَقُولُ : مَا أَعْرَفْتُكَ بِالْكَهَانَةِ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ (عليه السلام) : وَيْلَكَ إِنَّهَا لَيْسَتْ بِالْكَهَانَةِ مِنِّي وَلَكِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ

١- البيئة العلق ، لنة

٢- سلقه في الكلام اذاه و فلانا طعنه ، ق

٣- لعله على سبيل الاستعارة من قولهم نزع في القوس اذا مدها ، بحار .

الابدان بألفي عام ، فلما ركب الأرواح في أبدانها كتب بين أعينهم كافر و مؤمن و ما هم به مبتلون و ما هم عليه من سيء عملهم و حسنه في قدر اذن الفارة ، ثم أنزل بذلك قرآناً على نبيّه ﷺ فقال :

« إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ »

فكان رسول الله ﷺ المتوسّم ، ثم أنا من بعده ، والأئمة من ذريتي هم المتوسّمون فلما تأملتّها عرفت ما فيها وما هي عليه بسماها .

و من البصائر باسناده عن عبدالرحمان يعني ابن كثير قال : حججت مع أبي عبداللهؑ فلما صرنا في بعض الطريق صعد على جبل فأشرف فنظر إلى الناس فقال : ما أكثر الضجيج و أقل الحجيج ، فقال له داود الرقي : يا بن رسول الله ﷺ هل يستجيب الله دعاء هذا الجمع الذي أرى ؟ قال : ويحك يا باسليمان إن الله لا يفر أن يشرك به ، الجاحد لولاية عليؑ كعابد وثن ، قال : قلت : جعلت فداك هل تعرفون محبكم و مبغضكم ؟ قال : ويحك يا باسليمان إنه ليس من عبد يولد إلا كتب بين عينيه مؤمن أو كافر ، و إن الرجل ليدخل إلينا بولایتنا و بالبرائة من اعدائنا فرى مكتوباً بين عينيه مؤمن أو كافر ، قال الله عز وجل : « إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ » نعرف عدونا من ولينا .

و قد وضح بهذه الأخبار كلّ وضوح معنی قوله السابق : أتوسّمكم بحلية المعترّين ، و ظهر أن توسّمه عبارة عن نظره ﷺ إلى سماتهم الدالة على خبث الطينة و لحاظه العلامات الكاشفة عن سوء السريرة ، فافهم ذلك و اغتم .

القرجمة

بسبب نور وجود ما هدايت يافتيد در ظلمت شب جهالت ، و بواسطه ما سوار شديد بر كوهان بلند يقين ، و بجهة ما منتقل گشتيد از شب ضلالت ، و بصباح اسلام رسيديد ، كر باد يا سنگين باد گوشي كه نفهميد صدای داعي حق را ، و چگونه مراعات بنمايد آواز ضعيف را آنكسى كه كر ساخته است اورا آواز قوی ، ثابت

باد قلبی که جدا نشد از آن طیدن از ترس خدا ، همیشه بودم که انتظار میکشیدم از شما عاقبتهای خیانت داد و بفراسد مییافتم شمارا که متصفید بزینت فریفتگان از قبول باطل و ناروا ، پوشانید مرا از دیده شما پرده دین من ، و بینا گردانید مرا بر حال شما خلوص نیت و صفای باطن من .

الفصل الثانی

أَقْنَتْ لَكُمْ عَلَى سُنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِ الْمَصَلَّةِ حَيْثُ تَأْتِقُونَ وَلَا دَلِيلَ
وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا تَمِيهُونَ الْيَوْمَ أَنْطِقُ لَكُمْ الْعَجَمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ ، عَزَبَ
رَأْيُ امْرَأَةٍ تَغْلُظَ عَنِّي ، مَا شَكَّكَتُ فِي الْحَقِّ مُذْ رَأَيْتُهُ ، لَمْ يُوجِسْ
مُوسَى خَيْفَةً عَلَى نَفْسِهِ ، أَشْفَقَ مِنْ غَلْبَةِ الْجِبَالِ ، وَدُوَلِ الضَّلَالِ ، الْيَوْمَ
تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، مَنْ وَثِقَ بِهَاءِ لَمْ يَظْمَأْ .

اللفظة

(أقنم) بالممكن اقامة دام (سنن) الطريق مثلثة وبضممتين نهجه وجهته والسنة الطريقة و السنة من الله حكمه و أمره و نبيه و أرض (مضلة) بفتح الميم و الضاد يفتح و يكسر أي يضل فيها الطريق و (أماء) الحافر و أموه بلغ الماء ، و البهيمة (العجماء) لأنها لا تفصح و استعجم الكلام علينا مثل استبهم و كلمة عجماء مبهمة و (عزب) الشيء عزوباً من باب قعد بعد ، و غرب من بابي قتل و ضرب خفي و غاب و (الوجس) كالوعد الفزع يقع في القلب و أوجس في نفسه خيفة أي أحس و أضر و (الاشفاق) العوف و (دول) مثلثة جمع دولة .

و قال الفيومي تداول القوم الشيء تداولاً وهو حصوله في يد هذا تارة و في يد هذا اخرى ، و الاسم الدولة بفتح الدال و ضمها و جمع المفتوح دول بالكسر مثل قصعة و قمع و جمع المضموم دول بالضم مثل غرفة و غرف ، و منهم من يقول الدولة

بالضم في المال وبالفتح في الحرب وعلى هذا فالانسب أن يكون دول في كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ
بالكسر ليكون جمع دولة بالفتح و (التواقف) بالقاف قبل الفاء هو الوقوف و (الظماء)
شدة العطش .

الاعراب

العجماء بالفتح مفعول انطق أو صفة لمحذوف أى الكلمات و خيفة بالنصب
مفعول لم يوجس ، وأشفق بصيغة التفضيل صفة خيفة ويحتمل أن يكون بصيغة الماضي
واستدراكاً عن سابقه أى لم يوجس موسى خيفة على نفسه ولكنه أشفق من غلبة الجهال .

المعنى

لما ذكر عليه السلام حال المناققين معه من غدرهم واغترارهم ونفارهم واستكبارهم
وماهم عليه من الغفلة والجهالة بشأنه عليه السلام ورتبته مع كونه سبب هدايتهم في الظلماء
وتسليمهم على سنام العلياء أردف ذلك بما يدل على وجوب اقتفاء آثاره ، و اقتباس
أشعة أنواره في سلوك منهج الحق القويم وسير سبيل الله المستقيم فقال (أقمتم لكم)
أى دمت و ثبت (على سنن الحق) وجهته (في جواد المضلة) أى الجواد التي يضل
فيها ويزل فيها الاقدام ، والمراد بسنن الحق هودين الله الذي لا يقبل من العباد غيره
وهو الصراط المستقيم الموصل إلى الرضوان و من جواد المضلة هو شبيل الشيطان
المؤدية إلى النيران .

قال عبدالله بن مسعود : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال : هذا صراط الله
ثم خط خطوطاً عن يمينه و شماله و قال : هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان
يدعون الناس إليها ثم تلا قوله تعالى :

« وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

عَنْ سَبِيلِهِ »

والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم أقمتم لكم الإشارة إلى إقامته على نهج الحق لدعوة الناس إليه
كما قال تعالى :

« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي »

قال أبو جعفر عليه السلام في تفسيره : ذلك رسول الله و أمير المؤمنين و الأوصياء من بعدهما عليهم السلام يعني أن الداعي هو رسول الله و من اتبعه أمير المؤمنين و الأوصياء التائبون له في جميع الأقوال و الأفعال فمن أجاب لهم دعوتهم و سلك سبيلهم :

فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا

و من تخلف عنهم و لم يجبهم دعوتهم و سلك سبيل غيرهم يكون ذلك حسرة عليه و يقول :

« يَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ

سَبِيلًا، يَا وَيَا تَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا »

و بالجملة فمقصوده عليه السلام من كلامه إنني فعلت من هدايتكم و إرشادكم و أمركم بالمعروف و نهيكم عن المنكر ما يجب على مثلي فوقفت لكم جادة الطريق و منهجه حيث أن طرق الضلال كثيرة مختلفة و أنتم فيها تائهون حائرون (حيث تلتقون) و تجتمعون (و لا دليل) لكم (و تحترفون) الأبار لتجدوا ماء تروون به غلتكم (فلا تميمون) و لا تجدون الماء (اليوم) انطق لكم العجماء ذات البيان (لتشهد بوجوب اتباعي و تدل على ما ينبغي فعله في كل باب و كنس عليها السلام بالعجماء ذات البيان عن العبر الواضحة و ما حل بقوم فسقوا عن أمر ربهم و عما هو واضح من كمال فضله عليه السلام بالنسبة إليهم و عن حال الدين و مقتضى أوامره ، فإن هذه الأمور عجماء لا نطق لها مقالاً ذات البيان حالاً ، و لما بينها عليها السلام لهم و عرفهم ما يقوله لسان حالها فكانت أنطقها لهم ، و قيل : العجماء صفة لمحذوف أي الكلمات العجماء ، والمراد بها ما في هذه الخطبة من الرموز التي لا نطق لها مع أنها ذات بيان عند أولى الألباب .

قال الشارح المعتزلي : و هذه إشارة إلى الرموز التي تتضمنها هذه الخطبة يقول : هي خفية غامضة وهي مع غموضها جليسة لاولى الألباب فكانت تنطق كما ينطق

ذو الألسنة كما قيل : ما الأمور الصامتة الناطقة ؟ فقيل : الدلائل المخبرة والعبر الواضحة ، وفي الأثر سل الأرض من شق أنهارك وأخرج نمارك ؟ فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً، ثم إنه عليه السلام أشار إلى ذم من تخلف عنه و توييخه بقوله : (عزب) أي بعد أوغاب وخفي (رأى امرء تخلف عني) لأن التخلف عنه دليل على بعد الرأي الصائب عن المتخلف ، و ذلك لأن المتخلف لما فكر في أن أي الأمور أنفع له أن يكون من متابعيه أو المتخلفين عنه ثم رأى أن التخلف عنه أوفق كان ذلك أسوأ الآراء وأقبحها فهو في الحقيقة كمن أقدم على ذلك بغير رأى يحضره أولاً لأن الرأي الحق كان غارباً عنه .

ثم أشار عليه السلام إلى بعض علل وجوب اتباعه بقوله : (ما شككت في الحق) (١) منذرته) لأن من لم يشك في الحق أحق بالاتباع ممن كان في شك من دينه لاحتياجه إلى من يهديه قال سبحانه :

أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ قَمَا
لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ

(لم يوجس موسى خيفة على نفسه أشفق من غلبة الجهال) على الحق (ودول الضلال) وهذا تمثيل وإشارة إلى أن خوفه عليه السلام منهم لم يكن على نفسه بل كان شدة خوفه من غلبة أهل الجهل على الدين وفتنة الخلق بهم وقيام دول الضلال كما أن خوف موسى من جهلة السحرة على ما أخبر به سبحانه في كتابه الكريم كان من هذه الجهة قال في سورة طه :

« قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى، قَالَ
بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْفَى، فَأَوْجَسَ

١- في البحار من كتاب الارشاد في خطبة له (ع) و ما شككت في الحق منذرته هلك قوم ارجفوا عنى انه لم يوجس موسى في نفسه خيفة ارتيابا و لا شكا فيما اتاه من عند الله ولم اشكك فيما اتانى من حق الله ولا ارتبنت في امامتى و خلافة ابن عمى و وصية الرسول و انما اشفق اخم موسى من غلبة الجهال دول الضلال و غلبة الباطل على الحق انتهى، منه .

فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ، قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى »

قال الطبرسي: معناه فأحس موسى و وجد في نفسه ما يجده الخائف ، و يقال أو جس القلب فزعاً أي أضمر ، و السبب في ذلك أنه خاف أن يلتبس على الناس أمرهم فيتوهموا أنهم فعلوا مثل فعله و يظنوا المساواة فيشكوا و لا يتبعونه ، ثم ذكر وجوهاً أخر في سبب الخوف والأظهر ذلك كما يشهد به كلام الامام عليه السلام و يدل عليه قوله: لا تخف إنك أنت الأعلى ، فإنه تقرير لغلبته عليهم على أبلغ وجه و أكده كما يعرب عنه الاستيناف و حرف التحقيق و تكرير الضمير و تعريف الخبر و لفظ العلو المنبى عن الغلبة الظاهرة و صيغة التفضيل (اليوم توافقنا على سبيل الحق و الباطل) أي وقتت على سبيل الحق و وقتتم على سبيل الباطل و ضم نفسه إليهم على حد قوله:

« إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَمَلِ هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ »

وقوله (من وثق بماء لم يظماً) انه تنهه أن المراد به أن من كان على الحق و أيقن على ذلك و اعتمد على ربه و توكل عليه لا يبالي على ما وقع فيه ، كما أن من اتهم بماء لم يفزعه عطشه ، و قال الشارح المعتزلي و البحراني إن مراده عليه السلام إن سكنتم إلى قولي و وثقتم بي كنتم أقرب إلى الهدى و السلامة و أبعد من الضلالة ، و ما ذكرناه أظهر

الترجمة

نابت شدم من بجهة هدايت شما بر طريق حق در جاده هائیکه محل گمراهی است در مکانیکه ملاقات میکرید بهمدیگر و حال آنکه هیچ دلیل و هادی نبود شمارا ، و چاه میسکنید و بآب نمیرسیدید یعنی بحث و کاوش میکرید از برای اخراج نتیجه مطلوب در او دیده قلوب و از تحصیل نتیجه مطلوبه عاجز بودید ، امروز بزبان در آوردیم بجهة شما حیوان بی زبان را یعنی هر که هست از یزبانان مخبرند بلسان حال بامثال مقال من و ناطقند بر وجوب اتباع و حقیقت حال من ، غایب شد رأی صایب مردی که تغلف کرده است از من ، شك نکرده ام من در حق از آن

زمانیکه عالم بحق شدهام ، احساس نکرد موسی بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ خوفی را بر نفس خود که سخت تر بوده باشد از خوفی که داشت از غلبه جلاهان و قیام دولتهای گمراهان ، امروز ایستاده‌ایم ما و شما بر راه حق و باطل یعنی من ایستاده‌ام بر طریق هدایت و شما ایستاده‌اید در راه ضلالت ، هر کسیکه و ثوق و اطمینان داشته باشد بآب تشنه نماند ، والله أعلم بالصواب .

و من کلام له عَلَيْهِ السَّلَامُ قبض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و خاطبه العباس و ابوسفیان بن حرب فی ان یبایعا له بالخلافة وهو الخامس من المختار فی باب الخطب

ورواه فی البحار من مناقب ابن جوزی بأدنی اختلاف تطالع علیه :

أَيُّهَا النَّاسُ شَقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُنَنِ النَّجَاةِ ، وَ عَرَّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافِرَةِ ، وَضَعُوا تَبِجَانَ الْمُفَاخِرَةِ ، أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ ، أَوْ اسْتَسَلَّمَ فَأَرَاخَ ، مَا أَجْنُ وَ لُقْمَةٌ مِصُّ بِهَا آكُلُهَا ، وَ مُجْتَنِي الثَّمَرَةَ لغيرِ وَ قَتِ إِنبَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ ، فَإِنْ أَقْلَ يَقُولُوا حَرَّصَ عَلَى الْمَلِكِ ، وَإِنْ أَنْسَكْتَ يَقُولُوا جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ ، هَيْمَاتَ بَدَا لَتَيَا وَ أَلَّتِي ، وَ اللَّهُ لَا يَنْبُ أَيُّ طَالِبِ آ نَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِتَدْيِ أُمِّهِ ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُخْتُ بِهِ لَا ضَظْرَبْتُمْ إِضْطِرَابَ الْأَرْضِيَّةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ .

اللغة

(عَرَّجُوا) أى انحر فواد عدلوا يقال : عرجت عنه عدلت عنه وتركته و (تبجان)

جمع تاج و هو الاكليل و (فاخره) مفاخرة و فخاداً عارضه بالفخر ، قال الشارح

المعتزلي : المفاخرة هو أن يذكر كل من الرجلين فضائله ومفاخره ثم يتحاكما إلى ثالث و (الماء الاجن) المتغير الطعم واللون و (غصص) بالكسر و الفتح و يفض بالفتح وهو غاص و (جنيت الثمرة) واجتنتها و (ينعت) الثمار من باب ضرب ومنع أدركت و (اللتيا) بفتح اللام و التنا و تشديد الياء تصغير التي ، و اللتيا والتي من أسماء الداهية يقال : وقع فلان في اللتيا والتي أي في الداهية ، و قيل : يكنى بهذه اللفظة من كمال الشدة والحزن وبهذه المناسبة جعلت علماً للداهية ، و قيل : اللتيا الداهية التي بلغت الغاية والتصغير للتعظيم أو بالعكس والتصغير للتحقير .

وفي بعض كتب الأديبة على ما يبالي أنه تزوج رجل امرأة قصيرة سيئة الخلق فقاسى منها شامدا فطلقها ، وتزوج طويلة فقاسى منها أضعاف القصيرة فطلقها وقال بعد اللتيا والتي لا أتزوج فصار مثلاً ، ومثل ذلك ذكر الشارح البحراني ، و قال الحريري في المقامات : اللتيا تصغير التي وهو على غير قياس التصغير المطرد لأن القياس أن يضم أول الاسم إذا صغير وقد أقر هذا الاسم على فتحه الأصلية عند تصغيره إلا أن العرب عوضته من ضم أوله بأن زادت في آخره الفاء وأجرت أسماء الإشارة عند تصغيرها على حكمه فقال في تصغير الذي والتي : اللذيا واللتيا وفي تصغير ذا و ذاك : ذيا و ذياك ، و قد اختلف في معنى قولهم بعد اللتيا والتي وقيل : هما من أسماء الداهية ، وقيل : المراد بهما صغير المكروه وكبيره انتهى .

و (اندمج) في الشيء دخل فيه و تستربه و (باح) بستره أظهره كأباحه و (الارشية) جمع رشاككساء وهو الحبل و (الطوى) كغنى اسم بئر بذى طوى على ما ذكره الفيروز آبادي ، ولعل المراد هنا مطلق البئر كطوية .

الاعراب

ماء آجن مرفوع على الابتداء و الخبر محذوف و هو ما صرح به في رواية ابن الجوزي أي أجدد بالعاقل اه ، أو خبر محذوف المبتدأ أي ما تدعوني إليه ماء آجن ومجتنى الثمر مبتدأ وكالزادع خبره وعلى في قوله **الآجن** على مكنون علم بمعنى في

على حدّ قوله : و دخل المدينة على حين غفلة ، و البعيدة صفة و تأنيها باعتبار أن الطوى اسم للبئر وهى انثى .

المعنى

اعلم أنه قال الشارح المعتزلى : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله واشتغل علي عليه السلام بنفسه و دفنه و بويح أبوبكر خلا (١) الزبير و أبوسفيان و جماعة من المهاجرين بعباس و علي عليه السلام لاجالة الرأي و تكلموا بكلام يقتضى الاستنهاض و التسييح ، فقال العباس رضي الله عنه ، قد سمعنا قولكم فلا لقلّة نستعين بكم ولا لقلّة نترك آراءكم فامهلونا نراجع الفكر فان لم يكن لنا من الانم مخرج بصير (٢) بنا وبهم الحق صرير الجدجد و نبسط إلى المجد أكفأ لا نقبضها أو يبلغ بالمدى ، و إن تكن الاخرى فلا لقلّة في العدد ولا لوهن في الأيد و الله لولا أن الاسلام قيّد الفتك لتدكدكت جنادل صخر يسمع اصطكا كهامن المحلّ العلى ، فحلّ عليه السلام حبوته (٣) و قال : الصبر حلم و التقوى دين و الحجّة عهد صلى الله عليه وآله و الطريق الصراط ، أيها الناس شقوا أمواج الفتن الخطبة ، ثم نهض إلى منزله و افترق القوم .

و قال البحراني روى أنه لما تمّ في سقيفة بني ساعدة لأبي بكر أمر البيعة أراد أبوسفيان بن حرب أن يوقع الحرب بين المسلمين ليقتل بعضهم بعضاً فيكون ذلك دماراً للدين فمضى إلى العباس فقال له : يا أبا الفضل إن هؤلاء القوم قد ذهبوا بهذا الأمر من بني هاشم وجعلوه في بني تيم ، وإنه ليحكم فينا غداً هذا الفظ الغليظ من بني عدي فقم بناحتسى ندخل على علي عليه السلام و نبايعه بالخلافة و أنت عم رسول الله صلى الله عليه وآله و أنا رجل مقبول القول في قريش ، فإن دافعونا عن ذلك قاتلناهم و قتلناهم ، فأتيا أمير المؤمنين عليه السلام فقال له أبوسفيان : يا أبا الحسن لا تغافل عن هذا الأمر متى كنّا لتيم الارذال و كان عليه السلام يعلم من حاله أنه لا يقول ذلك عصبه للدين بل للفساد الذي

١- من الغلوة

٢- صر صريرا صاح و صوت ق

٣- و احبى بالنوب اشتل اوجع بين ظهره و ساقيه بمامة و نحوها و الاسم العبوة و يضم ، ق

زواه في نفسه فأجابه ﷺ بقوله :

(أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة) شبه الفتن بالبحر المتلاطم في كون كل منهما سبب هلاك الخائضين فيها ، و قرن ذلك بالأأمواج التي هي من لوازم البحر وكنى بها عن هيجان الفتنة وثورانها ، وأتبعها بذكر سفينة النجاة التي هي من ملازمات البحر ، ولما كانت السفن الحقيقية تنجى من أمواج البحر استعارها لكل ما يحصل به الخلاص من الفتن ووجه المشابهة كون كل منهما وسيلة إلى السلامة (وعرجوا) أي انحرفوا واعدلوا (عن طريق المنافرة) إلى المتاركة والمسالمة (وضعوا تيجان المفاخرة) لما كان التاج مما يعظم به قدر الانسان وهو أعظم ما يفتخر به استعاره لما كانوا يتعظمون به ويفتخرون وأمرهم بوضعه مريداً بذلك ترك التفاخر الموجب لانبعاث الفتنة وهيجان العصبية ، ولما أمر ﷺ بالعدول عن التفاخر والافتخار أشار إلى ما ينبغي أن يكون الانسان عليه في تلك الحالة التي هاجت فيها الفتن وعظمت فيها المحن بقوله : (أفلح من نهض بجناح أو استسلم فاراح) يعني أن الفلاح في تلك الحال بأحد الأمرين .

أحدهما النهوض إلى الأمر ومطالبة الحق بوجود الناصر والمعين للذين هما بمنزلة الجناح للطير في كونها واسطة الظفر المطلوب والفوز بالمقصود .
و ثانيهما التسليم والانتقار والتترك والسلامة لمن لم يكن له جناح النجاح فيستسلم وينقاد فيريح نفسه من تعب الطلب .

ثم أشار ﷺ إلى أن ما كانوا يدعون إليه ويحملونه عليه (ماء آجن) يتغير اللون والطعم (و لقمة يفس بها) أي بأكملها (آكلها) أي ينشب في حلق آكلها ويكون غاصاً لا يمكنه إساغتها ، وتشبيهه بالخلافة في تلك الحالة بهما إشارة إلى نفرة النفس عنها وعدم التذافها بها مع وجود المنافسة التي كانت فيها ، فهي في تلك الحال كانت لقمة منغصة وجرعة لا يسفها شاربها وقد ذكر شارحو كلامه في هذا المقام وجوهاً أخروماً ذكرناه أظهر ، ثم إن هذا كله على جعل ماء آجن خبيراً لمبتدئ محذوف على ما اشرنا إليه وأما على تقدير جعله مبتدئ حذف خبره مطابقاً

لما صرح به في رواية ابن الجوزي التي تأتي في التكملة الآتية ، فالغرض أن التحمل على المذلة والصبر على الشدة أولى مع حسن العاقبة وأحسن من ارتكاب أمر يوجب اشتداد البلية وسوء العاقبة.

ثم أخذني الاعتذار عن الامساك وترك المنازعة بقوله عنه : (ومعجتي الثمرة لغير وقت إيناعها كالزراع بغير أرضه) يعني من احتنى الثمرة قبل أن تدرك لا ينتفع بها كما لا ينتفع الزارع بغير أرضه من زرعه لعدم قدرته على الإقامة في محل زراعته وعدم إمكان سعيه في إصلاحها بسقيها وحرستها وجبايتها ونحوها ، و المقصود أن هذا الوقت ليس وقت طلب هذا الأمر ولا يسوغ لي المطالبة إماماً لعدم الناصر أو لغير ذلك .

وقال المحدث المجلسي طاب رمسه : و لعله شبهه عليه السلام طلبه في هذا الوقت بمن يجتني ثمرته مع عدم إيناعها ، وشبهه اختيار الملعون الخلافة بمن زرع في غير أرضه فيفيد ما تقدم أي عدم الانتفاع مع كمال التشبيه في الفقرتين (فإن أقل) في باب الخلافة شيئاً (يقولوا : حرص على الملك) كما قاله عمر في غير موضع واحد (وإن أسكت) من حيث اقتضاء المصلحة (يقولوا : جزع من الموت) وهذا كله إشارة إلى عدم أمنه عليه السلام من حصائد الألسنة و غوائل الزخرفة ، حيث إنهم مع التسكلم كانوا ينسبونه إلى الحرص والاهتمام بأمر الدنيا ، ومع السكوت كانوا ينسبونه إلى الجزع والعجز والخوف من الموت كما هو دأب المنافق العاسد والكافر الجاحد في كل عصر وزمان خصوصاً في حق مثله عليه السلام .

كما قال الصادق عليه السلام في رواية المجلس : إن رضا الناس لا يملك وألستهم لا تضبط ، ألم ينسبوه عليه السلام يوم بدر إلى أنه أخذ من الغنم قطيفة حمراء حتى أظهره الله على القطيفة ، وبره نبيّه من الخيانة ، و أنزل في كتابه : و ما كان لنبي أن يغفل الآية .

وفي الصافي عن المجلس عن الصادق عليه السلام إن رضا الناس لا يملك وألستهم لا تضبط وكيف تسلمون ما لم يسلم منه أنبياء الله و رسله و حججه ألم ينسبوا نبينا

قَدْماً ~~وَأَمَّا~~ إِلَى أَنَّهُ يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى فِي ابْنِ عَمِّهِ عَلِيِّ ~~بِأَنَّهُ~~ حَتَّى كَذَّبَهُمُ اللَّهُ فَقَالَ:

« وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى »

وقال الشاعر و ربما ينسب إليه ~~فكذب~~ .

قيل إن الآله ذو ولد
ما نجا الله والرسول معاً
وقيل إن الرسول قد كنها
من لسان الورى فكيف أنا

ثم إنّه ~~بأنه~~ أشار إلى بطلان ما زعموا في حقه و تكذيب ما قالوا فيه من جزعه من الموت على تقدير السكوت بقوله : (هيهات) أى بعد ما يقولون (بعد اللتيا والتي) أى بعد هذه الداهية الكبرى وملاقات كبار الشدائد وصغارها (والله لابن أبي طالب آنس بالموت) و أرغب فيه و أميل إليه (من) ميل (الطفل) و رغبته (بشى أمه) و تفضيله ~~فكذب~~ انسه بالموت على انس الطفل بالشدى بملاحظة أن انس الطفل جبلي و طبعي في معرض الفناء و الزوال و انسه ~~فكذب~~ بالموت و لقاء ربه عقلي و روحاني متصف بالبقاء و الثبات فإين أحدهما من الآخر .

ثم أشار ~~فكذب~~ إلى سر سكوته عن طلب حقه بقوله : (بل اندمجت) أى انطويت (على مكنون علم لو بعث به) و أظهرته (لاضطربتم اضطراب الأرشية) و الحبال (في الطوى البعيدة) و البئر العميقة ، و اختلفوا في أن المراد بالعلم المكنون ماذا ؟ فقيل : إنّه إشارة إلى الوصية التي اختص بها و قد كلن من جملتها الأمر بترك النزاع في مبدئ الاختلاف .

وقيل إن المراد به علمه بعواقب الأمور المانع من سرعته إلى ما فيه المفسدة و الموجب لتوقفه على ما اقتضته المصلحة .

وقيل : إنّه أراد به علمه بأحوال الآخرة و أهوالها ، يعني أن الذي يمنعي من المناقسة في هذا الأمر و القتال عليه اشتغالي بما انطويت عليه من علم الآخرة مما لو أظهرته لكم لاضطربتم اضطراب الحبال في الآبار خوفاً من العقاب و شوقاً إلى الثواب و لنهلتهم عما أتم فيه من التنافس في أم الدنيا .

أقول : والأظهر عندي أن المراد به هو ما أعلمه النبي ﷺ بالوحي الإلهي من جريان حكم القضاء اللازم على دوران رحى الضلالة بعده صلوات الله عليه وآله على قطبها إلى رأس خمس و ثلاثين من الهجرة ، ثم قيام دولة بني أمية على ما يجري فيها على المسلمين والمؤمنين من العذاب الأليم والنكال العظيم ، ثم ملك الفراعنة أعني بني العباس على ما يبئلى به الناس فيه من الفتن والمعن ، ولعل هذا الوجه أقرب ، ومحصله أن القضاء الأزلي والقدر الحتمي قد جرى على وقوع هذه الامور واستيلاء الدولة الباطلة لامحالة ، فلا يشمر الشهوض ولا ينفع إلا السكوت ، والله العالم بحقايق كلام وليه صلوات الله عليه وآله .

تكملة

هذا الكلام رواه المجلسي في البحار بأدنى اختلاف ، قال : مأخوذ من مناقب ابن الجوزي خطبة خطب بها أمير المؤمنين ﷺ بعد وفات رسول الله ﷺ ، روى مجاهد عن ابن عباس قال : لما دفن رسول الله ﷺ جاء العباس و أبوسفیان بن حرب و نفر من بني هاشم إلى أمير المؤمنين ﷺ ، فقالوا : مد يدك نبايعك وهذا اليوم الذي قال فيه أبوسفیان : إن شئت ملأتها خيلا و رجلا ، فخطب ﷺ وقال : أيها الناس شقروا أمواج الفتن بسفن النجاة ، و عرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة ، فقد فاز من نهض بجناح ، أو استسلم فارتاح ، ماء آجن ولقمة يغمص بها آكلها أجدر بالعاقل من لقمة تحشى بزنبور ، ومن شربة تلذ بها شاربها مع ترك النظر في عواقب الأمور ، فإن أقل يقولوا : حرص على الملك ؛ و إن أسكت يقولوا : جزع من الموت ، هيهات هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بشدى امه ، و من الرجل بأخيه و عمه ، و لقد اندمجت على مكنون علم لوبحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة .

الترجمة

از جمله کلام آنحضرت است در حینی که پیغمبر خدا صلوات الله علیه و آله از

دنیا احتجاب فرمود و خطاب نمودند بآنحضرت عباس بن عبدالمطلب و ابوسفیان بن حرب در آنکه بیعت نمایند باو بخلافت ، پس فرمود در جواب ایشان :

ای مردمان بشکافید موجهای فتنه هارا که در تلاطم مانند بحار زخاراست بکشتیهای راستکاری ، و منحرف بشوید و عدول نمائید از راه مخالفت بسوی استکانت و سلامت ، و بگذارید از سرها تاجهای مکابرت و مفاخرت را ، راستکار کردید کسی که برخاست بجنایعوان و انصار یا اطاعت نمود و نفس خود را راحت کرد ، چیزی که مرا بسوی آن دعوت میکنید از عقد بیعت همچو آبی است گندیده ، و مانند لقمه ایست که بسبب خوردن آن گلو گیر میشود خوردنده آن ، و چپننده میوه در غیر وقت رسیدن آن بمنزله کسی است که زراعت کننده است در غیر زمین خود ، پس اگر بگویم که میل دارم درخلافت میکنید که حریص است در ملک و امارت ، و اگر ساکت شوم میکنید که ترسید از مقاتله و شهادت ، چه دوراست آنچه میکنید بهداز این داهیة عظمی و مصیبت کبری و تعاقب شدائد بسیار و ملاقات سختیهای بیشمار ، بخدا قسم هرآینه پسر ابوطالب انس گیرنده تر است بمرک از انس گرفتن طفل شیرخواره بیستان مادر خود ، بلکه سبب سکوت و توقف من در اینباب آنستکه پیچیده شده ام بعلم مخزون و سرمکنونیکه پنهان است که اگر اظهار بدارم آنرا بشما هر آینه مضرب میشود ، و بلرزه میافتید مانند لرزیدن ریسمان در چاه دور و دراز ، و این اشاره است بقیام دولت اهل ضلالت و طغیان و امتداد زمان غصب خلافت ایشان .

و من كلام له عليه السلام لها اشير اليه بان لا يتبع طلحة
والزبير ولا يرصد لهما القتال وهو سادس المختار
في باب الخطب الجارى مجراها

و رواه في البحار من الامالي بسند يأتي ، في شرح البحراني عن أبي عبيد قال
أقبل أمير المؤمنين عليه السلام الطواف وقد عزم على اتباع طلحة والزبير وقتالهما فأشار إليه
ابنه الحسن عليه السلام أن لا يتبعهما ولا يرصد لهما القتال فقال عليه السلام في جوابه :
وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبْعِ تَمَامٌ عَلَى طُولِ الدِّمِ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا
طَائِبُهَا وَيَخْتَلِهَا رَاصِدُهَا ، وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالمَقْبِلِ إِلَى الحَقِّ المَذْبِرِ عَنْهُ
وَبِالسَّامِعِ المَطْبِيعِ العَاصِيِ المُرِيبِ أبدأ حَتَّى يَأْتِيَ عَلِيٌّ يَوْمِي ، فَوَاللَّهِ
مَا زِلْتُ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَرًا عَلِيٌّ مُنذُ قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عليه السلام حَتَّى
يَوْمِ النَّاسِ هَذَا .

اللفظة

(الضبع) بضم الباء حيوان معروف مؤنثة ، قال الفيروز آبادي و هي سبع
كالذئب إلا أنه إذا جرى كأنه أعرج و لذلك سمى السبع العرجاء و (الدم)
اللطم والضرب بشيء ثقيل يسمع وقع و (ختل) يخله من باب نصر و ضرب خدعه
(استأثر) بالشئ استبد به .

الاعراب

على في قوله : على طول الدم ، للاستعلاء المجازي على حد قوله تعالى :
' ولهم علي ذنب ' ، و الباء في قوله : بالمقبل وبالسامع ، للاستعانة أو المصاحبة ،

و عليّ في قوله : يأتي عليّ ، زائدة ، و حتىّ في قوله : حتىّ يوم الناس بمعنى إلى والانيان يهادون إلى للإشارة إلى دخول مابعدها في حكم ما قبلها إذ الغالب في حتىّ مع الخلو من القرينة هو الدخول ، كما أنّ الغالب في الي العكس ؛ صرح به ابن هشام في المعنى .

المعنى

اعلم أنّ الضبّع حيوان معروف بالحرق والعرب تقول في أمثالها أحرق من الضبّع ، و من حمقها أنّ الصائد يأتي إلى باب مغارها فيضرب بعقبه الأَرْض عند الباب ضرباً خفيفاً ، و ذلك هو اللدم ويقول خامري أم عامر مراداً بصوت ليس بشديد فتنام على ذلك فيدخل إليها ويجعل الحبل في عرقوبها ويجرّها فيخرجها .

وفي شرح المعتزلي والعرب يزعمون أنّ الصائد يدخل عليها وجارها فيقول : اطرقني أم طريق خامري أم عامر ، ويكرّر ذلك مراراً فتلجأ إلى أقصى مغارها وتتقبض فيقول : أم عامر ليست في وجارها أم عامر نائمة ، فتمدّ يديها ورجليها وتستلقي فيدخل عليها ويوتقها .

أقول : عامر هو جرو الضبّع وأمّ عامر كنية لها ومعنى خامري أم عامر استتري والزمي مكانك من المخامرة وهو الاستتار ولزوم المكان ، وأمّ طريق كقبيط (١) كنية لها أيضاً وهو كثير الأطراق .

وفي القاموس يقال : خامري حضاجر أذاك ماتجاوز هكذا و جدناه و الوجه خامر بحذف الياء أوتجاوزين باثباتها ، و حضاجر علم جنس للضبّع غير منصرف لأنّه منقول عن الجمع و كان في الأصل حضجر بمعنى عظيم البطن سمى به الضبّع هبالغة في عظم بطنها ، كأن كلّ فرد منها جماعة من هذا الجنس ، فهو علم للمفرد المؤنث ولذلك قال الفيروز آبادي : و الوجه أن يقال : تجاوزين ، و أما الوجه الآخر الذي ذكره وهو حذف الياء في خامر فهو مبنيّ على كونه علماً لجنس الضبّع الأعمّ الشامل

للذكر والانشى على ما ذهب إليه البعض على ما حكاه الفيومي في المصباح .
و كيف كان فاذا عرفت ما مهديناه وضع لك معنى قوله ﷺ : (والله لا أكون
كالضبيع تنام على طول اللدم حتى يصل إليها طالبها ويختلها) أى يخدعها (راسدها)
و مترقبها و المقصود إنى لا أقعد عن الحرب و لا أؤخر القتال فيكون حالي مع
القوم المشار إليهم حال الضبيع تنام على حيلة صائدها ، فأكون قد أسلمت نفسي لهم
و يكونون متمكنين منى تمكن صائد الضبيع منها يختله و خديعته (ولكنى أضرب)
مصاحباً (بالمقبل إلى الحق) وجه (المدبر عنه و) احارب مستعيناً (بالسامع المطيع)
اداعي الحق (العاصي المريب) في الحق الشاك فيه (ابدأ) أى مادام العمر (حتى
ياتى على يومى) الذي قدر فيه موتى (فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقى) الذي كنت
أستحقه بنص من الله ورسوله (مستأثراً على) و مستبدأ برأى غير محتاج إلى مشاورة
الغير (منذ قبض الله نبيه ﷺ) إليه (حتى يوم الناس هذا) يعنى أن التغلب
على و اندفاعى عن الخلافة شيء لم يتجدد الآن بل كان منذ قبض رسول الله ﷺ
إلى ذلك اليوم الذي خالفونى و نكثوا بيعتى .

و في الاحتجاج قال أمير المؤمنين ﷺ في أثناء كلام له : وهذا طلحة و الزبير
ليسا من أهل النبوة و لا من ذرية الرسول حتى رأيا أن الله قد رد علينا حقنا
بعد أعصر فلم يصبرا حولاً كاملاً و لا شهراً حتى وثبا على دأب الماضين قبلهما ليذهبا
بحقنى و يفرقا جماعة المسلمين عنى ثم دعا عليهما .

وينبئ الغنبيه على امور

الاول في ذكر نسب طلحة و الزبير أما طلحة فقد قال العلامة الحلبي قدس الله
روحه في كشف الحق و قد ذكر أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي من علماء
الجمهور ان من جملة البغايا و ذوي الرأيات صعبة بنت الحضرمي و كانت لها راية
بمكة و استصفت بأبي سفيان فوقع عليها أبوسفيان و تزوجها عبيدالله بن عثمان بن
عمرو بن كعب بن سعد بن تيم فجماعت بطلحة بن عبيدالله لستة أشهر ، فاختم أبوسفيان
وعبيدالله في طلحة فجعلوا أمرهما إلى صعبة فألحقته بعبيدالله فليل لها : كيف تركت

أباسفيان؟ فقالت يد عبيد الله طليقة يد أبي سفيان بكرة، وقال أيضاً: وممن كان يلعب به ويتخنت عبيد الله أبو طلحة.

وأما الزبير فقد قال في البحار: قال مؤلف كتاب إلزام النواصب و صاحب تحفة الطالب: قد ورد أن العوام كان عبداً لخوايلد ثم اعتقه وتبناه (١) ولم يكن من قريش وذلك أن العرب في الجاهلية كان إذا كان لأحدهم عبد وأراد أن ينسبه إلى نفسه ويلحق به نسبه أعتقه و زوجته كريمة من العرب فيلحقه بنسبه و كان هذا من سنن العرب و يصدق ذلك شعر عدي بن حاتم في عبدالله بن الزبير بحضرة معاوية وعنده جماعة من قريش وفيهم عبدالله بن الزبير، فقال عبدالله لمعاوية يا أمير المؤمنين ذرنا نتكلم عدياً فقد زعموا أن عنده جواباً، فقال: إنني أحتذركموه، فقال: لا عليك دعنا وإياه فقال يا أبا طريف متى فقتت عينك؟ فقال: يوم فرأ أبوك وقتل شرقتة وضربك الاشر على استك فوقتت هارباً من الزحف وأنشديقول شعراً.

أما أبي يابن الزبير لوانني لقيتك يوم الزحف منى سخطاً
و كان أبي في طي وأبوابي صحيحين لم ينزع عروقهما القبطا

قال معاوية: قد حدتكموه فأيتيم، وقوله: صحيحين اه تعريض بابن الزبير بأن أباه وآبا أبيه ليسا بصحيحي النسب وأنهما من القبط ولم يستطع ابن الزبير انكار ذلك في مجلس معاوية.

الثاني

في سبب نقض طلحة والزبير بيعته عليه السلام، قال الشارح المعتزلي: لما بويع علي عليه السلام كتب إلى معاوية: أما بعد فإن الناس قتلوا عثمان من غير مشورة مني وبإيعوني عن مشورة منهم واجتماع فإني أتك كتابي فبايع وأرشد إلي أشرف أهل الشام قبلك، فلما قدم رسوله على معاوية وقره كتابه بعث رجلاً من بني عيس وكتب معه كتاباً إلى الزبير بن العوام وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم لعبدالله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان

سلام عليك ، أمّا بعد فأنّي قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوسقوا (١) كما يستوسق الحلب فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقنك إليهما بن أبي طالب فأنه لاشيء بعد هذين المصريين ، وقد بايعت لطلحة بن عبيدالله من بعدك فأظهرا الطلب بدم عثمان وادعوا الناس إلى ذلك وليكن منكما الجدّ و التشمير أظفر كما الله و خذل مناديكما .

فلما وصل هذا الكتاب إلى الزبير ستر به و أعلم به طلحة وقرأه إياه فلم يشك في النصيح لهما من قبل معاوية و أجمعا عند ذلك على خلاف علي عليه السلام .
قال الشارح : جاء الزبير و طلحة إلى علي عليه السلام بعد البيعة بأيام فقالا : يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كنا فيه من الجفوة في زلاية عثمان كلها و علمت رأى عثمان كان في بني امية و قد ولاك الله الخلافة من بعده فولنا بعض أعمالك ، فقال عليه السلام لهما : ارضيا بقسم الله لكما حتى أرى رأيي و اعلمنا أنني لا اشرك في أماتي إلا من أرضى بدينه و أماته من أصحابي و من قد عرفت دخيلته فانصرفا عنه و قد دخلهما اليأس فاستأذناه في العمرة .

وفي الاحتجاج عن ابن عباس أنه قال : كنت قاعداً عند علي عليه السلام حين دخل عليه طلحة و الزبير فاستأذناه في العمرة فأبى أن يأذن لهما فقال : قد اعترمتما ، فعادا عليه الكلام فأذن لهما ثم التفت إليّ فقال : والله ما يريدان العمرة ، قلت : فلا تأذن لهما ، فردّهما ثم قال لهما : والله ما تريدان العمرة و ما تريدان إلا نكتنا لبيعتكما و إلا فرقة لامتكما فحلقاله فأذن لهما ثم التفت إليّ فقال : والله ما يريدان العمرة ، قلت : فلم أذنت لهما ؟ قال : حلفا لي بالله ، قال خرجا إلى مكة فدخلا على عائشة فلم يزا بها حتى أخرجاهما .

وفي شرح المعتزلي من كتاب الجمل لأبي مخنف أن علياً عليه السلام خطب لما سار الزبير و طلحة من مكة و معهما عائشة يريدون البصرة فقال :
أيها الناس إن عائشة سادت إلى البصرة و معها طلحة و الزبير و كل منهما يرى

الأمر له دون صاحبه أما طلحة فابن عمها وأما الزبير فختنها ، والله لو ظفروا بما أرادوا ولن ينالوا ذلك أبداً ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبه ولا تحل عقدة إلا في معصية الله و سخطه حتى توردها نفسها ومن معها موارد الهلكة أي والله ليقتلن نلثهم وليهربن نلثهم وليتوبن نلثهم و أنها التي تنبأها كلاب الحوالب و أنهما ليعلمان أنهما مخطئان و رب عالم قتله جهله و معه علمه لا ينفعه و حسبنا الله و نعم الوكيل ، فقد قامت الفتنة فيها الفتنة الباغية أين المحتسبون أين المؤمنون ؟ مالي و لقريش أما والله لقد قتلتهم كافرين و لأقتلنهم مفتونين ، و مالنا إلى عايشة من ذنب إلا أنا أدخلناها في حيزنا والله لا يقرن الباطل حتى يظهر الحق من خاصرته .

ورواه في البحار من كتاب الكافية لا بطلان توبة المخاطة قريباً منه ، و فيه بدل قوله : وليتوبن نلثهم وليرجع نلثهم و بدل قوله : و مالنا إلى عايشة من ذنب وما لنا اليها من ذنب غير أننا خيرنا عليها فأدخلناها في حيزنا

الثالث

روى المحدث المجلسي (قدّه) في البحار من أمالي المفيد عن الكاتب عن الزعفراني عن الثقيفي عن الفضل بن دكين عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال : لما نزل عليّ عليه السلام بالربذة سألت عن قدومه إليها فقيل : خالف عليه طلحة و الزبير و عايشة و صاروا إلى البصرة فخرج يريدهم فصرت إليه فجلست إليه حتى صلى الظهر والعصر فلما فرغ من صلاته قام إليه ابنه الحسن عليه السلام فجلس بين يديه ثم بكى و قال : يا أمير المؤمنين إنني لا أستطيع أن اكلمك و بكى عليه السلام ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : لانبك يا بني و تكلم و ناه عن حنين الجارية .

فقال : يا أمير المؤمنين إن القوم حصروا عثمان يطلبونه بما يطلبونه إما ظالمون أو مظلومون فسألتك أن تعتزل الناس وتلحق بمكة حتى تتوب العرب وتعود إليها أحلامها وتأتيك وفودها فوالله لو كنت في جحر ضب لضربت إليك العرب آباط الأبل حتى تستخرجك منه ثم خالفك إلى الحق طلحة و الزبير فسألتك أن لا تتبعهما

وتدعهما فان اجتمعت الامة فذاك وان اختلفت رضيت بما قسم الله وأنا اليوم أسألك أن لا تقدم العراق واذكرك بالله أن لا تقتل بمضبعة .

فقال امير المؤمنين عليه السلام أما قولك : إن عثمان حصر فما ذاك وما على منه وقد كنت بمعزل عن حصره ، و أما قولك : ائت مكة فوالله ما كنت لأكون الرجل يستحل به مكة ، و أما قولك : اعتزل العراق ودع طلحة و الزبير فوالله ما كنت لأكون كالضبع ينتظر حتى يدخل عليها طالبها فيضع الحبل في رجلها حتى يقطع عرقوبها ثم يخرجها فيمزقها ارباً ارباً ولكن أباك يا بني يضرب بالمقبل إلى الحق المدبر عنه وبالسامع المطيع العاصي المخالف أبداً حتى يأتي علي يومي فوالله ما زال أبوك مدفوعاً عن حقه مستائراً عليه منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا وكان طارق بن شهاب اي وقت حدث بهذا الحديث بكى هذا

والمستفاد من هذه الرواية أنه عليه السلام خطب بهذه الخطبة بالر بنة ، والمستفاد من رواية الشارح البحراني السالفة أنه خطب بها بمكة ، والله العالم بحقايق الوقايع .

الترجمة

از جمله کلام بلاغت نظام آنحضرتست که فرمود درحینى که اشاره کرده شد بسوى او که نرود بى طلحه و زبير و مهيباً نسا زد بجهت ايشان مقاتله و محاربه را و اشاره کننده حضرت امام حسن عليه السلام بود که بحضور پدر بزرگوار اين عرض را نمود پس آن امام عاليمقام جوابداد :

بخدا سوگند که من نمیتوانم مثل گفتار بشوم که بخوابد بردرازي زدن صيد کننده او باشنه خود را بسنگ که اين از جمله اسباب صيد اوست تا اينکه برسد باو طلب کننده و فريب دهد او را انتظار کشنده او، و لکن من ميزم باستعانت مصاحبت کسیکه اقبال کننده حق است ادبار کننده از حق را و بیاری شنونده فرمان بردار گنه کار شك آورنده را در جميع حالات و درهمه اوقات تا اينکه بیاید بسوى من روز موعود من .

پس بخداوند سوگند همیشه بوده ام دفع کرده شده از حق خود ممنوع

گردیده از خلافت مستبد در امر و تنها ایستاده ام بر کار خود و هیچ ناصر و معین من نبوده از آن زمان که قبض فرمود حق سبحانه و تعالی روح پرفروش پیغمبر خود را تا روز مردمان ابن روزگار ، یعنی اغتصاب خلافت و ممنوع شدن من از حق خود چیزی نیست که تازگی داشته باشد و از آن استیحاش بکنم ، بلکه امریست مستمر از روز وفات حضرت رسالت مآب سلام الله علیه تا امروز که این منافقین بامن بمقام نقض عهد آمده و بنایشان دنع نمودن من است از حق خود ، والله أعلم بالصواب .

و من خطبة له عليه السلام وهي الخطبة السابعة

إِتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَ ، وَاتَّخَذُوا لَهُ أَشْرَاكَ ، قَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ ، فَنَظَرَ فِي أَعْيُنِهِمْ ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ، فَوَكَّبَ بِهِمُ الزَّلْزَلَةَ ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ ، فَعَلَّ مَنْ قَدَّشَرَ كَهْ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ ، وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ .

اللغة

(الشيطان) فعال من شطن إذا تباعد فكأنه يتباعد عند ذكر الله تعالى ، وقيل إنه فعلان من شاط يشيط إذا احترق غضباً لأنه يحترق و يفضب إذا أطاع العبد لله سبحانه و (ملك) الأمر ما به قوامه و (الأشراك) إجماع شريك كشریف و أشراف و هو الأظهر ، أو جمع شرك و هو حائل الصيد و الغالب في جمعه شرك بضمهتين و قد بجمع على أشراك كجبل و أجبال و (باض) الطائر و نحوه يبيض بيضاً فهو باض و (فرخ) من باب التفعيل و (دب) الصغير ديباً من باب ضرب سار و (درج) الصبي دروجاً من باب قعد مشى قليلاً ، و قد يختص الديب بالحركة الخفية و (الخطل) الكلام الفاسد يقال : أخطل في كلامه أى أخطأ

الاعراب

فعل من قد شر كه مفعول مطلق مجازي لقوله : اتخذوا إذا العامل محذوف والتقدير

فعلوا ذلك فعل مناه

المعنى

اعلم أنه عليه السلام أشار في هذه الخطبة إلى ذم المنابذين والمخالفين له والمتمردين عن طاعته فقال: (اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً) أي به قوام أمورهم ونظام حالهم فجعلوه وليالهم سلطاناً عليهم متصرفاً فيهم بالأمر والنهي كما قال سبحانه:

«إِتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» وقال تعالى: «إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ»

أي حكمنا بذلك لأنهم يتناصرون على الباطل يؤمنون به و يتولون الشيطان ويشركون بالرَّحْمَن كما قال تعالى:

«إِنَّا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ»

(و اتخذهم له أشراكاً) يعني أنهم بعد ما ملكوا الشيطان أمورهم فتصرف فيهم بأن أخذهم شركاء له وجعلهم جنوده وأتباعه كما قال تعالى:

«إِن تَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسِهِمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ

أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْغَاسِرُونَ»

وأما على جعل الأشراك جمعاً لشرك فقد قال الشارح المهراني أنه استعارة حسنة، فإنه لما كان فائدة الشرك اصطيار ما يراد صيده وكان هؤلاء القوم بحسب ملك الشيطان لا رايهم وتصرفه فيهم على حسب حكمه أسباباً لدعوة الخلق إلى مخالفة الحق ومناجزة إمام الوقت وخليفة الله في أرضه اشبهوا الأشراك لاصطيادهم الغلق بالسنتهم وأموالهم وجذبهم إلى الباطل بالأسباب الباطلة التي ألقاها إليهم الشيطان ونطق بها على ألسنتهم فاستعار لهم لفظ الأشراك.

ثم أشار عليه السلام إلى ملازمة الشيطان لهم بقوله (فباض و فرخ في صدورهم) كالطائر الذي يبض و يفرخ وذلك لا يكون إلا بعد طول الملازمة والاقامة، فعبه

صَدُورَهُمْ بِعَشْرِ الطَّيْرِ وَمَوْطِنُهُ إِذْ الْبَائِضُ لَا يَبِيضُ إِلَّا فِي مَسْكَنِهِ ، وَكَتَبَ بِالْبَيْضِ وَالْفَرخِ عَنْ إِقَامَتِهِ عَلَيْهِمْ وَمَسْكَنِهِ فِي قُلُوبِهِمْ لِأَغْوَانِهِمْ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِمَا مَعْنَاهُمَا الْأَصْلِيَّ لِأَنَّهُ لَا نَتَاجَ لَهُ وَإِنَّمَا يَبِيضُ وَيَفْرَخُ بِنَفْسِهِ .

كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَارَوَاهُ فِي الْبَحَارِ مِنَ الْخِصَالِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: الْآبَاءُ ثَلَاثَةٌ آدَمُ وَوَلَدٌ مُؤْمِنًا ، وَالْجَانُّ وَوَلَدٌ كَافِرًا ، وَإِبْلِيسُ وَوَلَدٌ كَافِرًا ، وَلَيْسَ فِيهِمْ نَتَاجٌ إِنَّمَا يَبِيضُ وَيَفْرَخُ وَوَلَدُهُ ذَكَورٌ لَيْسَ فِيهِمْ أُنَاتٌ . وَفِيهِ مِنَ الْعِلَلِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَمْرٍو بْنِ خَالِدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ أَمَرَ آدَمَ أَنْ يَهْبِطَ ، هَبَطَ آدَمُ وَزَوْجَتُهُ وَهَبَطَ إِبْلِيسُ وَلَا زَوْجَةَ لَهُ وَهَبَطَتِ الْحَيَّةُ وَلَا زَوْجَ لَهَا فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ يَلُوطُ بِنَفْسِهِ إِبْلِيسُ فَكَانَتْ ذُرِّيَّتُهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَكَذَلِكَ الْحَيَّةُ وَكَانَتْ ذُرِّيَّةُ آدَمَ مِنْ زَوْجَتِهِ فَأَخْبِرْهُمَا أَنَّهُمَا عَدُوٌّ أَنْ لِهَآ هَذَا

وَلَكِنْ الْأَظْهَرُ هُوَ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ لِأَنَّ الْكُنْيَاةَ أَبْلَغُ مِنَ الْإِفْصَاحِ وَأَسَدُّ مِنَ التَّصْرِيحِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ نَظِيرَ قَوْلِهِ صلى الله عليه وآله: إِنْ الشَّيْطَانُ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِّ ، فَإِنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ لَيْسَ أَنَّهُ يَدْخُلُ عُرُوقَهُ وَأُورَادَهُ وَتَجَاوِيفَ أَعْضَائِهِ بَلِ الْمَعْنَى أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَزَالُ يَرِاقِبُ الْعَبْدَ وَيُوسُوسُ إِلَيْهِ فِي نَوْمِهِ وَيَقْطَعُهُ ، إِذْ هُوَ جَسْمٌ لَطِيفٌ هَوَامِيٌّ يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ إِلَى ذَلِكَ الْإِنْسَانِ فَيُوصِلُ كَلَامَهُ وَوَسْوَاسَهُ إِلَى بَاطِنِ أُذُنِهِ فَيَصِيرُ إِلَى قَلْبِهِ ، وَاللَّهُ الْعَالِمُ بِكَيْفِيَّةِ ذَلِكَ .

وَبِالْجُمْلَةِ كَلَامُ الْعَرَبِ إِشَارَاتٌ وَتَلْوِيحَاتٌ وَكَلَامٌ إِذَا ذَهَبَ عَنْهُ الْمَجَازُ وَالِاسْتِعَارَةُ وَالْكُنْيَاةُ زَالَتْ بِرَاعَتِهِ وَفَارَقَهُ رَوْتُهُ وَبَقِيَ مَفْسُولًا وَصَارَ عَامِيًّا مَرْدُودًا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَكَذَلِكَ سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ عليه السلام أَفْصَحُ الْفَصْحَاءِ وَأَكْمَلُ الْبَلْغَاءِ ، فَيَكُونُ فَائِدَةُ كَلَامِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَلْزِمُكَ وَيُرَاصِدُكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَعْلَمُ فَعَلَيْكَ بِالْإِحْتِرَازِ مِنْهُ وَالتَّوَقُّفِ مِنْ كَيْدِهِ وَمَكْرِهِ ، وَفَائِدَةُ كَلَامِهِ صلى الله عليه وآله أَنَّ الشَّيْطَانَ اسْتَوْطِنَ قُلُوبَهُمْ وَلَزِمَ صُدُورَهُمْ لَزُومَ الطَّيْرِ الْبَائِضِ عَلَى بَيْضَتِهِ (وَدَبُّ دُرُجٍ فِي حَجُورِهِمْ) دَيْبِ الْوَلَدِ فِي حَجَرٍ وَالِدِيهِ هُوَ مَعَهُمْ لَا يَفَارِقُهُمْ وَلَا يَفَارِقُونَهُ ، وَعَلَى الْوَجْهِ الْآخَرَ

الذي ذكرناه من احتمال استعمال باض وفرخ في معناهما الحقيقي فالأظهر رجوع الضميرين في دبّ ودرج إلى الفرخ المستفاد من فرخ .

ثم أشار **عليه السلام** إلى شدة اتحاده معهم بقوله (فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم) وذلك لأنّ النظر والنطق و سائر أفعال الأعضاء والجوارح بأسرها تابعة لإرادة القلب، إذ القلب هو الحاكم عليها بالأمر والنهي والمتصرف في مملكة البدن والرئيس على الجوارح والمشاعر الباطنة والظاهرة .

ولما جعلوا هؤلاء قلوبهم عش الشيطان وموطنه وألقوا مقاليد أمورهم إليه وعزلوا عقولهم عن التصرف والتدبير ، كان إرادتهم القلبية التي هي منشأ الحركات والأفعال للجوارح تبعاً له و منبعثة من وسوسته وإغوائه ، فيكون جميع الأفعال والحركات والسكنات لهم مستندة إليه و صادرة عن حكمه ، فيكون نظرهم نظر الشيطان و نطقهم نطق الشيطان لا ينظرون إلاّ إلى ما فيه رضاه ، ولا ينطقون إلاّ بما هو مطلوبه ومناه .

(ف) عند ذلك (ركب بهم الزلل) و الضلالة (وزين لهم الخطل) و الفكاهة و فعلوا ذلك مثل (فعل من قد شره الشيطان في سلطانه و نطق بالباطل على لسانه) يعني كما أنّ من جعله الشيطان شريكاً له في تسلطه وأمره ونهيه و كان ناطقاً بالباطل على لسانه ، يكون جميع أفعاله واقواله في جميع أحواله تبعاً لذلك اللعين ، فكذلك هؤلاء المنافقين والمنابذين لعنة الله عليهم أجمعين .

الترجمة

أخذ نمودند منافقان شیطان را بجهة کارهای خودشان محلّ اعتماد و مابه القوام ، و اخذ نمود شیطان ایشان را بجهة خود شریکان ، پس تخم شقاوت نهاد و جوجه در آورد و درسینه ایشان بحرکت در آمد و باتدریج رفتار کرد در کنار ایشان ، پس با چشم آنها نگاه نمود و با زبان ایشان گویا گردید ، پس سواد نمود ایشان را بر مرکب لغزش و گناه و زینت داد بجهة ایشان قول فاسد و تباه را ، مینماید کارها را مثل کردن کسیکه شریک نموده باشد او را شیطان در سلطان و طغیان خود ، و همچو

كردن کسیکه گویا باشد باطل بر زبان او ، یعنی افعال و اقوال اینها مثل فعل و قول کسی است که من جميع الوجوه مطيع شيطان بوده باشد و از غایت اختلاط و امتزاج با شیطان اثبیت از میانه برداشته شود .

ومن كلام له **عنه** یعنی به الزبیر فی حال اقتضت ذلك وهو ثامن المختار فی باب الخطب

يَزْعَمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ يَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَقْرَبَ بِالْبَيْعَةِ، وَادَّعَى الْوَلِيَّةَ، فَلَيَاتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ، وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيهَا خَرَجَ مِنْهُ.

اللفظة

(ولج) يلج ولوجاً ولجة دخل ، والوليعة الدخيلة والبطانة وخاصتك من الرجال و من تتخذة معتمداً من غير أهلك ، وهو وليجتهم اى لصيق بهم ، والمراد هنا ما أضمره الإنسان في قلبه .

الاعراب

الفاء في قوله **عنه** : فقد أقر ، وقوله : فليأت ، فصيحة وفي قوله : فليدخل جواب للشرط

المعنى

اعلم أن الزبیر بعد نكته بيعته **عنه** كان يمتدح عن ذلك ، فیدعی تارة أنه أكره على البيعة و (يزعم) أخرى أنه ورى في ذلك تورية ونوى دخيلة و (أنه قد بايع يده و لم يبائع بقلبه) فأجاب **عنه** عنه ورد ادعائه بأنه (قد أقر بالبيعة) بتسليمه البيعة بيده ظاهراً و (ادعى) أنه أضمر في باطنه ما يفسد بيعته من (الوليعة) والبطانة وهذه دعوى لا تسمع منه ولا تقبل شرعاً مالم ينصب عليها دليلاً ولم يقم عليها برهاناً (فليأت) على اثباتها (بأمر يعرف) صحته ودليل يتضح دلالاته (وإلا) أى إن لم يقم عليها برهاناً كما أن الشأن ذلك (فليدخل فيما خرج منه) من طاعته **عنه** وانقياد حكمه وليمض على بيعته .

قال الشارح المعتزلي: لما خرج طلحة والزبير من المدينة إلى مكة لم يلقيا أحداً إلا وقالوا: ليس لعلي في أعناقنا بيعة وإنما بايضاء مكرهين فبلغ علياً عليه السلام قولهما فقال عليه السلام: أبعدهما الله وأعزب دارهما وأنا والله لقد علمت أنهما سيقتلان أنفسهما أخبث مقتل ويأتیان من ورد بأشام يوم ولقد أتاني بوجهي فاجرین ورجما بوجهي غادرين ناكثين، والله لا يلقىاني بعد هذا اليوم إلا في كتيبة خشناء يقتلان فيها أنفسهما فبمدأ لهما وسحقاً.

وفي الاحتجاج عن نصر بن مزاحم أن أمير المؤمنين عليه السلام حين وقع القتال وقتل طلحة تقدم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشهباء بين الصفيين، فدعا الزبير، فدنا إليه حتى إذا اختلفت أعناق دابتيهما، فقال: يا زبير انشدك أسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنك ستقاتل علياً وأنت له ظالم، قال، اللهم نعم، قال: فلم جئت؟ قال: جئت لا صلح بين الناس فأدبر الزبير وهو يقول:

ترك الأمور التي يخشى عواقبها	لله أجمل في الدنيا وفي الدين
أتى علياً بأمر كنت أعرفه (١)	قد كان عمر أيبك الخير مذحين
قتلت حسبك من عدل أبا حسن	فبعض ما قلته ذا اليوم يكفيني
فاخترت عاراً على نارٍ مؤججة	أنسى يقوم لها خلق من الطين
نبئت طلحة وسط النقع منجدلاً	مأوى الضيوف ومأوى كل مسكين
قد كنت أنصره أحياناً وينصرني	في الثائبات ويرمى من يراмини
حتى ابتلينا بأمر ضاق مصدره	فأصبح اليوم ما بعينه بعيني

قال: و أقبل الزبير إلى عايشة فقال: يا أمه والله مالي في هذا بصيرة وأنا منصرف، فقالت عايشة: يا أبا عبد الله أفردت من سيوف ابن أبي طالب؟ فقال: إنها والله طوال حداد تحملها فتية أنجاد ثم خرج را جمعاً فمر بواردي السباع وفيه الأحنف ابن قيس قد اعتزل في بني تميم فأخبر الأحنف بانصرافه فقال: ما أصنع به إن كان

(١) نادى علي بأمر لست أذكره، خ. ل.

الزبير قد القي (الف خ) بين غارين (١) من المسلمين و قتل أحدهما بالآخر ثم هو يريد اللحاق بأهله فسمعه ابن جرموز فخرج هو ورجلان معه وقد كان لحق بالزبير رجل من كلب ومعه غلامه .

فلما أشرف ابن جرموز و أصحابه على الزبير فحرك الرجلان رواجلهما وخلقًا الزبير وحده ، فقال الزبير : مالك ما معكم ثلاثة و نحن ثلاثة فلما أقبل ابن جرموز قال له الزبير : مالك إليك عنّي فقال ابن جرموز : يا أبا عبد الله إنني جئتك لأسألك عن أمور الناس قال : تركت الناس على الركب يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف .

قال ابن جرموز : يا أبا عبد الله أخبرني عن أشياء أسألك عنها قال : هات ، فقال أخبرني عن خذلك عثمان وعن بيعتك علياً وعن نقضك بيعته وعن إخراجك عائشة أم المؤمنين وعن صلاتك خلف ابنك وعن هذه الحرب التي جتتها وعن لحوقك بأهلك فقال : أما خذلي عثمان فأمر قدم الله فيه الخطيئة وأخر فيه التوبة ، وأما بيعتي علياً فلم أجد منها بداً إذ بايعه المهاجرون و الأنصار ، وأما نقضك بيعته فأنما بايعته بيدي دون قلبي ، وأما إخراجي أم المؤمنين فأردنا أمراً وأراد الله غيره ، وأما صلاتي خلف ابني فأنما خالته قد متني ، فنتحى ابن جرموز عنه ، و قال قتلني الله إن لم أقتلك .

وفي شرح المعتزلي بعد ما ذكر سؤال ابن جرموز وجواب الزبير قال : فسار ابن جرموز معه و كل واحد منهما يتقي الآخر فلما حضرت الصلاة فقال الزبير يا هذا إننا نريد أن نصلي ، فقال ابن جرموز : أنا أريد ذلك فقال الزبير : فتؤمّني و أؤمّك ، قال : نعم فتى الزبير رجلاً و أخذ وضوئه ، فلما قام إلى الصلاة شدّ ابن جرموز عليه فقتله و أخذ رأسه و خاتمه و سيفه و حثا عليه تراباً يسيراً و رجع إلى

١- و في حديث على عليه السلام قال يوم الجبل ما ظنك بامر. جمع بين هذين الفارين أي الجيشين والنار الجبابة هكذا أخرجه أبو موسى في النين والواو وذكره الهروي في النين والبا. قال ومنه حديث الاحف قال في الزبير حين منصرفه من الجبل ما صنع ان كان جمع بين غارين، نهايه

الأحنف فأخبره ، فقال : والله ما أدري أسأت أم أحسنت ، اذهب إلى علي عليه السلام فأخبره فجهأ إلى علي عليه السلام فقال للآذن : قل له : عمرو بن جرموز بالباب و معه رأس الزبير و سيفه فأدخله .

و في كثير من الروايات أنه لم يأت بالرأس بل بالسيف فقال له : أنت قتلته قال : نعم قال : والله ما كان ابن صفيّة جباناً و لا ليثماً ولكن الحين (١) و مصارع السوء ، ثم قال ناولني سيفه فناوله فهزّه ، و قال : سيف طال ما جلى به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال ابن جرموز : الجائزة بأمر المؤمنين ، فقال عليه السلام : أما أنتي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول بشر قاتل ابن صفيّة بالنار ، فخرج ابن جرموز خائباً و قال :

أتيتُ عليّاً برأس الزبير	أبغى به عنده الزلفة
فبشر بالنار يوم الحساب	فبئست بشارة ذي التحفة
فقلت له إن قتل الزبير	لولا رضاك من الكلفة
فإن ترض ذلك فمنك الرضا	و إلا فدونك لي حلفة
و رب المحلين والمحرمين	و رب الجماعة والألفة
لسيآن عندي قتل الزبير	وضرطة عنز بذوي الجحفة

ثم خرج ابن جرموز على علي عليه السلام مع أهل النهر ، فقتله معهم فيمن قتل .

فان قيل : أليس ما رواه ذلك صريحا في توبة الزبير حيث إنه لو لم يكن تابيا لما استحق قاتله النار بقتله ، فيدل ذلك على صحة ما ذهب إليه الشارح المعتزلي و فاقالساير المعتزلة من صحة توبة الزبير .

قلت : قد أُجيب عنه تارة بأن بشارة القاتل بالنار لا ينافي كون المقتول فيها أيضاً ، ولا يلزم توبته ، وذلك لأن ابن جرموز قتل الزبير على وجه الغيلة و المكر و هذه منه معصية لا شبهة فيها وإنما استحق ابن جرموز النار بقتله إياه غدرأ لا لأن

المقتول في الجنة .

و أُجيب أُخرى بأنّ جرموز كان من جملة الخوارج كما ذكره الشارح في آخر كلامه و النبي ﷺ قد كان خبره بحالهم و دلّه على جماعة منهم بأعيانهم وأوصافهم ، فلما جاءه ابن جرموز برأس الزبير أشفق أمير المؤمنين عليه من أن يظنّ به لعظيم ما فعله الخير و يقطع له على سلامة العاقبة و يكون قتله الزبير شبهة فيما يصير إليه من الخارجيّة قطع عليه بالنار لتزول الشبهة في أمره و ليعلم أنّ هذا الفعل الذي فعله لا يساوى شيئاً مع ما يرتكبه في المستقبل .

و الذي يدلّ على أنّ بشارته بالنار لم تكن لتكون الزبير تائباً بل لبعض ما ذكرناه هو أنّه لو كان الأمر كما ادّعوه لا فادّه أمير المؤمنين عليه به ففي عدوله عليه من ذلك دلالة على ما ذكرنا كما هو واضح لا يخفى ، مضافاً إلى أنّه لو كان تائباً لم يكن مصرعه مصرع سوء لا سيّما و قد قتله غادراً ، و يأتي إنشاء الله تحقيق هذا المعنى في شرح الكلام المائة والسابعة والثلاثين بما لا مزيد عليه فانتظر .

الترجمة

از جمله کلام بلاغت نظام آنحضرتست که اراده نموده بآن زبیر را در حالی که اقتضا میکرد آنرا ادعا میکند زبیر که بیعت کرده بدست خود و بیعت نموده بقلب خود ، پس بتحقیق اقرار نمود بیعت خود شرعاً و ادعا کرد پنهان داشتن خلاف آنرا در باطن ، پس باید که بیارد بر آن دعوی بادللی که شناخته میشود بآن دلیل صحت آن دعوی ، و اگر اقامه دلیل نتواند بکند باید داخل شود بآن چیزی که از آن خارج شده .

ومن کلام له ﷺ وهو تاسع المختار فی باب الخطب

وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرُقُوا ، وَمَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشْلُ ، وَاسْنَا
نُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ ، وَلَا نُسِيلُ حَتَّى نُنْمِطَ .

اللفظة

(أَرْعَد) الرجل و (أَبْرُق) أَوْعِد و تَهْدَى دَقَالَ الكَمِيت :

أرعد وأبرق يا يزيد فما وعيدك لي بضائر

و (الفشل) بفتح الحاء مصدر فشل إذا ضعف وجبن
الاعراب

الفشل مرفوع على الابتداء قدم عليه خبره توسعاً ، والفعالان الواقعان بعد حتى منصوبان إمّا بنفس حتى كما يقوله الكوفيون ، أو بأن مضمرة نظراً إلى أن حتى إنّما تخفض الأسماء وما يعمل في الأسماء لا يعمل في الأفعال ، وكيف كان فهي في الموضوعين إمّا بمعنى إلى كما في قوله سبحانه :

« حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ »

أو بمعنى إلا كما في قوله :

ليس العطاء من الفضول سماحةً حتى تجود وما لديك قليل

قال ابن هشام : وهذا المعنى (١) ظاهر من قول سيبويه في تفسير قولهم : والله لا أفعل إلا أن تفعل ، المعنى حتى أن تفعل والأظهر في كلامه عليه السلام إرادة المعنى الثاني فافهم .

المعنى

اعلم أن كلامه عليه السلام في هذا المقام ناظر إلى طلحة و الزبير و أتباعهما من أصحاب الجمل و وارد في توبيخهم و ذمهم (و) ذلك لأنهم (قد أرعدوا و أبرقوا) أي أوعدوا و اتهددوا قبل إيقاع الحرب (و مع هذين الأمرين الفشل) إذا الوعيد و التهديد و الضوضاء قبل إيقاع الحرب و الظفر على الخصم أمارة الضعف و الجبن و علامة رذالة النفس ، كما أن الصمت و السكوت أمارة الشجاعة و لذلك أنه عليه السلام قال لأصحابه في تعليم آداب الحرب في ضمن كلامه المائة و الرابع و العشرين : و أميتوا أصواتكم فإنه أطرد للفشل ، و قال لأصحابه في غزوة الجمل : إياكم و كثرة الكلام فإنه فشل ثم بعد الإشارة إلى ذمهم و رذالة أنفسهم أشار عليه السلام إلى علو همته و فضيلة نفسه و أصحابه بقوله : (و لسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر) يعني كما أن

فضيلة السحاب اقتران وقوع المطر منه برعده و برقه و إسالته بامطاره فكذلك أقوالنا مقرونة بأفعالنا و إسالة عذابنا مقارنة بامطاره ، ويحتمل أن يكون المعنى إنما لا نهتد إلا أن نعلم أننا سنوقع ، ولا نؤعد إلا إذا أوقعنا بخصمنا ، يعني إذا أوقعنا بخصمنا أوعدنا حينئذ بالابقاع به غيره من خصومنا وهكذا كان حال الشجعان في سالف الزمان وغابره .

كما روي أن كاتب حدود الروم كتب إلى المعتصم أن أبا قيس الرومي حاكم قلعة عمورية أمسك امرأة من المسلمين يعذبها وهي تصيح واعتقادها وامتصمها وأبو قيس يستهزئ بها ويقول : إن المعتصم يركب مع جنوده على خيل بلق يأتي إلي ويستخرجك من عذابي ، فلما ورد عليه الكتاب كان خادمه معه قدح من ماء السكر يشربه المعتصم فقال له احفظ هذا ولا تناولنيه إلا في بيت المرأة المسلمة ، فخرج من سر من رأى وأمر بعساكره أن لا يركب إلا من عنده فرس أبلق فاجتمع عنده ثمانون ألفاً يركبون خيلاً بلقاً ، وكان المنجمون أشاروا عليه بأن لا يسافر وأن قلعة عمورية لا تفتح على يديه .

فقال إن رسول الله ﷺ قال : من صدق منجماً فقد كذب ما أنزل الله على محمد فسار إلى القلعة وحصرها مدة وكان الشتاء في غاية البرد فخرج المعتصم يوماً من خيمته و وجد العسكر واقفاً من شدة البرد لا يقدر أن يركبوا على السهام ، فأمر بمأتي قوس وركب إلى حصار القلعة بنفسه فلما رآه جنوده ركضوا على القلعة من أطرافها وفتحوها فسأل عن المرأة فدلوه عليها واعتذر لديها ، وقال : إنك ندبتني من عمورية وسمعتك من سامرا وقلت : لبيك ، فها أنا ركب على الخيل البلق واخذت بظلامتك ، ثم أمر خادمه بإحضار ماء السكر فشربه وقال : الآن طاب الشراب واحتوى على ما فيها من الأموال وقتل ثلاثين ألفاً أو يزيد هذا .

و في قوله **إني** و لا نسيل حتى نمطر تعريض على أصحاب الجمل و أنهم في وعيدهم و اجازتهم بمنزلة من يدعى أنه يحدث السيل قبل إحداث المطر و هذا محال لأن السيل إنما يكون من المطر فكيف يسبق المطر ، والله العالم بحقائق

كلام أوليائه .

الترجمة

يعني مانند رعد در تهدید می‌غردند و مانند برق در توعید می‌جهند و با این دو امر ترس و جبن است ، و نیستیم ما که بترسانیم تا اینکه واقع گردانیم ، و نه سیل روان نهائیم تا اینکه بیارایم ، والله اعلم .

و من خطبة له عليه السلام وهي الخطبة العاشرة

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ ، وَاسْتَجَابَ خَيْلَهُ وَرَجَاهُ ، وَإِنْ
مَعِيَ لَبْصِرَتِي ، مَا لَبَسْتُ عَلَى نَفْسِي وَلَا لُبْسَ عَلَيَّ ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَا فِرْطَنٌ
لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَاتِحُهُ ، لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ ، وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ .

اللفظة

(الخيل) الفرسان و (الرجل) بالفتح جمع راجل كالركب جمع راكب و (أيم الله) مخفف أيمان قال الفيومي أيمان اسم استعمل في القسم والتزم رفعه كما التزم رفع لعمر والله ، وهمزته عند البصريين وصل واشتقاقه عندهم من اليمن و هو البركة ، وعند الكوفيين قطع لأنه جمع بمين عندهم وقد يختصر منه ويقال وأيم الله بحذف الهمزة والنون ثم اختصر ثانيا فيقال م الله بضم الميم وكسر ها و (افرطن) إمّا بفتح الهمزة وضم الراء مضارع فرط زيد القوم كقعد أي سبقهم وتقدم عليهم ، و فرط بفتحيتين المتقدم في طلب الماء يهيبه الدلاء والارشاء ، وإمّا بضم الهمزة وكسر الراء من باب الافعال مأخوذ من أفرط المزايدة أي ملأها و (الماتح) كالماتح وهو المستقى من البئر إلا أن الفرق بينهما كاعجامهما كما قاله أبو علي ، يعني أن التاء بنقطتين من فوق و كذلك الماتح لأنه المستقى فوق البئر والياء بنقطتين من تحت و كذلك الماتح لأنه الذي ينزل إلى البئر فيملأه الدلو .

الاعراب

ألا حرف تنبيه تدلُّ على تحقق ما بعدها لتركبها من همزة الاستفهام و لا النفي ،
وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق نحو :
« أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّبَ الْمَوْتَىٰ »

قال الزمخشري : ولكونها بهذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا
مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم نحو :

« أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ »

أقول : وكان ينبغي له أن يضيف إلى ذلك وقوع نفس القسم بعدها كما في كلامه
تعالى ، وأيم الله مرفوع بالابتداء خبره محذوف أي أيم الله قسمني وقد يدخله اللام
للتوكيد فيقال ليمن الله قسمني ، وافرطن إن كان من فعل فحوضاً منصوب بنزع
الخافض واللام في لهم إما للتقوية على حد قوله : يؤمن للمؤمنين ، أو تعليلية أي
لاسبقنهم أو لاسبقن لأجلهم إلى حوض على حد قوله : واختار موسى قومه ، وإن كان
من افعال فحوضاً مفعول به ولهم مفعول لأجله أي لأملئن لأجلهم حوضاً ، وجملة لا يصدرون
عنه ولا يعودون إليه حالية أوصفة للحوض .

المعنى

اعلم أن هذه الخطبة ملتقطة من خطبة طويلة له عليه السلام لما بلغه أن طلحة والزبير
خلعا بيعته وهو غير منتظم ، وقد أورد السيد منها فصلاً آخر وهي الخطبة الثانية
والعشرون ؛ ونورد تمام الخطبة هناك إنشاءً لله وعلى ذلك فالمراد بقوله عليه السلام :
(الإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ) هو الشيطان الحقيقي لامعادية كما توهمه الشراح
المعتزلي ، وحزبه هو طلحة والزبير وأتباعهما وهم المراد أيضاً بقوله : (واستجاب
خيله ورجله) وفيه إشارة إلى أَنَّ الشيطان هو الباعث لهم على مخالفة الحق والجامع
لهم على الباطل بوسوسته و اغرائه وتزيينه الباطل في قلوبهم وأن هؤلاء أطاعوا له
وأجابوا دعوته وشاركوه في الدعاء إلى الباطل فصاروا حزبه قال تعالى :

« وَاسْتَفْزَزَ مِنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ . سَوْتِكَ وَأَجَابَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ
وَرَجَلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدُّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ
إِلَّا غُرُورًا »

أي استخف من استطعت منهم أن تستغزه بدعائك إلى الفساد قال ابن عباس : كل
راكب أو راجل في معصية الله فهو من خيل إبليس وجنوده و يدخل فيه كل راكب
وماش في معصية الله فخياله ورجله كل من شاركه في الداء إلى المعصية .
ثم أشار (عليه السلام) إلى كمال عقله و استعداده بقوله : (و أن معي لبصيرتي) يريد
أن البصيرة التي كانت معي في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم تتغير ، وإلى هذه اشيرت
في قوله تعالى :

« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي »

قال أبو جعفر (عليه السلام) في رواية الكافي ذلك رسول الله و أمير المؤمنين و الأوصياء من
بعدهما ، يعني أن الداعي إلى الله مع البصيرة هو رسول الله و أمير المؤمنين و الأوصياء
التابعون له في الأقوال و الأفعال .

ثم أكد كمال عقله بالإشارة إلى عدم انخداعه بخدع الشيطان و بتليسه
الباطل بصورة الحق كما يلبس على ذوى البصائر الضعيفة و أولى العقول السخيفة
سواء كان مخادعته بغير واسطة وهو المشار إليه بقوله : (ما لبست على نفسي) أي
لا يلبس على نفسي المظمنة ماتلقه إليها نفسي الأمارة ، أو بواسطة غيره و هو
المشار إليه بقوله : (و لا لبس على) أي لم يحصل التليس على من الخارج من
جنود إبليس و أتباعه الذين تلقفوا عنه الشبه و صار في قوتهم أن يلبسوا الحق صورة
الباطل (و أيم الله لا فرطن لهم حوضاً أناماتحه) هذا الكلام منه (عليه السلام) و ارد مورد
التهديد و جار على سبيل الاستعارة ، و معناه لاسبقنهم أولاً سبقن لأجلهم حياض
الحرب التي أنا متدرّب بها ، أولاً ملئن لهم حياض الحرب التي هي عادتني و أنا خير بها

قال الشَّارح البحراني : استعد إفراط الحوض لجمعه الجند و تهيئة أسباب الحرب و كنى بقوله : أنا ماتحه ، أنه هو المتولي لذلك و في تخصيص نفسه بالمتح تأكيد تهديد لعلمهم بشجاعته و قد حذف المضاف إليه أي أنا ماتح مائه إذ الحوض لا يوصف بالمتح و قوله : (لا يصدرون عنه و لا يعودون إليه) يعني أن الوارد منهم إليه لا يصدر عنه و لا ينجمونه فهو بمنزلة من يفرق فيه وأن من نجامنهم لا يطمع في الحرب مرة أخرى و لا يعود إليها أبداً .

الترجمة

آگاه باش قسم بخدا که بتحقیق شیطان ملعون جمع کرده است حزب خود را از برای اغواء و اضلال و جمع نموده است سواران و پیادگان یعنی أعوان و انصار خود را ، و بدردستی بصیرتی که داشتم در زمان حضرت رسالت مآب صلوات الله علیه و آله با من است ، پوشانیده‌ام بر نفس خود باطل را بصورت حق ، و پوشانیده نشده‌است بر من یعنی بر ضلالت نیفتاده‌ام نه از قبل نفس خود و نه بواسطه اضلال دیگری قسم بخداوند هر آینه سبقت میکنم ایشان را بسوی حوضهای حرب یا پر میکنم بجهة ایشان حوضهای محاربه و مقاتله را که من آب کشنده آن حوضها میباشم ، یعنی خبیر و بصیر باشم بآنها چنان حوضهاییکه باز نگرود از آنها آنهایکه آمده باشند و باز نیابند بسوی آنها آنهایکه رهیده باشند ، یعنی هر که بسوی بحر حرب شتابد غرق شود و جان بمالك دوزخ بسپارد ، و هر که از آن دریای خونخوار نجات یابد دیگر بلاه طمع در جنک نمینماید ، والله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب

و من کلام له عليه السلام لابنه مجرد بن الحنفية لها اعطاء
الراية يوم الجمل وهو الحادي عشر من المختار في
باب الخطب .

تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَرَنُّ ، عَضَّ عَلَى نَاجِدِكَ ، أَعْرِ اللَّهُ جُنْمَتَكَ ،

تَدُّ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ ، إِزِمَ بِبَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ ، وَغَضَّ بِبَصْرِكَ ،
وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

اللغة

(غَضَّ) أمر من غَضَضْتُ اللَّقْمَةَ و بهَا و عَلَيْهَا من بَابِ تَعَبٍ لَكِنْ بِسُكُونِ الْمَصْدَرِ وَمِنْ بَابِ مَنَعَ أَمْسَكْتَهَا (النَّاجِذُ) السِّنُّ بَيْنَ الضَّرْسِ وَالنَّابِ وَضَحَكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، قَالَ تَغْلِبُ : الْمَرَادُ الْأَنْبَابُ ، وَقِيلَ النَّاجِذُ آخِرُ الْأَضْرَاسِ وَهُوَ ضَرْسُ الْحِلْمِ لِأَنَّهُ يَنْبَتُ بَعْدَ الْبُلُوغِ وَكِمَالِ الْعَقْلِ وَقِيلَ : الْأَضْرَاسُ كُلُّهَا نَوَاجِذُ (وَالْجَمْعُ جَمَّةٌ) عَظْمُ الرَّأْسِ الْمَشْتَمَلُ عَلَى الدِّمَاغِ وَرَبَّمَا يَعْبَرُ بِهَا عَنِ الْإِنْسَانِ كَمَا يَعْبَرُ عَنْهُ بِالرَّأْسِ وَ (تَدُّ) أَمْرٌ مِنْ وَتَدُّ قَدَمَهُ فِي الْأَرْضِ أَيِ اثْبَتَهَا فِيهَا كَالْوَتْدِ .

الاعراب

متعلق تزول و تزل مخذوف أى تزل الجبال عن مكانها و لا تزل عن مقامك و موضعك ، و الباء في قوله : ارم ببصرك زائدة ، يقال : رميت به أقيته ، و سبحانه منصوب على المصدر بمخذوف من جنسه أى سبحانه سبحانا ، و نقل عن سيبويه أن سبحان ليس بمصدر بل هو واقع موقع المصدر الذي هو التسييح ، و الاضافة إلى المفعول لأنه هو المسبوح بالفتح ، و نقل عن أبي البقاء أنه جوز أن يكون الاضافة إلى الفاعل وقال : المعروف هو الأول ؛ و المعنى على ذلك اسبح مثل ما سبح الله به نفسه

المعنى

اعلم أنه ﷺ أشار في كلامه هذا إلى أنواع آداب الحرب و كيفية القتال و علم تجداً ستة امور منها .

الأول ما عليه مدار الظفر و الغلبة و هو الثبات و الملازمة و إليه أشار بقوله : (تزول الجبال و لا تزل) و هو خبر في معنى الشرط اريد به المبالغة أى لو زالت الجبال عن مواضعها لا تزل و هو نهي عن الزوال مطلقاً لأن النهي عنه على تقدير زوال الجبال الذي هو محال عادة مستلزم للنهي عنه على تقدير العدم بالطريق الأولى .

الثاني ما أشار إليه بقوله : (عضّ على ناجذك) فإنّ عضّ التّواجذ ينبو السيف عن الدماغ من حيث إنّ عظام الرّأس تشدّ وتصلب عند ذلك كما قال عليه السلام في موضع آخر : وعضّوا على التّواجذ ، فانه أنبا للصّورم عن الهام مضافا إلى ما في عضّها من ربط الجاش (١) عن الفشل والخوف كما يشاهد في حال البرد والخوف الموجب للرّعدة فانه إذا عضّ على أضراره تسكن رعدته ويتماسك الانسان بدنه .
الثالث ما أشار إليه بقوله : (أعرالله جمعجتمك) والمراد به بذلها في طاعة الله ليتنفع بها في دين الله كما ينتفع المستعير بالعارية ، قال الشّارح المعتزلي : ويمكن أن يقال إنّ ذلك إشعار بانه لا يقتل في تلك الحرب لأنّ العارية مردودة ولو قال له : بع الله جمعجتمك لكان ذلك إشعاراً له بالشّهادة فيها .
أقول : وذلك لقوله سبحانه :

« إِنَّا لَنَشْتَرِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ
فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ » الآية.

الرابع ما أشار إليه بقوله : (تد في الأرض قدمك) وهو أمر بالزام قدمه في الأرض كالوئد لاستزامه ربط الجاش واستصحاب العزم وكونه مظنة الشجاعة .
الخامس ما أشار إليه بقوله : (ارم ببصرك أقصى القوم) وهو الأمر بفتح عينيه ورفع طرفه ومدّ نظره إلى أقاصي القوم ليعلم على ما ذابقدم فعل الشجاعة المقدم غير المبالي لأنّ الجبان تضعف نفسه و يضطرب قلبه فيكون غضيض الطرف ناكس الرّأس لا يرتفع طرفه ولا يمتدّ عنقه .

السادس ما أشار إليه بقوله : (و غضّ بصرك) وهو أمر بغضّ بصره بعدمده عن بريق سيوفهم ولمعان دروعهم ، لأنّ مدّ النظر إلى بريق السيوف مظنة الرهبة والدّهشة ، ثمّ إنه عليه السلام بعد تعليمه آداب المحاربة والمقاتلة قال له : (و اعلم أنّ النصر من عند الله سبحانه) ليتأكّد ثباته بتوقّعه بالله سبحانه مع ملاحظة قوله تعالى :

«إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ» هذا

و ينبغي لنا أن نذكر هنا طرفاً من وقائع الجمل مما ينامب المقام بما فيه من الإشارة إلى مورد ذلك الكلام منه ص ١٦٧.

فاقول : في البحار من كتاب المناقب من كتاب جمل انساب الأشراف أنه زحف علي عليه السلام بالناس غداة يوم الجمعة لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ست و ثلاثين وعلى ميمنته الأشر و سعيد بن قيس وعلى ميسرته عمار و شريح بن هاني وعلى القلب محمد بن أبي بكر وعدي بن حاتم وعلى الجناح زياد بن كعب وحجر ابن عدي وعلى الكمين عمرو بن العلقم و جندب بن زهير وعلى الرجلة أبو قتادة الأنصاري و أعطى رايته محمد بن الحنفية ثم أوقفهم من صلاة الغداة إلى صلاة الظهر يدعوهم ويناشدهم ويقول لعائشة إن الله أمرك أن تقرى في بيتك انقي الله وارجمي، ويقول لطلحة والزبير ، خباثانسانكما وأبرزتما زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله واستغزتماها فيقولان : إنما جئنا للطلب بدم عثمان و أن يرد الأمر شورى و البست عائشة درعاً وضربت على هودجها صفائح الحديد وألبس الهودج درعاً وكان الهودج لواء أهل البصرة وهو على جمل يدعى عسكرياً .

ابن مردويه في كتاب الفضائل من ثمانية طرق أن أمير المؤمنين عليه السلام قال للزبير : أما تذكر يوماً كنت مقبلاً بالمدينة تحدثني إذ خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فرآك معي و أنت تبسم إلي فقال لك : يا زبير أتحب علياً ؟ فقلت : وكيف لا أحبّه وبيني وبينه من النسب والمودة في الله ما ليس لغيره ، فقال : إنك ستقاتله وأنت ظالم له فقلت : أعوذ بالله من ذلك ، وقد تظاهرت الروايات أنه صلى الله عليه وآله قال : إن النبي صلى الله عليه وآله قال لك : يا زبير تقاتله ظلماً و ضرب كتفك قال : اللهم نعم ، قال : أفجئت تقاتلني ؟ فقال : أعوذ بالله من ذلك ، ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام : دع هذا بايعتني طامعاً ثم جئت محارباً فماعدت مما بدا ، فقال : لاجرم والله لا قاتلتك .

حلية الاولياء قال عبدالرحمن بن أبي ليلى فلقاه عبدالله ابنه فقال : جبناً جبناً

فقال يابني : قد علم الناس أنني لست بجبان ولكن ذكرني علي شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ فحلقت أن لا أقاتل ، فقال : دونك غلامك فلان اعتقه كفارة يمينك نزهة الابصار عن ابن مهدي أنه قال همام الثقفي :

أيعتق مكحولاً (١) ويعصي نبيّه
لشتان ما بين الضلالة والهدى
لقد تاه عن قصد الهدى ثم عوق
وشتان من يعصي الاله ويعتق

وفي رواية قالت عايشة لا والله بل خفت سيوف ابن أبي طالب أما أنها طوال حداد تحملها سواعد أنجار ولئن خفتها فلقد خافها الرُّجال من قبلك ، فرجع إلى القتال فقيل : لا مير المؤمنين ﷺ إنه قد رجع ، فقال دعوه إن الشيخ محمول عليه ، ثم قال ﷺ : أيها الناس غضوا أبصارهم وعضوا على نواجذكم وأكثروا من ذكر ربكم وإيساكم وكثرة الكلام فإنه فشل ، ونظرت عايشة إليه وهو يجول بين الصفيين فقالت : انظروا إليه كان فعله فعل رسول الله ﷺ يوم بدر ، أما والله ما ينتظرك إلا زوال الشمس فقال علي ﷺ يا عايشة :

« عَمَّا قَلِيلٍ لَتُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ »

فجدت الناس في القتال فنهاهم أمير المؤمنين ، وقال اللهم إنني أعذرت وأنظرت فكن لي عليهم من الشهداءين ، ثم أخذ المصحف وطلب من يقره عليهم :

« وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا » الآية

فقال مسلم المجاشعي : ها أناذا فخو به ﷺ بقطع يمينه وشماله وقتله فقال : لا عليك يا أمير المؤمنين فهذا قليل في ذات الله فأخذه ودعاهم إلى الله قطعت يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى قطعت فأخذه بأسنانه فقتل فقالت أمه شعراً :

يا رب إن مسلماً أتاهم
بمحكم التنزيل إذ دعاهم

يتلو كتاب الله لا يخشاهم فرملوه (١) رملك لحاهم (٢)
 فقال علي عليه السلام: الآن طاب الضراب ، وقال لمحمد بن الحنفية و الراية في
 يده : يا بني تزول الجبال ولا تزل إلى آخر ما مر ثم صبر سوية فصاح الناس عن
 كل جانب من وقع النبال ، فقال عليه السلام : تقدم يا بني فنقدم و طعن طعناً منكراً
 وقال عليه السلام :

اطعن بها طعن أبيك تحمد لا خير في الحرب إذا لم توقد
 بالمشرقي (٣) والقنا المسدد والضرب بالخطي (٤) والمهند
 فأمر الأشران يحمل فحمل وقتل هلال بن وكيع صاحب ميمنة الجمل وكان
 زيد يرتجز ويقول : دني ديني و يعي يعي وجعل مخنف بن مسلم يقول :
 قد عشت يا نفس و قد غنيت دهرأ و قبل اليوم ما عيت
 و بعد ذا لا شك قد فنت أما ملكت طول ما حيت
 فخرج عبدالله بن الشيربي قائلاً :
 يارب إنني طالب أبا الحسن ذاك الذي يفرق حقاً بالفتن
 فبرز إليه علي عليه السلام قائلاً :
 إن كنت تبغي أن ترى أبا الحسن فاليوم تلقاه ملياً فاعلمن
 فضربه ضربة مجرفة (٥) فخرج بنوضبة وجعل يقول بعضهم :
 نحن بنو ضبة أعداه علي ذاك الذي يعرف فيهم بالوصي
 و كان عمر بن الشيربي يقول :

١- اي لطفوه بالدم منه

٢- جمع لحية منه

٣- الشرفية سيوف نسبت الى مشارف وهي قرى من أرض العرب تدلو عن الريف ذكره
 الجوهري وقال المهند السيف المطبوع من حديد الهند بحار

٤- و الضبط موضع باليمامة ينسب اليه الرماح الضحلة لانها تحمل من بلاد الهند فتقوم به بحار

٥- جرفته جرفاً وجرفة ذهب به كله ق

إن تنكروني فانا ابن الثيربي قاتل علباء و هذا الجملي
 ثم ابن صوحان علي دين علي

فبرز اليه عمار قائلاً :

لا تبرح العرصة يا ابن الثيربي اثبت اقاتلك علي دين علي
 وأرداه عن فرسه وجر برجله إلى علي فقتله فخرج أخوه قائلاً :

أضربكم و لو أرى علياً عمتته أبيض مشرفياً
 وأسماً عنظناً (١) خطياً فخرج علي متنكراً وهو يقول :

يا طالباً في حربته علياً
 اثبت ستاقاه بهما ملياً
 يمسخه ابيض مشرفياً
 مهدباً سميدعاً (٢) كميلاً

فضربه فرمى نصف رأسه فناداه عبدالله بن خلف الخزاعي صاحب منزل عايشة بالبصرة :
 أتبازني؟ فقال لا : ما أكره ذلك ولكن ويحك يا ابن خلف ما راحتك في القتل
 وقد علمت من أنا، فقال : ذرني من بذحك (٣) يا ابن أبي طالب ثم قال :

إن تدن مني يا علي فترأ (٤)
 بصارم يسقيك كاساً مرراً
 فإتني دان إليك شبراً
 هالاً في صدري عليك وترأ (٥)
 فبرز إليه علي قائلاً

ياذا الذي يطلب مني الوترا
 حقاً وتصلني بعد ذلك جمرأ
 إن كنت تبغي أن تزور القبرا
 فادن تجدني أسداً هزبرأ

١- الاسمر الرمح والمنظنط الطويلق

٢- السبيدع السيد الموطو، الاكتاف و الكمي الشجاع التكمي في سلاحه لانه كمي نفسه
 اي سترها بالدرع والبيضة بعار

٣- البذخ الكبير لفة

٤- الفتر ما بين طرف السبابة والابهام اذا فتحهما لفة

٥- الوتر بالكسر والفتح الحقد وطلب الدم لفة

اصطعل (١) اليوم ذعاقاً صبراً

فضربه باليتم فطيسر جمعجمته فخرج ماذن الضبسي قاتلاً :

لا تطمعوا في جمعنا المكلل الموت دون الجمل المجلل
فبرز إليه عبدالله بن نهشل قاتلاً :

إن تنكروني فانا ابن نهشل فارس هيجا وخطيب فيصل
قتله وكان طلحة يحث الناس و يقول عباد الله الصبر الصبر في كلام له ، و عن
البلادري أن مروان بن الحكم قال والله ما أطلب ثاري بعثمان بعد اليوم أبداً فرمى
طلحة بسهم فأصاب ركبته والتفت إلى أبان بن عثمان وقال لقد كفيتك أحد قتلة أهلك
معاريف القتيبي أن مروان قتل طلحة يوم الجمل فاصاب ساقه الحميري :
واختل (٢) من طلحة المزهو جنته سهم بكف قديم الكفر غدار
في كف مروان اللعين أرى رهط الملوك ملوك غير أخيار

وله :

و اغتر طلحة عند مختلف القنا و اغتر طلحة عند مختلف القنا
فاختل جبة قلبه بمدلق (٤) ريان من دم جوفه المتصبب
في مارقين من الجماعة فارقوا باب الهدى و حيا (٥) الريع المنصب
و حمل أمير المؤمنين عليه السلام على بني ضبة فما رأيتهم إلا كرماد اشتدت به الريح
في يوم عاصف فانصرف الزبير فتبعه عمرو بن جرموز و جز رأسه و أنى به إلى
أمير المؤمنين عليه السلام القصة فقالوا : يا عايشة قتل طلحة و الزبير و جرح عبدالله بن عامر

١ - اصطعل الرمح طعنه به في انفه و صطعه و اصطعه سمطة، لفة

٢ - اختل بسهم أي انتظم و اختله به انتظمه به، لفة

٣ - رجل عبل الدراعين ضغهما بعار

٤ - دلق السيف من عمده اخرج به بعار

٥ - الحيا بالقصر الخصب و المطر بدار

من يدي عليّ فصالحني عليّاً فقال كبير عمرو (١) عن الطوق وجلّ أمر عن العتاب
ثم تقدّمت فحزن عليّ ^{عليه السلام} وقال: إن الله وإنّا إليه راجعون فيجعل يخرج واحد بعد
واحد و يأخذ الزّمام حتّى قتل ثمان وتسعون رجلاً ثمّ تقدّمهم كعب بن سورة
الازدي وهو يقول:

يا معشر الناس عليكم أممكم فإنها صلاتكم و صومكم
و الحرمة العظمى التي تممكم لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم

فقتله الاشر فخرج ابن جفير الازدي وهو يقول:

قد وقع الأمر بما لم يحذر والنبل يأخذن وراء العسكر
وأمننا في حذرنا المشمر

فبرز إليه الأشر قائلاً:

اسمع ولا تعجل جواب الاشر واقرب تلاق كأس موت أحمر

ينسيك ذكر الجمل المشمر

فقتله ثمّ قتل عمير الغنوي و عبدالله بن عتاب بن اسيد ثمّ جال في الميدان جولاً
و هو يقول:

نحن بنوالموت به غدينا

فخرج إليه عبدالله بن الزبير فطعنه الأشر وأرداه وجلس على صدره ليقتله ،
فصاح عبدالله اقتلونني و مالكا و اقتلوا مالكا معي فقصده إليه من كلّ جانب فخلاه
وركب فرسه فلمسأرأوه راكباً تفرّقوا عنه وشدّ رجل من الأزد على محمد بن الحنفية
وهو يقول: يا معشر الأزد كرّوا فضربه ابن الحنفية فقطع يده وقال: يا معشر الأزد
فرّوا فخرج الأسود بن البخري السلمي قائلاً:

١ - كبير عمرو عن الطوق اي لم يبق للصلح مجال قال الزمخشري في المستقصى هو عمرو بن

عدى ابن اخت حذيفة قد طوق صغيراً ثم استهوته الجن مدة فلما عاذهت امه باعادة الطوق اليه
قال حذيفة ذلك بحار

ارحم إلهي الكل من سليم و انظر إليه نظرة الرحيم
 فقتله عمرو بن الحمق فخرج جابر الأزدي قائلاً
 يا ليت أهلي من عمار حاضري من سادة الأزد وكانوا ناصري
 فقتله محمد بن أبي بكر ، وخرج عوف القيني قائلاً :
 يا أمُّ يا أمُّ خلا مني الوطن لا ابتغي القبر ولا أبغي الكفن
 فقتله محمد بن الحنفية ، فخرج بشر الضمي قائلاً :
 ضربة أبدى للعراق عممة (١) وأضرم الحرب العوان (٢) المضرمة
 فقتله عمار وكانت عايشة تنادي بأرفع صوت أيها الناس عليكم بالصبر وإنما تصبر
 الأحرار فأجابها كوفي :
 يا أمُّ يا أمُّ عقت فاعلموا والأم تغذو ولدها و ترحم
 أماترى (٣) كم من شجاع يكلم و تجتليها مته والمعصم
 وقال آخر :
 قلت لها وهي على مهوات إن لنا سواك أمهات
 في مسجد الرسول ناديات
 فقال الحجاج بن عمرو الأنصاري :
 يامعشر الأنصار قد جاء الاجل إنني أرى الموت عياناً قد نزل
 فبادروه نحو أصحاب الجمل ما كان في الأنصار جبن وفشل
 فكل شيء ما خلا الله الجلل (٤)
 وقال خزيمة بن ثابت :

١- المعام الجاعات المتفرقة، بعار

٢- العوان من العرب التي قوتل فيها مرة، بعار

٣- اماترين كم شجاع يكلم، خل

٤- الجلل بالتحريك العظيم الهين

لم يفضبوا لله إلا للجمل
والموت خير من مقام في خمل
والموت أجرى من فرار وفشل

وقال شريح بن هاني :

لا عيش إلا ضرب أصحاب الجمل
و القول لا ينفع إلا بالعمل
ما إن لنا بعد علي من بدل

وقال هاني بن عروة المذحجي :

يا لك حرباً حشها جمالها
قائدة ينقصها ضلالها
هذا علي حوله أقيالها

و قال سعد بن قيس الهمداني :

قل للوصي اجتمعت قحطانها
إن يك حرب اضمرت نيرانها
وقال عمّار :

إنني لعمّار و شيعي ياسر
صاح كلانا مؤمن مهاجر
طلحة فيها و الزبير غادر
والحق في كفّ علي ظاهر

وقال الأشر :

هذا علي في الدجى مصباح
نحن بذنا في فضله فصاح
وقال عدي بن حاتم :

أنا عدي و يمانى حاتم
هذا علي بالكتاب عالم
لم يعصه في الناس إلا ظالم

و قال عمرو بن الحمق :

هذا علي قائد يرضى به
أخو رسول الله في أصحابه
من عوده النامي ومن نصابه

وقال رفاعة بن شداد البجلي :

إن الذين قطعوا الوسيلة ونازعوا عليّ عليّ الفضيلة

في حربه كالنسيجة الأكيلة

و شككت (١) السهم الهودج حتى كأنه جناح نسر أودرع قنغد ، فقال أمير المؤمنين : ما أرى يقاتلكم غير هذا الهودج اعقروا الجمل . وفي رواية عرقبوه ، فإنه شيطان وقال لمحمد بن أبي بكر : انظر انظر إذا عرقب الجمل فأدرك اختك فوارها فعرقب رجل منه فدخل تحته رجل ضيبي ثم عرقب أخرى عبد الرحمن فوق علي جنبه فقطع عمار نسعه فاتاه علي عليه السلام و دق رمحه على الهودج وقال : يا عايشة أهكذا أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تفعلني ؟ فقالت : يا أبا الحسن ظفرت فأحسن وملكت فأسجح فقال لمحمد بن أبي بكر : شأنك بأختك فلا يدنو أحد منها سواك ، فقال : فقلت لها : ما فعلت بنفسك عصيت ربك وهتكت سترك ثم أبحت حرمتك وتعرضت للقتل ، فذهب بها إلى دار عبد الله بن خلف الخزاعي فقالت : أقسمت عليك ان تطلب عبد الله بن الزبير جريحاً كان أوقتيلاً ، فقال : إنه كان هدفاً للأشتر فانصرف محمد إلى العسكر فوجده ، فقال : اجلس يا ميشوم أهل بيته ، فاتاها به فصاحت وبكت ثم قالت : يا أخي استأمن له من علي عليه السلام ، فأنى أمير المؤمنين عليه السلام فاستأمن له منه فقال عليه السلام : أمنت وأمنت جميع الناس .

و كانت وقعة الجمل بالخريبة ووقع القتال بعد الظهر وانقضى عند المساء فكان مع أمير المؤمنين عشرون ألف رجل منهم البديريون ثمانون رجلاً وممن بايع تحت الشجرة مأتان و خمسون و من الصحابة ألف و خمسمائة رجل ، وكانت عايشة في ثلاثين ألف أويزيديون منها المكيون ستمائة رجل ، قال قتادة : قتل يوم الجمل عشرون ألفاً ، وقال الكلبي قتل من أصحاب علي عليه السلام ألف رجل وسبعون فارساً ، منهم زينة بن صوحان و هند الجملي وأبو عبد الله العبدي وعبد الله بن رقية .

و قال أبو مخنف و الكلبي : قتل من أصحاب الجمل من الأزد خاصة أربعة

آلاف رجل ، ومن بني عدي ومواليهم تسعون رجلاً ، ومن بني بكر بن وائل ثمانمائة رجل ، ومن بني حنظلة تسعمائة رجل ، ومن ناجية أربعمائة رجل ؛ والباقي من أخلاط الناس إلى تمام تسعة آلاف إلا تسعين رجلاً القرشيون منهم طلحة والزبير وعبدالله ابن عتاب بن اسيد وعبدالله بن حكيم بن خرام وعبدالله بن شافع بن طلحة ومحمد بن طلحة وعبدالله بن ابي بن خلف الجمحي وعبدالرحمن بن معد وعبدالله بن معد .
وعرقب الجمل أو لأمير المؤمنين عليه السلام ويقال المسلم بن عدنان ويقال رجل من الانصار ويقال رجل ذهلي وقيل لعبد الرحمن بن سرد الشوخي لم عرقبت الجمل؛ فقال:

عقرت ولم أعقر بها لهوانها
إلى قوله فياليتني عرقته قبل ذلك

تبصرة

في ترجمة محمد بن الحنفية والاشارة إلى بعض أحواله ومناقبه .

أقول : اشتهاره بابن الحنفية لأن أمها خولة بنت جعفر بن قيس من قبيلة بني حنيفة وكنيته أبو القاسم برخصة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك ولم يرخص في حق غيره أن يكنى بأبي القاسم والاسم محمد ذكره ابن خلكان في تاريخه .
قال الشارح المعتزلي : أم محمد رضي الله عنه خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة ابن عبيد بن ثعلبة بن بربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، واختلف في أمرها فقال قوم : إنهناسية من سبايا الردة قوتل أهلها على يد خالد بن الوليد في أيام أبي بكر لما منع كثير من العرب الزكاة وارتدت بنو حنيفة وادعت نبوة مسيلمة وأن أبا بكر دفعها إلى علي عليه السلام من سهمه في المغنم وقال قوم منهم أبو الحسن علي بن محمد بن سيف المدائني : هي سبية في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام إلى اليمن فأصاب خولة لابني زيد وقد ارتدوا مع عمرو بن معدى كرب وكانت زيد سبتها من بني حنيفة في غارة

لهم عليهم فصارت في سهم علي عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن ولدت منك غلاماً فسمه باسمي وكنهه بكنيتي فولدت له بعد موت فاطمة عليها السلام محمداً فكنىه أبا القاسم وقال قوم وهم المحققون وقولهم الأظهر: إن بني أسد أغارت على بني حنيفة في خلافة أبي بكر فسبوا خولة بنت جعفر وقدموا بها المدينة فباعوها من علي عليه السلام وبلغ قومها خبرها فقدموا المدينة على علي فعرفوها وأخبروه بموضعها منهم فأعتقها ومهرها وتزوجها فولدت له محمداً فكنىه أبا القاسم وهذا القول خيار أحمد بن يحيى البلاذري في كتابه المعروف بتاريخ الأشراف .

وقال: كان علي عليه السلام يقذف لمحمد في مهالك الحرب ويكف حسناً وحسيناً عنها وقيل لمحمد لم يغربك أبوك في الحرب ولا يغرب بالحسن والحسين عليه السلام؟ فقال: إنهما عيناها وأنا يمينه فهو يدفع عن عينيه يمينه .
أقول: هذا الجواب منه رضي الله عنه يكفي في جلالته قدره و سمو مكانه و خلوص باطنه .

وقال: لما تقاعس محمد يوم الجمل عن الحملة وحمل علي بالراية فضعف أركان عسكر الجمل ، دفع إليه الراية وقال: امح الأولى بالأخرى وهذه الأنصار معك وضم إليه خزيمة بن ثابت ذا الشهاداتين في جمع الأنصار كثير منهم من أهل بدر حمل حملات كثيرة أزال بها القوم عن مواقفهم وأبلى بلاه حسناً فقال خزيمة بن ثابت لعلي عليه السلام: أما أنته لو كان غير محمد اليوم لافتضح (١) ولئن كنت خفت عليه الجبن وهو بينك وبين حمزة و جعفر لما خفناه عليه وان كنت أردت أن تعلمه الطعان فطال ما علمته الرجال ، وقالت الأنصار: يا أمير المؤمنين لو لا ما جعل الله تعالى لحسن وحسين عليه السلام لما قدمنا على محمد أحداً من العرب فقال علي عليه السلام: أين الذئب من الشمس والقمر أما أنته قد اغني وأبلى وله فضله ولا ينقص فضل صاحبيه عليه وحسب صاحبكم ما انتهت به نعمة الله إليه فقالوا يا أمير المؤمنين: إننا والله ما نجعله كالحسن والحسين ولا نظلمهما له ولا نظامه لفضلهما عليه حقه فقال علي عليه السلام أين يقع ابني من ابني رسول الله

عنه ، فقال خزيمة بن ثابت فيه شعراً :

تجد ما في عودك اليوم و صمة
أبوك الذي لم يركب الخيل مثله
فلو كان حقاً من أيك خليفة
و أنت بحمد الله أطول غسالب
و أقربها من كل خير تريده
و أظعنهم صدر الكمي برمحه
سوى أخويك السيدين كلاهما
أبي الله أن يعطي عدوك مقعداً

و في البحار من المناقب دعا أمير المؤمنين عليه السلام محمد بن الحنفية يوم الجمل فآعطاه رمحه و قال له : اقصد بهذا الرمح قصد الجمل فذهب فمعه بنوضبة فلما رجع إلى والده انتزع الحسن رمحه من يده و قصد قصد الجمل و طعنه برمحه و رجع إلى والده و على رمحه أثر الدم فتمعز وجه محمد من ذلك فقال أمير المؤمنين عليه السلام لا تأنف فأنه ابن النبي و أنت ابن علي .

أقول : هذا نبذ من مناقبه و فضائله في زمن أبيه سلام الله عليه و أما بعده فقد كان خالصاً في التشيع و مخلصاً للولاية لأخويه عليهما السلام و بعدهما لابن أخيه علي بن الحسين سلام الله عليه .

كما يوضحه ما رواه ثقة الاسلام الكليني عطر الله مضجعه في الكافي بإسناده عن الفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لما حضرت الحسن بن علي عليه السلام الوفاة قال : يا قبر انظر هل ترى من وراء بابك مؤمناً من غير آل محمد عليه السلام فقال : الله و رسوله و ابن رسوله أعلم مني قال : ادع لي محمد بن علي فأتيته فلما دخلت عليه قال : هل حدث الاخير قلت أجب أبا محمد فعجل علي شسع نعله فلم يسو و خرج معي بعدو فلما قام بين يديه سلم فقال له الحسن بن علي عليه السلام : اجلس فإنه ليس مثلك يغيب عن سماع كلام يحيى به الأموات و يموت به الأحياء كونوا و عية العلم و مصابيح

المهدي فإن ضوء النهار بعضه أضوء من بعض ، أما علمت أن الله تبارك و تعالى جعل ولد ابراهيم عليه السلام أئمة و فضل بعضهم على بعض و أتى داود عليه السلام بزبوراً و قد علمت بما استأثر الله به محمداً عليه السلام يا محمد بن علي إني أخاف عليك الحسد و إنما وصف الله به الكافرين فقال الله عز و جل :

« كَفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ »

ولم يجعل الله للشيطان عليك سلطاناً يا محمد بن علي ألا أخبرك بما سمعت من أبيك فيك ؟ قال : بلى ، قال : سمعت أباك عليه السلام يقوم يوم الظلة (البصرة خ) من أحب أن يبرئني في الدنيا والآخرة فليبرئ محمداً ولدي ، يا محمد بن علي لو شئت أن أخبرك وأنت نطفة في ظهر أبيك لاخبرتك ، يا محمد بن علي أما علمت أن الحسين بن علي عليه السلام بعد وفاة نفسي و مفارقة روعي جسمي امام من بعدي وعند الله جل اسمه في الكتاب بوراة من النبي صلى الله عليه وآله أضافها الله عز و جل له في وراثة أبيه و أمه صلى الله عليهم ، فعلم الله أنكم خيرة خلقه فاصطفى منكم محمداً عليه السلام و اختار محمد علياً عليه السلام و اختارني علي بالامامة و اخترت أنا الحسين عليه السلام .

فقال له محمد بن علي : أنت إمام و أنت وسيلتي إلى محمد صلى الله عليه وآله والله لو دوت أن نفسي ذهبت قبل أن أسمع منك هذا الكلام الاوان في رأسي كلاماً لا تنزفه الدلاء ولا تغيره نعمة الرياح كالكتاب المعجم في الرق المنمنم اهم بابدائه فاجدني سبقت اليه سبق الكتاب المنزل أو ما جاءت (خلت خ) به الرسل و أنه الكلام بكل به لسان الناطق ويد الكاتب حتى لا يعقد قلماً ويؤتوا بالقرطاس جما فلا يبلغ فضلك و كذلك يجزي الله المحسنين ولا قوة إلا بالله .

الحسين أعلمنا علماً و أقتلنا حلاماً و أقربنا من رسول الله صلى الله عليه وآله رحماً كان فقيهاً قبل أن يخلق ، و قرء الوحي قبل أن ينطق ، ولو علم الله في أحد خيراً غير محمد صلى الله عليه وآله ما اصطفى الله محمداً فلما اختار الله محمداً و اختار محمد علياً و اختار علي اماماً و اخترت الحسين ، سلمنا و رضينا من بغيره يرضى و من كنا نسلم به من مشكلات أمرنا .

و عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام يذكر فيه كيفية دفن الحسن عليه السلام بعد ما ذكر منع عايشة من دفنه عند النبي صلى الله عليه وآله واحتجاج الحسين عليه السلام عليها قال : ثم تكلم محمد بن الحنفية وقال لعائشة بوما على بغل وبوما على جمل فما تملكين نفسك ولا تملكين الأرض عداوة لبني هاشم ، قال : فأقبلت عليه فقالت : يا بن الحنفية هؤلاء الفواطم يتكلمون فما كلامك ؟ فقال لها الحسين عليه السلام : و اني (أنت خ) تبعدين محمداً من الفواطم فوالله لقد ولدته ثلاث فواطم فاطمة بنت عمران بن عائذ بن عمرو بن مخزوم وفاطمة بنت أسد بن هاشم ، وفاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد معيص (مقص خ) بن عامر الحديث .

و عن أبي عبيدة و زرارة جميعاً عن أبي جعفر عليه السلام قال : لما قتل الحسين عليه السلام أرسل محمد بن الحنفية إلى علي بن الحسين عليه السلام فخلى به فقال له : ابن أخي قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله دفع الوصية والامامة من بعدك إلى أمير المؤمنين عليه السلام ثم إلى الحسن ثم إلى الحسين عليه السلام وقد قتل أبوك رضي الله عنه وصلى على روحه و لم يوص و أنا عمك و صنو أبيك و ولادتي من علي عليه السلام في سنتي و قدمي أحق بها في حدائقك فلا تنازعي في الوصية والامامة ولا تحاجني .

فقال له علي بن الحسين عليه السلام : اتق الله ولا تدع ما ليس لك بحق إنني أعظك أن تكون من الجاهلين إن أبي ياعم صلوات الله عليه أوصى إلى قبل أن يتوجه إلى العراق وعهد إلى في ذلك قبل أن يشهد (يستشهد خ) بساعة وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله عندي فلا تعرض لهذا فإني أخاف عليك نقص العمر و تشتت الحال ، إن الله عز وجل جعل الوصية والامامة في عقب الحسين عليه السلام فإذا أردت أن تعلم ذلك فانطلق بنا إلى الحجر حتى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك .

قال أبو جعفر عليه السلام وكان الكلام بينهما بمكة فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود ، فقال علي بن الحسين عليه السلام لمحمد بن الحنفية : ابدء أنت فابتهل إلى الله عز وجل واسأله أن ينطق لك الحجر ثم سأله فابتهل محمد في الدعاء وسأل الله عز وجل ثم دعا الحجر فلم يجبه فقال علي بن الحسين عليه السلام ياعم لو كنت وصياً وإماماً لأجابه

قال له محمد فادع الله أنت يا بن أخي و اسأله فدعا الله علي بن الحسين عليه السلام بما أراد ثم قال :

أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء و ميثاق الأوصياء و ميثاق الناس أجمعين لما خبرتنا من الوصي والإمام بعد الحسين بن علي عليه السلام؛ قال: فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه ثم أنطقه الله عز وجل بلسان عربي مبين فقال : اللهم إن الوصي والامامة بعد الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لك ، قال فانصرف محمد بن علي وهو يتولى علي بن الحسين عليه السلام .

الترجمة

از جمله کلام بلاغت نظام آنحضرتست که فرمود پسر خود محمد بن حنفیه را هنگامی که داد اورا علم در روز حرب جمل : زایل میشوند کوهها از جای خود و تو زایل مشو از جای خودت ، دندان بالای دندان خود بگذار عاریه بده بخداوند تعالی کاسه سر خودت را ، میخ ساز بر زمین قدم خود را یعنی ثابت قدم باش و در مکان خود محکم بایست ، بینداز چشم خود را بر نهایت قوم تا در کار قتال خود با بصیرت بوده باشی ، و فرو خوابان چشم خود را از لمعان سیوف که مظنه خوف و خشیت است و بدان بدرستی که نصرت از حق سبحانه و تعالی است

ومن كلام له عليه السلام لها اظفره الله باصحاب الجمل وهو

الثاني عشر من المختار في باب الخطب

وَ قَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَ دِدْتُ أَنْ أَخِي فُلَانًا كَانَ شَاهِدَنَا لِرِي

مَا نَصَرَكَ اللَّهُ بِهِ عَلِيٌّ أَعْدَاؤُكَ فَقَالَ عليه السلام : أَهْوَى أَخِيكَ مَعْنَاهُ ؟ فَقَالَ :

نَعَمْ ، قَالَ عليه السلام : فَقَدْ شَهِدْنَا وَ لَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا قَوْمٌ فِي أَصْلَابِ

الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ سَيَرَعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ ، وَ يَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ .

اللغة

(يرعف) بهم الزمان يوجدهم و يخرجهم كما يعرف الانسان بالدم الذي يخرج من انفه قال الشاعر :

وما عرف الزمان بمثل عمرو ولا تلد النساء له ضربياً

الاعراب

هوى مرفوع المحل على الابتداء ومعنا خبره وفاعل شهد الأوتل ضمير راجع إلى أخيك ، وفاعل شهد الثاني قوم و اسناد يعرف الى الزمان مجاز عقلي إذ الفاعل الحقيقي هو الله وهو من قبيل الاسناد إلى الظرف أو الشرط والمعد لأن الزمان من الاسباب المعدة لقوابل وجودهم .

المعنى

لما كان بعض أصحابه عليه السلام يحب حضور أخيه معهم في تلك الحرب حتى يرى نصرة الله لأوليائه على أعدائه ويفرح بذلك قال عليه السلام له : (أهوى أخيك معنا) يعني أن أخيك كان هواه معنا و كان إرادته وميله أن يكون في حزبنا (فقال : نعم) هو من مواليك و كان هواه معك (قال عليه السلام : فقد شهدنا) أخوك بالقوة و إن لم يكن حاضراً بالفعل وحصل له من الأجر مثل ما حصل للحاضرين بمقتضى هواه ومحبتته التي كانت له ، ثم أكد حضوره بقوله عليه السلام : (ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال وأرحام النساء) من المحبين والموالين وعباد الله الصالحين (سيرعف بهم الزمان) ويخرجهم من العدم إلى الوجود (ويقوى بهم الإيمان) .

اعلم أن الشارح المعتزلي ذكر في شرح هذا الفصل نبذاً من الوقائع التي صدرت منه عليه السلام بعد ظفروه على أصحاب الجمل ولا مهم لنا في الاطالة بالاشارة إلى جميع ما ذكره هنا مع خلو أكثرها عن المناسبة للمقام ، وإنما ينبغي الإشارة إلى طوافه

عليه السلام على القتلى بعد ما وضعت الحرب أوزارها ، و ما قاله عليه السلام لطلحة حين وقوفه عليه قصداً للتنبية على خطاء الشارح تبعاً لأصحابه ، ولنذكر أولاً ما رواه أصحابنا رضی الله عنهم في هذا الباب ، ثم تتبعها بما رواه الشارح .

فاقول : روى الطبرسي في الاحتجاج أنه عليه السلام لما مرَّ على طلحة بين القتلى قال أقعدوه ، فأقعد فقال : إنه كانت لك سابقة لكن الشيطان دخل منخريك فأوردك النار وفيه أيضاً روى أنه عليه السلام مرَّ عليه فقال : هذا الناكث بيعتي والمنشئ للفتنة في الأمة والمجلب على والداعي إلى قتلي و قتل عترتي اجلسوا طلحة ، فأجلس ثقال أمير المؤمنين عليه السلام : ياطلحة بن عبيد الله لقد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً ؟ ثم قال : اضجعوا طلحة ، و سار فقال بعض من كان معه : يا أمير المؤمنين تكلم طلحة بعد قتله ؟ فقال : والله لقد سمع كلامي كما سمع أهل القلب كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر ، و هكذا فعل عليه السلام بكعب بن سور لما مرَّ به قتيلاً ، وقال : هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف يزعم أنه ناصر أمه (١) يدعو الناس إلى ما فيه وهو لا يعلم ما فيه ، ثم استفتح وخاب كل جبار عنيد ، أمّا أنه دعا الله أن يقتلني فقتله الله و في البحار من كتاب الكافية لابطال توبة الخاطئة روى خالد بن مخلد عن زياد بن المنذر عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام قال : مرَّ أمير المؤمنين عليه السلام على طلحة و هو صريع فقال : اجلسوه ، فاجلس ، فقال : ام والله لقد كانت لك صحبة ولقد شهدت وسمعت ورأيت ولكن الشيطان أزاغك وأمالك فأوردك جهنم .

و روى الشارح المعتزلي عن اصبح بن نباتة أنه لما انهزم أهل البصرة ركب علي عليه السلام بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشهباء وكانت باقية عنده وسار في القتلى ليستعرضهم فمرَّ بكعب بن سور القاضي قاضي البصرة و هو قتيلا فقال : اجلسوه ، فاجلس ، فقال : ويل أمك كعب بن سور لقد كان لك علم لو نفعك ولكن الشيطان أضلك فأزلك فعجلك إلى النار أرسلوه ، ثم مرَّ بطلحة بن عبيد الله قتيلاً فقال : اجلسوه فاجلس ، ثم قال : قال أبو مخنف في كتابه : فقال له : ويل أمك طلحة لقد كان لك قدم لو نفعك

ولكن الشيطان أضلك فأزلك فمجلتك إلى النار .

قال الشارح بعد ذكر ذلك وأما أصحابنا فيروون غير ذلك ، يروون أنه قال له لما اجلسوه : اعزز عليّ أبا محمد أن أراك معقراً تحت نجوم السماء و في بطن هذا الوادي ابعده جهادك في الله وذبيك عن رسول الله ، فجاء إليه انسان فقال : اشهد يا أمير المؤمنين لقد مررت عليه بعد أن أصابه السّمم و هو صريع فصاح بي فقال : من أصحاب من أنت ؟ فقلت : من أصحاب أمير المؤمنين ، فقال امديدك لا بايع لأمر المؤمنين فمددت إليه يدي فبايعني لك فقال عليّ عليه السلام : أبا الله أن يدخل طلحة الجنة الاويعتي في عنقه ، انتهى كلامه .

و أنت خير بما فيه أما أولاً فلأن هذه الرواية مما انفرد أصحابه بنقلها فهي غير مسموعة و المعروف بين الفريقين هو ما رواه أبو مخنف ، وثانياً أن الشارح قال في أوائل شرحه عند الكلام على البغاة والخوارج : أما أصحاب الجمل فهم عند أصحابنا هالكون كلهم إلا عيشة وطلحة والزبير ، فانهم تابوا ولولا التوبة لحكموا لهم بالنار لاصرارهم على البغي فان هذا الكلام منهم صريح في استحقاقه للنار لولا التوبة ولا بد لهم من إثبات التوبة وأنى لهم بذلك ومبايعته لمن يبايع أمير المؤمنين عليه السلام في تلك الحال التي كان عليها صريعاً بين القتلى آيساً من الحياة لا يكفي في رفع العقاب واستحقاق الثواب قال سبحانه :

« إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ
مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ، وَ لَيْسَتِ
التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ
الآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا »

با. أقول: إن توبته في تلك الحال على تسليم كون تلك المبايعة منه توبة إنما هي مثل توبة فرعون التي لم تنجّه من عذاب ربه كما قال تعالى:

« فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغِيًّا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ

قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ،
الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ »

وحاصل ما ذكرته عدم ثبوت التوبة أولاً وعدم كفايتها في رفع العقوبة على تقدير ثبوتها ثانياً.

وهيها لطيفة

يعجبني ذكرها لمناسبتها للمقام وهي إن الشيخ المحدث الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق ذكر في لؤلؤة البحرين عند التعرّض لأحوال شيخ الطائفة محمد بن محمد بن النعمان المفيد (قده) عن الشيخ ورام بن أبي فراس في كتابه أن الشيخ المفيد (ره) كان من أهل عكبرا ثم انحدر وهو صبي من أبيه إلى بغداد واشتغل بالقراءة على الشيخ أبي عبدالله المعروف بجعل، وكان منزله في درب رباح من بغداد وبعد ذلك اشتغل بالدّرس عند أبي ياسر في باب خراسان من البلدة المذكورة. ولما كان أبو ياسر المذكور بماعجز عن البحث معه والخروج عن عهده أشار عليه بالمضي إلى علي بن عيسى الرّماني الذي هو من أعظم علماء الكلام، فقال الشيخ: إنني لا أعرفه ولا أجد أحداً يدلّني عليه، فأرسل أبو ياسر معه بعض تلامذته وأصحابه فلمّا مضى وكان مجلس الرّماني مشحوناً من الفضلاء جلس الشيخ في صف النّعال وبقي يتدرّج في القرب كلما خلا المجلس شيئاً فشيئاً لاستفادة بعض المسائل من صاحب المجلس، فاتفق أن رجلاً من أهل البصرة دخل وسأل الرّماني فقال له: ما تقول في حديث الغدير وقصة الغار؟ فقال الرّماني: قصة الغار رواية وخبر الغدير

روایه و لا تعارض الروایة الدرّایة و لما كان ذلك الرجل البصري ليس له قوة المعارضة سكت وخرج .

فقال الشيخ إنني لم أجد صبراً عن السكوت عن ذلك فقلت : أيها الشيخ عندي سؤال ، فقال : قل ، فقلت : ما تقول في من خرج على الامام العادل و حاربه ؟ فقال : كافر ، ثم استدرك فقال : فاسق ، فقلت ماتقول في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ؟ فقال : إمام عادل ، فقلت : ماتقول في حرب طلحة والزبير له في حرب الجمل ؟ فقال : انهم تابوا ، فقلت له : خبر الحرب دراية و التوبة رواية ، فقال : أو كنت عند سؤال الرجل البصري ؟ فقلت : نعم ، فقال : رواية برواية و سؤالك متجه وارد ثم إنه سأله من أنت و عند من تقرأ من علماء هذا البلد ؟ فقلت : عند الشيخ أبي عبد الله جعل ، ثم قال لي : مكانك و دخل منزله و بعد لحظة خرج و بيده رقعة ممهورة فدفعها إلي فقال : ادفمها إلي شيخك أبي عبد الله ، فأخذت الرقعة من يده و مضيت إلى مجلس الشيخ المذكور و دفعت له الرقعة ففتحها و بقي مشغولاً بقراءتها و هو يضحك فلما فرغ من قراءتها قال : إن جميع ما جرى بينك و بينه قد كتب إلي و أوصاني بك و لقبك المفيد ، والله الهادي .

الترجمة

از جمله کلام آنجناب و لایتمآب است هنگامیکه مظفر و منصور گردانید خداوند سبحانه و تعالی اورا باصحاب جمل و گفت اورا بعض اصحاب اودوست داشته که برادر من فلان حاضر بود در این حرب تا اینکه میدید آنچه زیرا که نصرت داده تورا خدایتعالی بآن بردشمنان تو ، پس فرمود آنحضرت آیا میل و محبت برادر تو با ماست ؟ گفت بلی یا امیرالمؤمنین ، فرمود پس بتحقیق حاضر است با ما و بخدا سوگند البته حاضرند با ما در این لشکرگاه ما جماعت محبان ما که در پشتهای پدراند و در رحمهای مادران ، زود باشد که بیرون آورد ایشانرا زمان مانند بیرون آمدن خون از دماغ ، و قوت کیرد بسبب وجود ایشان ایمان و اهل طغیان مقهور شوند

در دست ایشان .

و من كلام له ﷺ في ذم أهل البصرة وهو الثالث عشر من المختار في باب الخطب

تكلّم بذلك بعد الفراغ من قتال أهلها وقد رواه الطبرسي في الاحتجاج وعليّ
ابن إبراهيم القمي والمحدث البحراني بزيادة و نقصان يعرف تفصيل ذلك في أول
التنبيهات إن شاء الله .

كُفْتُمْ جُنْدَ الْمَرَاةِ وَأَتْبَاعَ الْبَيْمَةِ ، رَغَا فَأَجَبْتُمْ ، وَعُقِرَ قَهْرَ بَيْتُمْ ،
أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ ،
الْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ ، وَالشَّاحِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارِكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ
رَبِّهِ ، كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجَوْجُؤِ سَفِينَةٍ ، قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ
فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا ، وَغَرَقَ مَنْ فِي ضَمْنِهَا . وَفِي رِوَايَةٍ وَأَيْمُ اللَّهِ لَتَغْرَقَنَّ
بَلَدُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجَوْجُؤِ سَفِينَةٍ أَوْ نُعَامَةٍ جَائِعَةٍ .
وَفِي رِوَايَةٍ كَجَوْجُؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ .

اللفظة

(الرَّغَاءُ) وزان غراب صوت البعير و رغت الناقة ترغو صوت فهي راغية
(الدقيق) خلاف الجليل و(شاقته) مشاقفة و شقاقاً خالفه و حقيقته ان يأتي كل منهما ما
يشق على صاحبه فيكون كل منهما في شق غير شق صاحبه و (نافق) الرجل نفاقا
إذا أظهر الاسلام لأهله وأضر غير الاسلام و (الزُعَاق) بضم الزاء المعجمة المالح
(بين أظهر) الناس و بين ظهرهم و بين ظهرانيهم بفتح النون كلها بمعنى بينهم ، وفائدة

إدخاله في الكلام أن إقامته بينهم على سبيل الاستظهار بهم والاستناد إليهم و كان
المعنى أن ظهراً منه قدامه و ظهراً ورائه فكانه مكنوف من جانبيه هذا أصله ، ثم
كثرتى استعمال في الإقامة بين القوم وإن كان غير مكنوف بينهم و (الجوجو) كهدهد
من الطير والسفينة صدرهما وقيل عظام الصدر و (جشم) الطائر والارنب يجثم من
باب ضرب جنوباً وهو كالبروك من البعير .

الاعراب

الفاء في قوله : فاجتتم ، وقوله : فهربتم ، فصيحة ، وقوله كأنني بمسجدكم اه
كان للتقريب و الباء زائدة والأصل كأنني أبصر مسجدكم ثم حذف الفعل وزيدت
الباء كما ذكره المطرزي في شرح قول الحريري : كأنني بك تنحط، من أن الأصل
كأنني ابصرك تنحط حذف الفعل وزيدت الباء وقال ابن عصفور : الباء والكاف في كأنني
بك تنحط ، و كأنك بالذ نيالم تكن ، كافتان لكأن عن العمل ، والباء زائدة في المبتداء
وعلى ذلك فيكون قوله **بالحال** بمسجدكم مبتداء و كجزؤ سفينة خبره وجملة قد بعث
حال متممة لمعنى الكلام كالحال في قوله تعالى :

« فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ »

وقال نجم الأئمة الرضوي في المثال الثاني : الأولى أن تبقى كأن على معنى التشبيه
ولانحكم بزيادة شيء ، وتقول التقدير كأنك تبصر بالذنيا أي تشاهدها من قوله تعالى :

« فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ »

والجملة بعد المجرور بالباء حال أي كأنك تبصر بالذنيا وتشاهدها غير كائنة .

المعنى

اعلم أنه **عليه السلام** ذكر في كلامه ذلك اموراً سبعة نبه فيها على ذمهم و توبيخهم
الاول ما أشار **عليه السلام** إليه بقوله : (كنتم جند المرأة) وأراد بها عايشة حيث
جعلوها عقد نظامهم و مدار قوامهم ، ومن المعلوم أن النساء على نقصان عقولهن

وحظوظهن و إيمانهن على ما ستعرفها تفصيلاً في محلها مذمومة عند العرب وسائر العقلاء ، فالتسابع لها و الجاعل زمام أمره إليها لا بد و أن يكون أنقص عقلاً منهن و حرّياً بالذم والتوبيخ .

روى في البحار من كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات عن محمد البرقي عن الحسين ابن سيف عن أخيه عن أبيه عن سالم بن مكرم عن أبيه قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قوله تعالى :

« مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ »

قال : هي الحميراء قال مؤلف الكتاب : إنما كنتى عنها بالعنكبوت لأنه حيوان ضعيف اتخذت بيتاً ضعيفاً أو هن البيوت ، و كذلك الحميراء حيوان ضعيف لقله عقلها وحظها و دينها اتخذت من رأيها الضعيف وعقلها السخيف في مخالفتها و عداوتها لمولائها بيتاً مثل بيت العنكبوت في الوهن و الضعف و سيأتي بعض الأخبار فيها في التنبيه الثاني إن شاء الله .

الثاني مانبه عليه السلام عليه بقوله : (وأتباع البهيمة) وأراد بها الجمل .

قال في البحار : و أعطى يعلى بن منبه عايشة جملاً اسمه عسكري اشتراه بمائتي دينار و قيل بثمانين ديناراً فركبته و قيل : كان جملها لرجل من عرنية قال العرنى بينما أنا أسير على جمل إذ عرض لي راكب قال اتبيع جملك ؟ قلت : نعم ، قال : بكم ؟ قلت : بألف درهم قال : أمجنون أنت ؟ قلت : ولم والله ما طلبت عليه أحداً إلا أدرسته ولا طلبني وأنا عليه أحد إلا أفتته ، قال : لو تعلم لمن نريده إنما نريده لأمة المؤمنين عايشة ، فقلت : خذه بغير من قال : بل ارجع معنا إلى الرجل فنعطيك ناقة و دراهم قال : فرجعت فأعطوني ناقة مهيبة و أربعمأة درهم أوستمأة .

و في شرح المعتزلي لما عازمت عايشة على الخروج إلى البصرة طلبوا لها بعيراً ابداً يحمل هودجها فجاءهم يعلى بن أمية ببعير المسمى عسكرياً و كان عظم الغلق

شديداً، فلمساراته أعجبها وأنشأ الجمال يحدثها بقوته وشدته ويقول في أثناء كلامه عسكراً، فلما سمعت هذه اللفظة استرجفت وقالت ردوه لاجابة لي فيه وذكرت حيث سألت رسول الله ﷺ ذكر لها هذا الاسم ونهاها عن ركوبه وأمرت أن يطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه فغير لها بجلال غير جلاله، وقيل لها قد أصبنا لك أعظم منه خلقاً وأشد قوةً واتيته به فرضيت .

ثم إنه ﷺ أوضح متابعتهم للبهيمة بقوله : (رغا فأجبتهم) فان كونهم مجيبين لرغائه شاهد صدق على المتابعة وقد كان الجمال راية أهل البصرة قتلوا دونه كما يقتل الرجال تحت الرايات ، و كان كل من أراد الجدل في الحرب وقاتل قتال مستميت يتقدم الجمال ويأخذ بخطامه وروى أنه اخذ الخطام سبعون رجلاً من قريش قتلوا كلهم وكان أكثر الناس حماية له و ذباً عنه بني ضبة والأزد .

وفي شرح المعتزلي عن المدائني والواقدي أنه ما حفظ رجز قط أكثر من رجز قيل يوم الجمال ، وأكثره لبني ضبة والأزد الذين كانوا حول الجمال يحامون عنه ولقد كانت الرؤوس تنذر عن الكواهل ، والأيدى تطيح من المعاصم ، وأقتاب البطن تندلق من الأجواف ، وهم حول الجمال كالجراد الثابتة لا تنزل ولا تتحلحل (١) حتى لقد صرخ بأعلى صوته ويلكم : اعقدوا الجمال فإنه شيطان ، ثم قال ﷺ اعقدوه وإلا فنيت العرب لا يزال السيف قائماً وراكعاً حتى يهوى البعير إلى الأرض فعمدوا له حتى عقروه فسقط وله رغاء شديد فلما برك كانت الهزيمة وإليه أشار ﷺ بقوله : (وعقر فهربتهم) .

قال أبو مخنف حدثنا مسلم الأعمش عن حبة العرنى قال : فلما رأى علي بن أبي طالب أن الموت عند الجمال وأنه مادام قائماً فالجرب لا يطفأ وضع سيفه على عاتقه و عطف نحوه و أمر أصحابه بذلك و مشى نحوه والخطام مع بني ضبة فاقتتلوا قتالاً شديداً واستحرق القتل في بني ضبة فقتل منهم مقتلة عظيمة وخلص علي بن أبي طالب في جماعة من النخع وهمدان إلى الجمال .

فقال لرجل من النخع اسمه بحير : دونك الجمل يا بحير فضرب عجز الجمل بسيفه فوق لجنبه وضرب بجرانه الأرض وعج عجا شديداً لم يسمع بأشد منه فما هو إلا أن صرع الجمل حتى فرت الرُجال كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب واحتملت عايشة بهودجها فحملت إلى دار عبدالله بن خلف و أمر علي عليه السلام بالجمل أن يحرق ثم يذرى بالريح ، و قال : لعنة الله من دابة فما أشبهه بعجل بني إسرائيل ثم قرء :

« وَانظُرْ إِلَىٰ إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ

فِي الْيَمِّ نَسْفًا »

وفي الاحتجاج أن محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر توليا عقره بعد طول دماثة ، وروي أنه كلما قطعت قائمة من قوائمه نبت على اخرى حتى قتل

الثالث ما ذكره بقوله عليه السلام (أخلاقكم دقاق) أى رذيلة حقيرة قال الشارح

المعتزلي : في الحديث ان رجلا قال له : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أحب أن انكح فلانة إلا أن في أخلاق أهلها دقة فقال له : إياك و خضراء الدمن إياك و المرأة الحسنة في منبت السوء و علل البحراني دقة أخلاقهم بأن أصول الفضائل الخلقية لما كانت ثلاثة: الحكمة و العفة و الشجاعة و كانوا على طرف الجهل لوجوه الآراء المصلحية و هو طرف التفريط من الحكمة العلمية و على طرف الجبن و هو التفريط من الشجاعة و على طرف الفجور و هو طرف الافراط من ملكة العفة و العدالة لا جرم صدق أنهم على رذائل الأخلاق و دقاقها .

أقول : و يشهد على جهلهم اتباعهم للمرأة و متابعتهم للبهيمة ، و على جبنهم مامر في الخطب السابقة من قوله عليه السلام : وقد أعدوا و أبرقوا و مع هذين الأمرين الفشل ، و على فجورهم خروجهم على الامام العادل و محاربتهم معه .

الرابع ما نبّه عليه بقوله : (و عهدكم شقاق) يعني معاهدتكم لا يمكن الاعتماد عليها والوثوق بها ، لأنّها صوريّة و ظاهريّة وفي المعنى و الحقيقة مخالفة و عداوة يشهد بذلك نكثهم لبيعتهم بعد عقدهم إيّاه .

الخامس ما أشار عليه إليه بقوله : (و دينكم نفاق) وذلك أنّهم أظهر و الاسلام أي الايمان بألسنتهم و خالفوا بقلوبهم كما حكى عليه فيما سبق عن الزبير أنّه : يزعم أنّه بايع بيده و لم يبائع بقلبه فقد أقرّ بالبيعة و ادعى الوليعة .

السادس ملوحة مائهم المشار إليه بقوله : (و ماؤكم زعاق) أي مالح بسبب قربه من البحر يوجب أمراضاً كثيرة كسوء المزاج و البلادة و فساد الطحال و نحوها و هذا و إن لم يكن من افعالهم الاختيارية إلاّ أنّه ممّا يذمّ به البلد فيستحقّون بذلك المذمة لسوء اختيارهم ذلك المكان قال الشاعر :

بلاد بها الحمى و اسد عرينه

و فيها المعلى يعتدي و يجور

فاننى لمن قد حل فيها لراحم

و اننى لمن لم يأتها لنذير

(و السابع أنّ) المقيم بين أظهركم مرتين بذنبه) لأنّه إمّا أن يشاركم

في الذنوب أزيها فلا ينكرها ، و قد ورد الاخبار عن أئمتنا الأ طهار سلام الله عليهم على تحريم مجاورة أهل المعاصي و مخالطتهم اختياراً و المجالسة معهم و كون المجاور و المجالس مستحقاً بذلك للعقوبة .

مثل ما رواه في الوسائل باسناده عن مهاجر الـ سدي عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

مرّ عيسى بن مريم عليه السلام على قرية قدعات أهلها و طيرها و دوابها فقال : أمّا أنتم لم

يموتوا إلاّ لسخطه ولو ماتوا متفرّقين لتدافنوا ، فقال الحواريون : يا روح الله و كلمته

ادع الله أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنتجنّبها ، قال : فدعا عيسى عليه السلام

فنودي من الجوّ أن نادهم فقام عيسى بالليل على شرف من الأرض فقال : يا أهل

القرية ، فأجابته مجيب منهم لييك ، فقال : و يحكم ما كانت أعمالكم ؟ قال : عبادة

الطاغوت وحب الدنيا مع خوف قليل و أمل بعيد وغفلة في لهو ولعب إلى أن قال :
 وكيف عبادتكم للطاغوت ؟ قال : الطاعة لأهل المعاصي قال : كيف كان عاقبة أمركم ؟
 قال : بتنافي عافية و أصبحنا في الهاوية . فقال : وما الهاوية ؟ قال : سجين ، قال :
 وما سجين ؟ قال : جبال من جمر توقد علينا إلى يوم التيامة إلى أن قال ، قال :
 ويحك كيف لم يكلمني غيرك من بينهم ؟ قال : يا رُوح الله إنهم ملجمون بلجم من
 نار : بأيدي ملائكة غلاظ شداد و إنني كنت فيهم و لم أكن منهم فلمّا نزل العذاب
 أعمتني معهم و أنا معلق بشعرة على شفير جهنم لا أدري أكبكب فيها أم أنجوت منها ،
 فالتفت عيسى عليه السلام إلى الحوارين فقال : يا أولياء الله أكل الخبز اليابس بالملح الجريش
 والنوم على المزابل خير كثير مع عافية الدنيا والآخرة .

وعن أبي حمزة عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال : سمعته يقول : أما
 أنه ليس من سنة أقل مطرا من سنة ولكن الله يضعه حيث يشاء إن الله جل جلاله
 إذا عمل قوم بالمعاصي صرف عنهم ما كان قدر لهم من المطر في تلك السنة إلى غيرهم
 وإلى الفياقي والبحار والجبال ، وإن الله ليعذب الجمل في جحرتها بحبس المطر عن
 الأرض التي هي بمحلّتها لخطايا من بحضرتها . وقد جعل الله لها السبيل إلى مسلك
 سوى محلّة أهل المعاصي قال : ثم قال أبو جعفر عليه السلام : فاعتبروا يا أولى الأبصار .

وعن أبي حمزة عن علي بن الحسين عليه السلام في حديث طويل قال : ايّاكم وصحبة
 العاصين ومعوّنة الظالمين ومجاورة الفاسقين ، احذروا فتنهم وتباعدوا من ساحتهم .
 وفي الفقيه عن محمد بن مسلم قال : مر بي أبو جعفر عليه السلام وأنا جالس عند قاض
 بالمدينة فدخلت عليه من الغد فقال عليه السلام : ما مجلس رأيتك فيه أمس قال : قلت له :
 جعلت فداك إن هذا القاضي لي مكرم فربّما جلست إليه فقال : وما يؤمنك أن
 تنزل اللعنة فتعمّك معه ، وروي في خبر آخر فتمّ من في المجلس .

و في الكافي عن الجعفري قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : مالي رأيتك عند
 عبدالرحمن بن يعقوب ؟ فقال : إنّه خالي ، فقال عليه السلام : إنّه يقول في الله قولاً عظيماً
 يصف الله ولا يوصف فإمّا جلست معه وتركتنا ، وإمّا جلست معنا وتركته ؟ قلت :

هو يقول ماشاء أى شيء عليّ منه إذا لم أقل ما يقول؛ فقال أبو الحسن عليه السلام : أمانخاف أن تنزل به نعمة فتصيبكم جميعاً ، أما علمت بالذي كان من أصحاب موسى عليه السلام وكان أبوه من أصحاب فرعون فلمّا لحقت خيل فرعون موسى تخلف عنه ليعظأباه فيلحقه بموسى فمضى أبوه وهو براغمه حتى بلغ طرفان البحر ففرقا جميعاً فأتى موسى الخبر فقال : هو في رحمة الله ولكن النعمة إذا نزلت ليس لها عمّن قارب المذنب دفاع . وقوله عليه السلام : (والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه) وذلك لأنّ المقيم بينهم والمخالط معهم إذا كان رهيناً بذنبه يلزمه كون الشاخص عنهم والمتباعد من ساحتهم متداركاً برحمة الله لسلامته من عقوبة المجاورة والمجالسة ثم أشار عليه السلام إلى ابتلائهم بالعقوبة الدنيوية قبل عذاب الآخرة وقال : (كأنني بمسجدكم كجوجؤ سفينة قد) برز من الماء حين (بعث الله عليها) أى على البصرة (العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها) قال الرضى (وفي رواية) أخرى (وأيم الله لتفرقنّ بلدتكم حتى كأنني أنظر إلى مسجدك كجوجؤ سفينة أو نعامة جائمة) أى باركة متلبدة بالأرض قال : (وفي رواية) نالشة (كجوجؤ طير في لجة بحر) .

قال الشّارح المعتزلي : أمّا إخباره عليه السلام أن البصرة تفرق عدال المسجد الجامع فقد رأيت من يذكر أن كتب الملاحم تدلّ على أن البصرة يهلك بالماء الأسود ينفجر من أرضها فتغرق ويبقى مسجدها ، والصحيح أن المخبر به قد وقع فإن البصرة غرقت مرتين مرة في أيام القادر بالله ومرة في أيام القائم بأمر الله غرقت بأجمعها ولم يبق منها إلا مسجدها الجامع مبارزاً بعضه كجوجؤ الطاير حسب ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام : جائتها الماء من بحر الفلاس من جهة الموضع المعروف الآن بجزيرة الفرس ومن جهة الجبل المعروف الآن بجزيرة السنّام ، وخربت دورها وغرق كلّ ما في ضمنها و هلك كثير من أهلها ، و أخبار هذين الغرقين عند أهل البصرة يتناقله خلفهم عن سلفهم .

أقول : ولا بأس بما ذكره إلا أنّ ألم استفاد من ذيل هذه الخطبة على ما رواها

الشارح البحراني حسبما تعرفه في أول التنيهات أن الماء الذي يفرق به البصرة ينفجر من الأرض كما قال ﷺ : و إنني لأعرف موضع منفجره من قريبتكم هذه وظاهر ذلك أنه لا يكون من ناحية اخرى ، والله العالم بحقايق الأمور .

و ينبغي التنبيه على امور الاول

اعلم أن هذه الخطبة رويت بطرق مختلفة قد رواها جماعة من الأصحاب بزيادة ونقصان ولا بأس بالإشارة إليها تكثيراً للفائدة .

فمنها ما في الاحتجاج عن ابن عباس (رض) قال : لما فرغ أمير المؤمنين ﷺ من قتال أهل البصرة وضع قتباً على قتب فحمد الله وأثنى عليه فقال : يا أهل البصرة يا أهل المؤتفكة يا أهل الداء (١) العضال يا أتباع البهيمة يا جند المرأة رغافاً جيتم وعقر فهر بتم ، ماؤكم زعاق ، ودينكم نفاق ، و أحلامكم دقاق ، ثم نزل ﷺ يمشي بعد فراغه من خطبته فمشينا معه فمر بالحسن البصري وهو يتوضأ فقال : يا حسن أسبغ الوضوء فقال : يا أمير المؤمنين لقد قتلت بالأمس أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ويصلون الخمس ويسبغون الوضوء ، فقال له أمير المؤمنين ﷺ : قد كان ما رأيت فما منكم أن تعين علينا عدونا ؟ فقال : والله لاصدقك يا أمير المؤمنين لقد خرجت في أول يوم فاغتسلت و تحنطت و صببت على سلاحي وأنا لا أشك في أن التخلف عن أم المؤمنين عايشة كفر ، فلما انتهيت إلى موضع من الخريبة (٢) نادى مناد يا حسن إلى أين أرجع فان القاتل والمقتول في النار ، فرجعت ذاعراً وجلست في بيتي .

فلما كان في اليوم الثاني لم أشك أن التخلف عن أم المؤمنين هو الكفر فتحنطت و صببت على سلاحي و خرجت أريد القتال حتى انتهيت إلى موضع من الخريبة فنادى مناد من خلفي يا حسن إلى أين مرة بعد اخرى فان القاتل و المقتول في النار .

١- الداء العضال الداء الذي لا دواء له صحاح

٢- هي بضم الغاء، محلة من محال البصرة ينسب إليها خلق كثير نهاية .

قال علي عليه السلام: صدقت أفندرى من ذلك المنادي؛ قال : لا ، قال عليه السلام : أخوك إبليس وصدقك أن القاتل والمقتول منهم في النار ، فقال الحسن البصري: الآن عرفت يا أمير المؤمنين أن القوم هلكي .

ومنها ما في تفسير علي بن إبراهيم القمي في تفسير قوله :
« وَالْمُؤْتَفِكَةُ أَهْوَى »

قال : المؤتفكة (١) البصرة ، والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام : يا أهل البصرة ويا أهل المؤتفكة يا جند المرأة و أتباع البهيمة رغبا فأجبتهم و عقر فهربتم ماؤكم زعاق و اخلاقكم دقاق و أحلامكم رقاق خ ل ، و فيكم ختم النفاق و لعنتم على لسان سبعين نبيا إن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني أن جبرئيل عليه السلام أخبره أنه طوى له الأرض فرأى البصرة أقرب الأرضين من الماء و أبعداها من السماء ، و فيها تسعة أعشار الشر و الداء العضال ، المقيم فيها مذنب و الخارج عنها برحمة و قد اتفتكت بأهلها مرتين و على الله تمام الثالثة ، و تمام الثالثة في الرجعة .

أقول : قال في مجمع البيان : المؤتفكة المنقلبة و هي التي صار أعلاها أسفلها و أسفلها أعلاها ، و أهوى أى انزل بها في الهواء قال : و المؤتفكة قرى قوم لوط المخسوفة أهوى أى اسقط أهواها جبرئيل بعد أن رفعها و هذا تنزيلها و ما رواه القمي رحمه الله تأويلها ، و قال القمي في تفسير قوله سبحانه :

« وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ »

المؤتفكات البصرة ، و الخاطئة فلانة و في نسخة حميراء ، و في البحار و أمسا التأويل الذي (٢) ذكره علي بن إبراهيم فقد رواه مؤلف تأويل الآيات الباهرة عن محمد البرقي عن سيف بن عميرة عن أخيه عن منصور بن حازم عن حمران قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : وجاء فرعون يعني الثالث ، و من قبله يعني الأول و لين ، و المؤتفكات أهل

١- قال في تفسير البيضاوي المؤتفكة القرى التي اتفتكت بأهلها أي انقلبت و عن النهاية في حديث انس البصرة إحدى المؤتفكات يعني انها غرقت فشبها غرقها بانقلابها منه
٢- يعني في الآية الاخيرة منه

البصرة ، بالخاطئة الحميراء ، فالمراد بمجيء الأ ولين والثالث بعاشية أنهم استسواها بما فعلوا من الجور على أهل البيت عليهم السلام أساساً به تيسر لها الخروج و لولا ما فعلوا لم تكن تجتري على ما فعلت ، والمراد بالمؤتفكات أهل المؤتفكات والجمع باعتبار البقاع والقرى والمحلات .

و منها ما في شرح البحراني متفرقه إلا أن المحدث العلامة المجلسي (ره) جمع ما وجد منها في البحار وألف شتاتها ونحن نرويها من البحار من الشرح . قال (قدّمه) : روى الشيخ كمال الدين بن ميثم البحراني مرسلأ أنه لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من أمر الحرب لأهل الجمل أمر منادياً ينادي في أهل البصرة أن الصلاة الجامعة لثلاثة (١) أيام من غد إن شاء الله ولا عذر لمن تخلف إلا من حجة أو علة فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً فلما كان اليوم الذي اجتمعوا فيه خرج عليه السلام فصلى بالناس الغداة في المسجد الجامع فلما قضى صلاته قام فأسند ظهره إلى حائط القبلة عن يمين المصلّى فخطب الناس وأثنى عليه بما هو أهله وصلّى على النبي وآله واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ثم قال :

يا أهل البصرة يا أهل المؤتفكة اتفكت (٢) بأهلها ثلاثاً وعلى الله تمام الرّابعة ، يا جند المرأة و اعوان البهيمة رغا فأجبتهم و عقر فانهمزتم اخلاقكم دقاق و دينكم نفاق و ماؤكم زعاق ، و بلادكم اتن بلاد الله تربة و ابعدها من السماء ، بها تسعة اعشار الشر المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفوالله ، كأنسى انظر إلى قرابتكم هذه وقد طبقتها الماء حتّى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنّه جوّ جوّ طير في لجة بحر فقام إليه الأحنف (٣) بن قيس فقال له : يا امير المؤمنين متى يكون ذلك ؟

١- اى بعد ثلاثة ايام واللام للاختصاص منه،

٢- اى انقلبت اما حقيقة أو كناية عن الفرق منه

٣- الاحنف هو الذى كان معتزلا عن الفريقين يوم الجمل و يكنى ابا بجر بالباء الموحدة

واسمه الضحاك بن قيس من بنى تميم، بحار الانوار

قال: يا أبا بجر إنك لن تدرك ذلك الزمان و إنَّ بينك وبينه لقرونا ولكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يبلغوا إخوانهم إذا هم رأوا البصرة قد تحوَّلت أخصاصها (١) دوراً و آجامها قصوراً فالهرب الهرب فانه لا بصرة لكم يومئذ .

ثم التفت عن يمينه فقال : كم بينكم وبين الأبلَّة ؟ (٢) فقال له المنذر بن الجارود فذاك أبي وأمِّي أربعة فراسخ قال له : صدقت فوالذي بعث محمداً وآله وأكرمه بالنبوَّة وخصه بالرسالة وعجل بروحه إلى الجنَّة لقد سمعت منه كما تسمعون مني أن قال لي : يا علي هل علمت أن بين التي تسمى البصرة وتسمى الأبلَّة أربعة فراسخ وسيكون في التي تسمى الأبلَّة موضع أصحاب العشور يقتل في ذلك الموضع من أممي سبعون ألفاً شهيدهم يومئذ بمنزلة شهداء بدر .

فقال له المنذر : يا أمير المؤمنين و من يقتلهم فذاك أبي وأممي ؟ قال : يقتلهم اخوان الجنِّ وهم جيل (٣) كأنهم الشياطين سود ألوانهم منتنة أرياحهم (٤) شديد كلهم (٥) قليل سلبهم طوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه ، ينفر لجهادهم في ذلك الزمان (٦) قوم هم أذلة عند المتكبرين من أهل ذلك الزمان ، مجهولون في الأرض معروفون في السماء تبكى السماء عليهم وسكانها والأرض وسكانها .

١- جمع خص بيت يعمل من الخشب القضب بحار

٢- بضم الهزة والباء وتشديد اللام الموضع الذي به مدينة البصرة و في الأبلَّة اليوم موضع

العشارين حسبما أخبر (ع) به بحار

٣- الجبل هو الصف من الناس وقيل كل قوم يختصون بلغة فهم جيل بحار

٤- جمع ربح وهي الرابعة بحار

٥- الكلب بالتحريك الشر و الاذى و شبه جنون يعرض الانسان من عض الكلب الكلب والسلب بالتحريك ما يأخذه أحد القرينين في الحرب من قرينه مما يكون عليه بحار

٦- وكانه اشار الى خروج صاحب الريح وكان جيشه حفاتا ماشاتالم يكن لهم قمعة لجم ولا جمجمة خيل بحار الانوار

ثم هملت (١) عيناه بالبكاء ثم قال : ويحك يا بصرة وياك يا بصرة لارهج (٢) له ولا حس (٣) فقال له المنذر : يا أمير المؤمنين وما الذي يصيبهم من قبل الفرق مما ذكرت وما الويح وما الويل ؟ فقال : هما بابان فالويح باب رحمة والويل باب عذاب يابن الجارود نعم تارات (٤) عظيمة منها عصابة يقتل بعضها بعضاً ، ومنها فتنة يكون بها خراب منازل وخراب ديار وانتهاك أموال (٥) و قتل رجال وسباء نساء يذبحن ونجايا ويل امرهن حديث عجيب منها أن يستحل (٦) بها الدجال الأكبر الأعور (٧) الممسوح العين اليمنى والاخرى كأنها ممزوجة بالدم لكأنها في الحمرة علقمة ناتى (٨) الحدقة كهيمة حبة العنب الطافية (٩) على الماء فيتبعه من أهلها عدة من قتل بالابلة من الشهداء اناجيلهم في صدورهم يقتل من يقتل ويهرب من يهرب ثم رجف (١٠) ثم قذف (١١) ثم خسف (١٢) ثم مسخ ثم الجوع الأغبر ثم الموت الأحمر وهو الفرق .
يا منذر إن للبصرة ثلاثة أسماء سوى البصرة في الزبر الأول لا يعلمها إلا

١- اى فاضت بالدمع بحار

٢- بالتحريك النبار بحار

٣- الصوت الخفى بحار

٤- جمع تارة اى مرات والمعنى ترد عليهم فتنة عظيمة مرة بعد اخرى بحار

٥- اخذ الاموال بما لا يعجل بحار

٦- اى يتغنها مسكنا وينزلها من حل بالمكان اذا نزل وصف الدجال بالاكبر لكثرة مدعى

الاباطيل كما فى بعض الاخبار بحار

٧- الذى ذهب احدى عينيه بحار

٨- الناتى المرتفع بحار

٩- طفا على الماء يطفو اذا علا ولم يرسب بحار

١٠- الرجف الزلزلة والاضطراب بحار

١١- القذف الرمي بالحجارة ونحوها

١٢- الخسف الذهاب فى الارض و خسف المكان ان يغيب فى الارض و هذا الخسف يحتمل

العلماء منها الخيرية ومنها تدمر (١) ومنها المؤتفكة ، يامنذر والذي فلق الحبة و بره النسمة لو أشاء لأخبرتكم بخراب العرصات عرصة عرصة متى تخرب و متى تدمر بعد خرابها إلى يوم القيامة وان عندي من ذلك علما جمعا (٢) وان تسألوني تجدوني به عالماً لا اخطئ منه علما (٣) ولادافناه ولقد استودعت علم القرون الاولى وما هو كائن إلى يوم القيامة .

ثم قال : يا أهل البصرة إن الله لم يجعل لأحد من أمصار المسلمين خطة شرف ولا كرم إلا وقد جعل فيكم أفضل ذلك و زادكم من فضله بمنه ما ليس لهم أنتم أقوم الناس قبلة قبلتكم على المقام حيث يقوم الامام بمكة ، وقارئكم أقره الناس ، وزاهدكم أزهد الناس ، وعابدمكم أعبد الناس ، و تاجركم أنجر الناس و أصدقهم في تجارته ، و متصدقكم أكرم الناس صدقة ، و غنيكم أشد الناس بطلاً و تواضعاً ، و شريفكم أحسن الناس خلقاً . و أنتم أكرم الناس جواراً و أقلهم تكلفاً لما لا يرضيه و أحرصهم على الصلاة في جماعة ، ثمركم أكثر الثمار ، و أموالكم أكثر الأموال و صفاركم أكيس (٤) الاولاد ، نساؤكم أفنع النساء و أحسنهن تبغلاً (٥) سخر لكم الماء يفتدو (٦) عليكم و يروح ، صلاحاً لمعاشكم و البحر سبباً لكثرة أموالكم فلو صبرتم

ان يكون خسف جيش او طائفة بالبصرة أو خسف مدينتهم وبعض مساكنهم و وصف الجوع بالاغبر لان الجوع غالباً يكون في السنين المجدة و سنو الجذب تسمى غبر الاغبر ان اطالها من قلة الامطار و ارضها لندم النبات و اما لان وجه الجامع يشبه الوجه الغبر والمراد بالجوع الاغبر الجوع الكامل الذي يظهر لكل أحد بعار

١- من الدمار بعض الهلاك بعار

٢- الجوع الكثير بعار

٣- العلم بالتحريك الجبل والراية وادافنا الامر داخله ذكره في القاموس اي لا اخطئ

منه ظاهراً ولا خفياً بعار

٤- الكيس بالفتح خلاف الحق بعار

٥- مصاحبة الزوجية بعار

٦- ضد الماء و رواه اليه كتابة عن الجزر والمدنى الوقتين فان نهر البصرة والانهار المقارنة له

واستقمت لكم شجرة طوبى مقيلاً ظلًا ظليلًا (١) غير أن حكم الله فيكم ما مضى وقضاؤه نافذ لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب يقول الله :

« وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا

عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا »

واقسم لكم يا أهل البصرة ما الذي ابتدאתكم به من التوبيخ إلا تذكيراً و موعظة لما بعد لكيلا تسرعوا إلى الونوب في مثل الذي وثبتم وقد قال الله لنبيه ﷺ

« وَ ذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ »

ولا الذي ذكرت فيكم من المدح والتطرية (٢) بعد التذكير والموعظة رهبة مني لكم ولا رغبة في شيء مما قبلكم فاني لا اريد المقام بين أظهركم إن شاء الله لامر تحضرنى قد يلزمني المقام بها فيما بيني و بين الله لا عندي في تركها و لا علم لكم بشيء منها حتى يقع مما اريد أن أخوضها (٣) مقبلاً ومدبراً .

فمن أراد أن يأخذ بنصيبه منها ليفعل ، فلعمري إنه للجهد الصافي صفاء (٤)
لنا كتاب الله ولا الذي أردت به من ذكر بلادكم موجدة (٥) مني عليكم لما شاقتموني

بد في كل يوم وليلة مرتين و يدور في اليوم و الليلة ولا يبيض وقتنا كطلوع الشمس و غروبها و ارتفاعها و انخفاضها ويكون ذلك بالمد اليومي ويكون المد عند زيادة نور القمر اسد ويسى ذلك بالمد الشهرى و اشار عليه السلام بهذه الفقرة الى فائدة المد والجزر بحار

١- الظل الظليل القوى الكامل ومن عادة العرب وصف الشيء بثل لفظه للبالغة وقيل اى

الظل الدائم الذى لا تنسخه الشمس كما فى الدنيا بحار

٢- التطرية البالغة فى المدح والغالب فيه الاطراء بحار

٣- الغوض فى تلك الامور مقبلاً ومدبراً مبالغة فى نفي الاستنكاف عنها و توطين النفس

عن القيام بها بحار

٤- اى جمله خالصا عن الشوائب منه

٥- بكسر الجيم النضض والمشاقة والانشقاق الغلاف والمداوة بحار

غير أن رسول الله ﷺ قال لي يوماً وليس معه غيري : إن جبرئيل الروح الأمين حملني على منكبها الأيمن حتى أراني الأرض ومن عليها وأعطاني أقاليدها (١) ولم يكبر ذلك على كما لم يكبر على أبي آدم علمه الاسماء ولم يعلمه الملائكة المقرَّبون .
و انني رأيت بقعة على شاطئ البحر تسمى البصرة ، فاذا هي أبعد الأرض من السماء وأقربها من الماء وأنها لا تسرع الأرض خراباً وأخشنها (أخشبها خ) تراباً وأشدّها عذاباً ، ولقد خسف بها في القرون الخالية مراراً وليأتين (٢) عليها زمان وان لكم يا أهل البصرة و ما حولكم من القرى من الماء ليوما عظيماً بلاؤه و انني لأعرف موضع منفجره من قريبتكم هذه ، ثم أمور قبل ذلك تدهمكم (٣) اخفيت عليكم و علمناه فمن خرج عند دنو غرقها فبرحمة من الله سبقت له ، ومن بقي فيها غير مرابط بها فيذنبه وما الله بظالم للعبيد .

فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني من أهل الجماعة ومن أهل الفرقة ومن أهل البدعة ومن أهل السنة ؟

فقال ﷺ : إذا سألتني فافهم عني و لا عليك أن لا تسأل أحداً بعدي ، أما أهل الجماعة فأنا ومن اتبعني وإن قلّوا ، فذلك الحق عن أمر الله وأمر رسوله ، و أما أهل الفرقة فالمخالفون لي ولمن اتبعني وإن كثروا ، و أما أهل السنة فالمستمسكون بما سنّه الله و رسوله و إن قلّوا ؛ و أما أهل البدعة فالمخالفون لأمر الله و لكتابه و لرسوله العالمون «العاملون» برأيهم و هوأثمهم و إن كثروا قدمضى منهم الفوج (٤) الأول و بقيت أفواج و على الله قسمها (٥) و استيصالها عن جدر الأرض (٦) و بالله التوفيق

١- جمع اقليد وهو المفتاح بحار

٢- النون للتفخيم اى يأتي عليها زمان شديد بحار

٣- اى تفجأكم و تشيكم بحار

٤- المراد به اما أصحاب الجمل أو الاعم منهم و من الغلغا، و اتباعهم بحار

٥- القضم كسر الشئ، مع الابانة بحار

٦- الجدر الارض الصلبة المستوية بحار

أقول : و لعلّ تمام الخطبة ما رواه في الاحتجاج عن يحيى بن عبدالله بن الحسن عن أبيه عبدالله بن الحسن ، قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يخطب بالبصرة بعد دخولها بأيام ، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني من أهل الجماعة ومن أهل الفرقة؟ ساق إلي قوله و استيصالها عن جدد الأرض وبعده فقام إليه عمّار وقال : يا أمير المؤمنين إن الناس يذكرون الفيه ويزعمون أن من قاتلنا فهو وماله وولده فينا

فقام إليه رجل من بكر بن وائل يدعى عباد بن قيس وكان ذا عارضة ولسان شديد فقال يا أمير المؤمنين والله ما قسمت بالسوية ولا عدلت في الرعية فقال : عليه السلام ولم ويحك؟ قال : لا نك قسمت ما في العسكر وتركت الأموال والنساء والذرية فقال : أيها الناس من كان له جراحة فليداوها بالسمن ، فقال عباد : جئنا نطلب غنائمنا فجائنا بالترهات .

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : إن كنت كاذباً فلا أمانك الله حتى يدر كك غلام تقيف، قيل : ومن غلام تقيف؟ فقال رجل لا يدع لله حرمة إلاّ انتهكها فقيف أفي موت أوبة بل؟ فقال عليه السلام يقصه قاصم الجبارين بموت فاحش يحترق منه دبره لكثرة ما يجري من بطنه .
يا أخابكر انت امره ضعيف الرأي أو ما علمت أننا لا نأخذ الصغير بذنوب الكبير ، وأنّ الأموال كانت لهم قبل الفرفة وتزوجوا على رشدة وولدوا على فطرة وإنما لكم ما حوى عسكرهم وما كان في دورهم فهو ميراث فان عدا أحد منهم أخذنا بذيئه وإن كف عنا لم نحمل عليه ذنب غيره .

يا أخابكر لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أهل مكة ، قسم ما حوى العسكر ولم يتعرّض لما سوى ذلك . وإنما تبع أثره حذو والتعل بالتعل .

يا أخابكر أما علمت أنّ دار الحرب يحلّ ما فيها وأنّ دار الهجرة لا يحلّ ما فيها إلاّ بحق فمهلاً مهلاً رحمكم الله فان لم تصدقوني وأكثرتم عليّ وذلك (١)

أنه تكلم في هذا غير واحد فأيكم يأخذ عايشة بسهمه ؛ فقالوا : يا أمير المؤمنين أصبت وأخطأنا وعلمت وجهنا فنحن نستغفر الله ونأذي الناس من كل جانب أصبت يا أمير المؤمنين أصاب الله بك الرشد والسداد .

فقام عباد (عمار خ) فقال : أيها الناس إنكم والله ان اتبعتموه وأطعتموه لن يضل بكم عن منهل نبيكم ﷺ حتى قيس (١) شعرة كيف ؛ ولا يكون ذلك وقد استودعه رسول الله ﷺ علم المنايا والقضايا (والوصايا خ ل) وفصل الخطاب على منهاج هارون عليه السلام وقال له أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، فضلا خصه الله به وإكراماً منه لنبيه حيث أعطاه مالم يعط أحداً من خلقه .

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام : انظروا رحمكم الله ماتومرون به فامضوا له فان العالم أعلم بما يأتي به من الجاهل الخسيس الأخرس فأنني حاملكم إنشاء الله إن أطعتموني على سبيل النجاة وإن كان فيه مشقة شديدة ومرارة عتيدة (٢) والدنيا حلوة والحلاوة لمن اغتر بها من الشقوة والندامة عما قليل .

ثم إنني اخبركم أن جيلاً من بني إسرائيل أمرهم نبيهم أن لا يشربوا من النهر فلجوا في ترك أمره فشربوا منه إلا قليلاً منهم ، فكونوا رحمكم الله من اولئك الذين أطاعوا نبيهم ولم يعصوا ربهم و أمّا عايشة فأدركها رأى النساء و لها بعد ذلك حرمتها الأولى والحساب على الله ، يعفو عمن يشاء ويعذب من يشاء .

الثاني

في الإشارة إلى جملة من الآيات والأخبار الواردة في نهى عايشة عن الخروج إلى القتال وما فيها الإشارة إلى تعدد أسبابها عن حدود الله و عما أوجبه في حقها فنقول قال تعالى :

« يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ

١- يقال بينها قبض رمح وقاس رمح اى قدر رمح صحاح

٢- العتيد الحاضر الهيبالنه

(ج ٣) الآيات و الروايات الواردة في نهى عايشة عن الخروج إلى القتال (٢٠٥)

ضَعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا

روى علي بن إبراهيم في تفسيره باسناده عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الفاحشة الخروج بالسيف ، وقال تعالى :

« وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى »

روى في الصافي من الاكمال عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث ان يوشع ابن نون وصي موسى عاش بعد موسى ثلاثين سنة وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى فقالت : أنا أحق منك بالأمر فقاتلها فقتل مقاتليها وأحسن اسرها ، وإن ابنة أبي بكر ستخرج علي علي عليه السلام في كذا و كذا ألف من امتي فيقاتلها فيقتل مقاتليها و بأسرها فيحسن اسرها ، وفيها أنزل الله تعالى : « وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » يعني صفراء بنت شعيب ، و روى القمي عن الصادق عن أبيه عليه السلام في هذه الآية قال : أي سيكون جاهلية اخرى ، وفي البحار من الكافية من تفسير الكلبي عن ابن عباس لما علم الله أنه سيجرى حرب الجمل قال لأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم : وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وقال :

« يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ

ضَعْفَيْنِ

في حربها مع علي عليه السلام وفي الاحتجاج روى الشعبي عن عبدالرحمان بن مسعود العبدي قال : كنت بمكة مع عبدالله بن الزبير وطلحة والزبير فإرسلوا إلى عبدالله بن الزبير وأنامعه فقالا له : إن عثمان قتل مظلوماً وإننا نخاف أمر أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يختل بهم ، فان رأيت عايشة أن تخرج معنا لعل الله أن يرتق بها فتقا ويشعب بها صدعاً .

قال : فخرجنا نمشي حتى انتهينا إليها فدخل عبدالله بن الزبير معها في سترها وجلست على الباب فأبلغها ما أرسلنا به إليها ، فقالت : سبحان الله ، والله ما امرت بالخروج وما تحضرني من أمتهات المؤمنين إلا أم سلمة فان خرجت خرجت معها

فرجع إليها فبلغهما ذلك فقالا ارجع فلتأتها فهي أنقل عليها منا فرجع إليها فبلغها فأقبلت حتى دخلت على أم سلمة فقالت أم سلمة: مرحباً بعائشة والله ما كنت لي بزواره فما بذلك؟ قال: قدم طلحة والزبير فخبيراً أن أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوماً، فصرخت أم سلمة صرخة أسمعت من في الدار، فقالت: يا عائشة أنت بالأمس تشهدين عليه بالكفر وهو اليوم أمير المؤمنين قتل مظلوماً فما تريدان؟ قالت: تخرجين معنا فلعل الله أن يصلح بخروجنا امرأة محمد ﷺ، قالت: يا عائشة اخرجي وقد سمعت من رسول الله ﷺ ما سمعنا.

نشدتك بالله يا عائشة الذي يعلم صدقك إن صدقت أتذكرين يوماً كان نوبتك من رسول الله ﷺ فصنعت حريرة في بيتي فأثيت بها وهو يقول: والله لا تذهب الليالي والأيام حتى تتنابح كلاب ماء بالعراق يقال له: الحوآب امرأة من نسائي في فئة باغية فسقط الاناء من يدي فرفع رأسه إليّ وقال: ما لك يا أم سلمة؟ فقلت: يا رسول الله ألا يستقط الاناء من يدي وأنت تقول ما تقول؟ ما يؤمنني أن أكون أناسي؟ فضحكت أنت فالتفت إليك فقال: ممّ تضحكين يا حميراء الساقين إنني أحسبك هيه.

ونشدتك بالله يا عائشة أتذكرين ليلة أسرى بنامع رسول الله ﷺ من مكان كذا وكذا وهو بيني وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحدّنا فدخلت جملك فحال بينه وبين علي فرفع مفرقة كانت معه فضرب بها وجه جملك وقال: أما والله ما يؤمك منك بواحد ولا بليته منك بواحدة إنه لا يبغضه إلا منافق كذاب.

وانشدك بالله أتذكرين مرض رسول الله ﷺ الذي قبض فيه فأناه أبوك يعودوه ومعه عمر وقد كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يتعاهد نوب رسول الله ﷺ ونعله وخفته ويصلح ما دهي (١) منها، فدخل قبل ذلك فأخذ نعل رسول الله ﷺ وهي حضرمية وهو يخصفها خلف البيت فاستأذنا عليه فأذن لهم فاقبالا: يا رسول الله كيف أصبحت؟ قال: أحمد الله، قال: لا بد من الموت، قال: لا بد من الموت: قال:

يا رسول الله فهل استخلفت أحداً؟ قال: ما خليفتي فيكم إلا خاصف النعل فمرأى عليّ عليّ عليه السلام وهو يخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله كل ذلك تعرفه يا عايشة وتشهدين عليه ثم قالت أم سلمة: يا عايشة أنا أخرج عليّ عليّ عليه السلام بعد الذي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله فرجعت إلى منزلها وقالت: يا بن الزبير ابلغهما إنني لست بخارجة من بعد الذي سمعته من أم سلمة فرجع فبلغهما قال: فما انتصف الليل حتى سمعنا رغاء إبلاها ترتحل فارتحلت معهما

وفيه عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن آباءه عن عليّ عليهم السلام قال: كنت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد بعد أن صلى الفجر ثم نهض ونهضت معه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يتجه إلى أعلمني بذلك وكان إذا أبطأ في ذلك الموضع صرت إليه لأعرف خبره لأنه لا يتصابر قلبي على فراقه ساعة واحدة، فقال لي: أنا متجه إلى بيت عايشة فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله ومضيت إلى بيت فاطمة الزهراء عليها السلام فلم أزل مع الحسن والحسين فأنا وهي مسروران بهما.

ثم إنني نهضت وصرت إلى باب عايشة فطرقت الباب فقالت لي عايشة: من هذا؟ فقلت لها: أنا عليّ فقالت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله راقد فانصرفي، ثم قلت: رسول الله راقد وعايشة في الدار فرجعت وطرقت الباب فقالت لي عايشة: من هذا؟ فقلت لها: أنا عليّ، فقالت: إن النبي صلى الله عليه وآله على حاجة فانثيت مستحياً من دقّي الباب ووجدت في صدري مالا أستطيع عليه صبراً، فرجعت مسرعاً فدققت الباب دقاً عنيفاً، فقالت لي عايشة من هذا؟ فقلت لها: أنا عليّ فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها: افتحي الباب، ففتحت ودخلت فقال لي: اقعد يا أبا الحسن احدنك بما أنا فيه أو تحدّثني بباطائك عني؟ فقلت: يا رسول الله حدّثني فان حديثك أحسن.

فقال: يا أبا الحسن كنت في أمر كتمته من ألم الجوع فلمّا دخلت بيت عايشة وأطلت القعود ليس عندها شيء تأتي به فمددت يدي وسألت الله القريب المجيب فهبط عليّ حبيبي جبرئيل ومعه هذا الطير ووضع أصبعه على طائر بين يديه فقال: إن الله تعالى أوحى إليّ أن آخذ هذا الطير وهو أطيب طعام في الجنة فأنتيك به يا محمد،

فحمدت الله عز وجل كثيراً و عرج جبرئيل فرفعت يدي إلى السماء فقلت : اللهم يسر عبداً يحبك و يحبني يأكل معي هذا الطير ، فمكثت ملياً فلم أر أحداً يطرق الباب فرفعت يدي إلى السماء فقلت : اللهم يسر عبداً يحبك و يحبني أن يأكل معي هذا الطير فمكثت ملياً فلم أر أحداً يطرق الباب فرفعت يدي إلى السماء فقلت : اللهم يسر عبداً يحبك و يحبني و تحبه و أحبه يأكل معي هذا الطير ، فسمعت طرقت الباب و ارتفاع صوتك فقلت لعائشة : ادخلي علياً ، فدخلت .

فلم أزل حامداً لله حتى بلغت إلي إذ كنت تحب الله و تحبني و يحبك الله و أحبك ، فكل يا علي فلما أكلت أنا و رسول الله ﷺ الطائر قال لي : يا علي حدثني فقلت : يا رسول الله لم أزل منذ فارقتك أنا و فاطمة و الحسن و الحسين مسرورين جميعاً ثم نهضت أريدك فجئت فطرقت الباب فقالت لي عائشة : من هذا ؟ فقلت : أنا علي ، فقالت : إن رسول الله راقد ، فانصرفت فلما أن صرت إلى بعض الطريق الذي سلكته رجعت فقلت : إن رسول الله راقد و عائشة في الدار لا يكون هذا ، فجئت فطرقت الباب فقالت لي : من هذا ؟ فقلت لها أنا علي فقالت إن رسول الله على حاجة فانصرفت مستحياً ، فلما انتهيت إلى الموضع الذي رجعت منه أول مرة وجدت في قلبي مالم أستطع عليه صبراً ، فقلت : النبي ﷺ على حاجة و عائشة في الدار ، فرجعت فدفقت الباب الذي سمعته يا رسول الله فسمعتك يا رسول الله و أنت تقول لها : ادخلي علياً فقال رسول الله ﷺ : آيت (١) إلا أن يكون الأمر هكذا يا حمير ما حملك على هذا ؟ قالت : يا رسول الله اشتيت أن يكون أبي يأكل من الطير ، فقال لها : ما هو أول ضغن بينك و بين علي ﷺ و قدوقفت على ما في قلبك إن شاء الله لتقاتلينه فقالت : يا رسول الله و تكون النساء يقاتلن الرجال ؟ فقال لها : يا عائشة إنك لتقاتلين علياً و يصحبك و يدعوك إلى هذا نفر من أهل بيتي و أصحابي فيحملونك عليه

وليكونن في قتالك أمر يتحدث به الأ ولون والآخرون وعلامة ذلك أنك تركين الشيطان ثم تبتلين قبل أن تبغني إلى الموضع الذي يقصد بك إليه فتنبح عليك كلاب الحوآب فتستلين الرجوع فتشهد عندك قسامة أربعين رجلاً ماهي كلاب الحوآب فتصيرين إلى بلد أهله أنصارك ، و هو أبعد بلاد على الأرض من السماء وأقربها إلى الماء ، ولترجعن وأنت صاغرة غير بالغة ما تريدن ، ويكون هذا الذي يردك مع من يثق به من أصحابه وأنه لك خير منك له و لينذرنا ما يكون الفراق بيني وبينك في الآخرة وكل من فرق علي بيني وبينه بعد وفاتي ففراقه جازي .

فقال يا رسول الله : ليتني مت قبل أن يكون ما تعدني فقال : هيهات هيهات والذي نفسي بيده ليكونن ما قلت حتى كأنني أراه ،

ثم قال ﷺ لي : قم يا علي فقد وجبت صلاة الظهر حتى أمر بلالاً بالأذان فأذن بلال وأقام وصلى وصليت معه ولم نزل في المسجد .

وفيه عن الباقر عليه السلام أنه قال : لما كان يوم الجمل و قد رشق (١) هودج عايشة بالنبل قال أمير المؤمنين عليه السلام : والله ما أراني إلا مطلقها فانشد الله رجلاً سمع من رسول الله ﷺ يقول : يا علي أمر نسايت بيدك من بعدي لما قام فشهد قال : فقام ثلاثة عشر رجلاً فيهم بدر بنان فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول يا علي أمر نسايت بيدك من بعدي ، قال : فبكت عايشة عند ذلك حتى سمعوا بكائها .

وفي البحار من كتاب الكافية لابطال توبة الخاطئة عن الحسن بن حماد عن زياد بن المنذر عن الأصبع بن نباتة قال : لما عقر الجمل وقف علي عليه السلام على عايشة فقال وما حملك على ما صنعت ؛ قالت ذيت (٢) و ذيت ، فقال : أما والذي فلق الحبة وبرء النسمة لقد ملأت أذنيك من رسول الله ﷺ وهو يلعن أصحاب الجمل وأصحاب النسر وان أما أحياءهم فيقتلون في الفتنة و أما أمواتهم ففي النار على ملة اليهود ،

١- الرشق تبراران كردن

٢- ذيت و ذيت اي كيت و كيت

إلى غير ذلك مما رواها الأُصحاب وتركناروايتها مخافة الاطئاب .

الثالث

قال العلامة الحلبي طاب ثراه في كتاب كشف الحق و نهج الصدق : خرجت عايشة إلى قتال أمير المؤمنين صلوات الله عليه ومعلوم أنها عاصية بذلك .
أما أولاً فلأن الله قد نهاها عن الخروج وأمرها بالاستقرار في منزلها فهتكت حجاب الله و رسوله وتبرجت وسافرت في محفل عظيم وجم غفير يزيد على ستة عشر ألفاً .

وأما ثانياً فلأنها ليست ولي الدم حتى تطالب به ولا لها حكم الخلافة فبأي وجه خرجت للطلب؟ .

وأما ثالثاً فلأنها طلبته من غير من عليه الحق لأن أمير المؤمنين عليه السلام لم يحضر قتله ولا أمر به ولا واطأ عليه وقد ذكر ذلك كثيراً .

وأما رابعاً فلأنها كانت تحرض على قتل عثمان وتقول : اقتلوا نعتلاً قتل الله نعتلاً فتمسأ بلغها قتله فرحت بذلك فلما قام أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة اسندت القتل إليه و طالبته بدمه لبغضها له و عداوتها معه ، ثم مع ذلك تبعها خلق عظيم وساعدها عليه جماعة كثيرة الوفا مضاعفة ، وفاطمة سلام الله عليها لما جاءت تطالب بحق ائنها الذي جعله الله لها في كتابه العزيز وهي محقة فيه لم يتبعها مخلوق و لم يساعدها بشر انتهى كلامه .

الترجمة

از جمله کلام فصاحت نظام آن امام عالی مقام است که در مذمت بصره و أهل آن فرموده : بودید شما لشکر زن که عایشه است و تابعان بهیمة که جمل او بود آواز کرد آن جمل ، پس جواب دادید آنرا و پی کرده شد پس گریختید ، خلقهای شما رذیل و حقیر است و عهد شما مخالفت است و شقاق ، و دین شما دو روئی است و نفاق ، و آب شما بی مزه است و شور ، اقامت کننده در میان شما رهین است بگناه خویش ، و رحلت نماینده از شما دریافته شده است بر حمة پروردگار خود ، گویا من

نظر میکنم بمسجد شما که فرا گرفته است آنرا آب بمرتبه که دیده نمیشود مگر کنکره‌های آن مسجد مانند سینه کشتی در دریا، بتحقیق که فرو فرستاده خداوند سبحانه بر بصره که شهر شما است عذاباً از بالای آن، و غرق کرده شده کسیکه در میان آن شهر بوده، و در روایت دیگر وارد شده که فرمود قسم بذات خداوند هر آینه غرق کرده شود این شهر شما تا اینکه گویا من نظر میکنم بسوی مسجد آن شهر همچو سینه کشتی بر روی دریا یا شتر مرغ سینه خوابیده در دریا، و در روایت دیگر آمده که همچو سینه مرغ در میان دریا

و من کلام له عليه السلام في مثل ذلك وهو الرابع عشر من المختار في باب الخطب الجارية مجراها

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ ، خَفَّتْ عُقُولُكُمْ ، وَ سَفِهَتْ حُلُومُكُمْ ، فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ ، وَأَكْلَةٌ لِأَكْلِ ، وَ قَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ .

اللغة

(سفه) سفهاً من باب تعب و سفه بالضم سفاهة فهو سفیه و السّفه النقص في العقل و أصله الخفة و سفه الحق جهله قال سبحانه :

« وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ »

قال الطبرسي صاحب التفسير : أي جهل قدره و (الحلم) العقل و الجمع حلوم و أحلام و (الغرض) ما ينصب ليرمى بالسهم و (النابيل) ذوات النبل و (الأكلة) بضم الهجزة اسم للمأكول و (قريسة) الأسد ما يفرسه و (صول) البعير و الأسد ككرم صالة و ائب الناس أو صار يقتل الناس و يعد و عليهم فهو صائل و صؤل .

الاعراب

العطف في قوله عليه السلام : و سفهت حلومكم للتفسير و التوكيد إن كان المراد بالسّفه المعنى الأول ، و إلاً فللتأسيس و الفاء في قوله : فأنتم ، فصيحة و هو ظاهر .

المعنى

قد عرفت في شرح الخطبة السابقة أن قوله ﴿٤٤﴾ (أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء) مما حكاه ﴿٤٤﴾ عن النبي والمراد بقرب أرضهم من الماء إما كون فوضع البصرة منخفضة قريباً من البحر كما يشاهد من دخول الماء حديقهم ومزارعهم كل يوم مرة أو مرتين، أو كونها قريبة من الفرق بالماء فيكون قوله ﴿٤٤﴾: من الماء من قبيل الحذف والإيصال، وأما بعد أرضهم من السماء فإما من حيث انخفاضها عن غيرها من الأرض، أو من حيث بعدها عن دائرة المعدل.

قال الشارح المعتزلي: إن أرباب علم الهيئة وأهل صناعة التنجيم يذكرون إن أبعد موضع في الأرض من السماء الأبله، وذلك موافق لقوله ﴿٤٤﴾ ومعنى البعد عن السماء هي هنا هو بعد تلك الأرض المخصوصة عن دائرة معدل النهار، والبقاع والبلاد تختلف في ذلك، وقد دلت الارصاد والآلات النجومية على أن أبعد موضع في المعمورة عن دائرة معدل النهار هو الأبله، والأبله هي قبة البصرة انتهى.

وفيه أن كونها أبعد بلاد العرب من المعدل مسلم وأما كونها أبعد موضع منه في المعمورة ممنوع قطعاً وفساد حساً إلا أن يكون مراده به ما ذكرناه ويكون التسامح في العبارة هذا.

و يحتمل أن يكون المراد ببعدها من السماء البعد من سماء الرحمة والاستعداد لنزول العذاب وقوله: (خفت عقولكم و سفهت حلومكم) وصف لهم بقلة العقل والسفاهة الموجبة لانحطاط الرتبة والدرجة في العقائد الدينية والعبادات البدنية وإشارة إلى قلة استعدادهم للدرك وجوه المصالح الواقعية كما يشهد به متابعتهم للمرأة وإجابتهم للبهيمة، وتنبه على جهالتهم وعدم تفكيرهم في عواقب الامور وغفلتهم عن اصلاح أحوالهم وعلى تسرعهم إلى ما لا ينبغي ولاجل ذلك حسن التفريع بقوله: (فأتم غرض لنا بل) أى هدف لمن يريد أذاكم (واكلة لا كل) أى عرضة لأن يطمع في أموالكم ويأكلها من يريد أكلها (فريسة لصائل) أى في

معرض أن يفترسكم من يريد قتلکم و هلاککم ، و هذا کله من لوازم خفة العقل
والسفاهة و قلة الفهم والغباوة .

الترجمة

از جمله کلام آن امام انام است در مثل همین مقام : زمین شما نزدیک است
بآب و دور است از آسمان خفیف است عقلهای شما و سفیه است حلمهای شما ، پس
شما بواسطه نقصان عقل و قلة تدبیر نشانه اید از برای هرتیر اندازنده ، و طعمه اید از
برای هر خورنده ، و شکارید از برای هر حمله کننده ، و هجوم آورنده ، والله اعلم بالصواب .

ومن کلام له عليه السلام فيما رده على المسلمين من قطايح
عثمان و هو الخامس عشر من المختار في باب
الخطب الجارى مجراها

وَاللّٰهُ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِالنِّسَاءِ ، وَمَلِكٍ بِهٖ الْاِمَاءُ ، لَرَدَدْتُهُ
فَاِنْ فِي الْمَدْلِ سِعَةٌ ، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْمَدْلُ قَالَ جَوْرٌ عَلَيْهِ اَضِيقُ .

اللغة

(القطايح) اسم لما لا ينقل من المال كالاراضى والحصون ويقابله الصفايا وهو
اسم للمنقول و في شرح المعتزلي القطايح ما يقطعه الامام لبعض الرعية من ارض
بيت المال ذات الخراج ويسقط عنه خراجه ويجعل عليه ضريبة يسيرة عوضاً عن الخراج

الاعراب

اسناد تزوج وملك إلى النساء والاماء مع خلوهما من علامة التأنيث على حد
قوله تعالى : وَ قَالَ نِسْوَةٌ .

المعنى

اعلم أن هذا الكلام مع الغطبة الآتية من فصول خطبة عليه السلام بها بعد

قتل عثمان ، وقد رويت بزيادة ونقصان ونحن نوردها بتمامها في شرح الخطبة الآتية ونقول هنا مضافاً إلى ما سيأتي أنه قد رواه الشارح المعزلي عن الكلبى مرفوعاً إلى أبي صالح عن ابن عباس (رض) قال : إن علياً عليه السلام خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال : ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان و كل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال ، فإن الحق القديم لا يبطله شيء ، ولو وجدته قد تزوج به النساء و فرق في البلدان لردته إلي . حاله فان في العدل سعة و من ضاق عنه العدل فالجور عنه أضيق إذا أحطت خبراً بذلك فلنعد إلى شرح كلامه عليه السلام على ما أورده الرضى ره .

فنقول : إن عثمان كان أقطع كثيراً من بني امية وغيرهم من أصحابه و أتباعه قطايح من أرض الخراج كما عرفته في شرح الفصل الرابع من فصول الخطبة الشمشقية و قد كان عمر أقطعها أيضاً إلا أنه أقطعها لأرباب الجهد و العناء و ذوى الوقايح المشهورة في الحروب ، ترغيباً في الجهاد ، ولما كان قطايحه لغرض صحيح لم يتعرض عليه السلام له بعد نهوضه بالخلافة ، و إنما تعرض لقطايح عثمان التي أقطعها لمجرد هوى نفسه و ميلاً إلى أصحابه من غير عناء في الحرب فقال عليه السلام (والله لو وجدته) أى ما بذله عثمان من تلك القطايح (قد تزوج به النساء و ملك به الاماء) أى صار مهراً للحرائر و ثمناً للاماء (لردته) إلى حاله ذى إلى بيت مال المسلمين .

ثم علل ذلك بقوله : (فان في العدل سعة) يعنى أن وجوب الرد بمقتضى العدل و فيه وسعة للناس إذ به نظامهم و قوام امورهم ، و لولاه لاختلف النظام و ضاع القوام .

ثم أكد ذلك بقوله : (و من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق) يعنى من ضاق عليه القيام بالحكم الذي اقتضاه العدل فالجور السذي أقدم عليه بمقتضى هوى نفسه و ميل طبعه أضيق عليه في الدنيا و الآخرة ، و ذلك توعيد لهم و إشارة إلى أن رد القطايح التي أقطعها عثمان لهم و إن كان ضيقاً عليهم و شاقاً في أنفسهم ، لكننه عدل و القيام به سهل بالنسبة إلى عدم الرد و الامتناع منه ، لأنه جور و هو أضيق عليهم منه في الدنيا و الآخرة ، أما في الدنيا فلا فلانها ربما انتزعت منهم قهراً و يكون

جو درہم سبباً للتحریر و الترضیق ، و أمّا الآخرة فلکونها موجبة للسخطة و العقوبة هذا .

و ذکر شارحوالکتاب فی تفسیر کلامہ رضی اللہ عنہ ذلك وجوهاً یأبى عنها الذوق السليم والطبع المستقیم من أراد الاطلاع علیها فلیرجع إليها .

قال الکلبی بعد روايته ما روينا عنه سابقاً : ثم أمر بالتی بكل سلاح وجد لعثمان فی داره مما تقوى بها (۱) علی المسلمین فقبض و أمر بقبض نجائب كانت فی داره من اهل الصدقة فقبضت و أمر بقبض سيفه و درعه و أمر أن لا یعرض لسلاح وجد له لم یقاتل به المسلمون و بالكف عن جمیع أمواله التي وجدت فی داره و غیر داره ، و أمر أن ترتجع الأموال التي أجاز بها عثمان و حیث اصیبت أو اصیبت أصحابها فبلغ ذلك عمرو بن العاص و كان بايلة من أرض الشام أتاهما حیث دعب الناس علی عثمان فنزلها ، فکتب إلى معاوية ما کنت صانعاً فاصنع اذا قشرك ابن أبي طالب من کل مال تملکک كما تقشر عن العصا لحائما (۲)

قال الشارح المعتزلي : وقال الوليد بن عقبة وهو أخو عثمان من أمه یذكر قبض علی بالتی نجائب عثمان و سيفه و صلاحه : (۳)

و لا تنهبوه لا تحلّ مناهبه	بنی هاشم رشوا سلاح ابن اختکم
و عند علی درعه و نجائبه	بنی هاشم کیف الهوادة بیننا
و بز ابن (۴) اردی (۵) فیکم و حرائبه	بنی هاشم کیف التودد منکم
سواء علینا قاتلاه و سالبه	بنی هاشم إلا تردوا فانتنا
کصدع الصفلا یشعب الصدع شاعبه	بنی هاشم إننا و ما کان منکم

۱- متعلق بقوله وجد منه

۲- ای قشرها منه

۳- ای الصلح

۴- ای سلبه ،

۵- اردی ام عثمان منه

قتلتم أخي كي ماتكونوا مكانه
 كما غدردت يوماً بكسرى مرزابه
 فأجاب عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب بأبيات طويلة من جملتها :
 فلا تسألونا سيفكم إن سيفكم
 اضيع والقاء لدى الروع صاحبه
 سلوا أهل مصر عن سلاح ابن اختنا
 فهم سلبوه سيفه و حراثبه
 و كان وليّ الأمر بعد محمد
 عليّ إلى أن أظهر الله دينه
 و أنت امرؤ من أهل صفور نارخ
 و قد أنزل الرحمن إنك فاسق
 و شبّهته كسرى و قد كان مثله
 و ما لك في الاسلام سهم تطالبه
 شيهاً بكسرى هديه و ضرابه

أى كان كافراً كما كان كسرى كافراً قال الشّارح : و كان المنصور إذا أنشد هذا البيت يقول لمن الله الوليد هو الذي فرق بين بني عبد مناف بهذا الشعر .

الترجمة

از جمله کلام آنحضرت است در خصوص چیزی که ردّ فرموده بود آن را بر مسلمانان از قطیعه های عثمان که بر بنی امیه و سایر اعوان خود بخشش کرده بود و آن کلام عدل نظام اینست که فرمود : بخداوند سوگند اگر بیایم آن مال را که تزویج شده باشند بآن زنان و ملک شده باشند بآن کنیزان هر آینه بر میگردانم آن را ، از جهة اینکه در عدل وسعت است و هر که تنگ آید بر او عدل پس جور و ستم بر او تنگ تر است .

ومن کلام له عليه السلام لما بويج بالمدينة وهو السادس عشر

من المختار في باب الخطب الجارية مجراها

والأولى العنوان بمن خطبة له عليه السلام كما في بعض النسخ لأن هذه من جلائل خطبها ومن مشهوراتها وهو أول خطبة خطبها بالمدينة بعد ما نهض بالخلافة و قد رواها جمع مناه من العامة كالكليني في روضة الكافي والمفيد في الارشاد والمحدث

المجلسي والشارح البحراني والشارح المعتزلي من كتاب البيان والتبيين للجاحظ عن أبي عبيدة معمر بن المثنى وغير هؤلاء إلا أن فيها على اختلاف طرقها زيادة ونقصاناً وتغييراً كثيراً ونحن نوردها بتمامها بعد الفراغ من شرح ما أورده الرضِيُّ قُدَّسَ سرُّه بطريق الكليني توضيحاً لما أورده وتثبيتاً لما ذكره مع الإشارة إلى تفسير بعض ما رواه الكليني أيضاً وشرح ما أورده الرضِيُّ ره في ضمن فصلين .

الفصل الأول

ذِمَّتِي بِهَا أَقُولُ رَهِينَةً وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ، إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبْرُ عَمَّا
 بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ ، حَجَزَهُ التَّقْوَى عَنِ التَّقَحُّمِ فِي الشُّبُهَاتِ ، أَلَا وَإِنْ
 بَلَيْتِكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ ،
 لَتَبْلَبُنَّ بَلْبَلَةً ، وَ لَتَفْرَبُنَّ غَرَبَلَةً ، وَ لَتُسَاطُنَّ سَوَاطِئَ الْقَدْرِ ، حَتَّى يَعُودَ
 أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ ، وَ أَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ ، وَ لَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصْرُوعًا ،
 وَ لَيَقْصُرَنَّ سَبَاقُونَ كَانُوا سَبَقُوعًا ، وَاللَّهِ مَا كَتَمْتُ وَسْمَةً ، وَ لَا كَذِبْتُ
 كَذِبَةً ، وَ لَقَدْ بُنْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ ، وَ هَذَا الْيَوْمِ أَلَا وَ إِنَّ الْخَطَايَا خَسِيلٌ
 شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَ خُلِيتُ لُجْمُهَا ، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ ، أَلَا وَإِنْ
 التَّقْوَى مَطَايَا ذُلٍّ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَ أَعْطُوا إِزْمَتَهَا ، فَأُورِدَتْهُمْ الْجَنَّةَ
 حَقًّا وَ بَاطِلًا ، وَ لِكُلِّ أَهْلٍ قَلْبَيْنِ أَمْرَ الْبَاطِلِ لَقَدْ بَأَ فَعَلَّ ، وَ لَيْتَنِي قَلَّ الْحَقُّ
 قَلْرِيًّا وَ تَمَلَّ ، وَ لَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ .

قال الرضيُّ ره أقول: إن في هذا الكلام أدنى من مواقع الاحسان (١) ما تبلغه مواضع الاستحسان، وإن حظَّ العجب منه أكثر من حظَّ العجب به، وفيه مع الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان، ولا يطلع فجَّها إنسان، ولا يعرف ما أقول إلا من ضرب في هذه الصناعة بحق، وجرى فيها على عرق، وما يعقلها إلا العالمون

اللغة

(الرهيئة) الوثيقة و (الزعيم) الكفيل و (صرحت) كشفت و (العبر) جمع العبرة و (المثلات) العقوبات و (الحبجز) الحجب و المنع و (تقعم) فلان ألقى نفسه في المهلكة، وتقعم الإنسان في الأمر دخل فيه من غير روية و (تبيلت) الألسن أي اختلطت، وفي النهاية البلابل الهموم والأحزان وبليلة الصدر وسوسته ومنه حديث عليٍّ عليه السلام لتبيلن بلبلة و (تغزلن) من غزل الدقيق أي نخله أمر من غربت اللحم أي قطعت و (ساط) القدر يسوطه سوطاً قلب ما فيها من الطعام بالمحراك و أداره حتى اختلط أجزائه و (السباق) كشداد و (الوشمة) بالشين المعجمة الكلمتو بالمهملة الأثر والعلامتو (شمس) الفرس شمساً و شمساً منع ظهره من الركوب فهو شمس و الجمع شمس كرسل (١) و (اللجم) بضم اللام جمع لجام و (ذلل) جمع ذلول كرسل ورسول وهو المنقار قال سبحانه:

« فَاَسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا »

و (امر) الباطل بالكسر إذا كسرتم

الاعراب

من المثلات بيان لما، وجملة حجزه اه مرفوعة المحل على كونها خبراً، وتبيلن و تغزلن و تساطن كلها بالبناء على المفعول، و كتبت بالبناء على المفعول أو على

١- الاحسان في كلام السيد ره مصدر احسن اذا فعل حسناً و مواقع الاحسان الكلمات الحسنة و مواضع الاستحسان الفكر المستحسنة قوله وان حظ الى قوله به اي ان تعجب الفصحاء من حسنة أكثر من عجبهم بانفسهم باستخراج معانسه لان فيه معان لا يمكنهم التعبير عنها وان تعجبوا منها من حواشي نهج البلاغة

المعلوم وكلاهما صحيحان محتملان ، و فاعل خلعت ضمير مستتر راجع إلى الخيل ولجمها منصوب على المفعولية ، أو خلعت بصيغة المجهول ، ولجمها نايب عن الفاعل وحق وباطل خبران لمبتدأ محذوف بقرينة المقام أى الأمور كلها إما حق أو باطل وأدان التقوى حق والخطاء باطل على ما سبق التصريح اليهما .

و قوله لقديمأ فعل فاعل الفعل عايد إلى الباطل و المفعول محذوف أى قديماً فعل الباطل ذلك و إسناده إليه مجاز والمراد به أهله أو أن فعل بمعنى افعل كما في قوله قد جبر الدين الاله فاجبرأى فانجبر ، وقوله : فلربما و لعل كلمة ما كافة مهية لدخول رب على الفعل المحذوف بعدها بقرينة المقام ، و لعل للترجي و المعمول محذوف وتقدير الكلام ولئن قل الحق فلربما يكون غالباً و لعله ينتصر أهله .

المعنى

اعلم أنه صدق كلامه بما يكون مرغبا لهم في الاستماع بما يقوله بقوله : (ذممتي بما أقوا) هـ (رهينة) أى وثيقة (و أنا به) أى بكونه صدقاً مطابقاً للواقع (زعيم) و كقيل ثم أشار إلى وجوب الاعتبار بالعبر النافعة من حيث كونها وسيلة إلى التقوى الحاجز عن الاقتحام في الشبهة وقال (إن من صرحت له العبر) أى كشفت (عما بين يديه من المثالات) والعقوبات الواقعة على الامم السابقة والجارية في القرون الخالية يكون انكشاف تلك العبر واعتباره بها مؤدياً إلى الخشية من الله سبحانه و (حجزه التقوى عن التعمم في الشبهات) والاقتحام في الهلكات من غير روية . والمراد بالشبهات الأمور الباطلة الشبيهة بالحق و حاجزية التقوى منها من حيث إنه لما كان عبارة عن اتيان الأوامر وترك التواهي كما قال الصادق في تفسيره بعد ما سئل عنه : أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك ، لا بد وأن يكون المتصنف به مجتنباً من الشبهات كيلا يقع في المناهي و المحرمات ، فإن الأخذ بها و التعمم فيها مظنة الوقوع في الحرام من حيث لا يعلم و قد وقع الإشارة إلى ذلك في عدة روايات

مثل ما رواه في الوسائل بإسناده عن فضيل بن عياض عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: من الورع من الناس؟ قال: الذي يتورع من محارم الله ويجتنب هؤلاء فإذا لم يتق الشبهات وقع في الحرام وهو لا يعرفه

وعن عمر بن حنظلة عنه عليه السلام أيضاً في حديث قال: وإنما الأمور ثلاثة: أمر بين رشده فيتبع، وأمر بين غيّه فيجتنب، وأمر مشكل يردّ علمه إلى الله سبحانه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله حلال بين و حرام بين و شبهات بين ذلك فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات و هلك من حيث لا يعلم، ثم قال في آخر الحديث: فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات

وعن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن لكل ملك حمى وإن حمى الله حلاله و حرامه والمشتبهات بين ذلك، كما لو أن راعياً رعى إلى جانب الحمى لم يثبت غنمه أن تقع في وسطه، فدعوا المشتبهات إذا عرفت ذلك فاعلم أنه عليه السلام لما نبههم على لزوم التقوى وأنه مانع من تعصم الشبهات نبههم بعده على أنهم في الشبهات مغمورون بقوله: (ألا وإن بليتكم هذه قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله) وأشار عليه السلام ببليتهم هذه إلى ما هم عليه من تشتت الآراء وتفرق الأهواء وعدم الألفة والاجتماع في نصرته الله عن شبهات يلقيها الشيطان على الأذهان القابلة لوسوسته المقهورة في يده، وذلك من أعظم الفتن التي بها يبتي الله عباده كما قال:

« وَ نَبَلُواكُمْ بِالْبَشْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ »

وهي أمور تشبه ما كان عليه الناس حال بعثة النبي صلى الله عليه وآله، لأنهم كانوا يومئذ ملأ متفرقة وأهواء منتشرة وطرائق متشتتة، وفيه تنبيه لهم على أنهم ليسوا من تقوى الله في شيء، ولا على دين الحق أيام خلافة الثلاثة كما أنهم لم يكونوا من أهل الديانة في أيام الفترة ويوم بعثة النبي صلى الله عليه وآله، وإشارة إلى أنهم كما كانوا يومئذ مأمورين بالتمسك بأذيال النبوة كي يخلصوا من الكفر والضلالة فكذلك هؤلاء

اليوم مأمورون باتباعه و الاقتباس من أنواره ﷺ ليهتدوا بها في ظلمات الشبهات و مدلهمات الجهالة

كما قال الرضا عليه السلام في حديث عبدالله بن جندب المروري في الوسائل من تفسير العياشي: إن هؤلاء القوم منح لهم الشيطان اغترهم بالشبهة و لبس عليهم أمر دينهم و أرادوا الهدى من تلقاه أنفسهم فقالوا لم و متى و كيف فأتاهم الهلك من مأمّن احتياطهم و ذلك بما كسبت أيديهم و ما ربك بظلام للعبيد، و لم يكن ذلك لهم و عليهم بل كان الفرض عليهم و الواجب لهم من ذلك الوقوف عند التحير و ردّ ما جهلوه من ذلك إلى عامله «عالمه ظ» و مستنبطه لأن الله يقول في كتابه:

« وَ لَوْ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أُولِي الْأَمْرِ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ

يَسْتَنْبِطُوهُ مِنْهُمْ »

يعني آل محمد عليهم السلام و هم الذين يستنبطون من القرآن و يعرفون الحلال و الحرام و هم العبجة لله على خلقه و قد مضى في شرح الفصل الرابع من فصول الخطبة الثانية. ثم إنه ﷺ لما ذكر و قوعهم في البليّة و قابل يوم بيعته يوم البعثة أشار إلى مآل ذلك الابتداء و ما يؤل إليه آخر أمر المبايعين من خلوص بعضهم و ارتداد الآخرين فقال: (والذي بعثه بالحق لتبليبن بلبلة) أي لتخلطن بعضكم ببعض و تقمن في الهوم و الأحزان و وساوس الصدور (و لتغربلن غربله) أي ليتميزن جيّدكم من ردّكم تميز نخالة الدقيق من خالصه بالغربال .

كما قال الصادق عليه السلام في رواية ابن أبي يعفور المروية في الكافي في باب التمهيص و الامتحان: لا بد للناس من أن يمحّصوا و يميزوا و يفربلوا و يستخرج في الغربال خلق كثير (و لتساطن سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكم و أعلاكم أسفلكم) لتصريف أئمة الجور إياكم و تقليبيكم من حال إلى حال و إهانتكم و تغييركم من وضع إلى وضع و من دين إلى دين، و يحتمل أن يكون المراد به أنه يصير عزيزكم ذليلاً و ذليلكم عزيزاً و يرفع أراذلكم و يحطّ أكابركم (و ليسبقن سابقون كانوا قصرّوا) و هم

المقصرون عن نصرته في مبدئه الأمر بعد وفاة الرسول ﷺ الناصرون لله في ولايته
المقاتلون معه في سائر حروبه (وليقتصرن سباقون كانوا سبقوا) وهم الذين كانت لهم سابقة
في الاسلام ثم خذلوه وانعرفوا عنه وقاتلوه كأصحاب الجمل والشام وأهل النهروان
قال الشارح البحراني: ويشبه أن يكون مراده ﷺ أعم من ذلك، فالمقصرون
الذين يسبقون كل من أخذت العناية الالهية بيده وقاده زمام التوفيق إلى الجهد في
طاعة الله واتباع سائر أو امره والوقوف عند نواهيه و زواجه بعد تقصير في ذلك،
وعكس هؤلاء من كان في مبدئه الأمر مستمراً في سلوك سبيل الله ثم جذبته هواه إلى
غير ما كان عليه و سلك به الشيطان مسالكه فاستبدل بسبقه في الدين تقصيراً
و انحرافاً عنه.

ثم إنه ﷺ لما أخبرهم بعواقب أمورهم ومآل حالهم أكد ذلك بالقسم البار
تحقيقاً لوقوع المخبر به لا محالة، و نبه ﷺ على أنه ما ينطق عن الهوى في هذه
الأخبار و أمثالها وإنما تلقاها من مصدر النبوة و دوحه الرسالة فقال: (والله ما
كنت و شمة) على البناء للمفعول أي لم يكتم مني رسول الله ﷺ كلمة أو علامة
مما يجب عليه إظهاره، أو بالبناء على المعلوم أي لم أكن شيئاً مما يتعين على
الإباحة (١) به من كلمة أو أثر و علامة (ولا كذبت كذبة) في شيء مما أخبرت به
(ولقد نبئت) أي أنبئت رسول الله ﷺ (بهذا المقام) وهو مقام اجتماع الخلق
عليه (وهذا اليوم) أي يوم بيعتهم له.

ثم إنه ﷺ أذرف كلامه بالترهيب عن الخطاء والترغيب في التقوى بالنبية
على ما يقود إليه كل منهما وقال: (ألا وإن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها
وخلعت لجمها فتحمتم بهم في النار) وهو من لطف التشبيه ومن قبيل تشبيه المعقول
بالمحسوس، ووجه الشبه أن الفرس الشموس التي خلعت لجمها كما أنها تجري
على غير نظام و تتحتم بصاحبها في المعاطب و المهالك، فكذلك الخطيئة يجري
راكبها بركوبه عليها على غير نظام الشريعة فتورده أعظم موارد الهلكة، و هي نار

الجحيم المعدة للعاصين والخاطئين (ألا وإن التقوى مطايا ذل حمل عليها أهلها و أعطوا أزمته فأوردتهم الجنة) و التشبيه فيه كما في سابقه ، و وجه الشبه أن المطية الذلول التي زمامها بيد راکبها كما أن من شأنها أن تتحرك براكبها على رفق ونظام و يصرفها الركب من أجل كون زمامها بيده عن الممالك و يسير بها إلى المقاصد ، فكذلك التقوى ، فإن صاحبه الذي زمامه بيده هي الحدود الشرعية التي بها يملكه و يستقر عليه يسهل (١) له سلوك الصراط المستقيم و العطف عن الشمال و اليمين ، و يتمكن من الفوز بالسعادة الأبدية و من الوصول إلى أسنى المطالب السنية وهي الجنة التي عرضها السموات و الأرض أعدت للمتقين .

ثم إنه لما أشار إلى أن هيينا طريقين مسلوكين أحدهما طريق الخطاء و الآخر طريق التقوى ذكر بعدهما أنهما (حق و باطل) يعني أن التقوى حق و الخطاء باطل أو أن الأمور كلها إما حق أو باطل (ولكل) منهما (أهل) أي سالك يسلكه و طالب يطلبه بمقتضى طيب الطينة و خبثها (فلئن امر الباطل) و كثر (لقديماً فعل) الباطل أي أهله ذلك (و لئن قل الحق فربما) يكون غالباً مع قلته على الباطل (و لعله) ينتصر أهله (و لقلما أدبرشيء فأقبل)

قال الشارح البحراني : استبعاد الرجوع الحق إلى الكثرة و القوة بعد قلته وضعفه على وجه كلي فإن زوال الاستعداد للأمر مستلزم لزوال صورته و صورة الحق إنما ابيضت على قلوب صفت و استعدت لقبوله فإذا اخذ ذلك الاستعداد في النقص بموت أهله أو بموت قلوبهم ، و تسود ألواح نفوسهم بشبه الباطل ، فلا بد أن ينقص نور الحق و تكثر ظلمة بسبب قوة الاستعداد لها ، و ظاهر أن عود الحق و إضافة نوره بعد ادباره و إقبال ظلمة الباطل أمر بعيد و قلما يعود مثل ذلك الاستعداد لقبول مثل تلك الصورة للحق و لعله يعود بقوة فيصبح ألواح النفوس و أرضها مشرقة بأنوار الحق و يكر على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق و ما ذلك على الله بعزيز ،

وفي ذلك تنبيه لهم على لزوم الحق^١ وبعث على القيام به كيلا يضمحل بتخاذلهم عنه فلا يمكنهم تداركه انتهى كلامه هذا .

ولعل الظاهر المناسب في شرح الفقرات الأخيرة أعني قوله : حق وباطل إلى آخر كلامه عليه السلام ما ذكره بعض الأخباريين (١) حيث قال حق وباطل خبران لمبتدئه محذوف أي الامام حق وباطل وهو تقسيم للامام على قسمين ، أحدهما الامام بالحق وإليه اشير في قوله تعالى :

« إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا » وفي قوله : « وَجَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا »

والثاني الامام بالباطل وإليه الإشارة في قوله :

« وَجَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ إِلَى النَّارِ »

وأمر الباطل من باب نصر وعلم وحسن من الامارة بمعنى الولاية ، ولتديماً منصوب على الظرفية ، وعامله فعل بعده على البناء للمجهول وضميره عايد إلى المصدر المفهوم من أمر وحذف فاء الجزاء مع كون الشرط والجزاء ماضيين لفظاً ومعنى اكتفاء بذكرها في الجملة التالية ، ولئن قل الحق بضم القاف على البناء للمفعول من باب نصر من القل وهو الرفع ، قال في القاموس استقله حملة و رفعه كمله واقله ، فلربما و لعل للتقليل ونددة الوقوع والتقدير ربما كان كذلك ولعله كان كذلك .

وهو إشارة إلى أن الحق قد يكون غالباً كما في زمن سليمان عليه السلام وذي القرنين والمقصود بذلك الإشارة إلى كون الحق غالباً في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومغلوباً في أزمنة الخلفاء الثلاثة وغالباً في زمنه عليه السلام أيضاً وهو نادر وعلى هذا فمعنى كلامه عليه السلام أن الامام حق وباطل ولكل منهما أهله فان صار الباطل أميراً بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فلقد فعل ذلك أي امرة الباطل في قديم الزمان وليس بأمر حادث يتعجب منه ، ولئن ارتفع الامام بالحق بعد خلافة الثلاثة فلربما كان كذلك ولعله كان كذلك و تلقأ

١- ملا خليل القرويني في شرح روضة الكافي منه

أدبر شيء من الحق فاقبل إليه انتهى كلامه والله العالم .

تكملة

قد أشرنا في صدر الكلام أن هذا الفصل من كلامه عليه السلام كالفصل الآتي من كلامه مما رواه العامة والخاصة و وعدناك هناك أن نذكر تمام الخطبة و نفسر بعض فقراتها المحتاجة إلى التفسير والبيان فأقول وبالله التكلان:

روى ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب عن علي بن رئاب ويعقوب السراج عن أبي عبدالله عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام لما بويج بعد مقتل عثمان صعد المنبر فقال :

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا فَاسْتَعْلَى، وَدَنَا فَتَعَالَى، وَارْتَفَعَ فَوَقَّ كُلَّ مَنْظَرٍ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا (عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ خ ل) رَسُولُ اللَّهِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَحُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْعَالَمِينَ،
مُصَدِّقًا لِلرُّسُلِ الْأَوَّلِينَ، وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفًا رَحِيمًا، وَصَلَّى اللَّهُ
وَمَلَائِكَتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ . أَمَا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّ الْبَغْيَ يَقُودُ أَصْحَابَهُ
إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ بَغَى عَلَى اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ عَنَاقُ بِنْتِ آدَمَ، وَأَوَّلُ
قَتِيلٍ قَتَلَهُ اللَّهُ عَنَاقُ، وَكَانَ مَجْلِسُهَا جَرِيبًا مِنَ الْأَرْضِ فِي جَرِيْبٍ، وَكَانَ
لَهَا عِشْرُونَ إِبْصَعًا، فِي كُلِّ إِبْصَعٍ ظُفْرَانٍ مِثْلُ الْمِنْجَابِينَ، فَسَلَطَ اللَّهُ
عَلَيْهَا أَسَدًا كَالْفِيلِ، وَذِيبًا كَالْبَعِيرِ، وَنَسْرًا مِثْلَ الْبَغْلِ، فَفَتَلَوْهَا، وَقَدْ
قَتَلَ اللَّهُ الْجَبَابِرَةَ عَلَى أَفْضَلِ أَحْوَالِهِمْ، وَأَمَّنِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَأَمَاتَ
هَامَانَ وَأَهْلَكَ فِرْعَوْنَ، وَقَدْ قَتَلَ عُمَانُ، أَلَا وَإِنَّ بِلَيْتِكُمْ قَدْ عَادَتْ

كَهَيْتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ .

وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبْلَيْنَّ بِلْبَلَةٍ ، وَ لَتَنْزَبُنَّ عَرَبَلَةً ، وَ لَتُسَاطِنَّ
سَوَاطِنَ الْقِدْرِ ، حَتَّى يَمُودَ أَسْفَلَكُمْ أَعْلَاكُمْ ، وَ أَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ ، وَ لَيَسِينَنَّ
سَابِقُونَ كَانُوا قَصْرُوهَا ، وَ لَيَقْصُرَنَّ سَبَاقُونَ كَانُوا سَبَقُوهَا ، وَ اللَّهُ مَا كَتَمْتُ
وَسْمَةً ، وَ لَا كَذِبْتُ كِذْبَةً ، وَ لَقَدْ بُنِنْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ ، وَ هَذَا الْيَوْمِ .
أَلَا وَ إِنَّ الْخَطَايَا حَيْلُ شَمْسٍ حَمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَ خَاطَمَتْ لُجْمَهَا ،
فَتَقَحَّطَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ .

أَلَا وَ إِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلِّ حَمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَ أَعْطَوْا أَرْزَمَتَهَا ،
فَأَوْرَدَتْهُمْ الْجَنَّةَ ، وَ فُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُهَا ، وَ وَجِدُوا رِيحَهَا وَ طَيْبَهَا ، وَ قِيلَ
لَهُمْ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ .
أَلَا وَ قَدْ سَبَقَنِي إِلَى هَذَا الْأَمْرِ مَنْ لَمْ أُشْرِكْهُ فِيهِ ، وَ مَنْ لَمْ أَهْبَهُ
لَهُ ، وَ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ تَوْبَةٌ إِلَّا بِنَبِيٍّ يُبْعَثُ .

أَلَا وَ لَا بِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، أَشْرَفُ مِنْهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ
فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، حَقٌّ وَ بَاطِلٌ وَ لِكُلِّ أَهْلٍ ، فَلَيْنَ أَمْرَ الْبَاطِلِ
لَقَدِيًّا فَعَلَ ، وَ لَيْنَ قَلِّ الْحَقِّ لُرُبَّهَا وَ لَعَلُّ ، وَ لَقَامَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَاقْبَلَ ،
وَ لَيْنَ رُدِّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ سَعْدَاءَ ، وَ مَا عَلِيٌّ إِلَّا الْجَهْدُ ، وَ إِنِّي
لَأَخْشَى أَنْ تَكُونُوا عَلَى فِتْرَةٍ مِثْلَتِمْ عَنِّي مِثْلَةً كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ

مَحْمُودِي الرَّأْيِي، وَتَوَاشَأَ لَقَلْتُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ .

سَبَقَ فِيهِ الرَّجُلَانِ وَقَامَ الثَّلَاثُ كَالْفَرَابِ ، هِمَّتُهُ بَطْنُهُ ، وَيَلَهُ لَوْ
قَصَّ جَنَاحَاهُ وَقُطِعَ رَأْسُهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، شَغَلَ عَنِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
أَمَامَهُ ثَلَاثَةٌ وَإِنَّمَانِ ، خَمْسَةٌ لَيْسَ لَهُمْ سَادِسٌ مَلَكَ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ،
وَ تَبِي أَخَذَ اللَّهُ بِضَبْعَيْهِ ، وَسَاعٍ مُجْتَهِدٌ ، وَطَالِبٌ يَرْجُو ، وَمُقَصِّرٌ
فِي النَّارِ .

أَلْيَمِينُ وَالشَّمَالُ مَضَلَّةٌ ، وَالطَّرِيقُ الْوَسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ ، عَايَنَهَا بَاقِي
الْكِتَابِ وَأَثَارُ النَّبُوءَةِ ، هَلَكَ مَنْ ادَّعَى ، وَخَابَ مَنْ افْتَرَى ، إِنْ لَمْ يَكُنْ
هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسِّيفِ وَالسُّوْطِ ، وَ لَيْسَ لِأَحَدٍ عِنْدَ الْإِمَامِ فِيهَا هَوَادَةٌ ،
فَاسْتَبْرُوا فِي يُفُوتِكُمْ ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ
مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ .

وَفِي مَرْوِيِّ الْبَحْرَانِيِّ بَعْدَ قَوْلِهِ بَعْدَ قَوْلِهِ : مِنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ : أَلَا وَإِنْ كَلَّ
قَطِيعَةً أَقْطَعَهَا عَثْمَانُ وَمَا أَخَذَهُ مِنْ بَيْتِ «مَالِظ» الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْهِمْ
فِي بَيْتِ مَالِهِمْ وَتَوَجَّدَتْهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ وَفُرِّقَ فِي الْبَلَدِ ، فَإِنَّهُ
إِنْ لَمْ يَسْعَهُ الْحَقُّ قَالِبًا بَاطِلٌ أَضِيقُ عَنْهُ .

بيان

(الجرب) الوادي استعير للقطعة المتميزة من الأرض وفي المصباح للفيومي من كتاب المساحة للسّمؤال ما محصله أنه عشرة آلاف ذراع و عن قدامة الكاتب ما محصله أنه ثلاثة آلاف ذراع وستمأة ذراع ، و (المنجل) كمنبر حديدية يقضب بها الزرع و الواسع الجرح من الاسنة (و أمات هامان و أهلك فرعون) كناية عن الأول والثاني كما في قوله تعالى :

« وَ نُريدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ، وَ نَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ »

(من لم اشرك فيه) كما اشرك موسى هارون على ما أشير إليه في قوله سبحانه : « و اشركه في أمرى » و هونص صريح في عدم رضائه بخلافة من سبق إليه (و من لم أهبه له) اللام للانتفاع (و من ليست له توبة الا بنبي يبعث) استثناء مفرغ و المقصود أنه لا يتصور للثلاثة توبة بسبب من الاسباب إلا أن يبعث الله نبياً بعد وفاة النبي ﷺ ؛ دون فصل يكون شرعه ناسخاً لشرع محمد ﷺ و رافعاً لما أوجبه من خلافته ﷺ و وجوب اتباعه و ما حكم به من بطلان خلافة الثلاثة (أشرف منه) قيل : الضمير في أشرف عايد إلى من وفي منه راجع إلى مصدر سبقني و كلمة من للتعليل و الجملة استينافية بيانية و المعنى أنه أشرف من لم اشركه فيه من أجل سبقته إلى هذا الامر (على شفا جرف هار) أي على قاعدة هي أضعف القواعد و هو الباطل و التفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلّة الثبات (فانهار به في نار جهنم) أي فهو الباطل به في نار جهنم و هذا مأخوذ من قوله سبحانه في سورة البرائة :

« أَقَمْنَ أَسْسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمَّنْ أَسْسَ »

مُبَيَّنَةٌ عَلَى شِفَا (١) جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

(لئن ردّ عليكم أمركم) الذي يلزمكم القيام به و هو امثالهم لأمره و تصديقهم بامامته ﷺ (انكم) تكونون حينئذ (سعداء و ما عليّ إلاّ الجهد) بفتح الجيم اى الجدّ و الاجتهاد يعنى أنا أعمل على ما يجب على القيام به من أمر الشريعة و عزل و لاة السوء و امراء الفساد عن المسلمين فان تمّ ما أريده فذاك ، و إلاّ كنت قد أعذرت نظير قوله سبحانه :

« فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ »

قوله : (كالغراب همته بطنه) حيث يقع على الجيفة و على الثمرة و على الحبة و في المثل أحرص من غراب و أجشع من غراب (و يله) منصوب على النداء و حرف النداء محذوف (لوقصّ جناحاه) أى قطع بالمقراض و نحوه كان خيراً له و المقصود أنه لو كان قتل قبل تلبّسه بالخلافة كان خيراً له من تقصّده فيه و قوله (ثلاثة واثنان) مرفوعان على الابتداء و (خمسة) خبر لهما و هو فذلك العدد كما في قوله سبحانه :

« ثَلَاثَةٌ فِي الْحَيِّجِّ وَ سَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ »

والمقصود أن المكلفين على خمسة أقسام منشعبة من قسمين لأنّه إمّا معصوم أو غير معصوم، و المعصوم على ثلاثة أقسام (ملك يطير بجناحيه) حامل للوحى و نحوه (و نبيّ أخذ الله بضبعيه) و عضده و وصيّ (ساع) في الدين (مجتهد) في الشرع أى متحمل للجهد و المشقة (و) غير المعصوم على قسمين أحدهما (طالب) للجنة (يرجو) رحمة ربّه (و) الثّانى (مقصّر) في الدين هالك (في النار) قوله : (إن الله أدب) اه

١- الشفا الشفير و جرف الوادى جانبه الذى ينحرف امله بالما، و تجرّفه السيول و الهار الهامر الذى

إشارة إلى بعض مطاعن الثلاثة من تعطيلهم حدود الله سبحانه لملاحظة القرابة أو لأغراض آخر و (الهوادة) اللين وما يرجى به الصلاح وقيل هو الشفاعة لترك الانتقام من مرتكب العصيان هذا.

وغير ما ذكرته مما يحتاج من كلامه عليه السلام إلى التفسير يأتي في شرح الفصل الآتي بيانه، والله الهادي.

الترجمة

و از جمله کلام بلاغت نظام آنحضرت است: عهد و پیمان من بصحت آنچه میگویم در گرواست و من بصدق و صواب بودن آن کفیل و ضامنم، بدرستی که کشف نمود از برای او عبرتها از آنچه در پیش او گذشته از عقوبات مانع میشود او را پرهیز کاری از انداختن نفس خود در شبههها، آگاه باشید بتحقیق که بلیه که عبارت است از اختلاف آراء و تفرق اهواء رجوع نموده بر مثال و هیئت آن در آن روز که خداوند سبحانه پیغمبر خود را مبعوث فرمود.

قسم بآن کسی که برانگیخت پیغمبر خود را بحق هر آینه مخلوط میشوید بهمدیگر مخلوط شدنی، و البته بیخته میشوید بفریال بیختنی که خوب و بد از همدیگر تمیز مییابد، و البته برهم زده میشوید مثل برهم زدن آنچه در دیکست از طعام با قاشق و نحو آن تا باز برگردد پست ترین شما بر بلندترین شما بر پست ترین شما، یعنی زیر و بالا میشوید، و البته پیشی میگیرند پیش افتاده گانی که بودند باز پس مانده، و البته مقصر میشوند پیش گیرندگان که بودند پیش افتاده مراد از طایفه اولی اشخاصی بودند که بعد از وفات حضرت رسالتآب صلوات الله علیه و آله از نصرت آنحضرت قصور ورزیدند و در زمان خلافت آن بزرگوار با جان و دل بیعت نموده شیعه خالص وی شدند

و مراد از طایفه دوم اشخاصی هستند که ایشان را در اسلام سابقه بود و در زمان امامت آن امام عالی مقام انحراف ورزیده و با او بمقام مقاتله و محاربه بر آمدند مثل طلحه و زبیر و سایر اصحاب جمل و نهروان.

بعد از آن اشاره میفرماید باینکه این اخبار غیبیه از منبع نبوت و مهبط وحی و رسالت مأخوذ گردیده و احتمال خلاف در آن بوجه نمیشود، و فرمود بخدا سوگند پنهان داشته نشده‌ام از هیچ کلمه، یعنی حضرت رسول ﷺ جمیع مطالب را بمن اطلاع داد، یا اینکه پنهان نداشتم هیچ کلمه‌ای که لازم بود اظهار آن و دروغ نگفتم هیچ دروغی، و بتحقیق که خبر داده شده‌ام باین مقام که مقام اجتماع خلق است بر من و بر این روز که روز بیعت مردمان است بامن.

آگاه باشید که بتحقیق خطاها اسبابی هستند سرکش که سوار شده باشند بر آن صاحبان آن و برکنده باشند لجامهای خود را، پس انداخته باشند در مهالك آتش را کبان خود را، آگاه باشید بدرستی که تقوی و پرهیزکاری شترانی هستند رام که سوار شده باشند بر آن صاحبان آن، و داده شده باشند بدستهای ایشان افسارهای ایشان، پس وارد سازند در بهشت عنبر سرشت سواران خود را، پرهیزکاری راهی است راست و خطاها راهی است باطل و هر یکی را از این دو راه اهلی است، پس اگر بسیار شود باطل هر آینه در قدیم الزمان کرده است آنرا اهل آن و در آن زمان بهمان قرار، و اگر کم شده است حق در آن زمان پس بسا که غالب شود آن و امید هست که منصور باشد اهل آن و هر آینه کم است که پشت کرده باشد چیزی پس روی آورد.

سید رضی رضی الله عنه بعد از اداء خطبه فرموده که میگویم من بدرستی در این کلام امام علیه السلام که کوتاه‌ترین لفظ است از موارد حسن چیزی هست که نمی‌رسد بآن مواضع وقوع تحسین، یعنی فکرها که ادراک حسن کلام را میکنند و تعداد محاسن آن را مینمایند و بدرستی که بهره تعجب از این کلام بیشتر است از بهره خود پسندی، یعنی تعجب فصحا از بدایع حسن او بیشتر است از بهره عجب بسبب استخراج نکات رائقه و لطائف فایقه آن، بجهة اینکه بسا بدایعی در آن هست که نقل آنرا بنور بصیرت ادراک مینماید، ولی زبان بیان از تعبیر و تقریرش عاجز و قاصر است.

و در این کلام بلاغت نظام با وجود حالتی که وصف کردم زیادهاست از
صناعت فصاحت که قایم نمیشود بآدای آن هیچ زبان، و اطلاع نمییابد بعمق آن
هیچ انسان، و نمیشناسد آن چیز را که من گفتم از این اوصاف مگر کسیکه عمر
خود را مصروف بدارد در این صناعت فصاحت برآستی، و جدای شود این صناعت
برعروق و اعصاب آن، و آن را کما هو حقّه دانسته باشد، و تعقل نمیکند آنرا
مگر عالمان کاملان.

الفصل الثانی

شَغِلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالتَّارُ أَمَامَهُ، سَاعٍ سَرِيعٍ نَجَا، وَطَالِبٌ بَطِيءٌ
رَجَا، وَمُقَصِّرٌ فِي التَّارِ هَوَى، الْيَمِينُ وَالشَّالُ مَضَلَةٌ، وَالطَّرِيقُ الْوَسْطَى
هِيَ الْجَادَةُ، عَلَيْهَا باقى الْكِتَابِ وَآثارُ النُّبُوَّةِ، وَمِنْهَا مَنْقَدُ السُّنَّةِ، وَإِلَيْهَا
مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ، هَلَكَ مَنْ ادَّعَى، وَخَابَ مَنْ افْتَرَى، مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ
لِلْحَقِّ هَلَكَ عِنْدَ جَهْلَةِ النَّاسِ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ لَا يَعْرِفَ قَدْرَهُ،
لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنَخُ أَصْلٍ، وَلَا يَظَاهُ عَلَيْهِ زَرْعُ قَوْمٍ، فَاسْتَبْرُوا
يُؤْتِكُمْ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وِرَائِكُمْ، وَلَا يَحْمَدُ
حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَلْمُ إِلَّا نَفْسَهُ.

اللغة

(الطريق) يذكر في لغة نجدوبه جاء القرآن في قوله تعالى:

« فَأَضْرِبْ لَهُمُ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا »

ويؤنس في لغة الحجاز وعليه جرى قوله عليه السلام و (الجادة) معظم الطريق و (الصفحة)

من كل شيء كالصّح جانبه و (السنخ) من كل شيء أصله و (البين) بالفتح من الأضداد يطلق على الوصل وعلى الفرقة ، ومنه ذات البين للعداوة والبغضاء ، وقولهم لاصلاح ذات البين أى لاصلاح الفساد بين القوم ، والمراد اسكان النار .

الاعراب

شغل على البناء للمفعول ، ومن الموصولة نائب عن الفاعل ؛ والجنة والنار مرفوعان على الابتداء ، و أمامه خبر والجملة صلة لمن ، وقيل : إن شغل مسند إلى الضمير المستتر العائد إلى الثالث السابق في كلامه عنه حسبما حكيناه من الكافي ، ومن الجنة بكسر الميم جار ومجرور ، والنار أمامه مبتدأ وخبر .

ويؤيد ذلك ما في رواية الكافي من تبديل كلمة من بكلمة عن ، وعليه فالمعنى شغل الثالث يعنى عثمان عن الجنة والحال أن النار أمامه ، وساع وطالب و مقصّر مرفوعات على الخبرية من محذوف بقرينة المقام ، وإضافة الباقي إلى الكتاب إمامن قيل إضافة الصفة إلى الموصوف أى الكتاب الباقي بين الامّة ، أو بمعنى من ، ففيها إشارة إلى وقوع التحريف في القرآن و النقصان فيه ، و كفى بالمرء الباء زائدة في المفعول ، و إضافة السنخ إلى أصل من قبيل سعيد كرز و كرى القوم ، و استروا بيوتكم أى في بيوتكم منصوب بنزع الخافض ، والتوبة من ورائكم كلمة من بمعنى في وهو واضح .

المعنى

قد عرفت في شرح الفصل السابق أن هذا الفصل من الخطبة التي ذكرناها هناك وقوله عنه (شغل من الجنة والنار أمامه) جملة خبرية في معنى الانشاء ، يعني من كان الجنة والنار أمامه يجب أن يكون مشغولا بهما عن جميع ما يشغل عنهما من زبرج الدنيا وزخارفها ولذاتها وشهواتها، والمراد بالاشتغال بهما الاشتغال بما يؤد به إلى الجنة وينجيه من النار ، ومن كونها أمامه كونها نصب قلبه وخياله بمرئى ومسمع منه غير غافل عنهما تذكرهما مدّة عمره، فيشغل بهما عن غيرهما .

ويحتمل أن يكون المراد أن الانسان لما كان من بدو نشأته وعمره إلى منتهاه بمنزلة المسافر إلى الله، و كان دائماً في قطع مسافة والانتقال من نشأة إلى نشأة، والتبدل من طور إلى طور من أطوار العالم الجسماني و أطوار نشأة الآخرة من حين الموت إلى حين البعث من حيث إن الموت ليس عبارة عن عدم الانسان، بل من بطلان قلبه لخروج روح منه قائماً بذاته بدون افتقارها بهذا البدن فله بعد هذه النشأة نشآت كثيرة في القبر والبرزخ و عند العرض والحساب و الميزان إلى أن يدخل الجنة أو النار، لاجرم (١) كان المنزل لذلك المسافر إحداهما فكأنما أمامه في ذلك السفر وغايتين يؤتمهما الانسان من مبدئه خلقته إلى أن ينزل إلى إحداهما ومن كان أبداً في السفر إلى غاية معينة فيجب أن يكون مشغولاً بمهمات تلك الغاية.

ولمأنبه عليه السلام على وجوب الاشتغال بهما قسم الناس باعتبار ذلك الاشتغال إلى أقسام ثلاثة أحدها (ساع) إلى رضوان الله (سريع) في عدوه (نجا) برحمة ربه (و) الثاني (طالب) للرضوان (بطيء) في سيره (رجا) للغفران (و) الثالث (مقصر) في طاعة الرحمن سالك سبيل الشيطان مخلد (في النار هوى) إلى الجحيم واستحق العذاب الأليم وقد اشير إلى الأقسام الثلاثة في قوله سبحانه :

« وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ، فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ،

وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ

أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ »

فأصحاب الميمنة هم المؤمنون من أهل التبعات يوقفون للحساب، وأصحاب المشئمة هم المقصرون الظالمون الذين سلك بهم الشيطان سبيله فأوردتهم النار وهم مهانون و أما السابقون فهم الفائزون الحائزون لقصب السبق يسبقون الخلق إلى الجنة من غير حساب، ويشمل هذا القسم الأنبياء والأولياء كشمول قوله عليه السلام : ساع

سريع نجا ، لهم .

ويشهد به ما في غاية المرام من تفسير الثعلبي باسناده عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : قسم الله الخلق قسمين ، فجعلني في خيرها قسماً فذلك قوله تعالى :

« وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ »

فأنا خير أصحاب اليمين ، ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثلاثاً ، فذلك قوله تعالى :

« وَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَالسَّابِقُونَ »

وأنا من خير السابقين ، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني من خيرها بيتاً فذلك قوله تعالى :

« إِنَّا نُؤْتِيهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً »

هذا و الاظهر بمقتضى الحال والمقام وبملاحظة إقراره الأنبياء في قسم رابع مستقل كما سبق ذكره في شرح الفصل السابق ، خروج الأنبياء من هذا القسم وإرادته بالساع السريع نفسه الشريف و النقباء من شيعته كسلمان و أبي ذر و المقداد ، وبالطالب البطي . سائر الشيعة ، و بالمقصر الجاحد لولايته ، وقد فسر السابقون في الآية بذلك أيضاً .

كما رواه في غاية المرام من أمالي الشيخ باسناده عن ابن عباس قال : سألت رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل :

« وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ »

فقال لي جبرائيل : ذلك علي و شيعته هم السابقون إلى الجنة المقربون من الله بكرامة لهم .

و يؤيده (١) ما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره قوله :

١- هذا تأييد لادخال النقباء في السابقين ، منه

« وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ »

قال : وهم النقباء : أبوذر والمقداد وسلمان وعمار ومن آمن وصدق وثبت على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

ولما قسم الناس إلى السابقين واللاحقين والمقتصرين ، أشار عليه السلام لهم إلى الطريق التي يجب سلوكها ونصب عليها أعلام الهدى ليوصل إلى حضرة الحق سبحانه وتعالى فقال : (اليمين و الشمال مضلة و الطريق الوسطى هي الجادة) الموصلة لسالكها إلى المطلوب وهي حظيرة القدس ، وذلك لأن طريق السالكين إلى الله إما العلم أو العمل ، فالعلم طريق القوة النظرية ، والعمل طريق القوة العملية ، وكل منهما محتور بذيلتين هما طرفا التفريط و الافراط ، والوسط منهما هو العدل والطريق الوسطى هي الجادة الواضحة لمن اهتدى

أقول : وبعلمه كنى باليمين والشمال عن طريق الجبت والطاغوت ، وبالطريق الوسطى عن طريق الولاية له عليه السلام ، وأشار بقوله مضلة إلى كونهما في ضلالة فيضلان سالكي طريقهما البتة ، وبقوله هي الجادة إلى وجوب سلوك الطريق الوسطى ، وهي ولايته لكونها سالمة ومحفوظة من الضلالة منصوبة عليها أعلام الهداية فهو عليه السلام السبيل الأعظم والمصراط الأقوم و ولايته الطريق الوسطى و الجادة العظمى لأن جميع العباد إنما يصلون إلى الله تعالى إلى محبته و جنته وقربه والفوز لديه بما أعد له من أطاعه بولايته و محبته و طاعته ، و إنما تصعد أعمال الخلق إلى الله إذا كانت جارية على سنته وطريقته و كانت مأخوذة عنه بالتسليم له والرد إليه و بالولاية له والبرائة من أعدائه وهو قول الله عز وجل :

« إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ »

يعنى أن الله لا يقبل من أحد عمله إلا من المتقي ، و هو الذي أحب الله و رسوله و اتمر بأمره و انتهى عن نيه و والى ولي الله و عادى عدو الله ، و معنى المتقين في الباطن المتقون من ولاية أعدائه عليه السلام و هم أهل الشمال واليمين ، فمن اتقى سنة أعدائه

فهو الممتقي ، فكان عليه السلام هو الطريق إلى الله وولايته أيضاً طريق صعود الأعمال إليه تعالى وقد اشير إلى هذه الطرق الثلاث أعني اليمين و الشمال و الوسطى ، و إلى التحذير من الأوامر و وجوب سلوك الأخيرة في غير واحد من الآيات و الأخبار مثل ما رواه في غاية المرام من الكافي باسناده عن بريد العجلي قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله :

« أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » فكان جوابه :
 « أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ وَرَا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ
 وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا »

يقول الأئمة الضلال والدعوة إلى النار هؤلاء أهدى من آل محمد سبيلاً
 « أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَوَّاهُ اللَّهُ صَبْرًا لِمَا كَفَرُوا »

وفيه من تفسير العياشي باسناده عن بريد العجلي عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

« وَإِنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

عَنْ سَبِيلِهِ »

قال: تدري ما يعني بصراطي مستقيماً؟ قلت: لا، قال: ولاية علي والأوصياء، قال:
 وتدري ما يعني فاتبعوه؟ قلت: لا، قال: يعني علي بن أبي طالب صلوات الله عليه،
 قال: وتدري ما يعني بقوله: ولا تتبعوا السبل؟ قلت: لا، قال: ولاية
 فلان و فلان والله، قال: وتدري ما يعني فتفرق بكم عن سبيله؟ قلت: لا،
 قال: يعني سبيل علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفيه عن الكليني باسناده عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي عليه السلام

قال: قلت:

« أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبِّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »

قال : إن الله ضرب مثل من حاد عن ولاية علي عليه السلام كمن يمشي مكبباً على وجهه لا يهتدى لأمره ، وجعل من تبعه سويباً على صراط مستقيم ؛ و الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام .

و فيه عن ابن شهر آشوب عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحكم و علي بين يديه مقابله ، ورجل عن يمينه ، ورجل عن شماله ، فقال صلى الله عليه وآله اليمين و الشمال مضلة ، و الطريق السوي الجادة ، ثم أشار صلى الله عليه وآله بيده إن هذا صراط علي مستقيم فاتبعوه الآية .

وفيه عن علي بن إبراهيم في تفسيره قال : حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن علي بن رباب قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : نحن والله سبيل الله الذي أمركم الله باتباعه ، ونحن والله الصراط المستقيم ، ونحن والله الذين أمر الله بطاعتهم ، فمن شاء فليأخذ من هنا ، ومن شاء فليأخذ من هناك ، لا تجدون عنا والله محيصاً ل عنها محيصاً .

وفيه عن سعد بن عبد الله في كتاب بصائر الدرجات باسناده عن زر بن حبیش عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : سمعته يقول : إذا دخل الرجل حفرة أتاه ملكان اسمهما منكر ونكير فأول ما يسألانه عن ربّه ثم عن نبيّه ثم عن وليّه فان أجاب نجا ، و إن تحير عذّباه ، فقال رجل : فما حال من عرف ربّه و لم يعرف وليّه ؟ قال : هذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء و من يضل الله فلن تجدله سيلاً ، فذلك لا سبيل له ، وقد قيل للنبي صلى الله عليه وآله من ولينا يا نبي الله ؟ فقال : وليكم في هذا الزمان علي و من بعده وصيه لكل زمان عالم يحتاج الله به لئن يكون كما قال الضلال قبلهم حين فارقتهم أنبيأؤهم

« لَوْ أُرْسِلَتْ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ »

فما كان من ضلالتهم وهي جهالتهم بالآيات وهم الأوصياء فأجابهم الله عز وجل :

« قُلْ تَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ »

وإنما كان تربصهم أن قالوا: نحن في سعة من معرفة الأوصياء حتى نعرف إماماً فغيرهم الله بذلك، والأوصياء هم أصحاب الصراط وقوفاً عليه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم عند أخذه الموائيق عليهم ووصفهم في كتابه، فقال عز وجل :

« وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ »

وهم الشهداء على أوليائهم والنسبي الشهيد عليهم أخذ لهم موائيق العباد بالطاعة وأخذ للنبي الميثاق بالطاعة فجرت نبوته عليهم ذلك قول الله عز وجل :

« فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ

شَهِيدًا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا

يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا »

وفيه عن محمد بن العباس معنعناً عن الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى :

« فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ »

قال: علي صاحب الصراط السوي ومن اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت .

وإذا أحطت خبراً بما ذكرنا وظهر لك أن المراد بالطريق الوسطى هي ولايته

عليه السلام المعبر عنه تارة بالصراط السوي، وأخرى بالصراط المستقيم، وثالثة بالطريق

السوي، ورابعة بسبيل الله الذي أمر الله باتباعه، ظهر لك معنى قوله: (عليها باقي

الكتاب) أي على الطريق الوسطى الباقي من الكتاب بعد وقوع التحريف فيه أو عليها

الكتاب الباقي بين الأمة و الثقل الأكبر الذي خلفه رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم .

وعلى أى تقدير فالمراد به أن من سلك طريق الولاية يحصل له العلم بالكتاب ويتيسر له أخذه من قيمه والعالم به وهو صاحب الولاية المطلقة ، لما قد عرفت التلازم وعدم الافتراق بين الثقلين الأكبر والأصغر في الفصل السابع عشر من فصول الخطبة الأولى وعرفت تفصيلاً في التذييل الثالث من تذييلات ذلك الفصل أن أمير المؤمنين والطيبين من آلهم عليهم السلام هم العالمون بتنزيل الكتاب وتأويله وعامته وخاصته ومرسله ومحدوده ومجمله ومبينه وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وظاهره وباطنه ، وأن علمه منحصر فيهم عليهم السلام وأن من ادعى حمله وحفظه على ما انزل والعلم بما فيه غير العترة الطاهرة فهو كذاب ، وفي بعض النسخ عليها ما في الكتاب يعني مدار ما في الكتاب وقوامه على تلك الطريقة هذا .

ويعتدل أن يكون المراد من كون باقي الكتاب أو ما في الكتاب عليها كونه منصوباً عليها وعلماً يهتدى به إليها ، إذ فيه دلالة على هذه الطريقة كما أن في الباقي منه على تقدير النقصان ما فيه كفاية لوجوب سلوكها ولزوم متابعتها كآيات السالفة وغيرها من الآيات النازلة في شأنه عليه السلام والمشيرة إلى ولايته .

وهذان الاحتمالان جاريان في قوله عليه السلام : (و آثار النبوة) أى على هذه الطريقة أعلام النبوة و أما راتها ، من سلكها يظهر له تلك الأعلام لكون الولاية مظهر النبوة ، و على الاحتمال الثاني فالمعنى أن آثار النبوة منصوبة على تلك الطريق بتلك الآثار يهتدى إليها ويستدل عليها ، ولا يبعد أن يكون المراد بالآثار على هذا الاحتمال هو أخبار النبوة والآيات المنقولة عنه عليه السلام (ومنها من هذا السنة) النبوية ومخرج الشريعة المحمدية عليه وآله آلاف الثناء والتحية ، إذ به وبالطيبين من اولاده سلام الله عليهم انتشر الشرايع والأحكام وعرف الحلال والحرام ، واستقامت الشريعة الطاهرة واستحكمت السنة الباهرة .

(واليها مصير العاقبة) أى عاقبة الخلق في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا

فلأن نظام امورهم في حرركاتهم و سكناتهم مبني على القوانين الشرعية المأخوذة من هذه الطريقة ، وإلى تلك القوانين ترد عواقب امورهم ، وعليها يحملون ، وأما في الآخرة فواضح لأن إياب الخلق إليه ﷺ ؛ وإلى أولاده الطاهرين ، وحسابهم عليهم وإليه الإشارة في قوله سبحانه :

« إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ »

أي إلى أولياتنا رجوعهم ومصيرهم بعد الموت ، وعليهم جزاؤهم على أعمالهم ، ويشهد بما ذكرته صريحاً ما ورد في فقرات الزيارة الجامعة الكبيرة : وإياب الخلق إليكم و حسابهم عليكم .

قال المحدث المجلسي في شرح هذه الفقرة : أي رجوعهم في الدنيا لأجل المسائل و الزيارات ، و في الآخرة لأجل الحساب ، كما روى عنهم عليهم السلام أنهم الميزان أي الحقيقي والواقعي ، أو في الآخرة بقرينة وحسابهم عليكم كما قال تعالى أي إن إلينا أي إلى أولياتنا بقرينة إيابهم ثم إن علينا حسابهم .

وروى في الأخبار الكثيرة أن حساب الخلايق يوم القيامة إليهم و لا استبعاد في ذلك كما أن الله تعالى قرّر الشهود عليهم من الملائكة و الأنبياء و الأوصياء و الجوارح مع أنه تعالى قال :

« وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً »

وهو القادر الديان يوم القيامة ويمكن أن يكون مجازاً باعتبار حضورهم مع الأنبياء عند محاسبة الله إياهم انتهى .

أقول : و ما ذكره أولاً هو الأظهر إذ المصير إلى المجاز إنما هو مع تعذر إرادة المعنى الحقيقي ، و أما مع الامكان فلا ، و قد دلّت الأخبار الكثيرة كما اعترف (ره) به أيضاً على أن المحاسبهم عليهم السلام فيتعين إرادة الحقيقة .

ومن هذه الأخبار ما في الكافي عن الباقر عليه السلام إذا كان يوم القيامة وجمع الله

الأولين والآخرين لفصل الخطاب دعى رسول الله ﷺ ودعى أمير المؤمنين فيكسى رسول الله ﷺ حلة خضراء تضيء ما بين المشرق والمغرب ويكسى أمير المؤمنين عليهما السلام مثلها ويكسى رسول الله ﷺ وردية يضيء لها ما بين المشرق والمغرب ويكسى عليهما السلام مثلها ، ثم يصعدان عندها ، ثم يدعى بنا فيدفع إلينا حساب الناس ، فنحن والله مدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار .

و عن الكاظم عليه السلام و إلينا إياب هذا الخلق و علينا حسابهم ، فما كان لهم من ذنب بينهم وبين الله عز وجل حتمنا على الله في تركه لنا فأجابنا إلى ذلك ، وما كان بينهم وبين الناس استوهبناه منهم وأجابوا إلى ذلك وعوضهم الله عز وجل هذا .
و يحتمل أن يكون المراد من قوله ﷺ : و إليها مصير العاقبة ، كون مدار عاقبة الخلق وخاتمتهم خيراً و شراً على الولاية ، فان كان العبد مدعنا بالولاية كان عاقبته عاقبة خير ، وإن كان منكراً لها كان عاقبته عاقبة شر ، كما دلّت عليه الأخبار المتواترة والمستفيضة الواردة في تفسير قوله سبحانه :

« وَ قَفُوْهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُوْلُوْنَ »

مثل ما روى في غاية المرام عن الشيخ في مصباح الأنوار بإسناده عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم القيامة أقف أنا وعليّ على الصراط بيد كل واحد منا سيف فلا يمرّ أحد من خلق الله إلا سأله عن ولاية عليّ عليه السلام فمن معه شيء منها نجا وإلا ضربنا عنقه وألقيناه في النار ثم تلا :

« وَ قَفُوْهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُوْلُوْنَ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصِرُونَ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسَامُونَ »

و الأخبار في هذا المعنى كثيرة لا حاجة إلى الإطالة (هلك من ادعى) الإمامة من غير استحقاق لها (و خاب من افتري) على الله و عليّ رسول في دعواه لها ، والجملتان تحتلان الدعاء والأخبار ، و المراد بالهلاك الهلاك الأخرى و بالخيبة الحرمان والخسران كما أشير إليه في قوله تعالى :

« وَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ »

قال أبو عبد الله عليه السلام في مروية البحار من غيبة النعماني بإسناده عن ابن ظبيان عنه في تفسيره : من زعم أنه إمام وليس بإمام .

وفي البحار أيضاً من تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام :

« وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ »

قال : من ادعى الإمامة دون الإمام .

وعن علي بن ميمون الصايغ عن ابن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم : من ادعى إمامة من الله ليست له ، و من جحد إماماً من الله ، و من قال : إن فلان و فلان نصيباً في الإسلام .

و من المحاسن بإسناده عن العلاء بن محمد قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن أئمة الجور و أتباعهم لمعزولون عن دين الله والحق قد ضلوا بأعمالهم التي يعملونها

« كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ

مِمَّا كَسَبُوا ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ »

(ومن أبدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس) أراد به نفسه ونبه به على أن المتجرّد لاظهار الحق في مقابلة كل باطل وردّ الجهال من جهالاتهم وحملهم على مرّ الحق وصعبه في كل وقت يكون في معرض الهلاك بأيديهم وألسنتهم ، إذ لا يعدم منهم من يوليه المكره ويسعى في دمه .

ويشهد بذلك ما رواه السيّد المحدث الجزائري ره مرفوعاً في كتابه المسمّى

بزه الربيع أن الصادق عليه السلام سئل عن الخلفاء الأربعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ما بال
 الشيخين قد انتظمت لهما أمور الخلافة وجرت على أيديهم فتوح البلاد من غير معارضة
 أحد من المسلمين؟ وما بال عثمان و أمير المؤمنين عليهما السلام لم تنتظم لهما أمور الخلافة
 بل قامت المسلمون على عثمان وحصره في داره وقتلوه وسط بيته، وأما أمير المؤمنين
عليه السلام فنارت الفتن في زمن خلافته حتى قتل الناكثين والقاسطين والمارقين؟ فأجاب
عليه السلام أن أمور تلك الدنيا والخلافة فيها لا يجري بباطل بحت ولا بحق خالص، بل
 تجري بحق وبباطل ممزوجين، فأما عثمان فأراد أن يجري أمور الخلافة بمحض
 الباطل فلم يتم له الأمر، وأما أمير المؤمنين عليه السلام فأراد أن يجري أحكامها على الطريقة
 المستقيمة والسنة النبوية فلم يحصل له ما أراد، وأما الشيخان فأخذوا قبضة من
 الحق وقبضة من الباطل فجرت لهما الأمور كما أرادا.

ولما نبه عليه السلام على معاندة الجهال للحق وأهله أشار إلى ما يترتب على صفة
 الجهالة وما هي ثمرة لها بقوله: (وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره) ويتعدي طوره
 و يجهل رتبته ولا يتصور نفسه كأحد الناس، وهذا من أعظم المهلكات لكونه
 منشأ العجب والكبر والغرور والأيّة وادّعاء ما ليس له بأهل كما في معارضة عليه الهاوية
 حيث لم يعرف رتبته وقدره وادّعى الخلافة وسعى في إهلاكه عليه السلام وإفساد الأمر عليه
 لابتداء صفحته للحق، وحمله الناس على الطريقة المستقيمة والمحنة البيضاء التي كانت
 مكروهة لذلك اللعين بمقتضى طينته الخبيثة.

ثم نبه عليه السلام على لزوم التقوى بقوله: (ولا يهلك على التقوى سنخ أصل)
 كان بناؤه عليه إذ الأصل الذي كان بنيانه على التقوى محال أن يهلك ويلحق بانيه
 خسران كما قال سبحانه:

« أَقْمَنَ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِّنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمَّنْ أُسَسَ

بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ »

(ولا يظماً عليه زرع قوم) لأن من زرع في أرض قلبه زرعاً أخروبياً كالمعارف الإلهية والعقائد الحقة و سقاها ماء التقوى وجعله مادتها فلا يلحق ذلك الزرع ظمأ ، بل عليه ينشأ بأقوى ساق و أزكى ثمرة ف قوله : (فاستتروا بيوتكم) قد عرفت في شرح الفصل السابق أن هذا الكلام مسبوق بقوله عليه السلام : إن الله أدب هذه الأمة بالسيف والسوط و ليس لأحد عند الامام فيهما هوادة ، أى شفاعة في تأخير التعزير أو تركه وهو وارد في مقام التهديد والتوعيد وإشادة إلى أنه عليه السلام لا يأخذ في الله لومة لائم وأنه لا يشفع عنده في إقامة الحدود والسياسات ولا يعطل الأحكام بالشفاعة كما عطلها من تقدم عليه عليه السلام.

و لما نبههم على ذلك أمرهم بالاستتار في بيوتهم كيلا يجتمعوا على المنافرات والمفاخرات والمشاجرات فيحصل من اجتماعهم ما يوجب الحد والتعزير ولا يمكن له إسقاطه بالشفاعة والهوادة ، فالاستتار في البيوت كناية عن الاعتزال حسماً لماده الفتن ولما كان قطع مادة الفتنة سبباً لا صلاح ذات البين أردفه بقوله : (وأصلحوا ذات بينكم) ثم نبه العصاة على استدراك عصيانهم بالرجوع إلى التوبة بقوله : (والتوبة من ذنوبكم) قال الشارح البحراني : وكونها وراء لأن الجواذب الإلهية إذا أخذت بقلب العبد فجذبته عن المعصية حتى أعرض عنها والتفت بوجه نفسه إلى ما كان معرضاً عنه من الندم على المعصية والتوجه إلى القبلة الحقيقة فإنه يصدق عليه إذن أن التوبة وراء أى وراء عقلياً وهو أولى من قول من قال من المفسرين أن وراءكم بمعنى أمامكم (ولا يحمد حامد إلا ربه ولا يلم لائم إلا نفسه) جملتان خبريتان في معنى الانشاء يعني أنه يجب أن يكون حامد كل حامد لله سبحانه لكونه مبدئ جميع المحامد والخيرات ، ويجب أن يكون لوم كل لائم على نفسه لكونها منشأ الشرور والخطيئات كما قال تعالى :

« ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك »

والحمد لله والصلاة على نبيه و وليه وآله .

الترجمة

مشغول گردید آنکسی که بهشت و دوزخ در پیش اوست باینها از غیر اینها و مکلفین باعتبار اشتغال باینها همه فرقه‌اند یکی سعی نمایند برضای خداوند شتابنده در سعی خود و نجات یافت برحمت پروردگار، دومی طلب کنند خیرات که کامل است در آن طلب امیدوار است بمغفرت کردگان، سومی تقصیرکننده در طاعات که فرود آمده است در جهنم، جانب راست و جانب چپ محل ضلالت و گمراهی است و راه میانه آن جاده است درست، و بر اوست باقی کتاب واجب التکریم و علامت نبوة واجب التعظیم؛ و از اوست مخرج سنه مطهره و باوست بازگشت عاقبت خلق در دنیا و آخرت، هلاک شد کسیکه دعوی امامت نمود بیاطل، و فضول و نومید گردید کسیکه افترا بست بخداوند و رسول، کسیکه ظاهر گردانید روی خود را از برای حق در مقابل باطل هلاک شد نزد مردمان نادان و جاهل، و کفایت میکند مراد را از حیث جهالت اینکه قدر خود را نشناسد و رتبه و شان خود را نداند، و هلاک نمیشود اصلی که بناه آن پرهیز کاری بوده باشد، و تشنه نمیباشد زراعت هیچ گروهی که آبیاری آن از پرهیز کاری گردد، پس پنهان شوید در خانه‌های خودتان و اصلاح کنید در میان مردمان و توبه و پشیمانی در پیش شما است، و باید که حمد و ثنا نکند هیچ ستایش کننده در روزگار مگر پروردگار خود، بجهة اینکه اوست منعم علی الاطلاق و سزاوار تعظیم و اجلال، و باید که ملامت نکند هیچ ملامت کننده مگر نفس خود را که منشأ شر است و فساد.

و من کلام له عليه السلام في صفة من يتصدى للحكم بين
الامة و ليس لذلك باهل و هو السابع عشر من
المختار في باب الخطب الجارية مجراها

هذا الكلام الشريف رواه المفيد في الارشاد من نقات أهل النقل عند الخاصة

و العامة ، و الطبرسيُّ أيضاً في الاحتجاج مرسلًا عنه عليه السلام كالكتاب ، وثقة الاسلام الكليني قدس الله روحه في باب البدع والرأى والمعاقيس من اصول الكافي مسنداً تارة ومرفوعاً اخرى حسبما تعرفه ، وأما ما ذكره الرضويُّ قدس سره فهو أنه قال :

إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ : رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ ، جَائِرٌ عَنِ قَصْدِ السَّبِيلِ مَشْغُوفٌ بِكَلَامٍ بَدْعَةٍ ، وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ قَهْوٍ فَتَنَةٌ لِمَنْ افْتَتَنَ بِهِ ، ضَالٌّ عَنْ هُدًى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، مُضِلٌّ لِمَنْ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ ، حَمَالٌ حَطَايَا غَيْرِهِ ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ ، وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا مَوْضِعٌ فِي جُجْهَالِ الْأُمَّةِ ، غَارٌّ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ ، عَمٍ يَأْتِي عَقْدِ الْهُدَى ، قَدْ سَاهَا أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَ لَيْسَ بِهِ ، بَكَّرَ فَاسْتَكْتَرَ مِنْ جَمِيعِ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ ، وَ اكْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ ، جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا ، ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا التَّبَسَّ عَلَى غَيْرِهِ ، فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَأُهَا حَشْوًا رَتًّا مِنْ رَأْيِهِ ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشَّبَهَاتِ مِثْلَ نَسِجِ الْعَنْكَبُوتِ ، لَا يُذْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ ، فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَأُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ ، جَاهِلٌ خَبَاطُ جِهَالَتِهِ ، عَاشٍ رَكَبُ عَشْوَاتِهِ ، لَمْ يَمُضْ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرْسٍ قَاطِعٍ ، يُذْرِي الرُّوَايَاتِ إِذْ رَأَى الرِّيْحَ الْهَشِيمَ ، لَا مَلِيٍّ وَاللَّهِ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ ، وَلَا هُوَ أَهْلٌ لَهَا فَوْضَ إِلَيْهِ ، لَا

يَحْسِبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ، وَلَا يَدْرِي أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مِنْهُ
 مَذْهَبًا لغيره، وَإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرًا كَتَّمَهُ بِهِ، لَهَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ،
 تَصْرِيحٌ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدَّمَاءَ، وَتَبَعٌ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ، إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ
 مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَالًا، وَيَمُوتُونَ ضَلَالًا، لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أُبُورٌ مِنْ
 الْكِتَابِ إِذَا تَلَى حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعًا، وَلَا أَعْلَى تَمَنَّا
 مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ
 وَلَا أَعْرَفٌ مِنَ الْمُنْكَرِ.

اللغة

(و كله) إلى نفسه بالتخفيف يكله و كلا و كولا تركه و نفسه و (الجائر)
 باعجام الأول أو باعجامهما وفي بعض نسخ الكافي بالمهملتين و المعاني متقاربة أي
 عادل أو متجاوز أو حيران (عن قصد السبيل مشغوف) بالغين المعجمة و في بعض
 النسخ بالمهملة و بهما قرء قوله تعالى : قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا و على الأول فهو مأخوذ
 من شغاف القلب أي حجاباه أو سوبداه ، و على الثاني من الشغف و هو شدة الحب
 و إحراقه القلب و (البدعة) اسم من ابتدع الأمر إذا أحدثه كالرفعة من الارتفاع
 و الخلفة من الاختلاف و (الهدى) بفتح الأول و سكون الثاني الطريقة و السيرة
 أو بالضم و القصر و هو الرشد و (رهن) وفي بعض النسخ رهن أي مأخوذ و (القمش)
 جمع الشيء من ههنا و ههنا و (موضع) بضم الميم و كسر الضاد مسرع من وضع
 البعير أسرع و أوضعه راكبه فهو موضع به أي أسرع به و (غار) بالغين المعجمة
 و الرأء المهمل المشددة أي غافل و في بعض النسخ عاد بالعين و الدال المهملتين من
 العدو بمعنى السعى أو من العدوان ، وفي أكثر نسخ الكافي عان بالعين و النون من

قولهم عنى فيهم اسيراً أى أقام فيهم على اسارة واحتبس وعناه غيره حبسه ، و العاني
الأسير او من عنى بالكسر بمعنى تعب أو من عنى به فهو عان اشتغل واهتم به ، و (الأغباش)
جسع غبش كسبب وأسباب وهو ظلمة آخر الليل ، وفي بعض النسخ أعطاش الفتنة ،
والغطش أيضاً الظلمه .

وعمى عمأ كرمى ذهب بصره كله فهو أعمى و (عم) وهي عمياء و عمية والعمى
أيضاً ذهاب بصر القلب و البكرة و البكور هو الصباح و (بكر) و بكر بالتشديد
والتخفيف إذا دخل فيه و كثيراً ما يستعملان في المبادرة و الاسراع إلى شيء في أى
وقت كان ، و منه الحديث بكر و بصلاة المغرب أى صلّوها عند سقوط القرص
وروى من الماء بالكسر و (ارتوى) امتلا من شربه و الماء (الآجن) المتغير الطعم
و اللون و (اكتنز) من الاكتناز وهو الاجتماع وفي بعض النسخ وأكثر وهو الظاهر .
و (التخليص) التبيين و هو قريب من التلخيص أو هما واحد و (الحشو)
فضل الكلام و (الرت) بفتح الراء و التشديد الخلق ضد الجديد و (عاش) خابط
في ظلام و (العشوة) بتثنية الأ و ل الأمر الملبس الذي لا يعرف وجهه مأخوذة
من عشوة الليل أى ظلمته و ذرت) الريح الشبي ذروا و أذرتة إذ راء أطارته و قلبته
و (الهشيم) النبت اليابس المنكسر وفي بعض الروايات ينذر و الروايات ذرو الريح
وفي بعضها ينذري الروايات ذرو الريح الهشيم ، و توجيهه مع كون الذر و مصدر ينذرو
لا ينذري هو كونهما بمعنى واحد حسب ما عرفت فصح إقامة مصدر المجرّد مقام مصدر
المزيد (و المليء) بالهمزة الثقة الغني قال الجزري : قد أولع الناس بحذف الهمزة
و تشديد الياء و (يحسب) إما بكسر السين من الحسبان ، و إما بالضم من الحساب
و (العج) رفع الصوت و (السلعة) بالكسر المتاع و (أبور) أفعل من البور
و هو الفاسد و بار الشبي فسد و بارت السلعة كسدت و لم ينفق ، وهو المراد هنا
و أصله الفساد أيضاً و (نفق) البيع إذا راج .

الاعراب

قوله بگر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر روى من جمع منونا
وبغير تنوين أما بالتنوين فيحتمل كونه بمعنى المفعول أى من مجموع وكونه على
معناه الحقيقي المصدرى وعلى كل تقدير فما موصولة مبتدأ وخير خبره وقل صلتهما
وفاعل قل ضمير مستكن عايد إلى الاستكثار المفهوم من استكثر وضمير منه عايد
إلى الموصول والجملة مجرورة المحل لكونها بدلاً للجمع ، وأما بدون التنوين
فالموصوف محذوف وهو المضاف إليه أى من جمع شيء الذي قل منه خير ، فما على
ذلك موصولة ويحتمل كونها مصدرية أى من جمع شيء قلته خير من كثرته .

وقيل إن جمع مضاف إلى ما و المحذوف هوان المصدرية بعدها ، و قل
مبتدأ بتقديرها على حد وتسمع بالمعدي خير من أن تراه ، أى من جمع ما أن أقل
منه أى قلته خير ، وفي رواية الكافي بگر فاستكثر ما قل منه خير ، وقوله : واكثر
من غير طائل اسناد اكثر إلى فاعله وهو الرجل الموصوف إما على سبيل المجاز
أو في الكلام تقدير أى اكثر نزل العلوم الباطلة ، وعلى ما في بعض النسخ من قوله :
فاكثر من غير طائل لا يحتاج إلى تكلف ، وضامناً إما صفة لقاضياً أو حال بعد حال .

المعنى

اعلم أن البغض كالحب الذي هو ضده لما كان من صفات النفس
أعني نفار النفس عن الشيء و كان إسناده إليه سبحانه محالاً لا جرم ينبغي أن يراد
به حيثما اسند إليه معناه المعجزي أعني سلب الفيض والاحسان وهذا المعنى
هو المراد بقوله **بِغْضِهِمْ** : (ان أبغض الخلائق إلى الله رجلان) هما زجان بين الحق
و الباطل متشبهتان بذيل الشبهات و الجهالات يحسبان أنهما من علوم الدين
و مراتب اليقين .

و إنما كانا أبغض الخلائق باعتبار أن ضرهما الناشي من جهالتهما بأمر
الدين لم يكن راجعاً إلى أنفسهما فقط ، بل متعدياً إلى الغير وسارياً إلى الأتباع
وباقيا في الأعتاب إلى يوم القيامة فكانا مع ضلالتهما في نفسهما مضلين لغيرهما عن

سلوك جادة اليقين وتحصيل معارف الدين ، فلذلك كانا أبغض الخلاق .
 وكيف كان فأحمد الرجلين (رجل وكله الله إلى نفسه) أى فوض إليه أمره
 و خلاه و نفسه وجعل و كوله و اعتماده عليها لظنه الاستقلال في نفسه على القيام
 بمصالحه وزعمه القدرة على تحصيل المراد والوصول إليه بالرأى والقياس والاستحسانات
 الفاسدة التي لا أصل لها ، و الروايات التي لم تؤخذ من مأخذها فلا جرم أفاض الله
 عليه صورة الاعتماد على نفسه فيما يريد من أمور الدين وقوانين الشرع المبين
 فلم يدر أنه هلك في أى واد :

« وَ مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ »

وحيث إنه كان اعتماداً عليه (فهو جائر عن قصد السبيل) ومائل عن طريق الحق
 و ضال عن الصراط المستقيم و واقع في طرف الإفراط من فضيلة العدل قريب من
 الشر بعيد عن الخير كما ورد في بعض الأدعية : و لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ،
 فانك ان وكلتني إلى نفسي تقربني من الشر وتبعدني من الخير .
 و سر ذلك أن النفس بالذات مائلة إلى الشر فإذا سلبت عنها أسباب التوفيق
 و الهداية تاهت في طريق الضلالة و الغواية (مشغوف بكلام بدنة ودعاء ضلالة) أى
 دخل حب كلام البدعة و دعوته الناس إلى الضلالة شغاف قلبه أى حجابته أو سويداه
 وعلى كونه بالعين المهملة فالمعنى أنه غشى حبها قلبه من فوقه إذ الشعفة من القلب
 رأسه عند معلق النياط ، وهو عرق علق به القلب إذا انقطع مات صاحبه ، وعلى أى تقدير
 فالمقصود به كونه أشد حباً و أفرط ميلاً إلى كلامه الذي لا أصل له في الدين
 ودعوته المضلّة عن نهج اليقين ، فهو من الأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة
 الدنيا فهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

كما قال رسول الله ﷺ : كلُّ بدعة ضلالة وكلُّ ضلالة في النار

و عنه عليه السلام أيضاً في رواية الكافي : أبى الله لصاحب البدعة بالتوبة ، قيل : يا
 رسول الله وكيف ذلك ؟ قال : إنه قد اشرب قلبه حبها .

ولا بأس بتحقيق الكلام في معنى البدعة وقد عرفت معناها اللغوي وغلبت في العرف على ما هو زيادة في الدين أو نقصان منه ، وقيل : كل ما لم يكن في زمن النبي ﷺ فهو بدعة .

ورده الأردبيلي بمنع الشرطية وقال : البدعة هي كل عبادة لم تكن مشروعة ثم أحدثت بغير دليل شرعي أو دلل دليل شرعي على نفيها فلوصلت أو دعى أو فعل غير ذلك من العبادات مع عدم وجودها في زمانه عليه السلام فإنه ليس بحرام لأن الأصل كونها عبادة وغير ذلك مثل الصلاة خير موضوع والدعاء حسن انتهى ، وأنت خير بما في تخصيصها بالعبادات لظهور عمومها لها ولغيرها .

والتحقيق فيها ما ذكره الشهيد قده في القواعد قال في محكي كلامه : ومحدثات الأمور بعد عهد النبي ﷺ تنقسم أقساماً لا يطلق اسم البدعة عندنا إلا ما هو محرم عندنا أو لها الواجب كتدوين القرآن و السنة إذا خيف عليها التفكك من الصدور فإن التبليغ للقرآن الآتية واجب إجماعاً ولا يتم إلا بالحفظ ، وهذا في زمن الغيبة واجب ، وأما في زمان ظهور الامام عليه السلام لأنه الحافظ لها حفظاً لا يتطرق إليه خلل وثانيها المحرم ؛ وهو كل بدعة تناولها قواعد التحريم وأدلتها من الشريعة كتقديم غير المعصومين عليهم وأخذهم مناصبهم واستيثار ولاية الجور بالأموال ومنعها مستحقها وقتال أهل الحق وتشيدهم وإبعادهم والقتل على الظننة والالزام ببيعة الفساق والمقام عليها وتحريم مخالفتها والغسل في المسح والمسح على غير القدم ، وشرب كثير من الأشربة ، والجماعة في النوافل والأذان الثاني يوم الجمعة ، وتحريم المتعنين ، والبغى على الامام وتوريث الأبعد ومنع الأقارب ، ومنع الخمس أهله والافطار في غير وقته إلى غير ذلك من المحدثات المشهورات ، ومنها تولية المناصب غير الصالح لها ببذل أو إرث أو غير ذلك .

وثالثها المستحب وهو ما تناولته أدلة الندب كبناء المدارس والربط ، وليس منه اتخاذ الملوك الالهية ليعظموا في النفوس اللهم إلا أن يكون مرهبا للعدو ورابعها المكروه ، وهو ما شملته أدلة الكراهة كالزيادة في تسييح الزهراء

عليها السلام و ساير الموظفين أو النقيصة منها والتنعم في الملابس والماكل بحيث يبلغ الاسراف بالنسبة إلى الفاعل وربما أدى إلى التحريم إذا استضر به هو و عياله وخامسها المباح ، وهو الدأخل تحت الأدلة المباحة كدخل الدقيق فقد ورد أول شيء ، أحدثه الناس بعد رسول الله ﷺ اتخاذا المناخل لأن لين العيش والرأفاهية من المباحات فوسيلته مباحة انتهى كلامه رفع مقامه

وقد تحصل من ذلك أن البدعة عبارة عن محدثات الأمور المحرمة وأن الرجل الموكول إلى نفسه الجائر عن قصد السبيل قد شغف بها وبدعوته إلى الضلالة ومن أجل ذلك كان سبباً لضلالة من أجاب دعوته (فهو فتنة لمن افتتن به) وبلاء لمن اتبع له (ضال عن هدى من كان قبله) أي عن سيرة أئمة الدين وطريقة أعلام اليقين الذين أخذوا العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية بالهام الهبي وإرشاد نبوي ، وذلك من حيث اغتراره بنفسه واعجاباه بكلامه واستقلاله برأيه واستغناؤه بما اخترعه فهمه وما ابتدعه وهمه عن الرجوع إليهم والعكوف عليهم .

كما قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام (١) لعن الله أباحنيفة كان يقول: قال علي وقلت أنا ، وقالت الصحابة وقلت هذا و على كون هدى في كلامه عليه السلام بضم الهاء والألف المقصورة فالمراد به كونه ضالاً عن الصراط المستقيم مع وجود هدى قبله مأمور باتباعه وهو كتاب الله وسنة رسوله وأعلام هداه الحاملون لدينه ، لما أشرنا إليه من استبداده برأيه الفاسد ونظره الكاسد نظير ما صدر عن أبي حنيفة ونظرائه

كما حكاه الزمخشري في ربيع الأبرار قال : قال يوسف بن أسباط : رد أبوحنيفة على النبي ﷺ أربعمأة حديث أو أكثر قيل : مثل ماذا ؟ قال : قال رسول الله ﷺ : للفرس سهمان ، وقال أبوحنيفة : لا أجعل سهم بهيمة أكثر من سهم المؤمن وأشعر رسول الله ﷺ وأصحابه البدن ، وقال أبوحنيفة : الأشعار مثله ، وقال

رسول الله ﷺ: البيعان بالخيار ما لم يفترقا، وقال أبو حنيفة إذا وجب البيع فقد
 لزم، وكان ﷺ يقرع بين نسائه إذا أراد سفراً، وقال أبو حنيفة: القرعة قمار انتهى
 (مضل لمن اقتدى به في حياته و بعد موته) وذلك لأن من كان ضالاً في
 نفسه و مشعوباً بكلامه البدعة و دعائه الضلالة لا بد أن يكون مضالاً و سبباً لا ضلال
 غيره في حال حياته وهو ظاهر، و بعد مماته أيضاً من حيث بقاء العقائد الباطلة و المذاهب الفاسدة
 المكتسبة عنه بعده، ألا ترى كيف بقي مذهب أبي حنيفة و الشافعي و أحمد بن حنبل
 و مالك و غيرها من المذاهب المبتدعة و الآراء المخترعة المضلة إلى الآن؟ و تبقى إلى
 ظهور صاحب الزمان فتبعها جمع كثير و تضل بها جم غفير و لذلك صار هذا الرجل
 المضل (حتمال خطايا غيره) كحمله خطايا نفسه حيث كان سبباً لضلالتة فهو
 (رهن بخطيئته) كما أنه رهن بخطيئة غيره مأخوذ بها و معاقب عليها كما قال سبحانه:
 « لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ
 بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلْسَاءَ مَا يَزِرُونَ »

قال الفخر الرازي: إنه يحصل للرؤساء مثل أوزار الأتباع، والسبب فيه ما روى
 عن رسول الله ﷺ أنه قال: أيتما داع دعا إلى الهدى فاتبع كان له مثل أجر من
 اتبعه لا ينقص من أجورهم شيء، و أيتما داع دعا إلى ضلالة فاتبع كان عليه مثل
 وزر من اتبعه لا ينقص من آثامهم شيء.

و اعلم أنه ليس المراد أنه تعالى يوصل العقاب الذي يستحقه الأتباع إلى
 الرؤساء، لأن هذا لا يليق بعدل الله و الدليل عليه قوله تعالى:

« وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى » و قوله: « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

وَزْرَ أُخْرَى »

بل المعنى أن الرئيس إذا وضع سنة قبيحة عظم عقابه حتى أن ذلك العقاب

يكون مساوياً لكل ما يستحقه كل واحد من الأتباع .

قال الواحدى : لفظه من في قوله : ومن أوزار الذين يضلونهم ، ليست التسبيح لا لأنها لو كانت للتسبيح لخفف عن الأتباع بعض أوزارهم وذلك غير جائز لقوله **لا يظلم** من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ، ولكنها للجنس أى ليحملوا من جنس أوزار الأتباع هذا .

ولما فرغ من أوصاف أول الرجلين أشار إلى ثانيهما وذكر له أحداً وعشرين وصفاً .

الأول ما أشار إليه بقوله : (ورجل قمش جهلاً) أى جمعه من أفواه الرجال أو من الروايات الغير الثابتة عن الحجّة أو ممّا اخترعه وهمه بالقياس والاستحسان واستعار لفظ الجمع المحسوس للمعقول بقصد الايضاح .

الثاني أنه (موضع في جهنم الأمة) يعنى أنه مسرع بين الجهال أو أنه مطرح فيهم وضيع ليس من أشرف الناس على ما ذكره البحراني من كون وضع بفتح الضاد ، وقال إنه يفهم منه أنه خرج في حق شخص معين وإن عمته وغيره .
الثالث أنه (غارفي أغباش الفتنة) أى غافل في ظلمات الخصومات لا يهتدي إلى قطعها سبيلاً ، وقد مرّ فيه وجوه أخر في بيان اللّغة .

الرابع أنه (عم بما في عقد الهدنة) يعنى أنه عميت بصيرته عن ادراك مصالح المصالحة بين الناس فهو جاهل بالمصالح مشير للفتن الخامس أنه (قد سمّاه أشباه الناس عالماً وليس به) والمراد بأسباب الناس العوام والجهال لخلوهم عن معنى الانسانية وحقيقتها وهم يشبهون الناس في الصورة الظاهرة الحسية التي بها يقع التمايز على سائر الصور البهيمية ، ولا يشبهون في الصور الباطنية العقلية التي هي معيار المعارف اليقينية والعلوم الحقيقية ، فهؤلاء الأشباه لفقد بصائرهم ونقصان كمالاتهم ينخدعون بتمويه ذلك الرجل ويزعمون من تلبسه بزي العلماء أنه عالم مع أنه ليس بعالم

السادس أنه (بگر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر) يعني أنه أسرع وبادر في كل صباح ، وهو كناية من شدة اهتمامه وطلبه في كل يوم أو في أول العمر إلى جمع شيء فاستكثر منه ما قليله خير من كثيره ، أو قلته خير من كثيره ، والمراد بذلك الشيء إمتاز هرات (١) الدنيا وأسبابها ، ويؤيده مناسبتها لما قبله يعني أنه لم يطلب العلم ولكن طلب أسباب الدنيا التي قليلها خير من كثيرها ، هذا إن كان جمعها على وجه الحلال و إلا فلا خير فيه أصلاً ، وإما الشبهات المضلة والآراء الفاسدة والعقائد الباطلة ويؤيده زيادة ارتباط ذلك بما بعده ، وعلى التقديرين فيه تنبيه على غاية بعده عن الحق والعلم لرسوخ الباطل في طبعه وثبوتها في ذهنه .

السابع ما ترتب على بكوره واستكثاره من جمع الشبهات ، وهو ما أشار إليه بقوله : (حتى إذا ارتوى من آجن) يعني حصل له الامتلاء من شرب الماء الآجن المتعفن (و اكتنز) أى اجتمع له العلوم الباطلة (من غير طائل) ولا فائدة يتصور فيها (جلس بين الناس قاضياً) استعار الآجن للشبهات الفاسدة والأفكار الباطلة و العلوم الحاصلة له من الاستحسانات والاقيسة ، كما يستعار عن العلوم الحقيقية و المعارف اليقينية بالماء الصافي الزلال ، ثم و شح تلك الاستعارة بذكر الارتواء وجعل غايته المشار إليها من ذلك الاستكثار جلوسه بين الناس قاضياً

الثامن كونه (ضامناً لتخليص ما التبس على غيره) لوئوقه من نفسه بفصل ما بين الناس من الخصومات و المرافعات وظننه القابلية لقطع المنازعات ، و منشأ ذلك الوئوق و الاطمينان هو زعمه أن العلوم الحاصلة له من آرائه الفاسدة و أقيسته الباطلة علوم كاملة كافية في تخليص الملتبسات و تلخيص المشكلات مع أنها ليست بذلك .

التاسع ما أشار إليه بقوله : (فان نزلت به إحدى المبهمات هيأ لها حشواً

رتاً من رأيه ثم جزم به) يعني أنه إذا نزلت به إحدى المسائل المبهمة المشككة
 الملبس عليه وجه فصلها وطريق حلها هيباً لها كلاماً لا طائل تحته ولاغناء فيه وأعدَّ
 لحلها وجهاً ضعيفاً من رأيه ثم قطع به كما هو شأن أصحاب الجهل المركب
 العاشر ما نبه عليه بقوله : (فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت)
 نسج العنكبوت مثل للأمور الواهية كما قال سبحانه :

« وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبُيُوتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ »

قال الشارح البحراني : ووجه هذا التمثيل أن الشبهات التي تقع على ذهن مثل
 هذا الموصوف إذا قصد حل قضية تكثر فيلتبس على ذهنه وجه الحق منها فلا
 يمتدى له لضعف ذهنه ، فتلك الشبهات في الوها تشبه نسج العنكبوت ، وذهنه فيها
 يشبه ذهن الذباب الواقع فيه ، فكما لا يتمكن الذباب من خلاص نفسه من شبك
 العنكبوت لضعفه ، فكذا ذهن هذا الرجل لا يقدر على التخلص من تلك الشبهات ،
 وقال المحدث المجلسي بعد نقله كلام البحراني هذا : أقول : ويحتمل أيضاً أن يكون
 المراد تشبيه ما يلبس على الناس من الشبهات بنسج العنكبوت لضعفها وظهور بطلانها
 لكن تقع فيها ضعفاء العقول فلا يقدررون على التخلص منها لجهلهم وضعف يقينهم ،
 والأول أنسب بما بعده .

الحادي عشر أنه (لا يدري أصاب) فيما حكم به (أم أخطأ فان أصاب خاف
 أن يكون قد أخطأ وإن أخطأ رجاً أن يكون قد أصاب) وخوف الخطاء مع الاصابة
 ورجاء الاصابة مع الخطاء من لوازم عدم الدراية في الحكم والافتاء .

الثانية عشر أنه (جاهل خبّاط جهالات) أراد به أنه جاهل بالأحكام كثيراً
 لخبط في جهالاته ، كنى به عن كثرة أغلاطه التي يقع فيها في القضايا والأحكام فيمشي
 فيها على غير طريق الحق من القوانين ، وذلك معنى خبطه مأخوذ من خبط العشواء
 وهي الناقة التي في بصرها ضعف تخبط بيدها كل شيء إذا مشت
 الثالث عشر أنه (عاش ركباً عشوات) يعني أن به عشاوة وسوء بصر بالليل

والنهار وأنه كثير الركوب على الأمور الملتبسة المظلمة ، قال الشارح البحراني ره وهي إشارة إلى أنه لا يستنتج نور الحق في ظلمات الشبهات إلا على ضعف ونقصان في نور بصيرته ، فهو بمشي فيها على ما يتخيّله دون ما يتحققه من الصفة هذه ، أي وكثيراً ما يكون حاله كذلك ولما كان من شأن العاشي إلى الضوء في الطرق المظلمة تارة بلوح له فيمشي عليه وتارة يخفى عنه فيضل عن القصد ويمشي على الوهم والخيال كذلك حال السالك في طرق الدين من غير أن يستكمل نور بصيرته بقواعد الدين ويعلم كيفية سلوك طريقه ، فانه تارة يكون نور الحق في المسألة ظاهراً فيدركه وتارة يغلب عليه ظلمات الشبهات فتعمى عليه الموارد والمصادر فيبقى في الظلمة خابطاً وعن القصد جائراً

الرابع عشر أنه (لم بعض على العلم بضرر قاطع) وهو كناية عن عدم نفاذ بصيرته في العلوم وعدم اتقانه للقوانين الشرعية لينتفع بها انتفاعاً تاماً ، يقال فلان لم بعض على العلم بضرر قاطع إذا لم يحكمها ولم يتقنها ، وأصله أن الانسان يمضغ الطعام الذي هو غذاؤه ثم لا يجيّد مضغه لينتفع به البدن انتفاعاً تاماً فمثل به من لم يحكم ولم يتقن ما يدخل فيه من المعقولات التي هو غذاؤها الروح لينتفع به الروح انتفاعاً كاملاً .
الخامس عشر أنه (بذري الرّوايات إزاء الرّيح الهشيم) اليابس من النباتات المنكسر وفيه تشبيه تمثيلي ووجه الشبه صدور فعل بلا روية من غير أن يعود إلى الفاعل نفع وفائدة ، فان هذا الرّجل المتصفح للرّوايات ليس له بصيرة بها ولا شعور بوجه العمل عليها بل هو يمر على رواية بعد أخرى ويمشي عليها من غير فائدة ، كما أن الرّيح التي تذري الهشيم لا شعور لها بفعلها ولا يعود إليها من ذلك نفع .

السادس عشر أنه (لاهليء والله باصدار ما ورد عليه) أي ليس له من العلم والثقة قدر ما يمكنه أن يصدر عنه انحلال ما ورد عليه من الشبهات والاشكالات .
السابع عشر ما في بعض نسخ الكتاب من قوله : (ولا هو أهل لما فوض إليه) أي ليس هو بأهل لما فوضه إليه الناس من أمور دينهم ، وأكثر النسخ خال من

ذكر هذا الوصف وفي رواية الكافي الآتية ولا هو أهل لما منه فرط بالتخفيف بمعنى سبق و تقدم أى ليس هو أهل لما ادّعاء من علم الحق الذي من أجله سبق الناس و تقدم عليهم بالرئاسة والحكومة ، وربما يقرء بالتشديد أى ليس هو من أهل العلم كما يدّعه لما فرط فيه وقصر عنه ، وعن الارشاد ولا يندم على ما منه فرط ، وقال الشارح المعتزلى : وفي كتاب ابن قتيبة ولا أهل لما فرط به قال : أى ليس بمستحق للمدح الذي مدح به

الثامن عشر أنه (لا يحسب العلم في شيء مما أنكره) و لم يعرفه يعني أن ذلك الرجل يعتقد أن ماله من العلم المغموش المدلس بالشبهات الذي يكون الجهل خيراً منه بمراتب هو العلم ولا يظن لغاية جهله وجود العلم لأحد في شيء مما جهله لاعتقاده أنه أعلم العلماء و أن كل ما هو مجهول له مجهول لغيره بالطريق الأولى ، وعلى احتمال كون يحسب من الحساب على ما مرّت إليه الإشارة فالمعنى أنه لا بعد ما ينكره علماً ولا يدخله تحت الحساب والاعتبار بل ينكره كساير ما أنكره

التاسع عشر ما أشار إليه بقوله : (ولا يرى أن من وراء ما بلغ منه مذهباً لغيره) يعني أنه لو فور جهله يظن أنه بلغ غاية العلم فليس بعد ما بلغ إليه فكره لأحد موضع تفكير ومذهب صحيح .

العشرون ما نبّه عليه بقوله : (و إن أظلم عليه أمرا كنتم به) أى إن صار عليه أمر من أمور الدين مظالمًا مشتبهًا لا يدري وجه الحق فيه و لا وجه الشبهة أيضاً اكنتم به وستره من غيره من أهل العلم وغيرهم و ذلك (لما يعلم من جهل نفسه) بذلك الأمر وعدم معرفته به حتى من وجه الشبهة والرأى فيستره ويخفيه ولا يسأله من غيره و لا يصغى إلى غيره حتى يستفيده ، و ذلك لئلا يقال : إنه لا يعلمه فيحفظ بذلك علو منزلته بين الناس كما هو المشاهد من قضاة السوء ، فانهم كثيراً ما يشكل عليهم الأمر في القضايا و الأحكام فيكتمون ما أشكل عليهم و لا يسألون أهل العلم عنه لئلا يظهر جهلهم بين أهل الفضل مراعاة لحفظ المنزلة والمناصب

الحادي والعشرون أنه (تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه الموارد)

و يستحلُّ بقضائه الفرج الحرام و يعرم بقضائه الفرج الحلال ، كما في رواية الكافي الآتية و نسبة الصّراخ إلى الدّماء و العجيج إلى المواريث إمّا من قبيل الحذف و الايصال ، أي تصرخ أولياء الدّماء و تعجّ مستحقّوا المواريث ، أو من قبيل المجاز في الاسناد على نحو صام نهاره مبالغة على سبيل التّمثيل و التّخييل بتشبيه الدّماء و المواريث بالانسان الباكي من جهة الظلم و الجور و إثبات الصّراخ و العجيج لهما ، أو من قبيل الاستعارة التّبعيّة باستعارة لفظ الصّراخ و العجيج لنطق الدّماء و المواريث بلسان حالها المفصح عن مقالها ، و وجه المشابهة أنّ الصّراخ و العجيج لما كانا يصدران من ظلم و جور و كانت الدّماء المهرقة و المواريث المستباحة بالأحكام الباطلة ناطقة بلسان حالها مفصحة بالتظلم و الشكّاية ، لا جرم حسن تشبيه نطقها بالصّراخ و العجيج و استعارتهما له ، فالمعنى أنّه تنطق الدّماء و المواريث بالشكّاية و التّظلم من جور قضاياه و أحكامه.

و أمّا استحلال الفرج الحرام بقضائه و تحريم الفرج الحلال فأمّا من أجل جهله بالحكم أو لخطائه و سهوه في موضع الحكم لعدم مراعاة الاحتياط أو لوقوع ذلك منه عمداً لغرض دنوي كالقرب بالجاير أو أخذ الرشوة أو نحو ذلك .

ثمّ أنّه عليه السلام بعد أن خصّ الرجلين المذكورين بما ذكر فيهما من الاوصاف المنفرة على سبيل التفصيل ، أردف ذلك بالتنفير عنهما على الاجمال بما يعمّهما و غيرهما من ساير الجهال و الضلال فقال : (إلى الله أشكّون معشر يعيشون جهّالاً و يموتون ضلّالاً) و الثاني مسبّب عن الأوّل إذ العيش على الجهالة يؤدي إلى الموت على الضلالة (ليس فيهم سلعة) و متاع (أبور من الكتاب إذا تلى حقّ تلاوته) يعني إذا فسّر الكتاب و حمل على الوجه الذي أنزل عليه و على المعنى الذي اريد منه اعتقدوه فاسداً و طرحوه لمنافاة ذلك الوجه و المعنى لأغراضهم (و لسلعة أنفق يبعاً) أي أكثر رواجاً (و لا أغلى ثمننا إذا حرّف عن مواضعه) و مقاصده الأصليّة و نزل على حسب أغراضهم و مقاصدهم و منشأكل ذلك و أصله هو الجهل (و لا عندهم أنكر من المعروف و لا أعرف من المنكر) و ذلك لأنّ المعروف لما خالف أغراضهم و مقاصدهم طرحوه

حتى صار منكراً بينهم يستقبحون فعله و المنكر لما وافق دواعيهم ولائم طباعهم لزموه حتى صار معروفاً بينهم يستحسنون إتيانه هذا

وينبغي الإشارة إلى الفرق بين الرجلين الموصوفين فأقول :

قال الشارح المعتزلي : فان قيل : بينوا الفرق بين الرجلين اللذين أحدهما وكله الله إلى نفسه والآخر رجل قمش جهلاً ؟ قيل : أما الرجل الأول فهو الضال في اصول العقائد كالمشبه والمجبر ونحوهما ، ألا تراه كيف قال : مشغوف بكلام بدعة و دعاء ضلالة ، وهذا يشعر بما قلناه من أن مراده به المتكلم في أصول الدين وهو ضال عن الحق ، ولهذا قال : إنه فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من قبله مضل لمن يجيء بعده ، وأما الرجل الثاني فهو المتفقه في فروع الشرعيات وليس بأهل لذلك كفقهاء السوء الأتراء كيف يقول : جالس بين الناس فاضياً ، وقال أيضاً : تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه الموارد .

وقال المحدث المجلسي قدس في كتاب مرآة العقول بعد حكاية كلام الشارح على ما حكيناه : أقول : ويمكن الفرق بأن يكون المراد بالأول من نصب نفسه لمناصب الافادة والارشاد ، وبالثاني من تعرض للقضاء والحكم بين الناس ولعله أظهر ويحتمل أيضاً أن يكون المراد بالأول العباد المبتدعين في العمل والعبادة كالمتصوفة والمرتابين بالرياضات الغير المشروعة ، وبالثاني علماء المخالفين ومن يحدوحدوهم حيث يفتنون الناس بالقياسات الفاسدة والآراء الواهية وفي الارشاد وأن أبغض الخلق عند الله عز وجل رجل وكله الله إلى نفسه إلى قوله : رهن بخطيئته وقد قمش جهلاً ، فالكل صفة لصف واحد

تكملة استبصارية

اعلم أنك قد عرفت الاشارة إلى أن هذا الكلام له في مما رواه ثقة الاسلام الكليني في الكافي وصاحب الاحتجاج عطر الله مضجعهما فأحببت أن أذكر ما في الكتابين اعتضاداً لما أورده الرضي (ره) في الكتاب ومعرفة لك بمواقع الاختلاف بين الروايات فأقول :

روى في الكافي عن محمد بن يحيى عن بعض أصحابه وعلي بن إبراهيم عن هارون ابن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام و علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب رفعه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :

من أبغض الخلق إلى الله تعالى لرجلين : رجل وكله الله تعالى إلى نفسه هو و جائر عن قصد السبيل مشعوف بكلام بدعة قد لهج (١) بالصوم والصلاة فهو فتنة لمن افتتن به ، ضل عن هدى من كان قبله ، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد موته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته .

ورجل قمش جهلاً في جهال الناس عان بأغباش الفتنة قد سماه أشباه الناس عالماً ولم يغن (٢) فيه يوماً سالماً ، بكر فاستكثر ما قل منه خير مما كثر حتى إذا ارتوى من آجن و اكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتلخيص (لتلخيص خ) ما التبس على غيره ، وإن خالف قاضياً سبقه لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتي بعده كفعله بمن كان قبله ، و إن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هيئتها حشواً من رأيه ثم قطع (٣)

فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ لا يحسب العلم في شيء مما أنكر ولا يرى أن وراء ما بلغ فيه مذهباً ، إن قاس شيئاً بشيء لم يكذب نظره ، وإن أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه لكيلا يقال له : لا يعلم ، ثم جسر فقصى فهو مفاتيح (٤) (مفتاح خ ل) عشوات ركب شبهات خباط جهالات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ، ولا يعص في العلم بضرر قاطع فيغتم يذري

١- اللهج بالشئ. محرقة الولوع فيه و الحرص عليه اى هو حريص على الصوم و الصلاة و بذلك يفتن به الناس ، مرآت العقول

(٢) من قولك غنيت بالمكان اغنى اذا قمت به نهاية

(٣) اى جزم وفى النهج به وفى غيره عليه ، مرآت العقول

(٤) اى يفتح على الناس ظلمات الشبهات والجهالات أو بسببها ، مرآت العقول

الروايات ذروا الرِّيح الهشيم تبكي منه المواريث وتصرخ منه الدماء ويستحل بقضائه الفرج الحرام ، ويحرم بقضائه الفرج الحلال لا ملية باصدار ما عليه ورد ، ولا هو أهل لما منه فرط ، من ادعائه علم الحق

وفي الاحتجاج وروى أنه عليه السلام قال : إن أبغض الخلائق إلى الله رجلاً : رجل وكله الله إلى نفسه فهو جابر عن قصد السبيل ؛ ساير بغير علم ولا دليل ، مشعوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة ، فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان قبله ، مضل

لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته ، حمال خطايا غيره ، رهن بخطيئته

ورجل قمش جهلاً فوضع في جهلة الأمة ، عان باغباش فتنة ، قد لهج منها بالصوم والصلاة ، عم بما في عقد الهدنة قد سماه الله عارياً منسلخاً وقد سماه أشباه الناس (الرجال خ ل) عالماً ، ولما يغن في العلم يوماً سالماً ، بگر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر حتى إذا ارتوى من آجن ، وأكثر من غير طائل جلس

بين الناس مفتياً قاضياً ضامناً لتخليص (تلخيص خ ل) ما التبس على غيره

إن خالف من سبقه لم يأمن من نقض حكمه من يأتي من بعده كفعله بمن كان قبله ، فإن نزلت به إحدى المبهمات (المعضلات خ ل) هيأ لها حشواً من رأيه ثم قطع به ، فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت خبأط جهالات ، وركاب عشوات ، ومفتاح شبهات ، فهو وإن أصاب أخطاء لا يدري أصاب الحق أم أخطأ ، إن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ ، وإن أخطأ رجاً أن يكون قد أصاب

فهو من رأيه مثل نسج (غزل خ ل) العنكبوت الذي إذا مرت به النار لم يعلم بها ، لم بعض على العالم بضرر قاطع فيغتم ، بذري الروايات إذ راء الرِّيح الهشيم لاهليء والله باصدار ماورد عليه ، لا يحسب العلم في شيء مما أنكره ، ولا يرى أن من وراء ما ذهب فيه مذهب ناطق ، وإن قاس شيئاً بشيء لم يكذب رأيه كيلا يقال له لا يعلم شيئاً وإن خالف قاضياً سبقه لم يأمن في صحته حين خالفه وإن أظلم عليه أمر اکتتم به لما يعلم .

من معشر (۱) يعيشون جهلاً و يموتون ضللاً لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ،
تصرخ منه الدماء ، و تولول منه الفتياء و تبكي منه المواريث ، و يحلل بقضائه الفرج
الحرام ، و يحرم بقضائه الفرج الحلال و يأخذ المال من أهله فيدفعه إلى غير أهله .
و روى الطبرسي و المفيد في الارشاد بعد رواية هذا الكلام نحواً مما تقدم
أنه عليه السلام قال بعد ذلك :

أيها الناس غليكم بالطاعة و المعرفة بمن لا تعذرون بجهالة ، فان العلم الذي
هبط به آدم عليه السلام وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين في عترة نبيكم
محمد عليه السلام ، فأتى يتاه بكم بل أين تذهبون يا من نسخ من أصلاب أصحاب السقينة ،
هذه مثلها فيكم فاركبوها ، فكما نجا في هاتيك من نجا فكذلك ينجو في هذه من
دخلها أنار هين بذلك قسماً حقاً و ما أنا من المتكلفين ، و الويل لمن تخلف ثم الويل
لمن تخلف .

أما بلغكم ما قال فيكم نبيكم؟ حيث يقول في حجة الوداع : إني تاركم فيكم
الثقلين ما إن تمسكتكم بهما لن تضلوا بعدي ، كتاب الله و عترتي أهل بيتي و انهما
لم يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، ألا هذا عذب فرات
فاشربوا ، و هذا ملح أجاج فاجتنبوا .

الترجمة

از جمله کلام آن عالی مقام است درصفت کسیکه متصدی شود بحکم کردن
میان امة محمدیه و حال اینکه اهلیت نداشته باشد ،
بتحقیق که دشمن ترین خلق بسوی خدا داورند یکی از این دو نفر مردی
است که باز گذاشته باشد حقتعالی او را بنفس خودش ، و الطاف خفیه خود را از او
سلب نموده باشد پس آن بد روزگار تبه کار میل کننده است از میانه راه راست

(۱) هكذا في نسخة الاحتجاج والظاهر ان يكون الاصل الى الله من معشر وعلى هذه النسخة

فيحتل ان يكون قوله من معشر خبر مبتدأ محذوف اي هومن معشر منه

بمیان دل او رسانیده شده است سخنان بدعة و جهالت با اینکه دلسوخته شده است از فرط محبت باینکلام بدعة ، وبخواندن مردم بگمراهی و ضلالت، پس آن مرد فتنه و بلا است مرآنکسی را که در فتنه و بلا افتاده باشد بواسطه او گمراه است از راه راست و طریقه مستقیم آنکسیکه بوده است پیش او گمراه کننده است هر کسی را که اقتدا نماید او را در حال حیات او و بعد از وفات او ، بردارنده است بار گناهان غیر خود را ، درگرواست بگناه خود و گرفتار است بکار تباه خود .

و دومی از ایندو نفر مردی استکه جمعکرده جهالت را سرعه کننده است باینکه ضعیف و پست گردانیده شده در میان جاهلان امة ، غافل است درظلمات خصوصیات بی بصیرت است بآنچه در عقدصلحست از مصالح مصالحه ، بتحقیق که نام نهاده اند او را جهالت مردمان که در صورت انسان و در معنی حیوان میباشد عالم بعلوم شریعت و حال آنکه عالم نیست ، بامداد کرد پس بسیار نمود از جمع آوردن چیزی که اندکی آن از او بهتر است از آنچه بسیار است ، یا آنکه از جمع آوردن چیزیکه کمی او بهتر است از زیاده آن ، مراد فکرهای فاسده و رأیهای باطله است تا اینکه چون سیراب شد از آب متعفن گنبدیده ، و پرشد از مسایل بی فایده ناپسندیده نشست در میان مردم درحالتیکه حکم کننده است میان ایشان ، ضامن است از برای خالص کردن آنچه چیزی که مشتبه است حل آن بر غیر او ، پس اگر نازل بشود بر او یکی از قضایای مشکله میسازد از برای آن سخنان بی فایده ضعیف و سست از رأی باطله خود ، پس از آن جزم و قطع کند بآن کلام ، پس او از پوشیدگی و التیاس شبهها افتاده است در امور واهیه که مثل تار عنکبوت است ، نمیداند بصواب حکم میکند یا بخطا ، پس اگر بصواب حکم میکند میترسد از آنکه خطا کرده باشد و اگر بخطا حکم نماید امید میدارد که صواب گفته باشد

نادانست بسیار خبط کننده در نادانیا ضعیف البصر است در ظلمات جهل سواره شبها ، نگزیده علم و دانش بدندان برنده و این کنایه است از عدم ایقان بر قوانین شرعیه و عدم اتقان مسائل دینی ، منتشر میسازد و می براند روایات را مثل

براندن و منتشر کردن باد گیاه خشک را ، بخدا سوگند که نیست قادر و توانا بپاز گردانیدن و جواب دادن آنچه وارد شده است براو از مسائل ، گمان نمیرد که علمی که و رای اعتقاد اوست فضیلتی داشته باشد ، و گمان نمیکند اینکه ازو رای آنچه رسیده است باومذهبی بوده باشد مرغیراورا
واگر پوشیده و پنهان باشد براو کاری پنهان میکند آنرا بجهت آنکه میدانند از جهل نفس خود بمسائل و میخواد که آشکار نشود حال او بارباب فضائل فریاد میکند از جور حکم او خونهای ناحق ریخته ، و مینالد از ستم او میرانهای مأخوذه با حکمهای باطله

بسوی خداوند شکایت می کنم از جماعتی که زندگانی می کنند در حالتی که جاهلانند ، و میمیرند در حالتیکه گمراهانند ، نیست در میان ایشان هیچ متاعی که کاسدتر باشد از کتاب الله وقتی که خوانده شود حق خواندن بدون تحریف و تغییر ، نیست هیچ متاعی که رواج تر باشد از روی فروختن و نه پربها باشد از کتاب خدا وقتی که تحریف و تغییر داده شود از مواضع خود ، و نیست نزد ایشان زشت تر از معروف و نه نیکوتر از منکر ، والله العالم

و من کلام له علیه السلام فی ذم اختلاف العلماء فی الفتیا
و هو الثامن عشر من المختار فی باب الخطب
الجاری مجراها

وقد رواه الطبرسی فی الاحتجاج مرسل عنه کالکتاب

تَرَدُّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْقَضِيَّةِ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ،
ثُمَّ تَرَدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بَيْنَهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِ غَيْرِهِ « قوله خ »

ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَفْضَاهُمْ فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ
 جَمِيعًا ، وَإِلَهُمْ وَاحِدٌ ، وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ ، وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ
 بِالْإِخْتِلَافِ فَطَاعُوهُ ؟ أَمْ تَهَيَّأَهُمْ عَنْهُ فَمَصَّوهُ ؟ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ دِينًا نَاقِصًا
 فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتِمَامِهِ ؟ أَمْ كَانُوا شُرَكَائِهِ فَلَمْ يُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ
 يَرْضَى ؟ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ دِينًا تَامًا فَقَصَرَ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ ؟
 وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : « مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ » وَقَالَ : « فِيهِ
 تَبْيَانٌ كُلُّ شَيْءٍ » وَذَكَرَ أَنْ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَأَنَّهُ لَا
 اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ : « وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
 اخْتِلَافًا كَثِيرًا » وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنْبِقٌ ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ ، لَا تَفْنَى
 عَجَائِبُهُ « وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ خ » وَلَا تُكْشِفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ .

اللفظة

(الفتيا) بالضم الفتوى و (استقضى) فلاناً طلب إليه أن يقضيه و استقضى
 صير قاضياً و (التبيان) بالكسر و قد يفتح من المصادر الشاذة إذ المصادر على
 وزن التفعال لم تجيء إلا بالفتح كالتكرار والتذكار و (الأنبق) كأمر الحسن
 المعجب .

الاعراب

الضمير في غيره الثاني راجع إلى غيره الأول ، وفي بعض النسخ كالاحتجاج
 فيحكم فيها بخلاف قوله ، فيكون مرجع الضمير فيه وفي غيره الأول واحداً وهو
 أحدهم ، والوار في قوله و اللهم واحد حالية كاللتين بعدها ، و الهمة في قوله

أفأمرهم للاستفهام على سبيل الإنكار الإبطالي على حد قوله : « أفأصفيكم ربكم بالبنين »
وكلمة من في قوله : من شيء ، زائدة في المفعول ، وقوله وإن القرآن اهجملة استينافية

المعنى

اعلم أنه لا بدّ قبل الخوض في شرح كلامه ^{الذي} من تمهيد مقدّمة وهي أنه
وقع الخلاف بين العامة والخاصة في التخطئة والتصويب ، وقد عنونه أصحابنا رضي الله
عنهم في كتبهم الأصولية وحققوا الكلام فيه بما لا مزيد عليه ، ومحصل ما ذكروه
أن الكلام يقع فيه في مقامات أربعة

الاول اصول العقائد وقد نقل غير واحد من الأصحاب إجماع الكلّ على أن
المصيب فيها واحد وعلى أن المخطي فيها آثم كافر إن كان نافياً للإسلام ، ولم يخالف
فيه إلا أبو عبد الله الحسين العنبري والجاحظ فذهبوا إلى أن الكلّ مصيب ، قال العلامة
ليس مرادهما الاصابة من حيث المطابقة في نفس الأمر ، بل المراد زوال الحرج
والانتم عن المخطي باعتقاد خلاف الواقع وخروجه عن عهدة التكليف باجتهاده ، وربما
عزى الخلاف إلى الأوّل في أصل الاصابة وإلى الثاني في تحقق الانتم على ما ذكره
العلامة .

وعلى أيّ تقدير فهو شاذّ ضعيف لا يلتفت إليه ، ضرورة بطلان الاصابة واستحالتها
بيديها العقل ، وإلا لزم اجتماع النقيضين في مثل قدم العالم وحدونه ، وعصمة الامام
وعدمها ، ووجود المعاد الجسماني وعدمه

وأمّا من حيث الانتم فالحق فيه التفصيل بين القصور والتقصير فالمقصر آثم دون
القاصر ، وإلا لزم التكليف بما لا يطاق ، وهو ظاهر إلا أن الكلام في تحقق الصغرى
وأن القصور هل هو ممكن موجود ، وتفصيل الكلام في الأصول ، ولا يخفى أن ما
ذكرناه من أنه لا إنتم على الكافر القاصر فانما هو في الآخرة ، و أمّا في الدنيا فلا
يبعد القول باجراه أحكام الكفر عليه

الثاني الفرعيّات التي استقلّ العقل بحكمها ، فالحقّ فيها أيضاً من حيث
الاصابة هو العدم كما عليه الجمهور حذراً من اجتماع النقيضين في مثل قبح الظلم

والعدوان ، ومن حيث الأثم و عدم التفصيل بين التقصير والقصور على ما سبق ، و لا خفاء في امكان القصور هنا بل تحققه غالباً في مطلق الناس ، و أما المجتهد فلا يبعد في حقهم دعوى امكان الوصول إلى الواقع دائماً

الثالث الفرعيات العملية التي قام الدليل القطعي عليها كالضروريات من العبادات والمعاملات ، فالحق فيها أيضاً أن المصيب واحد وأما من حيث الأثم ففيه مامر من التفصيل ، قال بعض الأصحاب : أما إمكان الخفاء و العدم ففيه في هذا المقام خفاء لكن بعد التأمل يظهر الامكان نادراً في غير المجتهدين ، و أما المجتهدون المتفحصون ففي إمكان الخفاء عليهم لأجل عروض الشبهات إشكال لكن لو رأينا أحداً أنكر واحتمل في حقه الشبهة أجرنا عليه أحكام المقصر لغلبة التقصير في المنكرين ، وهذه الغلبة معتبرة عندهم في هذا المقام

الرابع الفرعيات التي لم يستقل العقل بحكمها و لم يقم عليها دليل قطعي ، وهذه هي التي صارت معركة للأراء بينهم ، فذهب أصحابنا إلى أن لله سبحانه في كل واقعة حكماً واحداً معيناً ، والمصيب واحد ومن أخطأ فهو معذور فلا اثم عليه و ذهب جمهور المخالفين إلى أنه لا حكم معين لله تعالى فيها بل حكمه تابع لظن المجتهد و ظن كل مجتهد فيها حكم الله في حقه و حق مقلده ، و كل مجتهد مصيب لحكم الله غير آثم و تصوير الاصابة فيها بوجود

أحدها أن الحكم تابع للحسن والقبح وأنهما يختلفان بالوجود و الاعتبار فحدوث العلم و الجهل محدث للصفة و الصفة يتبعها الحكم فرأى المجتهد محدث للحكم ، ويكون الأحكام متعلقة على آرائهم الثاني أنه تعالى أوجد أحكاماً مقصودة بالأصالة و يطابقها آراء المجتهدين قهراً عليهم .

الثالث أنه تعالى أوجد أحكاماً واقعية و يطابقها آراء المجتهدين من باب

الاتفاق لا محالة .

الرابع أنه تعالى لما علم أن الآراء يتعلق بالأحكام المخصوصة فجعل لأجل علمه بذلك أحكاماً يطابقها ، وبعبارة أخرى أنه تعالى جعل أحكاماً مختلفة في الواقع بحسب اختلاف آراء المجتهدين على ما يعلمه من أن كل واحد منهم لدى التشبث بالأمانة يؤدي ظنه إليه حتى أنه ربما يكون في حق الشخص الواحد أحكاماً مختلفة بحسب الواقع باختلاف الأمارات المتعددة في الأزمنة المتدرجة فضلاً عن اختلاف الواقعات في حق الأشخاص ويجمعه وسابقه انتفاء الحكم الواقعي المشترك فيه الكل وإن كان في الوجه الأول بانتفاء المقيد وفي الثلاثة الأخيرة بانتفاء القيد وكيف كان والتصويب بجميع تصويراته باطل عند أصحابنا نوراً لله مضاجعهم وقد أقاموا على بطلانه الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة في كتبهم الأصولية ودلت نصوصهم المتواترة عن أئمتهم سلام الله عليهم على أن حكم الله سبحانه في الوقائع واحد بحسب الواقع وأن الله تعالى في كل واقعة حكماً مخزوناً عند أهله أصابه من أصابه، وأخطأه من أخطأه، ومن جملة تلك النصوص كلامه عليه السلام الذي نحن بصدده شرحه حسب ما تعرفه إنشاء الله .

لا يقال : المستفاد من كلامه عليه السلام وما ضاهاه هو اتحاد الحكم بقول مطلق ، وهو بناه في بناء أصحاب على آرائهم وعملهم بما أدى إليه ظنونهم وتعبدتهم بالعمل بذلك بناء على أنه حكم الله في حق المجتهد وحق مقلده ، ضرورة أن الآراء مختلفة فيختلف باختلافها الأحكام جداً

لأننا نقول : أولاً إن كلامه عليه السلام ناظر إلى العاملين بالقياس والرأي لا بالكتاب والسنة كما صرح به الفاضل القمي في القوانين

و أشار إليه الشارح المعتزلي حيث قال : والمراد الرد على أهل الاجتهاد في الأحكام الشرعية وإفساد قول من قال : كل مجتهد مصيب ، وتلخيص الاحتجاج من وجوه خمسة ثم ذكر الوجوه الخمسة ثم قال : واعلم أن هذه الوجوه هي التي يتعلق بها الإمامية ونفاة القياس والاجتهاد في الشرعيات

ونانيا أن كلامه ﷺ وإن كان مطلقاً إلا أنه لا بد أن يراد به اتحاداً لحكام الواقعية لقيام الأجماع على تعدد الأحكام الظاهرية وعلى أن المجتهد متعبد بظنه و تكليفه العمل بما أدى إليه ظنه الحاصل من الأمارات الشرعية كظواهر الكتاب والسنة وأخبار الآحاد وغيرها .

فإن قلت : إذا كان تكليف المجتهد التَّعَبُّد بظنه و العمل بمؤدَّيات الظنون و اختلفت الأحكام باختلافها فلا فرق حينئذ بين المصوبة و المخطئة إذ مآل القولين كليهما إلى تعدد الأحكام بتعدد الظنون فيكون الحكم الشرعي تبعاً للظن قلت : الفرق بينهما واضح ، ضرورة أن القائلين بالتصويب يقولون بتبعية الأحكام الواقعية لعلم المجتهد أو ظنه وأن العلم أو الظن يوجب جعل الحكم في حقه في الواقع ، فما لم يحصل له علم أو ظن لا يكون في حقه حكم واقعاً و أما نقائلون بالتخطئة فيقولون : إنَّ لله سبحانه حكيمين واقعيُّ وهو الذي كلَّفنا به أو لولا جهل المكلف المانع من تعلق التكليف به ، و حكم ظاهريُّ وهو الذي يجب علينا البناء عليه و التعبد به في ظاهر الشرع بمقتضى الأمارات الشرعية ، سواء علمنا مطابقتها للأوّل ، أو ظننا ، أو شككناه ، أو ظننا مخالفته ، أو علمنا بالمخالفة كما هو في بعض الفروض .

وبعبارة أخرى مقتضى القول بالتصويب هو كون الحكم من أصله تابعاً للأمانة بحيث لا يكون في حق الجاهل مع قطع النظر عن وجود الأمانة وعدمها حكم ، فيكون الأحكام مختصة في الواقع بالعالمين بها ، و الجاهل مع قطع النظر عن قيام أمانة عنده على حكم العالمين لا حكم له أو محكوم بما يعلم الله أن الأمانة تؤدى إليه .

ومقتضى القول بالتخطئة هو أن في الواقع حكماً مشتركين الكل ، وعليه فإن حصل للمكلف علم به أو ظن مطابق له فهو ، وإلا فتكليفه العمل بما أدى إليه ظنه في ظاهر الشرع ويكون ذلك واقعياً ثانوياً في حقه

فإن قلت : إذا كان تكليفه عند عدم حصول العلم بالواقع هو العمل بالظن فلا

تفاوت بين أن نقول: إن هناك حكماً واقعياً وراء المظنون كما يقوله المخطئة، وبين أن نقول: بأن لا حكم هنا وراء المظنون، ومحصله عدم ثمره عملية بين القولين وعدم فائدة ترتب على الخلاف في مقام العمل

قلنا: الثمرة إنما تظهر إذا انكشف له الحال بعد العمل بالظن بأن حصل له العلم بالواقع وكان ظنه الذي عمل به مخالفاً للواقع فيلزمه الاتيان به ثانياً على القول بالتخطئة لأن مطلوب الشارع في المقام حقيقة هو الواقع وإنما تعلق التكليف بالظاهر نظراً إلى اشتباه المكلف وعجزه عن الوصول إلى الواقع

و تحقيق ذلك أن مؤدبات الطرق الشرعية على القول بالتصويب مجعولات في الواقع ليس للمكلف في الواقع تكليف ورائها، فحالها مثل حال الأوامر الواقعية الاختيارية لا إشكال في إجزائها بل لا يتصور انكشاف الخلاف فيها أصلاً، وأما على القول بالتخطئة فإنما يترتب عليها الآثار الشرعية مع عدم حصول العلم بخلافها، ومع قصور المكلف عن الوصول إلى الواقع وأما بعد انكشاف الخلاف و حصول علمه بالواقع فيكون مكلفاً به و يرجع الأمر إلى التكليف الأول، فإن كان الوقت باقياً وجب الاعادة بمقتضى الأصل لبقاء التكليف ووجوب الامتثال، وإن كان فايثا وجب القضاء لودل دليل على وجوب القضاء لصدق الفوات

ثم إن هذا كله مبنى على ما ذهب إليه غير واحد من متأخري أصحابنا من جعلهم مسألة الاجزاء من متفرعات مسألة التخطئة والتصويب و بنوا الاجزاء على التصويب وعدمه على التخطئة إلا أن الشأن عدم تمامية التفرع في الطرفين لعدم الملازمة بين التخطئة وعدم الاجزاء بل مع القول بهامجال للاجزاء وعدمه، و تفصيل الكلام في ذلك هو كقولنا إلى الأصول فليرجع إليه

وإذا تمهد لك هذه المقدمة فلنرجع إلى شرح كلامه عليه السلام فنقول: إنه صدر كلامه ببيان حال العلماء السوء العاملين بالآراء تعريضاً عليهم ببطلان عملهم بالرأى و تويخاً لهم على ذلك ثم أردفه بالإشارة على بنائهم عليه من القول بالتصويب في

الأحكام المختلفة المنشعبة عن الآراء المتشعبة، ونبه على بطلان ذلك البناء وفساد هذا القول بالوجوه الآتية فقال :

(ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام) الشرعية (فيحكم فيها برأيه)
 أى بظنونه المأخوذة لا من الأدلة الشرعية والمآخذ المنتهية إلى الشارع بل من الاستحسانات العقلية والقياسات الفقهية (ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره) أى على غير القاضي الأول (فيحكم فيها بخلاف قوله) أى قول الأول استناداً إلى رأيه الفاسد و نظره الكاسد أيضاً ، كما كان استناد الأول في حكمه إليه

(ثم يجتمع القضاة بذلك) الحكم المختلف (عند الامام) الضيال و رئيسهم المضل (الذى استقضاهم) وصيرهم قاضياً (فيصوب آرائهم جميعاً) ويحكم بكون الأحكام المختلفة الصادرة عنهم في قضية شخصية كلها صواباً مطابقاً للواقع (و) هو باطل بالضرورة ، لأن (اللهم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد) وليس لكل منهم آله يحكم بحكم مخالف لحكم آله الآخر ويرسل على ذلك رسولاً وينزل على ذلك كتاباً حتى يسند كل منهم حكمه المخالف لحكم الآخر إلى إلهه ، وإذا ثبت وحدة الاله سبحانه فلا بد أن يكون الحكم الواقعي واحداً إذ الوجوه المتصورة لاستناد تعدد الاحكام واختلافها حينئذ (١) إليها أمور كلها باطلة بحكم العقل والنقل كما أشار إليها بقوله : (فأمرهم الله بالاختلاف فأطاعوه ، أم نهاهم عنه فعصوه) مفاد همزة الاستفهام المفيدة للإنكار على سبيل الإبطال مع أم المنقطعة المفيدة للاضراب مفادها في قوله تعالى :

« قُلْ أَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ »

فيدل الكلام على ذلك ، على أن اختلافهم ليس مأموراً به بل منهي عنه فيكونون عاصين فيه ، أما أنه ليس مأموراً به فلعدم ورود أمر بذلك في الكتاب والسنة ، وأما أنه منهي عنه فلدلالة العقل والنقل على ذلك ، أما العقل فلتقيح العقلاء

من يتكلف من قبل مولاه بما لا يعلم بوروده عن المولى فضلاً عما علم بعدم وروده وأما النقل فمن الكتاب الآية السابقة حيث دلت على أن ما ليس باذن من الله فهو افتراء له ومن المعلوم أن الافتراء حرام ومنهيه عنه وقوله :

« وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » وقوله :

« وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » وقوله : « وَمَنْ لَمْ

يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ »

فإن الحكم بالرأى الذي هو منشأ للاختلاف حكم بغير ما نزل من الله سبحانه إذ العمل بالرأى والقياس إنما هو فيما لم يتبين حكمه في الكتاب والسنة كما هو ظاهر ومن السنة ما رواه محمد بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : القضاة أربعة ثلاثة في النار وواحد في الجنة : رجل قضى بالجور وهو يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بالجور وهو لا يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في الجنة .

ووجه الدلالة غير خفي حيث إن المستفاد منه أن القضاء بما لا يعلم سواء كان حقاً أو جوراً موجب لدخول النار فيكون محرماً منهيّاً عنه ، ومن المعلوم أن القضاء بالآراء المختلفة قضاء بما لا يعلم فيكون منهيّاً عنه ومتعرف توضيح ذلك بما لا مزيد عليه في التنبيه الآتي ، وكيف كان فقد تحصل ممّا ذكرناه أن الاختلاف ليس مأموراً به بل منهي عنه هذا

ولمآنبه عليه السلام على بطلان كون الاختلاف بأمر منه سبحانه أدره بسائر الوجوه

التي يحتمل كونه بسببها ممّاهو ضروري البطلان ، وهي بحسب الاستقراء منحصرة في ثلاثة إذاختلفهم في دينه وشرعه وحاجتهم إلى ذلك إما أن يكون مع نقصانه أو مع تمامه وتقصير الرسول في أدائه ، وعلى الوجه الأول فذلك الاختلاف إنما يكون

على أحد وجهين ، أحدهما أن يكون اتِّماماً لذلك النقصان أو على وجه أعمّ من ذلك و هو كونهم شركاءه في الدين و قد أشار عليه السلام إلى الوجه الأوّل بقوله : (أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه) و إلى الثاني بقوله : (أم كانوا شركاء له فلمهم أن يقولوا و عليه أن يرضى) و إلى الثالث بقوله : (أم أنزل الله ديناً تاماً فقصر الرسول عن تبليغه وأدائه)

ثم استدل على بطلان الوجوه الثلاثة بقوله : (والله سبحانه يقول) في سورة الانعام (ما فرطنا في الكتاب من شيء) (وقال) (فيه تبيان كل شيء) و هذا مضمون آية في سورة النحل وهو قوله تعالى :

« وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ »

ومثلها قوله سبحانه في سورة الانعام :

« وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ »

فان دلالة هذه الآيات على بطلان الوجهين الأولين واضحة ، ضرورة ان الكتاب الحكيم إذالم يترك فيه شيء ولم يفرط فيه من شيء بل كان فيه بيان كل شيء وكل رطب ويابس فلا بد أن يكون الدين بتمامه منزلاً فيه وحينئذ فلا يكون فيه نقصان حتى يستعان بهم على إتمامه أو يأخذهم شركاءه له في أحكامه ، فالقول بكون الدين ناقصاً باطل بنص القرآن و حسبان الاستعانة و الافتقار بهم على الانمام أو كونهم مشاركين له في الاحكام كفر وزندقة بالبديهة والعيان وأما دلالتها على بطلان الوجه الثالث فهي أيضاً ظاهرة بعد ثبوت عصمة النبي صلى الله عليه وآله و عدم إمكان تصوير التقصير منه صلى الله عليه وآله في التبليغ وقد قال تعالى :

« قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ

لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ »

روى الصدوق في العيون عن الرضا عليه السلام أنه سئل يوماً وقد اجتمع عنده قوم من أصحابه وقد كانوا يتنازعون في الحديثين المختلفين عن رسول الله صلى الله عليه وآله في الشيء الواحد فقال عليه السلام : إن الله عز وجل حرم حراماً وأحل حلالاً وفرض فريضاً فما جاء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله أو رفع فريضة في كتاب الله رسمها قائم بلا نسخ نسخ ذلك فذلك شيء لا يسع الأخذ به ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن ليحرم ما أحل الله ولا ليحل ما حرم الله ولا ليغير فرائض الله وأحكامه وكان في ذلك كله متبعم مسلماً مؤيداً عن الله عز وجل و ذلك قول الله عز وجل : إن أتبع إلا ما يوحى إليّ فكان متبعماً مؤدياً عن الله ما أمر به من تبليغ الرسالة

ثم إنه بعد ما تحصل من كلامه بطلان كون الاختلاف جائزاً ومأذوناً فيه وبأمر من الله سبحانه ، أكد ذلك بالتصريح على دليل ذلك بقوله : (و ذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه) في سورة النساء أفلا يتدبرون القرآن (ولو كان من عند غير الله) أي من كلام غيره سبحانه (لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) وتقريب الاستدلال بها أن القرآن مدرك الدين ومشمتم على الأحكام الشرعية وقد أخبر الله سبحانه بأنه لا يوجد فيه اختلاف ، لكونه من عنده فلا يوجد فيه أحكام مختلفة من حيث إن نفي العام مستلزم لنفي الخاص فاذن لا يكون الاختلاف في الأحكام من عنده سبحانه ومأذوناً فيه وهو واضح

قال الطبرسي في مجمع البيان وهذه الآية تصممت الدلالة على أن التناقض من الكلام لا يكون من فعل الله ، لأنه لو كان من فعله لكان من عنده لا من غيره وغيره والاختلاف في الكلام يكون على ثلاثة أضرب : اختلاف تناقض ، واختلاف تفاوت واختلاف تلاوة ، واختلاف التفاوت يكون في الحسن والتقيح والخطأ والصواب مما تدعو إليه الحكمة وتصرف عنه ، وهذا الجنس من الاختلاف لا يوجد في القرآن كما لا يوجد اختلاف التناقض ، وأما الاختلاف التلاوة فهو كاختلاف وجوه القرآن واختلاف مقادير الآيات والسور واختلاف الأحكام في النسخ والمنسوخ فذلك موجود في القرآن وكله حق وصواب .

ثم إنّه عليه السلام أردف كلامه بالتنبيه على أنّ الكتاب العزيز وافٍ بجميع المطالب إذا تدبروا معناه ولاحظوا أسرارها فقال : (وإن القرآن ظاهره أنيق) أى حسن معجب بأنواع البيان وأصنافه وغرابة الأسلوب وحسنه وإيتلاف النظم وانساقه (وباطنه عميق) لاشتماله على أنواع الحكم من أمر بحسن ونهي عن قبيح وخبر عن مخبر صدق ودعاء إلى مكارم الأخلاق وحث على الخير والزهد و اشتماله على تبيان كل شيء و على ما كان وما يكون وما هو كائن

كما قال الصادق عليه السلام في رواية العياشي : نحن والله نعلم ما في السماوات وما في الأرض وما في الجنة وما في النار وما بين ذلك ، ثم قال : إنّ ذلك في كتاب الله ثم تلا قوله تعالى :

« وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ »

وفي الكافي عنه عليه السلام إنني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار وأعلم ما كان وما يكون ثم سكت هنيئاً فرأى أنّ ذلك كبير على من سمعه منه فقال : علمت ذلك من كتاب الله عز وجل إنّ الله يقول : فيه تبيان كل شيء (ولا تغنى عجائبه) أى الأمور المعجبة منه (ولا تنقضي غرابته) أى النكت الغريبة فيه (ولا تكشف الظلمات) أى ظلمات الشبهات (إلاّ به) أى بسواطع أنواره ولوامع أسرارها

تنبيه

قد تحصل مما ذكرنا كلّهُ أنّ مقصود الامام عليه السلام بهذا الكلام من أوله إلى آخره هو المنع عن العمل بالرأى وإبطال الاختلاف في الأحكام المنشعب عن الآراء المختلفة وإفساد القول بالتصويب فيها ، وهذا كلّهُ موافق لأصول الإمامية رضوان الله عليهم ومطابق لأخبارهم المتواترة المأثورة عن العترة الطاهرة ، ولا بأس بالإشارة إلى بعض تلك الأخبار تشبيهاً للمرام وتوضيحاً لكلام الامام عليه السلام فمنها ما رواه ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني قدس الله روحه في الكافي عن

عنه بن أبي عبد الله رفعه عن يونس بن عبد الرحمن قال : قلت لأبي الحسن الأول
عليه السلام (١) فقال : يا يونس لا تكونن مبتدعاً من نظر برأيه هلك ، ومن ترك أهل بيت نبيّه
ضلاً ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيّه كفر (٢)

وعن علي بن إبراهيم عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة قال : حدثني
جعفر بن محمد عن أبيه أن علياً عليه السلام قال : من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره في التباس
ومن دان الله بالرأى لم يزل دهره في ارتماس ، قال : وقال أبو جعفر عليه السلام : من أفتى الناس برأيه
فقد دان الله بما لا يعلم ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله ، حيث أحل وحرّم فيما لا يعلم
والظاهر أن المراد بالالتباس هو التخليط بين الحق والباطل ، وبالارتماس
الانغماس في ظلمات الشبهة والضلالة ، فالالتباس باعتبار استخراج الأحكام بالرأى
والقياس ، لأنه يلتبس عليه الأمور ويشبهه عليه الحق والباطل ، والارتماس باعتبار
العمل بتلك الأحكام ، قال المجلسي (قده) في قوله فقد ضاد الله : أي جعل
نفسه شريكاً لله .

وعن علي بن محمد بن عيسى عن يونس عن قتيبة قال سألت رجلاً أبا عبد الله عليه السلام
عن مسألة فأجابه فيها فقال الرجل أرأيت إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها ؟
فقال له : مه ما أجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله ﷺ لسنا من رأيت في شيء .
قال المجلسي : لما كان مراده أخبرني عن رأيك الذي تختاره بالظن والاجتهاد
نهاه عليه السلام عن هذا الشيء من الظن وبين أنهم لا يقولون شيئاً إلا بالجزم واليقين وبما
وصل إليهم من سيد المرسلين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين

ومنهاما في الوسائل عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي في المحاسن عن أبيه
عمن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام في رسالته إلى أصحاب الرأي والقياس : أما بعد فإن

١ - هكذا في النسخة والصحيح كما في الكافي وفيه : قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام : بما
أوحده الله ؟ قال الخ «الصحيح»

٢ - لا يخفى أن عدة منظور الإمام عليه السلام بهذا الكلام كمنظور الإمامة سلام الله
عليهم بهذه الأخبار هو الرد على الذين استفتوا بعلمهم بالأراء والاقية عنهم عليهم السلام كما هو شعار
الامة العبيد زعماً منهم عدم كون جميع الأحكام مودعا وعدم وجوب الرجوع اليهم ويشهد بما
ذكرناه ملاحظة الأخبار الواردة في هذا الباب ، منعه

من دعا غيره إلى دينه بالارتياح والمقائيس لم ينصف ولم يصب حفظه ، لأن المدعو إلى ذلك أيضاً لا يخلو من الارتياح والمقائيس ، ومتى لم يكن بالداعي قوة في دعائه على المدعو لم يؤمن على الداعي أن يحتاج إلى المدعو بعد قليل ، لأننا قدر أننا المتعلم الطالب ربما كان فائقاً لمعلمه ولو بعد حين ، وأينما المعلم الداعي ربما احتاج في رأيه إلى رأى من يدعو ، وفي ذلك تحير الجاهلون وشك المرتابون وظن الظانون و لو كان ذلك عند الله جازياً لم يبعث الله الرسل بما فيه الفصل ولم ينه عن الهزل ولم يعب الجاهل ولكن الناس لما سفهوا الحق وعمطوا النعمة واستغنوا بجهلهم وتدابيرهم عن علم الله واكتفوا بذلك عن رسله والقوام بأمره وقالوا لا شيء إلا ما أدركته عقولنا وعرفته ألبابنا فولاهم الله ما تولوا وأهملمهم وخذلهم حتى صاروا عبدة أنفسهم من حيث لا يعلمون ولو كان الله رضي منهم اجتهادهم وارتياحهم فيما ادعوا من ذلك لم يبعث إليهم فاصلاً لما بينهم ولا زجراً عن وصفهم .

و إنما استدللنا أن رضاء الله غير ذلك ببعثة الرسل بالأمر القيمة الصحيحة والتحذير من الأمور المشككة المفسدة ثم جعلهم أبوابه و صراطه و الأدلاء عليهم بأمر محجوبة عن الرأى و القياس فمن طلب ما عند الله بقياس و رأى لم يزد من الله إلا بعداً . ولم يبعث رسولا قط وإن طال عمره قائلاً من الناس خلاف ما جاء به حتى يكون متبوعاً مرة و تابعاً أخرى و لم ير أيضاً فيما جاء به استعمال رأياً ولا مقياساً حتى يكون ذلك واضحاً عند الله كالوحي من الله و في ذلك دليل لكل ذي لب و حجب أن أصحاب الرأى و القياس منخطئون مدحضون

والأخبار في هذا المعنى فوق حد الإحصاء وقد عقد في الوسائل كالكافي باباً لعدم جواز القضاء و الحكم بالرأى و الاجتهاد و المقائيس ونحوها من الاستنباطات الظنية في الأحكام الشرعية من أراد الاطلاع فليراجع إني الكتابين ، والله الهادي

الترجمة

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام عالمیان است در مذمت اختلاف علماء در فتوایها که استغنا ورزیده اند بجهة عمل بآراء از ائمه هدی سلام الله علیهم : وارد میشود

بر یکی از آنها قضیه در حکمی از حکمها پس حکم میکند در آن قضیه بر رأی فاسد و نظر کاسد خودش که مستند است باستحسانات عقلیه و قیاسات ظنیه ، بعد از آن وارد میشود همین قضیه شخصیه بر غیر آن حاکم پس حکم میکند آن حاکم نانی در همان قضیه بخلاف قول حاکم اول ، بعد از آن جمع میشوند قاضیان بآن احکام نزد پیشوای خودشان که آنها را قاضی نموده است ، پس حکم می کند بصواب بودن رأی های همه ایشان و حال آنکه این تصویب فاسد است ، بجهت اینکه خدای ایشان یکی است و بیغمبر ایشان یکی است و کتاب ایشان یکی است

پس آیا امر نموده است خداوند ایشانرا باختلاف ؟ پس اطاعت کرده اند او را یا اینکه نهی فرموده است ایشانرا از آن اختلاف ؟ پس معصیت کرده اند ایشان باو یا آنکه خداوند فرورستاده دین ناقصی پس یاری خواسته بایشان در اتمام آن یا اینکه بوده اند ایشان شریکان خداوند رحمن ، پس ایشانراست اینکه بگویند و مر او راست اینکه راضی بشود بگفتار ایشان چنانکه شأن شریکان باهمدیگر این است یا اینکه فرورستاده خداوند دین تمامی پس تقصیر کرده حضرت رسالتآب صلی الله علیه و آله از رسانیدن و ادا نمودن آن برانام

و حال آنکه حقتعالی فرموده در کتاب مجید خود : که ما تقصیر نکرده ایم در کتاب خود از هیچ چیز در هیچ باب و در آن کتاب است بیان هر چیزی ، و ذکر فرموده اینکه بدرستی که قرآن تصدیق کننده است بعضی از آن مر بعض دیگر را ، و بدرستی که بوجه من الوجوه در آن اختلاف نیست ، پس فرموده است : که اگر بودی این کتاب عزیز از نزد غیر پروردگار هر آینه یافتندی در آن اختلاف بسیار و بدرستی که ظاهر قرآن حسن است و معجب و باطن آن عمیق است و بی پایان ، فانی نمیشود سخنان عجیبه آن و بنهایت نمیرسد نکته های غریبه آن و زایل نمیشود ظلمات شبهات مگر بانوار آیات باهرات آن

و من كلام له ﷺ و هو التاسع عشر من المختار في باب الخطب الجارى مجراها

قاله للاشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب فمضى في بعض كلامه عَلَيْكُمْ شيء اعترضه الاشعث فقال يا أمير المؤمنين : هذه عليك لا لك ، فخفض عَلَيْكُمْ إليه بصره ثم قال عَلَيْكُمْ له:

وَمَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ وَ مَا لِي ؟ عَلَيْكَ أَعْنَةُ اللَّهِ وَ لَعْنَةُ الْأَعْيُنِ ،
حَائِكُ بْنُ حَائِكٍ ، مُنَافِقُ بْنُ كَافِرٍ ، وَ اللَّهِ لَقَدْ أَسْرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً
وَ الْإِسْلَامُ أُخْرَى ، فَمَا فَدَاكَ مِنْهَا مَالُكَ وَ لَا حَسْبُكَ ، وَ إِنْ أَمْرَةٌ دَلَّتْ
عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ ، وَ سَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ ، أَحْرَى أَنْ يَهْتُمُّهُ الْأَقْرَبُ ،
وَ لَا يَأْمَنُهُ الْأَبْعَدُ .

أقول : يريد أنه اسر في الكفر مرة وفي الاسلام مرة وأما قوله : دل على قومه السيف فأراد به حديثا كان للاشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غر فيه قومه و مكر بهم حتى أوقع بهم خالد ، و كان قومه بعد ذلك يسمونه عرف النار ، وهو اسم للغادر عندهم

اللغة

(خفض إليه بصره) طأطأه و (الحائك) بالهمزة الناسج و (الفداء) ما يفديه الأمير لفلان رقبته و (الحتف) الموت و (العرف) الرمل و المكان المرتفعان قال الشارح البحراني ز أما استعارتهم له عرف النار فلأن العرف عبادة عن كل عال مرتفع ، والأعراف في القرآن الكريم سور بين الجنة والنار ، ولما كان من شأن كل عال مرتفع أن يستر ما وراءه و كان الغادر يستر بمكره و حيلته امورا

كثيرة و كان هو قد غرّ قومه بالباطل و غدر بهم ، صدق عليه بوجه الاستعارة لفظ عرف النار لستره عليهم لما ورائه من نار الحرب أو نار الآخرة إذ حملهم على الباطل .

أقول : روى في المجلد التاسع من البحار في الباب المائة والثلاثة عشر المتضمن للأخبار الغيبية لأمير المؤمنين (عليه السلام) عن الحسن بن علي (عليه السلام) في خبر أن الأشعث ابن قيس الكندي بنى في داره ميذنة و كان يرقى إليها إذا سمع الأذان في أوقات الصلاة في مسجد جامع الكوفة فيصبح من أعلى ميذنته : يا رجل إنك لكذاب ساحر ، و كان أبي يسميه عنق النار و في رواية عرف النار ، فسئل عن ذلك فقال إن الأشعث إذا حضرته الوفاة دخل عليه عنق من النار ممدودة من السماء فتحرقه فلا يدفن إلا وهو فحمة سواد ، فلما توفّي نظر ساير من حضر إلى النار و قد دخلت عليه كالعنق الممدود حتى أحرقتة وهو يصيح ويدعو بالويل والثبور و الميذنة بالكسر موضع الأذان والمنارة ، و قد ظهر من هذه الرواية سبب تسميته بعرف النار ، وأنه ليس سببها ما توهمه البحراني ره

الاعراب

كلمة ما رفوع المحلّ على الابتداء ، و يدريك خبره ، و ما الثانية في موضع رفع على الابتداء ، و يدريك معلق لتضمنه معنى الاستفهام و على خبره و الجملة متعلقة بـ يدريك في موضع المفعول الثاني على حدّ قوله سبحانه : و ما أدريك ما الحاقصة قال الثوري : يقال : للمعلوم ما أدريك و لما ليس بمعلوم ما يدريك في جميع القرآن و حائك رفوع على أنه خبر لمبتداه محذوف ، أي أنت حائك ، أو على النداء بحذف حرف النداء ، أو منصوب بتقدير الفعل المحذوف أي أذمّ حائك بن حائك على حدّ قوله : و امرأته حمالة الحطب فتأمل

المعنى

اعلم أن هذا الكلام (قاله عليه السلام) للأشعث بن قيس) الأشعث لأنه شجّ في بعض حروبه و هو من بني كندة و اسمه معدي كرب و كان أشعث الرأس أبداً فغلب الأشعث عليه حتى

نسي اسمه و كيف كان فقد قاله (و هو على منبر الكوفة يخطب) خطبة يذكر فيها أمر الحكمين وذلك بعد ما انقضى أمر الخوارج (فمضى في بعض كلامه شيء) وهو أنه قام إليه رجل من أصحابه وقال له : نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فما ندري أي الأمرين أرشد؟ فصق عليه السلام باحدى يديه على الأخرى وقال : هذا جزاء من ترك العقدة أي جزاء حيث وافقتكم على ما الزمتموني به من أمر التحكيم و ترك الحزم فلما قال ذلك (اعترضه الأشعث) لشبهة وجدها في نفسه من تركه عليه السلام وجه المصلحة واتباع الآراء الباطلة وأراد إفحامه (فقال يا أمير المؤمنين هذه عليك لالك) وجهل أو تجاهل أن وجه المصلحة قد يترك محافظة على أمر أعظم منه و مصلحته أهم فأنه عليه السلام لم يترك العقدة إلا خوفاً من أصحابه أن يقتلوه كما ستطلع عليه في قصتهم هذا وقال الشارح المعتزلي : إن الشيء الذي اعترضه الأشعث في كلامه هو أنه كان مقصوده بقوله : هذا جزاء من ترك العقدة هذا جزاؤكم إذ تركتم الرأي والحزم و أصررتم على إجابة القوم إلى التحكيم ، فظن الأشعث أنه أراد هذا جزاء حيث تركت الرأي و الحزم و حكمت لأن هذه اللفظة محتملة ألا ترى أن الرئيس إذا شغب عليه جنده و طلبوا منه اعتماد أمر ليس بصواب فواقهم تسكيناً لشغبهم لا استصلاحاً لرأيهم ثم ندموا بعد ذلك ، قد يقول هذا (١) جزاء من ترك الرأي وخالف وجه الحزم ؛ ويعني بذلك أصحابه وقد يقوله يعني به نفسه حيث واقهم أمير المؤمنين عليه السلام إنما عنى ما ذكرناه دون ما خطر للأشعث

(ف) لما قال له هذه عليك لالك (خفف عليه السلام إليه بصره) وطأطأه (ثم قال له : و ما يدريك ما علي ممالي) إشارة إلى جهله وعدم جواز الاعتراض من مثله عليه سلام الله عليه ، ثم اتبعه بالطرد و الابعاد عن رحمة الله سبحانه و قال (عليك لعنة الله و لعنة اللاعنين) و استحقاقه بذلك من حيث كونه من المنافقين في خلافته عليه السلام وهو في أصحابه كعبد الله بن أبي سلول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل واحد منهما رأس النفاق في زمانه كما يدل عليه اعتراضه عليه عليه السلام ويشهد به شهادته عليه السلام بأنه منافق

ابن كافر ، ولا شك أن المنافق مستحق للعن والطرْد لقوله تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا
بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَأْهَنُهُمُ اللَّهُ وَيَأْهَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ »

وبدل على كفره و نفاقه صريحاً ما رواه الشارح المعتزلي عن أبي الفرج الاصبهاني
في شرح كلام الخامس والستين في ذكر كيفية شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : قال
أبو الفرج : وقد كان ابن ملجم لعنه الله أتى الأشعث بن قيس في هذه الليلة فخلا به في
بعض نواحي المسجد و مر بهما حجر بن عدي فسمع الأشعث وهو يقول : ابن ملجم
النجا النجا بحاجتك فقد فضحك الصبح ، قال له حجر : قتلته يا أعور ، و خرج
مبادراً إلى علي عليه السلام وقد سبقه ابن ملجم وضربه ، وأقبل حجر والناس يقولون : قتل
أمير المؤمنين عليه السلام .

قال أبو الفرج : و لسأ الأشعث بن قيس في انحرافه عن أمير المؤمنين عليه السلام
أخبار يطول شرحها .

منها أنه جاء الأشعث إلى علي عليه السلام يستأذن عليه فردّه قنبر فأدمى الأشعث
أنفه فخرج علي عليه السلام و هو يقول : مالي ولك يا أشعث أما والله لولعبت نقيف تمرست
لا قشعرت شعيراتك ، قيل يا أمير المؤمنين من عبد نقيف ؟ قال غلام لهم لا يبقى أهل
من العرب إلا أدخلهم ذلاً ، قيل يا أمير المؤمنين كم يلي أو كم يمكث ؟ قال :
عشرين إن بلغها .

وقال أبو الفرج : إن الأشعث دخل على علي عليه السلام فكلمه فأغلظ علي عليه السلام له
فعرض له الأشعث ان سبقتك به فقال له علي عليه السلام : أبا الموت تخوفني أو تهددني ؟
فوالله ما أبالي وقعت على الموت أو وقع الموت على

أقول : وأشار بعبد نقيف إلى حجاج بن يوسف الثقفي والمستفاد من رواية
أبي مخنف المرديسة في البحار أن حضور الأشعث تلك الليلة في المسجد إنما كان

لمعونة ابن ملجم لعنه الله على قتله ﷺ، وفي الكافي عن أبي عبد الله ﷺ قال: إن الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين، وابنته جعدة سميت الحسن، وابنه محمد شرك في دم الحسين عليهم السلام

ثم عيّرهُ ﷺ بأنّه (حائك بن حائك) والمراد بهما إمّا معناهما الحقيقي لما روى أنّه كان هو وأبوه ينسجان برود اليمن وليس هذا ممّا يخصّ بالأشعث بل أهل اليمن كلهم يعيرون بذلك كما قال خالد بن صفوان: ما أقول في قوم ليس فيهم إلا حائك برد، أودابغ جلد، أو سايس قرد، ملكتهم امرأة، وأغرقتهم فارة، ودلّ عليهم هدهد

وإمّا معناهما المجازي، وهو حائك الكذب على الله ورسوله ووليّه كما هو شأن المنافق والكافر

ومن ذلك ما رواه في الوسائل مرفوعاً إلى أبي عبد الله ﷺ قال ذكر الحائك عند أبي عبد الله ﷺ أنّه ملعون، فقال: إنّما ذلك الذي يحوك الكذب على الله ورسوله وعلى هذا المعنى فإدراك اللعن به يكون إشارة إلى علّة الاستحقاق له هذا والأظهر أنّه وارد على سبيل الاستعارة إشارة إلى نقصان عقله وقلة تدبيره واستعداده، كما أنّ الحائك ناقص العقل، إمّا من حيث كون معاملته ومعاشرته غالباً مع النساء والصبيان كالمعلمين، ولا شك أنّ المخالطة مؤثرة ولذلك قال الصّادق ﷺ لانتشيروا المعلمين ولا الحوكة فإنّ الله قد سلّبهم عقولهم مبالغة في قصور عقلم

وفي حديث آخر عنه ﷺ أنّه قال: عقل أربعين معلماً عقل حائك، وعقل أربعين حائكاً عقل امرأة، والمرأة لا عقل لها

وإمّا من حيث إنّ ذهنه عامّة وقته مصروف إلى جهة صنعته مصبوب الفكر إلى أوضاع الخيوط المتفرّقة وترتيبها ونظامها محتاجاً إلى حركة يديه ورجليه كما أنّ الشاهد له يعلم من حاله أنّه مشغول الفكر عمّا وراء ما هو فيه غافل عمّا عداه ويمكن أن يكون المقصود بالاستعارة الإشارة إلى دنائة النفس ورذالة الطبع

والبعد عن مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب والتخلّق بالأوصاف الذميمة والأخلاق
الذميمة ، لاتصاف الحائك بذلك كله ، ولذلك ورد في بعض الأخبار النهي عن
الصلاة خلفه ، بل ورد أن ولده لا ينجب إلى سبعة أبطن نحوها ورد في ولدنا
وروى القمي في تفسير قوله سبحانه:

« وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ »

إنه كان ذلك اليوم يوم سوق فاستقبلها الحاكة وكانت الحياكة أنبل صناعة في ذلك
الزمان ، فأقبلوا على بغال شهب فقالت لهم مريم : أين النخلة اليابسة ؟ فاستهزؤا بها
وزجروها ، فقالت لهم : جعل الله كسبكم بوراً وجعلكم في الناس عادراً ، ثم استقبلها
جمع من التجار فدلوها على النخلة اليابسة فقالت لهم : جعل الله البركة في كسبكم
وأحوج الناس إليكم الحديث

وروى المحدث الجزائريه في كتاب زهر الربيع عن شيخنا بهاء الملة والدين
أنه دخل رجل إلى مسجد الكوفة وكان ابن عباس مع أمير المؤمنين عليه السلام يتذاكران
العلم ، فدخل الرجل ولم يسلم وكان أصلح (١) الرأس من أوحش ما خلق الله تعالى
وخرج أيضاً ولم يسلم

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يا ابن عباس اتبع هذا الرجل واسأله ما حاجته ومن
أين وإلى أين فاتني وسأله فقال : أنا من خراسان وأبي من القيروان وأمي من اصفهان
قال : وإلى أين تحلب ؟ قال : البصرة في طلب العلم ، قال ابن عباس : فضحكت من
كلامه فقلت له : يا هذا تترك علياً جالساً في المسجد وتذهب إلى البصرة في طلب العلم
والنبي صلى الله عليه وآله قال : أنا مدينة العلم و علي بابها فمن أراد العلم فليأت المدينة من
بابها ، فسمعتني علي عليه السلام وأنا أقول له ذلك ، فقال : يا ابن عباس أسأله ما تكون
صنعتة ، فسألته فقال : إنني رجل حائك ، فقال عليه السلام : صدق والله حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله
حيث قال : يا علي إياك والحائك ، فإن الله نزع البركة من أرزاقهم في الدنيا

وهم الأردلون

نم قال عليه السلام: يا ابن عباس أتدري ما فعل الحياك في الأنبياء والأوصياء من عهد آدم إلى يومنا هذا ، فقال : الله ورسوله وابن عم رسوله أعلم ، فقال عليه السلام معاشر الناس من أراد أن يسمع حديث الحائك فعليه بمعاشرة الديلم ، ألا و من مشى مع الحائك قتر عليه رزقه ، ومن أصبح به جفى ، فقلت : يا أمير المؤمنين ولم ذلك ؟

قال عليه السلام : لا نهم سرقوا ذخيرة نوح ، وقدر شعيب ، ونعلي شيث ، وجبة آدم ، وقميص حواء ، و درع داود ، وقميص هود ، و رداء صالح ، وشملة إبراهيم ، ونخوت اسحاق ، و قدر يعقوب ، و منطقة يوشع ، و سروال زليخا ، و ازار أيوب ، و حديد داود ، وخاتم سليمان ، وعمامة إسماعيل ، و غزل سارة ، و مغزل هاجر ، و فضيل ناقة صالح ، و اطفاء سراج لوط ، و القوا الرمل في ديق شعيب ، و سرقوا حمار العزيز و علقوه في السقف و حلقوا الله في الأرض و لا في السماء ، و سرقوا مردد و مردد الخضر ، و مصلى زكريا ، و قلنسوة يحيى ، و فوطة يونس ، و شاة إسماعيل ؛ و سيف ذي القرنين و منطقة أحمد ، و عصا موسى ، و برد هارون ، و قصعة لقمان ، و دلو المسيح ، و استرشدتهم مريم فدلوها على غير الطريق ، و سرقوا ركاب النبي ، و حطام الناقة و لجام فرسي ، و قرط خديجة ، و قرطي فاطمة ، و نعل الحسن ، و منديل الحسين ، و قماط إبراهيم ، و خمار فاطمة ، و سراويل أبي طالب ، و قميص العباس ، و حصير حمزة ، و مصحف ذي النون ، و مقراض إدريس ، و بصقوا في الكعبة ، و بالوا في زمزم ، و طرخوا الشوك و العنار في طريق المسلمين

و هم شعبة البلاء ، و سلاح الفتنة ، و نسيج الغيبة ، و أنصاخ الخوارج ، و الله تعالى نزع البركة من بين أيديهم بسوء أعمالهم ، و هم الذين ذكرهم في محكم كتابه العزيز بقوله « **وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ** »

و هم الحاكة و الحجام فلا تخالطوهم ولا تشاركوهم ، فقد نهى الله عنهم و يناسب هذه الرواية الشعر المنسوب إليه عليه السلام ذ إن لم أجد في الديوان

المعروف نسبه إليه وهو :

لعن الحائك في عشر خصال فعلوها
و برجلين تطق طق وبرأس حر كوها
سرقوا قدر شعيب و حريص أكلوها
و مناديل رسول سرقوها حرقوها
و بالجملة فقد تحصل مما ذكرناه أن تعريضه عليه السلام على الأشعث الملعون
بأنه حائك بن حائك ذلالة على كمال القدح والطمع وأكده بقوله (منافق بن كافر)
بحذف حرف العطف إشارة إلى كمال الاتصال المعنوي ثم أتبعه بقوله : (والله لقد
أسرك الكفر مرة و الاسلام أخرى) تأكيداً لنقصان عقله وإشارة إلى أنه لو كان له
عقل لما حصل له في الأمر مرتين

أمّا اسره الواقع في الكفر فهو على ما رواه الشاذح المعتزلي عن ابن الكلبي
أنه لما قتلت مراد أباه قيساً الأشجّ خرج الأشعث طالباً بثاره ، فخرجت كندة
متساندين على ثلاثة ألوية ، على أحد الألوية كبش بن هاني بن شرجيل ، و على
أحدها القشعم ، و على أحدها الأشعث فأخطأوا مراداً ولم يقفوا عليهم و وقعوا على
بني الحارث بن كعب ، فقتل كبش و القشعم و اسر الأشعث ففدى بثلاثة آلاف بغير لم
يفد بها عربي قبله و لابعده ، فقال في ذلك عمرو بن معديكرب الزبيدي فكان فداؤه
ألفي بغير و ألف من طريفات وتله

وأمّا اسره الواقع في الاسلام فهو أن رسول الله ﷺ لما قدمت كندة حجاجاً
عرض نفسه عليهم كما كان يعرض نفسه على احياء العرب ، فدفعه بنو وليعة من بني
عمرو بن معاوية و لم يقبلوه فلما هاجر ﷺ وتمهدت دعوته و جاتته وفود العرب
جائه و تد كندة وفيهم الأشعث و بنو وليعة ، فأسلموا فأطعم رسول الله ﷺ بني وليعة
من صدقات حضرموت ، و كان قد استعمل على حضرموت زياد بن ليدي البياضي الانصاري
فدفعها زياد إليهم فأبوا أخذها و قالوا : لا ظهر لنا فابعث بها إلى بلادنا على ظهر

من عندك ، فأبي زياد و حدث بينهم و بين زياد شرّاً كما سيكون حرباً ، فرجع منهم قوم إلى رسول الله ﷺ و كتب زياد إليه ﷺ يشكّوهم

قال الشّارح الممّتلي وفي هذه الواقعة كان الخبر المشهور عن رسول الله ﷺ قال لبني وليعة : لتنتهنّ يا بني وليعة أولاً بعثنّ إليكم رجلاً عدل نفسي يقتل مقاتليكم ويسبي ذراريكم ، قال عمر بن الخطاب : فما تمنّيت الا هارة إلا يومئذ جعلت أنصب له صدري رجاء أن يقول : هو هذا ، فأخذ بيد عليّ وقال : هو هذا

ثمّ كتب لهم رسول الله ﷺ إلى زياد فوصلوا إليه الكتاب و قد توفّي رسول الله ﷺ ، و طار الخبر بموته إلى قبائل العرب فارتدت بنو وليعة و غنّت بغاياهم و خضبن له أيديهنّ ، فأمر أبو بكر زياداً على حضرموت و أمره بأخذ البيعة على أهلها و استيفاء صدقاتهم فبايعوه إلا بني وليعة

فلما خرج ليقبض الصدقات من بني عمرو بن معاوية أخذ ناقه للغلام منهم يعرف بشيطان بن حجر و كانت صفيّة نفيسة اسمها شنرة ، فمنعه الغلام عنها ، و قال خذ غيرها فأبي زياد ذلك و لجّ فاستغاث الشيطان بأخيه الغداء بن حجر ، فقال لزياد دعها و خذ غيرها ، فأبي زياد ذلك و لجّ الغلامان في أخذها و لجّ زياد فهتف الغلامان مسروق بن معدى كرب ، فقال مسروق لزياد : أطلقها ، فأبي ثمّ قام فأطلقها فاجتمع إلى زياد بن ليث أصحابه و اجتمع بنو وليعة و أظهروا أمرهم فتينهم زياد و هم غادون فقتل منهم جمعاً كثيراً و نهب و سبى و لحق فلهم و د بالاً شعث بن قيس اللعين فاستنصروه فقال لا أنصركم حتّى تملكوني عليكم ، فملكوه و توجّوه كما يتوجّج الملك من قحطان فخرج إلى زياد في جمع كثيف

و كتب أبو بكر إلى مهاجر بن أبي أمية و هو على صنعاء أن يسير بمن معه إلى زياد ، فاستخلف على صنعاء و سار إلى زياد ، فلقوا الأشعث فهزموه و قتل مسروق و لجأ الأشعث و الباقر إلى الحصن المعروف بالبخير ، فحاصروهم المسلمون حصاراً شديداً حتّى ضعفوا ، و نزل الأشعث ليلاً إلى مهاجر و زياد فسألها الأمان على نفسه حتّى يقدمها به على أبي بكر فيرى فيه رأيه على أن يفتح لهم الحصن و يسلم إليهم من فيه

وقيل بل كان في الأمان عشرة من أهل الأشعث فأمناه وأمضيا شرطه ،
ففتح لهم الحصن فدخلوه و استنزلوا كل من فيه وأخذوا أسلحتهم وقالوا للأشعث :
اعزل العشرة ، فعزلهم فتركوهم وقتلوا الباقيين وكانوا ثمانمائة ، وقطعوا أيدي النساء
اللواتي شمتن رسول الله ﷺ فأسروا الأشعث وحملوه إلى أبي بكر موثقا في الحديد
هو و العشرة .

وقيل : إنه لما حاصره المسلمون وقومه بعث إلى زياد يطلب منه الأمان لأهله
ولبعض قومه ، و كان من غفلته أنه لم يطلب لنفسه بالتعيين فأمّا نزل أسره زياد
وبعث به إلى أبي بكر فسأل أبا بكر أن يستبقه لعربه فعفا عنه وزوجه اخته أم فروة
بنت أبي قحافة

وكان من جهالته أنه بعد خروجه من مجلس عقد أم فروة أصلت سيفه في أزقة
المدينة وعقر كل بعير رآه وذبح كل شاة استقبلها للناس و التجأ إلى دار من دور
الأمنار ، فصاح به الناس من كل جانب وقالوا : قدارتد الأشعث مرة ثانية فأشرف
عليهم من السطح و قال يا أهل المدينة إنني غريب ببلدكم قد أولمت بمانحرت
و ذبحت فليأكل كل إنسان منكم ما وجد وليغد إلى من كان له على حق حتى
ارضيه فدفع أمنائها إلى أربابها فضرب أهل المدينة به المثل وقالوا أولم من الأشعث
وفيه قال الشاعر :

لقد أو لم الكندي يوم ملاكه وليمة حمّال لثقل العظام

فإن قلت : المستفاد مما ذكرته أخيراً مضافاً إلى ما ذكرته سابقاً من أنه فدى عند
أسره في الكفر بثلاثة آلاف بعير أنه كان ذاملاً وثروة فكيف يجتمع ذلك مع قوله
ﷺ : (فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك) ؟

قلت : لم يرد ﷺ به الفداء الحقيقي و إنما أراد به ما دفع عنك الأسر مالك
ولاحسبك وما نجاك من الوقوع فيه شيء منهما

ثم أورد ﷺ ذلك كله بالإشارة إلى صفة رذيلة أخرى له أعنى صفة الغدر
الذي هو مقابل فضيلة الوفاء وقال : (وإن أمره دل على قومه السيف وقاد إليهم المحتف

لحري بأن يمقته الأقرب و) حقيق بأن (لا يأمنه إلا بعد) والمراد به الإشارة إلى ما سبق ذكره منّا أنه طلب الأمان لنفسه أوله مع عشرة من قومه ففتح لزياد ومهاجر باب الحصن و عزل العشرة و أسلم الباقين للقتل فقتلوا صبراً ، ولا شك أن من كان كذلك لجدير أن يمقته قومه ولا يأمنه غيرهم ،

و أمّا ما قاله السيد رضي الله عنه من أنه أراد به حديثاً كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة إلى آخر ما مر ذكره ، فإنكره الشارحان إلا أن البحراني قال : وحسن الظن بالسيد يقتضي تصحيح نقل السيد

الترجمة

از جمله کلام آن عالی مقام است که گفته است آنرا باشعث بن قیس علیه اللعنة والعذاب درحالتی که بر بالای منبر کوفه خطبه می فرمود پس گذشت در اثنای کلام آن حضرت چیزی که اشعث بآن اعتراض نمود پس گفت ای امیرمؤمنان این کلمه که فرمودی بر ضررتو است نه بر نفع تو پس فرود آورد بسوی اشعث چشم خود را بعد از آن فرمود :

وچه دانا گردانید تورا بر آنچه بر من مضر است از آنچه بر من نفع دارد بر تو باد لعنت خدا و لعنت جمیع لعن کنندگان ای جولاه پسر جولاه و منافق پسر کافر ، قسم بخدا که اسیر نمودند تو را اهل کفر یکبار و اهل اسلام یکبار دیگر ، پس نجات نداد از افتادن تو در دست هریک از اهل کفر و اسلام مال تو و نه حسب تو ، و بدرستی مردی را که راهنمایی کند بر قوم خود شمشیر برنده را و بکشد بسوی ایشان مرگ و هلاک را هر آینه سزاوار است باینکه دشمن دارد او را نزدیکتر او و خاطر جمع نباشد باو دور تر او ، یعنی کسی که متّصف باشد بصفّت غدر لایق است باینکه قوم و بیگانه از او ایمن نشود و باینکه او را دشمن بدارند

و من خطبة له ﷺ وهي العشرون من المختار في باب الخطب

فَإِنَّكُمْ لَوَعَايِنْتُمْ مَا قَدَّ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ وَ وَهَيْتُمْ
وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ ، وَلَكِنْ مَخْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدَّ عَايَنُوا ، وَ قَرِيبٌ مَا
يُطْرَحُ الْحِجَابُ ، وَ لَقَدْ بَصُرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ ، وَ أَسَمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ ،
وَ هُدَيْتُمْ إِنْ اهْتَدَيْتُمْ ، بِحَقِّ أَقْوَالٍ لَقَدْ جَاهَرَتْكُمْ الْعِبْرُ ، وَ زُجِرْتُمْ بِمَا
فِيهِ مُزْدَجَرٌ ، وَ مَا يُبَايَعُ عَنِ اللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ .

اللفظة

(جزع) الرجل جزعاً من باب تعب ضعف عن حمل ما نزل به فلم يجد به
صبراً و (وهل) كتعب أيضاً فزع و (زجرته) زجراً من باب قتل منعه و ازدجر
يستعمل لازماً و متعدياً و (المزدجر) المتعظ مفتعل من الزجر ، ابدلت التاء دالا
ليوافق الزاى بالجهر قال سبحانه : وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ، أى متعظ
وهو بمعنى المصدر أى ازدجاد عن الكفر و تكذيب الرسل

الاعراب

قريب مرفوع على الخبرية ، و ما مصدرية مرفوع المحل على الابتداء و الجملة
بعدها في تأويل المصدر

المعنى

اعلم أن هذه الخطبة له واردة في إنذار الجاهلين و الغافلين بالأهويل
و الشدايد الواقعة بعد الموت و حينه فكانه ﷺ يقول يا أهل الجهالة و العصيان
المتمردين عن طاعة الرحمن ، حتم على الدنيا إقبالكم ، و بشهوتها اشتغالكم ،

و قد وخطكم القتير (١) ، و وافاكم النذير ، و أتم عمّا يراد بكم لاهون ، و بلدة يومكم ساهون .

(فانكم لو عاينتم) بعين التعيين الخالصة عن الشوائب العادية عن الغطاء والحواجب (ما قد عاينه من مات منكم) قبلكم من غمرات الموت وسكراته ؛ وأهوال القبر وظلماته ، و عقوبات البرزخ و نقماته ، و عذاب الآخرة و شدايدها (لجزعتم و وهلتم) و فزعتم لشدة تلك الأهوال و هول هذه الأحوال (و) ل(سمعتم) الواعية (٢) (و أظعتم) الداعية للملازمة البيّنة بين معاناة هذه الأمور بعين اليقين و بين الجزع و الفزع و السماع و الطاعة لرب العالمين

كما شهد به الكتاب المكنون : إذا لهجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربّهم ربنا أبصرنا و سمعنا فأرجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون (ولكن) نى اعتذر منكم بلسان حالكم بأنّه (محبوب عنكم ما قد عاينوه) مستور عنكم ما قد شهدوه ، و لذلك ذهلتهم و غفلتم و رغبتهم في الدنيا و أهتكم لذاتها ، و شغلتكم شهواتها إلا إن هذا العذر غير مقبول ، و ذلك الاعتذار غير نافع (و) ذلك لأنّه (قريب ما يطرح الحجاب) حين ما حلّ بك الموت و وارك التراب و شهد عليك الرقيب و العتيد ، فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد

(و) الله (لقد بصّرتكم) و صيرتكم مبصّرين (إن ابصرتكم) و نظرتكم بعيون ناظرة (و اسمعتكم) و صيرتكم سامعين (إن سمعتكم) و وعيتكم بأذن واعية (و هديتكم إن اهتديتكم) بعقول كاملة و قلوب صافية (بحق أقول لقد جاهدتكم العبر) و عالتكم الانبأ و الأثر بالمصائب النازلة على الأمم الماضية ، و العقوبات الواقعة في القرون الخالية ، و ما حلّ بأهل القبور سطورا بانفاه الدور ، الأترونها كيف تدانوا في خططهم ، و قربوا في مزارهم و بعدوا في لقاءهم ، عمروا فخرّبوا ، و آنسوا فأوحشوا ، و سكتوا فازعجوا ،

(١) القتير الشيب و الوخط بالخاء يقال و خطه القتير أى خالطه الشيب منه

(٢) الواعية وزن كاملة الصراخ و النداء بصوت عال و كذلك الداعية و النبي داعى الله

لأنه يدعو الناس الى الحق ، منه

و قطنوا فرحلوا .

فإنَّ في هذه الأمور كلها عبرة لمن اعتبر ، و تذكرة لمن أذكر (و) مع هذه كلها (زجرتم بما فيه مزدجر) من النهي الأكيد ، والوعيد الشديد الوارد في الكتب الأليمة والسُنن النبوية (و) بعد ذلك كله لم يبق عنذر لمن اعتذرو (ما يبلغ عن الله بعد رسل السماء إلا البشر) وما فرط ولا قصر ، بل بلغ وذكر ، وبشروا نذر حكمة بالغة فما تغني النذر .

ولتتبع هذه الخطبة الشريفة لأمير المؤمنين وسيد الوصيين بندبة جليلة لسببها الأجل زين العابدين وسيد الساجدين سلام الله عليهما من رب العالمين ، لكون تلك الندبة مع هذه الخطبة مطابقة المضمين ، مضافا إلى ما فيها من الفوائد الجمّة و المواعظ الحسنة التي يتنبه بها الجاهل عن نوم الغفلة ، و يهتدى بها الضال عن طريق الضلالة .

وهي مارواها شاکر بن غنیمة بن أبي الفضل عن عبد الجبار الهاشمي قال : سمعت هذه الندبة من الشيخ أبي بشر بن أبي طالب الكندي يرويها عن أبي عينة الزهري قال : كان علي بن الحسين عليهما السلام يناجي ويقول :

قل لمن قلّ عزّؤه ، و طال بكأؤه ، و دام عناؤه ، و بان صبره ، و تقسم فكره ،
والتبس عليه أمره ، من فقد الأولاد ، و مفارقة الآباء و الاجداد ، و الامتعاض بشماتة
الحسار : ألم تتركف فعل ربك بعد إرم ذات العماد شعر :

تعز فكل للمنية ذائق
فعمر الفتى للحادثات ذريئة
و كل ابن انثى للحياة مفارق
تناهيه ساعاتها و الدقائق
كذا تتفاني واحدا بعد واحد
و تطرقنا بالحادثات الطوارق

فحسّن الأعمال ، و جمّل الأفعال ، و قصر الآمال الطوال ، فما عن سبيل المنية مذهب ، ولا عن سيف الحمام مهرب ، ولا إلى قصد النجاة مطلب ، فيا أيها الانسان المتسخط على الزمان ، والدهر الغوان ، مالك والخلود إلى دار الأحران ، والسكون

إلى دار الهوان ، وقد نطق القرآن بالبيان الواضح في سورة الرحمن : كل من عليها
فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام شعر :
وفيم وحتىى الشكاية والردى جموح لا جال البرية لاحق
فكل ابن انثى هالك وابن هالك لمن ضمنته غربها و المشارق
فلا بد من إدراك ما هو كائن ولا بد من إتيان ماهو سابق
فالشباب للهرم ، والصحة للستقم ، والوجود للعدم ، وكل حي لاشك مخترم ، بذلك
جرى القلم ، على صفحة اللوح في القدم ، فما هذا التلهف والتدم ، وقد خلت من
قبلكم الامم شعر :

أترجو نجاتاً من حياة سقيمة وسهم المنايا للخليقة راشق
سرورك موصول بفقدان لذّة ومن دون ماتنواه تأنى العوائق
وحبك للدينا غرور وباطل وفي ضمنها للراغبين البوائق
أفي الحياة طمع ، أم إلى الخلود نزع ؛ أم لمافات مرتجع ، ورحى المنون دائرة ،
وفراسها غائرة ، وسطواتها قاهرة ، فقرب الزاد ، ليوم المعاد ، ولا تتوط على غير مهاد
وتعمد الصواب ، بحقق الجواب ، فلكل أجل كتاب ، يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده
أم الكتاب شعر :

فسوف تلاقي حاكماً ليس عنده سوى العدل لا يخفى عليه المناق
يميز أفعال العباد بلطفه ويظهر منه عند ذلك الحقايق
فمن حسنت أفعاله فهو فايز و من قبحت أفعاله فهو زاهق
أين السلف الماضون ، والأهلون والأقربون ، والأولون والآخرون ، والأنياب
والمرسلون ، طحتهم والله المنون ، وتوالت عليهم السنون ، وفقدتهم العيون ، وإننا
إليهم صائرون ، فإنا لله وإننا إليه راجعون شعر :

إذا كان هذا نهج من كان قبلنا فاننا على آثارهم نتلاحق
فكن عالماً أن سوف تدرك من مضى ولو عصمتك الراسيات الشواهيق
فما هذه دابر المقامة فاعملن «فاعلمنخ» ولو عمر الانسان ماذر شارق

أين من شقّ الأَنْهار ، وغرس الأشجار ، وعمر الدِيَار ، ألم تمح منهم الأَنْار ، وتحلّ بهم دار البوار ، فاخش الجوار ، فلك اليوم بالقوم اعتبار ، فانما الدنيا متاع والآخرة هي دار القرار شعر :

تخرّمهم ريب المنون فلم تكن
ولا حملتهم حين ولّوا بجمعهم
وواحوا عن الأموال صفراً وخلفوا
ذخايرهم بالرغم منهم وفارقوا
لتنفعهم جنّساتهم و الحدائق
نجائبهم و الصّافنات السّوابق
أين من بنى القصور و الدُساكر ، وهزم الجيوش والعساكر ، وجمع الأموال وحاز
الآنم والجرائم ، أين الملوك والفراعة والأكسرة والسياسة ، أين العمال والدّهاقنة
أين ذو والنواحي والرّسّاتيق ، والأعلام والمناجيق ، والعهود والموائيق شعر :

كان لم يكونوا أهل عزّ و منعة
ولا سكنوا تلك القصور التي بنوا
وصاروا قبوراً دارسات وأصبحت
منازلهم تسقى عليه الخوافق
ولا رفعت أعلامهم والمناجق
ولا أخذت منهم بعهد موائق
ما هذه الحيرة و السّيبيل واضح ؛ و المشير ناصح ، و الصواب لائح ، عقلت فاغفلت ،
و عرفت فانكرت ، و علمت فاهملت ، هذا هو الداء الذي عزّ دواؤه ، و المرض الذي
لا يرجى شفاؤه ، والأمل الذي لا يدرك انتهاؤه ، أفأمنت الأيام ؛ وطول الأَسقام ،
ونزول العمام ، والله يدعو إلى دار السلام شعر :

لقد شقيت نفس تتابع غيها
وتأمل ما لا يستطاع بحيلة (بجمله خ)
وتصفي إلى قول الغويّ و تنشي
وتعرض عن تصديق من هو صادق
و تصدف عن إرشادها و تفارق
و تعصيك إن خالفتها و تشاقق
فيا عاقلاً راحلاً ، وليبياً جاهلاً ، ومتيقظاً غافلاً ، أتفرح بنعيم زائل ، وسرور حائل ،
ورفيق خاذل ، فيا أيها المقتون بعمله ، الغافل عن حلول أجله ، و الخائض في
بحار زلله ، ما هذا التقصير وقد وخطك القتيير ، ووافقك النذير ، وإلى الله المصير شعر :
طلابك أمر لا يتمّ شروره
وأنت كمن يبني بناءً وغيره
وجهدك باستصحاب من لا يوافق
يعاجله في هدمه ويسابق

وينسج آمالاً طوالاً بعيدة ويعلم أن الدهر للنسج خارق

ليست الطريقة لمن ليس له الحقيقة ، ولا يرجع إلى خليقة ؛ إلى كم تكدح ولا تنفع
وتجمع ولا تشبع ؛ وتوفر لما تجمع ، وهو لغيرك مودع ، ماذا الرأي العازب ، والرشد
الغائب ، والأمل الكاذب ، ستقل عن القصور ، وربات الخدور ، والجندل والسرور
إلى ضيق القبور ، ومن دار الفناء إلى دار العبور ، كل نفس ذائقة الموت ، وما الحياة
الدنيا الأمتع الفرور شعر :

فمالك هذا غرة و جهالة وتحسب يا ذا الجهل أنك حاذق
تظنّ بجهل منك أنك رائق و جهلك بالعقبى لدينك فائق
توخييك من هذا أدلّ دلالة وأوضح برهاناً بأنك مائق

عجباً لفاقل عن صلاحه ، مبادر إلى لذاته وأفراحه ، والموت طريده «في فخ» مسائه وصباحه
فيا قليل التحصيل ، وبكثير التعطيل ، وبأذا الأمل الطويل ، ألم تركيب فعل ربك
بأصحاب الفيل ، بناؤك للخراب ، ومالك للذهاب ، وأجلك إلى اقتراب شعر :

وأنت على الدنيا حريص مكائر كأنك منها بالسلامة وائق
تعدّتك الاطماع أنك للبقا خلقت و أن الدهر خلّ موافق
كأنك لم تبصر أناساً تراذفت عليهم بأسباب المنون اللواحق

هذه حالة من لا يدوم سروره ، ولا تتم أموره ، ولا يفك أسيره ، أنفجح بمالك
ونفسك وولدك وغرسك «عرسك» ، وعن قليل تصير إلى رمسك ، وأنت بين طي ونشر ، وغنى
وقفر ، ووفاء وغدر ، فيامن القليل لا يرضيه ، والكثير لا يفنيه ، اعمل ما شئت أنك
ملاقيه ، يوم يفتر المرء من أخيه و أمه و أبيه و صاحبه و بنيه ، لكل امرء منهم
يومئذ شأن يفنيه شعر :

سيقفريت كنت فرحة أهله ويهجر مثواك الصديق المصارق
و ينسك من صافيته و ألفته ويجفوك ذوالود الصحيح المواقف
على ذامضى الناس اجتماع وفرقة و ميت و مولود وقالو و آمق

أفّ لدنيا لا يرقى سليمها ، ولا يصحّ سقيمها ، ولا يندمل كلومها ، وعودها كاذبة ،
وسهامها غير صائبة ، وآمالها خائبة ، لا تقيم على حال ، ولا تمتنع بوصول ، ولا تسرّ بنوال

شعر :

وتلك لمن يهوى هواها مليكة تعبده أفعالها و الطرائق
يسر بها من ليس يعرف غدرها ويسعى إلى تطلابها و يسابق
إذا عدلت جارت على اثر عدلها فمكروهة أفعالها و الخلائق

فإذا السطوة والقدرة ، والمعجب بالكثرة ، ما هذه الحيرة والفترة ، لك فيمن مضى
عبرة ، وليؤذن الغافلون عما إليه يصيرون ، إذ اتحققت الظنون ، وظهر السر المكنون
وتندمون حين لا تقالون ، ثم إنكم بعد ذلك لميئون شعر :

سيندم فصال على سره فعله و يزداد منه عند ذاك التشاهق
إذا عاينوا من ذي الجلال اقتداره و ذو قوة من كان قد ما يداقق
هنالك تنلو كل نفس كتابها فيطفو ذود عدل ويرسب فاسق

إلى كم ذا التشاغل بالتجارب والأرباح ، إلى كم ذا التهور بالسرور والأفراح ،
وحتام التفرير بالسلامة في مراكب النباح ، من ذا الذي سالمه الدهر فسالم ، ومن
ذا الذي تاجر الزمان فغنم ، ومن ذا الذي استرحم الأيام فرحم ، اعتمادك على
الصحة والسلامة خرق ، و سكونك إلى المال والولد حمق ، و الاغترار بعواقب
الأمور خلق ، فدونك وحزم الأمور ، والتيقظ ليوم النشور ، وطول اللبث في صفحات
القبور ، فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور شعر :

فمن صاحب الأيام سبعين حجة فلذاتها لا شك منه طواق
فمقبى حلالات الزمان مريرة وإن عذبت حيناً فحيناً خرابق
ومن طرفته الحادثات بويلها فلا بد أن تاتيه فيها الصواعق

فما هذه الطمأنينة وأنت مزعج ، وما هذه الولوج وأنت مخرج ، جمعل إلى تفريق
ورفوك (و فرك خ) إلى تمزيق ، وسعتل إلى ضيق ، فيا أيها المفتون ، والطامع بما لا يكون ،
أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون شعر :

ستندم عند الموت شرّ ندامة
و عابنت أعلام المنية والردي
وصرت رهينافي ضريحك مفرداً
فيامن عدم رشده ، وجار قصده ، و نسي ورده ، إلى متى تواصل بالذّنوب و أوقانك
محدودة ، وأفالك مشهودة ، أفتعول على الاعتذار ، وتهمل الأعدار والانداز ، وأنت
مقيم على الاصرار ، و لا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخّره يوم
تشخص فيه الأبصار شعر :

إذا نصب الميزان للفصل والقضا
واجبت النيران و اشتدّ غيظها
و قطعت الأسباب من كل ظالم
فقدم التوبة ، واغسل الحوبة ، فلا بد أن تبلغ إليك التوبة ، وحسن العمل قبل حلول الأجل
وانقطاع الامل ، فكل غائب قادم ، و كلّ عريب عازم (وكل غريب غارمخ) ، و كلّ
مفرط نادم ، فاعمل للخلاص قبل القصاص ، والأخذ بالنواص شعر :

فإنك مأخوذ بما قد جنيته
و ذنبك إن أبغضته فمعانق
فقارب وسدّد و اتق الله وحده
وانتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كلّ نفس ماكسبت وهم لا يظلمون

تكملة

المستفاد من الكافي أن هذه الخطبة ملتقطة من خطبة طويلة وروى صدرها
هناك باختلاف لما أورده السيد هنا

قال في الكافي في باب ما يجب من حقّ الإمام على الرعيّة : محمد بن يحيى
الطار عن بعض أصحابنا عن هارون بن مسلم عن مسعدة عن أبي عبد الله عليه السلام قال :
قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا تختانوا ولا تنكم ، ولا تغشوا هدايتكم ، ولا تجهلوا أئمتكم
ولا تصدعوا عن جبلكم فغشوا وتذهب ربحكم ، وعلى هذا فليكن تأسيس اموركم

وَأَزْمُوا هَذِهِ الطَّرِيقَةَ فَانْكُم لَوْعَابَتُمْ مَا عَابَنَ مِنْ قَدَمَاتِ مَنْكُم مِمَّنْ خَالَفَ مَا قَدْ تَدْعُونَ إِلَيْهِ لِبِدْرَتُمْ وَخُرْجَتُمْ وَاسْمَعْتُمْ وَلَكِنْ مَحْبُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَابِنَا، وَقَرِيبًا مَا يَطْرَحُ الْحِجَابَ

الترجمة

ای غافلان و تمرّدکنندگان از طاعت پروردگار عالمیان پس بددستی که اگر به بینید آن چیز را که بمعاینه دیدند کسانی که مردند از شما هر آینه بجزع و فزع در آید، و میشنوید و اطاعت مینماید و لکن مستور است از شما آنچه معاینه دیده اند آنرا گذشتگان و نزدیکست برداشته شدن حجاب، و بتحقیق که نموده می شوید اگر به بینید بنظر بصیرت، و شنواید میشوید اگر بشنوید بگوش حقیقت، و هدایت یافته میشوید اگر طلب هدایت نمائید بعقل کامل و قلب صافی، براستی می گویم شما را که بتحقیق چهارا و آشکار صدا نمود شمارا عبرتها، و زجر و منع کرده شدید بچیزی که در آن ازدجار و ممانعت هست از مناهای اکید و وعیدهای شدیده، و تبلیغ نمی نماید از جانب خداوند تبارک و تعالی بعد از ملائکه آسمان مگر جنس آدمیان از پیغمبران پس جای عذر نمانده شمارا در تخلف کردن از دعوت ایشان

و من خطبة له ﷺ و هي الحادية والعشرون من

المختار في باب الخطب

فَإِنَّ الْعَايَةَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ وَرَائَكُمْ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ، تَخَفُّوْا تَلْحَقُوا، فَإِنَّا بِنَقْظِ بَأُولِكُمْ آخِرُكُمْ.

قال السيد (ره) : إن هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه وكلام رسوله بكل كلام لمال بهراجعا وبرزعليه سابقا. فأما قوله ﷺ تَخَفُّوْا تَلْحَقُوا فلا سمع كلام أقل منه مسموعا ولا أكثر محصولا، وما أبعد غورها من كلمة، وأنقع نطقها

من حكمة ، وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها

اللغة

(حدا) الابل و بها حدوا إذا زجرها وغنى لها ليحشها على السير و (الغور)
العمق و (النطفة) ما صفي من الماء وما (انقع) الماء ما أرواه للعطش و في بعض
النسخ ما انفع بالفاء الموحدة ولا بأس به

الاعراب

تحدوكم منصوب المحل على الحالية ، وتلمعوا منصوب بكي مضمرة

المعنى

اعلم أن المستفاد من كتاب مطالب السؤول لمحمد بن طلحة على ما رواه
في البحار منه هو أن هذا الكلام له ^{تفسير} من تمام الخطبة السابقة حيث قال : ومن كلام
أمير المؤمنين لقد جا هرتكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر وما يبلغ عن الله بعد رسل
السماء إلا البشر ، إلا وإن الغاية أمامكم اه

وكيف كان فقد اختلف أنظار الشراح في تفسير هذا الكلام له و بيان المراد
منه على أقوال و الأظهر عندي أن قوله (فان الغاية أمامكم) أراد بالغاية الموت
كما صرح به في الحديث الآخر : الموت غاية المخلوقين ، أى نهايتهم التي ينتهون
إليها ، ولأجل كونه منتهى سير المخلوقين صح جعله أمامهم ، لا أنهم يسرون إليه
بحركة جبلية وتوجهه غريزي فيكون أمامهم لامحالة

وأما قوله : (وإن ورائكم الساعة) فالمراد بالساعة ساعات الليل والنهار
سميت بها لأنها تسعى الناس بها كما سميت القيامة ساعة لأنها تسعى الناس
إليها بحركة جبلية وتوجهه غريزي أيضاً ، كما يسعى إلى الموت وإنما جعلها ورائنا
مع كونها منبسطة على مدى العمر وانقسامها إلى الماضي و المستقبل ، باعتبار أنها
تحت الإنسان تحثنا و تسوقه سوقاً حثيثاً إلى الغاية التي أمامه أعني الموت كما
يدل عليه قوله : (تحدوكم)

أما أنها تسوقنا إليها فلأنه بانقضائها شيئاً فشيئاً يكون الانسان بعيداً من

المبدء قريباً إلى المنتهى ، فتكون بمنزلة السّابق إليه و من الواضح أنّ الحادي و السّابق من شأنه أن يكون وراء ما يحديه و يسوقه ، فبذلك الاعتبار صحّ جعلها ورائنا ، ويمكن استنباط ما ذكرته من تقديم الخبر على الاسم ، بيان ذلك أنّ كون الموت أمام الانسان لما كان واضحاً عند الكلّ أجرى الكلام فيه على الحقيقة بتقديم ماحقه التقديم وتأخير ما حقه التأخير حيث قال : فإنّ الغاية أمامكم

وأمّا كون السّاعة في الوراها لما كان خفياً بالاعتبار الذي ذكرناه من انقسامها إلى الماضي والاستقبال ، و كان نظر الجاهل دائماً إلى ما بقي من عمره و إلى ماهي أمامه من السّاعات الباقية غير ملتفت إلى ماضى ، لاجرم نبه على أنّ ما تحسبونه أمامكم فهي في الحقيقة ورائكم باعتبار أنّها تحذوكم ، فلذلك قدّم الخبر على الاسم وقال : إنّ ورائكم السّاعة لمزيد الاهتمام به و زيادة إشعاره بهذا المعنى فافهم

وإذا عرفت ما ذكرناه فلنذكر ما ذكره الشّراح في المقام فأقول :

قال الشّراح البحراني في شرح قوله : إنّ الغاية أمامكم : لما كانت الغاية من وجود الخلق أن يكونوا عباد الله ، كما قال تعالى : و ما خلقت الجنّ و الانس إلاّ ليعبدون ، و كان المقصود من العبادة إنّما هو الوصول إلى جناب عزّته و الطيران في حظاير القدس بأجنحة الكمال مع الملائكة المقرّبين ، و كان ذلك هو غاية الانسان المطلوبة منه و المقصودة له و المأمور بالتوجّه إليها بوجهه الحقيقي ، فان سعى لها سعيها أدركها و فاز بحلول جنّات النعيم ، و إن قصر في طلبها و انحرف صراط السّواء الموصل إليها ، كان في جهنّم من الهاوين ، و كانت غايته فدخلها مع الدّاخلين ، فاذن ظهر أنّ غاية كلّ إنسان أمامه إليها يسير و بها يصير

و في شرح : و إنّ ورائكم السّاعة تحذوكم : إنّ المراد بالسّاعة القيامة الصّغرى

وهي ضرورة الموت

فأمّا كونها ورائهم فلا أنّ الانسان لما كان بطبعه ينفر من الموت و يفرّ منه و كانت العادة في الهارب من الشيء ، أن يكون ورائه مهروب منه ، و كان الموت متأخراً عن وجود الانسان و لاحقاً تأخراً و لاحقاً عقلياً ، أشبه المهروب منه المتأخّر اللاحق

هربا وتأخرأ ولعوقأ حسياً ، فلاجرم استعير لفظ الجهة المحسوسة وهى الورا .
 و أمأ كونها تحدوهم فلأن الحادى لماً كان من شأنه سوق الابل بالحداء ،
 وكان تذكر الموت وسماع نواد به مقلقأ مزعجا للنفوس إلى الاستعداد لأموالآخرة
 والاهبة للقاء الله سبحانه ، فهو يحملها على قطع عقبات طريق الآخرة كما يحمل الحادى
 الابل على قطع الطريق البعيدة الوحرة ، لاجرم أشبه الحادى فأسند الحداء إليه انتهى
 وأقول : أمأ ما ذكره فى شرح الفقرة الأولى ، ففیه أن الظاهر من صدر كلامه
 حسبما يستفاد من التمسك بالآية أيضا هو أنه جعل الغاية فى كلامه ^{بمعنى} ^{بمعنى}
 العلة الغائية ، و عليه فلا يستقيم جعل الجحيم غاية للإنسان ، بل و لا الجنة أيضا
 إذا لغرض من خلقة الإنسان هو العبودية كما هونص الآية الشريفة ، وأمأ المثوبة
 والعقوبة فهما متفرعان عليها امتثالا وعصيانا ، فلا يصح جعلهما غاية ، وأن جعل
 الغاية بمعنى النهاية فكونهما غاية بهذا المعنى صحيح إلا أنه لا حاجة معه إلى
 الاستدلال بالآية و إلى مامهدة من المقدمة مضافا إلى منافاته بنص قوله : و كان
 ذلك هو غاية الإنسان المطلوبة منه

و أمأ ما ذكره فى شرح الفقرة الثانية ففیه أن جعل الساعة بمعنى الموت
 إمأ باعتبار أنها حقيقة فيه عرفا أو شرعا من دون ملاحظة المناسبة بينه وبين معناها
 اللغوى ، فيتوجه عليه أو لا يمنع الحقيقة العرفية أو الشرعية ، و نائيا منع عدم ملاحظة
 المناسبة على تقدير تسليم الحقيقة بأحد الوجهين ، و إمأ باعتبار أن إطلاقها عليه
 بملاحظة أن الناس يسعى إليه حسبما ذكرناه سابقا فيتوجه عليه أن إطلاقها عليه
 باعتبار أن الناس يسعى إليه مع وصفه بكونه فى الورا باعتبار أن الناس يهرب منه
 حسبما قرره ، لا يخفى ما فيه من السماجة فافهم جيدا

و قال الشارح المعتزلى : غاية المكلفين هى الثواب و العقاب فيحتمل أن
 يكون أراد ذلك ، و يحتمل أن يكون أراد بالغاية الموت ، و إنما جعل ذلك أمأنا
 لأن الإنسان كالسائر إلى الموت أو كالسائر إلى الجزء ، فهما أمامه أى بين يديه ،

نمّ قال : وإن ررائكم الساعة تحذوكم أى تسوقكم ، وإنما جعلها ورائنا لأنها إذا وجدت ساقّت الناس إلى موقف الجزاء كما يسوق الراعي الأبل ، فلما كانت سائقة لنا كانت كالشيء يخفر الانسان من خلفه ويحرقه من ورائه إلى جهة ما بين يديه انتهى وفيه أن الجملة الخبرية على ما حَقَّقها الأصوليون حقيقة فيما تلبس المبتدأ بالخبر في الحال ، واستعمالها فيما لم يتلبس به بعد مجازاً اتفاقاً لا يصار إليه إلا بقرينة ، وعلى ذلك فجعل كون الساعة ورائنا بمعنى أنها تكون ورائنا إذا وجدت مجازاً لا ينبغي ارادته إلا بقرينة ظاهرة ، وهي في المقام مفقودة

و قال القطب الرأوندي على ما حكى عنه الشارح المعتزلي : معنى قوله : فإن الغاية أمامكم ، يعني أن الجنة والنار خلفكم ، ومعنى قوله : و ررائكم الساعة أى قدامكم انتهى

وهو أروده ما ذكره في شرح المقام أمّا أولاً فلان الورا بمعنى التقدم وإن ورد إلا أن الأمام بمعنى الخلف لم يسمع من أحدهما ذكره الشارح المعتزلي وثانياً على تقدير تسليم وروده بذلك المعنى أن التعبير عن الخلف بالأمام وعن التقدم بالورا مع ظهورهما في العكس ممّا يأتي عن الذوق السليم والطبع المستقيم ، فيجب تنزيه كلام الامام (عليه السلام) الذي هو امام الكلام عنه

و ثالثاً أنه إذا جعل المراد بالغاية الجنة والنار فلا داعي إلى حمل الأمام بمعنى الخلف كما هو ظاهر ، بل إرادة المعنى الظاهر الذي هو نقيض الخلف أولى حسبما ذهب إليه الشارح المعتزلي والبحراني على ما قد منا ذكره هذا

وأما قوله : (تخفّفوا تلحقوا) فأصله أن الرجل يسعى وهو غير متقل بما يحمله فيكون أجدر أن يلحق الذين سبقوه لأن التخفيف وقطع العاليق في الاسفار سبب السبق والفوز بالحق السابقين وكذلك الزهد في الدنيا وتخفيف المؤنة فيها توجب المحوق بالسالفين المقرّبين ، والوصول إلى درجات أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وما أنسب بالمقام ما رواه المحدث الجزائري عن سلمان الفارسي ، وهو أنه

لما بعث إلى المدائن ركب حمارة وحده ، فاتصل بالمدائن خبير قدومه ، فاستقبله أصناف الناس على طبقاتهم ، فلمّا رأوه قالوا : أيها الشيخ أين خلقت أميرنا ؟ قال : ومن أميركم ؟ قالوا : الأُمير سلمان الفارسي صاحب رسول الله ، فقال لا أعرف الأُمير وأنا سلمان ولست بأُمير ، فترجلوا له وقادوا إليه المراكب والجنائب ، فقال : إن حمازي هذا خير لي وأوفق ، فلمّا دخل البلد أرادوا أن ينزلوه دار الامارة قال : ولست بأُمير ، فنزل على حانوت في السوق ، وقال ادعوا إليّ صاحب الحانوت ، فاستأجر منه وجلس هناك يقضي بين الناس وكان معه وطاء يجلس عليه ، و مطهرة يتطهر بها للصلاة ، وعكازة يعتمد عليها في المشى ، فاتفق أن سيلا وقع في البلد فارتفع صياح الناس بالويل والعويل يقولون : وا أهلاه و وا ولداه و وامالاه ، فقام سلمان ووضع وطائه في عاتقه وأخذ مطهرته وعكازته بيده ، وارتفع على صعيد ، وقال : هكذا ينجو المخفقون يوم القيامة

و روى (١) عن الشيخ ورام طاب نراه أنه لما مرض سلمان مرضه الذي مات فيه أتاه سعد يعوره ، فقال : كيف أنت يا عبدالله ؟ فبكى فقال : ما يبكيك ؟ فقال : والله ما أبكي حرصا على الدنيا ولا حبا لها ، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً فقال : ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد راكب ، فأخشى أن نكون قد جاوزنا أمره وهذه الأساور (٢) حولي ، وليس حوله إلا مطهرة فيها ماء ، وإجانة وجفنة .

قال : ودخل رجل عليه فلم يجد في بيته إلا سيفاً ومصحفاً ، فقال له : ما في بيتك إلا ما أرى ؟ قال : إن أماننا عقبه كثودا ، وإننا قد منّا متاعنا إلى المنزل أو لا فأولاً ، وقال : وقع الحريق فأخذ سلمان سيفه ومصحفه ، وقال : هكذا ينجو المخفقون .

ثم إنه ﷺ لما أمرهم بالتخفيف وحشهم على قطع العلابق علمه بقوله : (فإنما ينتظر بأولكم آخركم) يعني إنما ينتظر بالبعث الأكبر والقيامة الكبرى للذين

مانوا أولاً وصول الباقيين وموتهم

وتحقيق ذلك الانتظار على ما حققه الشارح البحراني أنه لما كان نظر العناية الإلهية إلى الخلق نظراً واحداً والمطلوب منهم واحداً وهو الوصول إلى جناب عزّة الله الذي هو غايتهم ، أشبه طلب العناية الإلهية وصول الخلق إلى غايتهم انتظار الانسان لقوم يريد حضور جميعهم وترقبه بأوائلمهم ووصول أواخرهم ، فأطلق عليه لفظ الانتظار على سبيل الاستعارة ، ولما صوّره مناصورة انتظارهم لوصولهم ؛ جعل ذلك علّة لحثهم على التخفيف وقطع العلايق ، ولا شك أن المعقول لأولى الألباب من ذلك الانتظار حاث لهم أيضاً على التوجه بوجوه أنفسهم إلى الله والاعراض عما سواه

الترجمة

پس بدرستی که غایب یعنی مرگ در پیش شماس است و بدرستی که در عقب شماس است ساعت‌های روز و شب در حالتی که میراند شما را بسوی مرگ ، سبک شوید تا لاحق شوید ، پس بتحقیق که انتظار کشیده شده بلاحق شدن پیشینیان پسینیان شما گفته است سید رضی رضی الله عنه بدرستی که این کلام امام اگر موازنه بشود بعد از کلام خدا و رسول ﷺ بهر کلامی هر آینه میل می کند این کلام بجمیع کلامها در حالتی که راجح است ، و غالب میشود بآنها در حالتی که سابق است ، اما فرمایش آن حضرت تخففوا تلحقوا بس شنیده نشده کلامی که کمتر باشد از او از حیثیت لفظ و نه بیشتر باشد از حیثیت معنی و چه قدر بعید است عمق این کلمه طیبه و چه قدر رافع عطش است آب صافی این حکمة لطیفه ، بتحقیق که تنبیه کرده ایم ما در کتاب خصایص خود بر عظمت قدر و شرافت جوهر آن کلمه عالی مرتبه ، و فرقتنا الله لفهم كانت تلك الكلمات بجاه محمد وآله

ومن خطبة له عليه السلام وهي الثانية والعشرون من المختار في باب الخطب

خطب بها حين بلغ أن طلحة والزبير خلعا بيعته ، وهي ملتقطة من خطبة طويلة مروية في شرح البحراني وقد وردت فصول منها في طرق عليحدة مختلفة بزيادة ونقصان يأتي إلى بعضها الاشارة ، وما رواه السيد رحمه الله :

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ ، وَاسْتَجَلَبَ جَلْبَهُ ، لِيَعُودَ الْجَوْرُ
إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ ، وَاللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا ،
وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصْفًا ، وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكَوهُ ، وَدَمًا
هُمْ سَفَكُوهُ ، فَلَيْنَ كُنْتُ شَرِيكُهُمْ فَإِنَّ لَهُمْ أَنْصِيْبَهُمْ مِنْهُ ، وَلَيْنَ كَانُوا
وَلَوْهُ دُونِي فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ ، وَإِنْ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلِّي أَنْفُسِهِمْ ، يَرْتَضِعُونَ
أَمَا قَدْ فَطَمْتَ ، وَيُخَيُّونَ بِدَعَاةٍ قَدْ أَمِيتَتْ ، يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي مَنْ دَعَا ،
وَإِلَى مَا أُجِيبَ وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، وَعَلَيْهِ فِيهِمْ ، فَإِنْ أَبَوْا أُعْطِيَتْهُمْ
حَدَّ السِّيفِ ، وَكَفَى بِهِ شَافِيًا مِنَ الْبَاطِلِ ، وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ ، وَمِنْ الْعَجَبِ
بِعَثْمَتِهِمْ « بَعْثُهُمْ خ » إِلَيَّ أَنْ ابْرُزَ لِلطَّعَانِ ، وَأَنْ اصْبِرَ لِلْجِلَادِ ، هَبَاتِهِمْ
الْهَبُولُ لَقَدْ كُنْتُ وَمَا هَدُدُّ بِالْحَرْبِ ، وَلَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ ، وَإِنِّي لَعَلِّي
يَقِينٍ مِنْ رَبِّي ، وَغَيْرِ شُبُهَةٍ مِنْ دِينِي .

اللغة

(ذمر) يروى بالتخفيف و التشديد وهو الحثُّ والحضُّ ، و التشديد دليل التكثرير و المبالغة لأنهم يقولون : إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى ، قال في الكشاف و مما طن على أذني من ملح العرب أنهم يسمون مركبا من مركبهم بالشقق ، وهو مركب خفيف ليس في نقل حمال العراق ، فقلت في طريق الطائف لرجل منهم : ما اسم هذا المجلد ؟ أردت محمل العراقي فقال : أليس ذلك اسمه الشقق ؟ قلت : بلى ، فقال هذا اسمه الشقق ، فزاد في بناء الاسم لزيادة المعنى

(جلبت) الشيء جلبا من باب ضرب و قتل ، و الجلب بفتحين فعل بمعنى مفعول وهو ما تجلبه من بلد إلى بلد ، قال الشارح المعتزلي و يروى جلبه و جلبه و هما بمعنى ، وهو السحاب الرقيق الذي لأماء فيه أى جمع قوما كالجهام الذي لانفع فيه وفي المصباح عن الأزهرى و ابن فارس (نصاب) كل شيء أصله و الجمع نصب و أنصبة مثل حمار و حمر و أحمر و (النصف) بتثنية النون و سكون الصاد اسم بمعنى الانصاف .

و اعتراض الشارح المعتزلي عليه بأن المعنى لا يحتمله ، لأنه لا معنى لقوله : ولا جعلوا بيني وبينهم إنصافاً ، بل النصف بمعنى الذى ينصف ، و المعنى لم يجعلوا بيني و بينهم ذا إنصاف ، مما لا يكاد يظهر وجهه و (ولي) الشيء و عليه ولاية من باب حسب إذا ملك أمره و (التبعة) كفرحة تقول : لي قبل فلان تبعة وهي الشيء الذى لك فيه بغية شبه ظلامه و نحوها و (فطم) الصبي من باب ضرب إذا فصله عن الرضاع و (حد السيف) الموضع القاطع منه و (الجلاد) المجادلة بآلة الحرب و (هبلته) أمه بكسر الباء نكلته و (الهبول) الشكول التى لم يبق لها ولد

الاعراب

يا خيبة الداعي نداء على سبيل التعجب من عظم خيبة الدعاء إلى قتاله ، وهو نظير النداء في قوله تعالى : يا حسرة على العباد ، أى يا خيبة احضري فهذا أوانك و كلمة من إما مرفوع المحل على الابتداء و الفعل بعده خبر ؛ أو منصوب المحل

اضرر عامله على شريطة التفسير فلا محل لما بعده ، إذ الجملة المفسرة لا محل لها على الأصح .

وقال ابن هشام : إن جملة الاشتغال ليست من الجمل التي تسمى في الاصطلاح جملة تفسيرية و إن حصل بها تفسير ، وكيف كان فجملة من دعا على الأهل جملة اسمية ، و على التقدير الثاني جملة فعلية ، و شافياً و ناصرأ منصوبان على الحالية والواو في قوله وما أهدد زائدة ، و كنت بمعنى ما زلت اى ما زلت لأهدد بالحرب . قال الشارح المعتزلي : و هذه كلمة فصيحة كثيراً ما يستعملها العرب ، و قد ورد في القرآن العزيز كان بمعنى ما زال في قوله : و كان الله عليماً حكيماً ، و نحو ذلك من الآي والمعنى : لم يزل الله عليماً حكيماً

المعنى

قد أشرنا أن هذه الخطبة من خطب الجمل و اردة في معرض التعرض على الناكثين وقد وقع التصريح بذلك في بعض طرقها حسبما تأتي إليها الاشارة ، و قد كنى عنهم بحزب الشيطان و جنود إبليس كما قال : (ألا وإن الشيطان قد ذم حزبه) و حشاقبيله (و استجلب جلبيه) و جمع جمعه (ليعود الجور إلى أوطانه) كما كان عليها أولاً (و يرجع الباطل إلى نصابه) وأصله الذي كان عليه سابقاً (والله ما أنكروا علي منكرأ) وهو قتل عثمان حيث نسبوه إليه ^{بالتيمم} و زعموا أنه منكر فأنكرده عليه فردهم بانكار كونه منكرأ ، و على تقدير تسليمه بعدم صحته لنسبته إليه و على كل تقدير فانكلاهم عليه يكون منكرأ (ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً) وعدلا إذ لو جعلوا ميزان العدل في البين يظهر بطلان دعواهم (و ذلك ل (أ: أنهم ليطلبون حقاً) أى حق قصاص (هم تركوه) حيث أمسكوا النكير على قاتليه (ودمأهم سفكوه) لانهم أول من ألب الناس على عثمان وأغرى بدمه ، كما يشهد به قول عائشة : اقتلوا نعتلا قتل الله نعتلا .

يدل عليه ما في رواية أبي مخنف الآتية من قوله : اللهم إن طلحة نكت بيعتي

و ألب على عثمان حتى قتله ثم عضنى به ورماني اللهم فلا تمهله

و عن الطبري في تاريخه ان علياً كان في ماله بخير لما أراد الناس حصر عثمان فقدم المدينة والناس مجتمعون على طلحة في داره ، فبعت عثمان إليه بالبخيل يشكو أمر طلحة فقال علي : أما أكفيك ؟ فانطلق إلى دار طلحة وهي مملوءة بالناس فقال له يا طلحة : ما هذا الأمر الذي صنعت بعثمان ؟ فقال طلحة : يا أبا الحسن بعد أن مس الحزام الطيبين (١) ، فانصرف علي عليه السلام إلى بيت المال فأمر بفتحه فلم يجدوا المفتاح ، فكسر الباب و فرّق ما فيه على الناس فانصرفوا من عند طلحة حتى بقي وحده ، فسر عثمان بذلك ، وجاء طلحة إلى عثمان فقال له : يا أمير المؤمنين إنني أردت أمراً فحال الله بيني وبينه وقد جئتك تائباً ، فقال : والله ماجئت تائباً ولكن جئت مغلوباً ، الله حسبك يا طلحة .

و روى ان الزبير لما برز لعلي عليه السلام يوم الجمل قال له : ما حملك يا عبدالله على ما صنعت ؟ قال : أطلب بدم عثمان ، فقال : أنت وطلحة وليتماه وإنما توبتكم من ذلك أن تقدم نفسك وتسلمها إلى وراثته و بالجملة فقد ظهر مما ذكرناه أنه لا ريب في دخولهم في قتل عثمان ومع مكان ذلك الدخول لا يجوز لهم المطالبة بدمه

توضيح ذلك أن دخولهم فيه إما أن يكون بالشركة ، وإما أن يكون بالاستقلال وعلى أي تقدير فليس لهم أن يطلبوا بدمه وقد أشار إلى الشق الأول بقوله : (فلان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه) و اللازم عليهم حينئذ أن يبدووا بأنفسهم ويسلموها إلى أولياء المقتول ثم يطالبوا بالشريك ، وإلى الشق الثاني بقوله : (وان كان ولو) و باشره (دوني فما التبعة إلا قبلهم) و اللازم عليهم حينئذ أن يقتصوا أنفسهم بالمطالبة (وان أعظم حجتهم لعلي أنفسهم) حيث يدعون دعوى ضررها عايد إليهم لقيام المحبة فيها عليهم (يرتضون أما قد فطمت) أي يطلبون الشيء بعد فواته لأن الأم إذا فطمت ولدها فقد انقضت إرضاعها .

ولعل المراد به أن مطالبتهم بدم عثمان لغو لا فائدة فيه ، ويحتمل أن يكون

المراد بالأمّ التي قد فطمت ما كان عادتهم في الجاهلية من الحميّة والغضب وإنارة الفتن ، و بفظامها اندراسها بالاسلام فيكون قوله : (و يحيون بدعة قد اميتت) كالتفسير له .

وقال الشارح البحراني: استعار لفظ الأمّ للخلافة فيبت المال لبنيها والمسلمون أولادها المرتضعون ، وكتى بارتضاعهم لها عن طلبهم منه من الصّلات والتفضيلات ، مثل ما كان عثمان يصلهم به ويفضل بعضهم على بعض وكونها قد فطمت عن منعه عليه السلام وقوله : ويحيون بدعة إشارة إلى ذلك التفضيل ، فانه كان بخلاف سنة رسول الله والبدعة مقابلة السنة ، وإماتتها تركه عليه السلام في ولايته ذلك (يا خيبة الداعي) احضري فهذا أوان حضورك والداعي هو أحد الثلاثة طلحة والزبير وعائشة ، كما صرح به الشارح المعتزلي أيضاً .

ثم قال على سبيل الاستصغار لهم والاستحقار (من دعا) أي أحقر القوم دعاهم هذا الداعي (وإلى ما اجيب) أي أقبح بالامر الذي أجابوه إليه فما أفحشه وأرذله (وإنتي لراض ب) قيام (حجة الله عليهم) و هو أمره سبحانه بقتال الفئة الباغية كما قال : فان بغت إحدبهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله (و) ب (ملمه فيهم) بما يصنعون (فان أبوا) عن طاعتي وامتنعوا من الملازمة على مبايعتي مع قيام هذه الحجة من الله سبحانه عليهم (أعطيتهم حد السيف) القاطع امتثالاً لأمر الله سبحانه وابتغاء لمرضات الله (وكفى به) أي بذلك السيف حال كونه (شافياً من الباطل وناصراً للحق) هذا

(ومن العجب) كلّ العجب (بعثتهم إلى) مع علمهم بحالي في الشجاعة والحرب والصبر على المكاره (بأن ابرز للقطعان) و تهديدهم على (بأن اصبر للجلاد) نكلتهم الشواكل و (هبلتهم الهبول) كيف يهددونني ويرهبونني (لقد كنت و ما اهدد بالحرب و) ما زلت (لا ارهب بالضرب) و ذلك (لأنني على يقين من ربي) وعلى بصيرة من أمرى (وغير شبهة من ديني) فليس لمثلي أن يهدد ويرهب ، لأن الموقن بأنه على الحق ناصر لله ذاب عن دين الله أشد صبراً وأقوى جلدأ و أنبت قدماً في

مقام الجدال ومعرفة الجهاد والقتال ، لأن نقته بالله سبحانه على كل حال

تكملة

قد أشرنا سابقاً إلى أن هذه الخطبة ملتقطة من خطبة طويلة مروية في شرح البحراني ، وقد منا لك أيضاً في شرح كلامه العاشر أن هذا الكلام أيضاً من فصول هذه الخطبة فينبغي أن نورد الخطبة بتمامها حتى يتضح لك الحال ، ثم نشير إلى بعض ما وردت فيها فقرات من هذه الخطبة على غير انساق وانتظام بتوفيق الله المتعال

فأقول : تمام الخطبة على ما رواها الشارح البحراني أنه عليه السلام حين بلغه أن طلحة والزبير خلعا بيعته قال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله :
أيها الناس إن الله افترض الجهاد فعظمه وجعله نصرته وناصره ، والله ماصلحت دنيا ولادين إلا به ، وقد جمع الشيطان حزبه ، واستجلب خيله ، ومن أطاعه ليعودله دينه وسنته وخدعه ، وقد رأيت أموراً قد تمخضت (١) والله ما أنكروا على منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً ، وأنتم ليطلبون حقاً تركوه ، ودماً سفكوه ، فإن كنت شريكهم فيه فإن لهم لنصيبهم منه ، وإن كانوا أولوه دوني فما الطلبة إلا قتلهم وإن أزل عداهم لعلى أنفسهم ولا اعتذر مما فعلته ولا تبرء مما صنعت وإن معي لبصيرتي ما لبست ولا لبس على ، وإنها للفئة الباغية فيها الحم (٢) و الحممة طالت جلبتها وانكفت (٣) جوتتها (٤) ، ليعودن الباطل في نصابه

يا خيبة الداعي من دعى لوقيل (٥) ما أنكروا في ذلك وما امامه و فيمن سنته والله إذأ لراح الباطل من نصابه وانقطع لسانه ، وما أظن الطريق له فيه واضح حيث

١- تحركت م

٢- العم بتشديد اليم وفتح العاء بقية الالية التي اذبيت واخذدهنها والعمه السواد و هما استعارتان لارذال الناس وعوامهم لمشابهتهم حم الالية وما اسود منها من قلة المنفعة والغير، ابن ميثم

٣- استدارت

٤- والجوتة بالضم القدر

(٥) يعنى لوسأل سائل مجادلهم، الدعاء الى الباطل عما انكروه من امرى وعن امامهم

نهج والله ماتاب (١) من قتلوه قبل موته ، ولا تنصل (٢) من خطبته و ما اعتذر إليهم فعذروه ، و لا دعى فنصرده و أيم الله « لا قرطن لهم حوضاً أنا ما نحتة » لا يصدرون عنه برى ولا يعبون (٤) حسوة (٥) ابدأ وأنها لطيفة نفسي بحجة الله عليهم و علمه فيهم و انسى راعيمهم فمعتز إليهم فان تابوا و أقبلوا و أجابوا و أنابوا فالتوبة مبذولة ، و الحق مقبول و ليس على كفيل ، و إن أبوا أعطيتهم حد السيف و كفى به شافيا من باطل و ناصرأ لمؤمن ، و مع كل صحيفة شاهدها و كاتبها ، والله إن الزبير و طلحة و عايشة ليعلمون أنسى على الحق و هم مبطلون هذا

و في شرح المعتزلي عن أبي مخنف قال : حدثنا مسافر بن عفيف بن أبي الأخنس قال : لما رجعت رسل علي من عند طلحة و الزبير و عايشة يؤذنونه بالحرب قام فحمد الله و أنى عليه و صلى على رسوله ثم قال :

أيها الناس إنى قد راقبت هؤلاء القوم كى يرجعوا و يرجعوا ، و وبختمهم بنكتمهم و عرفتهم بغيثهم فلم يستحيوا ، و قد بعثوا إلى أن ابرز للطعان فاصبر للجناد ، و إنما تمنيك نفسك أمانى الباطل و تعدك الغرور الأهلبتهم الهبول لقد كنت و ما أهدد بالحرب ، و لا أرهب بالضرب و لقد أنصف القادة من رامها ، فليرعدوا و ليقروا ، فقد رأوني قديما و عرفوا نكايتي فكيف رأوني أنا أبو الحسن الذي فلكت حد المشركين و فرقت جماعتهم ، و بذلك القلب ألقى عدوي اليوم ، و إنى لعلى ما وعدني ربي من النصر و التأييد ، و على يقين من أمرى و في غير شبهة من ديني

أيها الناس إن الموت لا يفوته المقيم و لا يعجزه الهارب ليس عن الموت محيد

الذى به يقتدون و فيمن سنتهم التى إليها يرجعون يشهد لسان حالهم بأنى انا امامهم و فى سنتهم فانزاح باطلهم الذى اتوا به و انقطع لسانه ، ابن ميثم
١- اى عثمان

٢- اى تير.

٣- هكذا نقله هنا و ذكر فى المختار العاشر : لا قرطن لهم حوضاً أنا ما نحتة ، و لعله الصحيح ، « المصحح »

٤- العب الشرب من غير مص

٥- الحسوة بالضم قدر ما يحس مرة واحدة منه

ولا مَحِيصٍ من لم يقتل مات ، وإنَّ أفضل الموت القتل ، والذي نفس على يده لَأُفَّ ضربة بالسيف أهون من موتة واحدة على الفراش اللهمَّ إنَّ طلحة نكثت بيعتي وأب على عثمان حتى قتله ثمَّ عضهني به ورهاني اللهمَّ فلا تمهله ، اللهمَّ إنَّ الزبير قطع رحمي و نكث بيعتي و ظاهر على عدوي فاكفنيه الموت بما شئت .

وعن أبي الحسن عليِّ بن محمد المديني عن عبدالله بن جنادة قال : قدمت من الحجاز اريد العراق في أول أماره عليّ ، فمررت بمكة فاعتمرت ثمَّ قدمت المدينة فدخلت مسجد رسول الله إذا نودي بالصلاة جماعة فاجتمع الناس وخرج علي متقلداً سيفه فشخصت الأَبصار نحوه فحمد الله وصلى على رسوله ثم قال :

أما بعد فإنه لما قبض الله نبيّه ﷺ قلنا نحن أهله ودرته وعترته وأولياؤه دون الناس ، لا ينازعنا سلطانه أحد ولا يطمع في حقنا طامع إذا تزي لنا قومنا ففصبونا سلطان نبينا و سرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ، وبتعزُّز علينا الذليل فبكت العين منَّا لذلك ، وخشنت الصدور وجزعت النفوس

وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين ، وأن يعود الكفر و يبور الدين ، لكننا على ما غير « غير ما ظ » كنالهم عليه فولى الامر ولأه بالوا الناس خيراً ثم استخرجتموني أيها الناس من بيتي فبايعتموني على شأن مني لا أمركم و فراسة تصدقني ما في قلوب كثير منكم و بايعني هذان الرجلان في أول من بايع يعلمون ذلك ، وقد نكثا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعاشة ليفرقا جماعتكم ، و يلقيا بأسكم بينكم

اللهمَّ فخذهما بما عملا أخذة واحدة رايه ، ولا تنعش لهما صرعة ولا تقلهما عثرة ، ولا تمهلما فواقا ، فانهما يطلبان حقاً تركاه و دما سفكاه

اللهمَّ إنني أقتضيك وعدك فانك قلت وقولك الحق لمن بغى عليه لينصرته الله اللهمَّ فأنجز لي موعدي ولا تكلني إلى نفسي انك على كل شيء قدير

أقول : وهذه الرواية كما ترى صريحة في اغتصاب الخلافة و أنها انتزعت منه ظلماً و جوراً من دون أن يكون له به رضى فيه كما أنها صريحة (١) في أن تولي ولاية السوء لها لم يكن قصداً للخير منهم ، وإنما كان حباً للرئاسة و اتباعاً للهوى

١ - يدل على ذلك قوله : فولى الامر ولأه بالوا الناس خيراً ، منه

و من العجب أن الشارح المعتزلي مع روايته هذه يزعم أنه عليه السلام إنما ترك الأمر إليهم برضى منه وميل ، وأنهم تولوا الأمر ملاحظة لمصالح الشريعة ومراعاة لمصلحة الاسلام ، كما مر تفصيلا في شرح الخطبة الشقشقية ، فجزاهم الله عن الاسلام وأهله شر الجزاء .

وعن الكليني قال : لما أراد علي عليه السلام المصير إلى البصرة قام فخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وصلى على رسوله :

إن الله لما قبض نبيه استأثرت علينا قريش بالأمر ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة ، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمائهم ، والناس حديثو عهد بالاسلام ، والدين يمحض محض الوطب ، يفسده أدنى وهن وبعكسه أقل خلف (خلق خ ل) فولى الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً ، ثم انتقلوا إلى دار الجزاء والله ولي تمحيص سيئاتهم ، والعفو عن هفواتهم فمابال طالحة والزبير وليسا من هذا الأمر بسبيل ، لم يصبرا علي حولا ولا أشهرا حتى وثبا ومرقا ونازعا نبي أمراً لم يجعل الله لهما إليه سبيلا بعد أن بايعا طابعين غير مكرهين ؛ يرتضعان أما قد فطمت ، و يحييان بدعة قد أميتت ادم عثمان زعما والله ما التبعة إلا عندهم وفيهم وإن أعظم حجبتهم لعلى أنفسهم ، و أناراض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم فان فاء أو أنا با فحظهما احرزوا أنفسهما غنما واعظم بهما غنيمة وإن أيا اعطيتهما حد السيف وكفى به ناصراً لحق وشافيا لباطل ، ثم نزل .

وعن أبي مخنف عن زيد بن صوحان قال : شهدت علياً بذي قار وهو معتم بعمامة سوداء وملتب بساج يخطب ، فقال في خطبته :

الحمد لله على كل أمر وحال في الغدو والآصال ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، انبثه رحمة للعباد ، و حياة للبلاد ، حين امتلأت الأرض فتنه واضطرب حبلها وعبد الشيطان في أكنافها واشتمل عدو الله إبليس على عقايد أهلها فكان محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الذي أطفأ الله به نيرانها ، وأخمد به شرارها ، ونزع به أوتادها وأقام به ميلها امام الهدى ، والنبي المصطفى ، فلقد صدع بما أمر به

وبلّغ رسالات ربّه فأصلح الله به ذات اليمين ، و آمن به السبيل ، وحقن به الدماء ،
والف به بين ذوي الضعابين الواغرة في الصدور حتى أتاه اليقين

ثم قبضه الله إليه حميداً ثم استخلف الناس أبا بكر فلم يأل جهده ، ثم استخلف
أبو بكر عمر فلم يأل جهده ، ثم استخلف الناس عثمان فقال منكم و نلت مني حتى
إذا كان من أمره ما كان ، أتيتموني لتبايعوني فقلت لاحتاجة لي في ذلك ودخلت منزلي
فاستخرجتموني فقبضت يدي فبسطتموها و تداككتم علي حتى ظننت أنكم قاتلي
و أن بعضكم قاتل بعض فبايعتموني و أنا غير مسرور بذلك ، و لا جدل و قد علم الله
سبحانه أني كنت كارها للحكومة بين أمة محمد ﷺ

ولقد سمعته يقول : ما من وال يلبى شيئاً من أمر امتي إلا أتى به يوم القيامة
مغلولة يده إلى عنقه على رؤوس الخلايق ، ثم ينشر كتابه فان كان عادلاً نجاباً ، وإن
كان جابراً هوى حتى اجتمع علي ملاءكم و بايعني طلحة و الزبير و أنا أعرف الغدر
في أوجههما ، و التسكت في أعينهما ثم استاذناني في العمرة فأعلمتهما أن ليس العمرة
يريدان ، فسارا إلى مكة و استخففا عايشة و خدعاها و شخصامعها أبناء الطلقاء ،
فقدموا البصرة وقتلوا بها المسلمين ، و فعلوا المنكر

ويا عجباً لاستقامتهما علي أبي بكر و عمر و بغيرهما علي و هما يعلمان أني لست
دون أحدهما ، و لو شئت أن أقول لتدت : و لقد كان معاوية كتب إليهما من الشام
كتاباً يخدعهما فيه فكتماه عني و خرجا يوهمان الطعام أنهما يطلبان بدم عثمان ،
والله ما أنكرنا علي منكرأ ، و لا جعلنا بيني و بينهم نصفا ، و إن دم عثمان لمعصوب
بهما و مطلوب منهما

يا خيبة الداعي إلى م دعي إنماذا اجيب والله إنهما لعلى ضلالة صماء ،
وجهالة عمياء ، و إن الشيطان قد ذمر لهما حزبه ، و امت لب منهما خيله و رجله
ليعد الجور إلى أوطانه و يرد الباطل إلى نصابه ، ثم رفع يديه فقال :

اللهم إن طلحة و الزبير قطاعاني و ظلماني و أبا علي و نكثا بيعتي فاحلما

عقدا ، وانكث ما ابرما ، ولاتفقر لهما أبداً وأرهما المسائة فيما عملا وأملا

الترجمة

از جمله خطبه شریفه آن حضرت است در مذمت طلحه و زبیر و اتباع ایشان که نسبت دادند خون عثمان علیه اللعنة و النیران را بان امام عالمیان : آگاه باش بدرستی که شیطان لعین برانگیخت گروه خود را و بکشید سپاه خود را تا باز گرداند ستم را بجایهای خود و راجع گرداند باطل را بأصل خود ، بخداوند سوگند انکار نکرده اند بر من فعل منکر را که عبارت است از نسبت قتل عثمان بمن ، و نگردانیده اند میان من و خودشان انصاف و عدل را و بدرستی که آنها هر آینه طلب میکنند حقیقاً که خود ترك کرده اند و خونی را که خود ریخته اند پس اگر بودم من شریک ایشان در آن خون پس بتحقیق ایشانراست نصیب ایشان از آن خون و اگر ایشان خودشان مباشر آن خون شدند بدون من پس در این صورت نیست عقوبت بازخواست مگر از ایشان و بدرستی که بزرگترین حجة ایشان بر نفسهای ایشان است ، شیر میخواهند از مادری که از شیر باز گرفته بچه خود را ، و زنده میکنند بدعتی را که میرانیده شده است ، ای نو میدی دعوت کنند حاضر باش که وقت حضور تو است چه کس است آنکه دعوت نمود او را این داعی ، و بچه چیز جواب داده شد و بدرستی که من خوشنودم بحجة خدا بر ایشان و بعلم حق تعالی در شان آن جمع پریشان ، پس اگر امتناع بکنند از طاعت من که طاعت خداست بدهم بایشان تیزی شمشیر بران را و کافیست آن شمشیر در حالتی که شفا دهنده است از باطل و یاری دهنده میباشد از برای اهل حق ، و از جمله امور عجیبه است فرستادن ایشان بسوی من اینکه بیرون آی از برای نیزه زدن و صبر کن از برای شمشیر کشیدن ، بی فرزند باد مادر ایشان و در مانم ایشان گریه کند ز نهای گریه کننده هر آینه بوده ام که تهدید کرده نشده ام بمحاربه و تخویف کرده نشده ام بمضاربه ، و بدرستی که من بریقینم از پروردگار خود و بی شبهه ام از دین استوار خویش ،

بس تهديد وتخويف بي ثمر خواهد شد

و من خطبة له عليه السلام وهي الثالثة والعشرون من المختار في باب الخطب و شرحها في ضمن فصلين الفصل الاول

وهو مروى في الكافي باختلاف تطلع عليه بعد الفراغ من شرح ما أورده السيد هنا
أما بعدُ، فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطْرِ الْمَطَرِ،
إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَسَمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ وَ تَقْصَانٍ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ
غَفِيرَةً فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ، فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً، فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ
مَا لَمْ يَغْشَ دَنَائَةً تَظْهَرُ، فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذِكْرَتْ، وَيُغْرَى بِهَا لِئَامِ النَّاسِ،
كَأَلْفِ إِيحِ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ، تُوجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ،
وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ الْمَغْرَمُ، وَكَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ، يَنْتَظِرُ
إِحْدَى الْحُسْنَيْنَيْنِ: إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ، وَإِمَّا رِزْقَ اللَّهِ
فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ وَمَعَهُ دِنُهُ وَحَسْبُهُ، إِنْ أَلْهَالَ وَالبَيْنَ حَرْتِ الدُّنْيَا
وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ حَرْتِ الْآخِرَةِ، وَ قَدْ يَجْمَعُهَا اللَّهُ لِأَقْوَامٍ، فَاحْذَرُوا
مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَ أَخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْدِيرٍ، وَ اعْمَلُوا
فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَ سُمْعَةٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ عَمِلَ لَهُ،
نَسْتَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَ مُعَايِشَةَ السُّعَدَاءِ، وَ مُرَاقَبَةَ الْأَنْبِيَاءِ.

اللغة

(الغفيرة) قال الرضى : هي ههنا الزيادة والكثرة من قولهم للجمع الكثير
الجم الغفير ويروى عفوة من أهل أدمال والعفوة الخيار من الشيء يقال أكلت عفوة
الطعام أى خياره

أقول : ويحتمل أن يكون العفوة من العفو بمعنى الزيادة أيضاً ، وبه فسّر قوله
تعالى : وبسئلكم ماذا ينفقون قل العفو قال الشاعر :

ولكننا بعض السيف منا باسوق عافيات الشحم كوم

أى زائدات الشحم و (غشى) فلانا كرمى أتاه و (غرى) به كرمى أيضاً ولع به
وأغراه به ولعه و (الفالج) الفايض من السهم من الفلج وهو الظفر والفوز و (الياسر)
القامر واللاعب بالمسير قال سبحانه : يسئلكم عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير
ومنافع للناس ، وهو كمنزل اشتقاقه إما من اليسر وهو السهولة لأنه أخذ لمال
الرجل يسر وسهولة من غير كد ولا تعب ، أو من اليسار لأنه سبب يساره ، وقيل
من اليسر بمعنى التجزئة لأن كل شيء جزئته فقد يسرته يقال : يسروا الشيء أى
اقسموه فالجزور نفسه يسمى ميسراً لأنه يجزء أجزاء ، و الياسر الجازر لأنه يجزء
لحم الجزور ثم يقال للضاربين بالقداح والمتقاربن على الجزور : إنهم يا سرور ،
لأنهم بسبب ذلك الفعل يجزؤون لحم الجزور

قال الفيروز آبادى : الميسر كمنزل اللبب بالقداح أو هو الجزور التي كانوا
يتقارمون عليها ، كانوا إذا اردوا أن ييسروا اشتروا جزوراً نسمة ونحروه قبل أن
يسروا وقسموه ثمانية وعشرين قصماً أو عشرة أقسام ، فاذا خرج واحد واحد باسم
رجل ظهر فوز من خرج لهم ذوات الانصاء وغرم من خرج له الغفل

وقال الزمخشري في الكشاف : كانت لهم عشرة قداح وهي : الألام والأقلام
الغد والتوام والرقيب والحلس بفتح الحاء وكسر اللام وقيل بكسر الحاء وسكون
اللام والمسبل والمعلى والنافس والمنيع والسفيح والوغد ، لكل واحد منها نصيب
معلوم من جزور ونحوها ويجزؤونها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين جزء إلا لثلاثة

وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم في هذا المعنى شعر :

لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيع و أساميهن و غد و سفيح و منيح
فللفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللتنافس خمسة وللمسبل
ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي الخريطة و يضعونها على يد عدل ثم
يجلجلها يدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قد حامنها ، فمن خرج له قدح من
ذوات الانصاء أخذ الانصيب الموسوم به ذلك القدح ، ومن خرج له قدح لا نصيب له
لم يأخذ شيئاً و غرم ثمن الجزور كله ، و كانوا يدفعون تلك الانصاء إلى الفقراء و لا
يأكلون منها ويفتخرون بذلك و يذمّون من لم يدخل فيه و يسمونه البرم انتهى

و (التعذير) إظهار العذر ممن لا عذره في الحقيقة ، قال الفيروز آبادي
قوله تعالى : وجاء المعتذرون ، بتشديد الذال المكسورة أى المعتذرون الذين لهم
عذر ، وقد يكون المعتذر غير محق فالمعنى المقصرون بغير عذر قال : وقره ابن عباس
بالتخفيف من أعذرو كان يقول : والله لهكذا انزلت ، وكان يقول : لعن الله المعتذرين
وكان المعتذر عنده إنما هو غير المحق وبالتخفيف من له عذر

الاعراب

الباء في قوله بما قسم لها بمعنى على ، و ما في قوله مالم يغش دنائة ظرفية
مصدية ، و جملة تظهر منصوب المحل على أنها صفة لدنائة ، و جملة فيخشع أيضاً
منصوب المحل لكونها عطفاً على تظهر ، و مثلها جملة يغرى بها ، و قوله كالفالج
خبران ، و الياسر صفة وأصل الكلام كالياسر الفالج أى كالقامر الفايز و قدم الوصف
على الموصوف على حد قوله سبحانه : و غرايب سود

قال الشارح المعتزلى : و حسن ذلك ههنا إن اللفظتين صفتان و ان كانت
إحداهما مرتبة على الأخرى ، و جملة توجب له المغنم صفة للفوزة ، و يرفع إمّا
بالبناء على الفاعل وفيه ضمير مستتر راجع إلى الفالج ، و المغموم منصوب على المفعولية
أو بالبناء على المفعول ، و المغموم مرفوع على النيابة عن الفاعل ، و قوله : فاذا هو ذو أهل

إذا للمفاجأة ، و العمل الصالح بالرفع والنصب ، وقوله : ليست بتعذير ، اى ليست بذات تعذير ، اى تقصير فخذف المضاف كقوله تعالى : قتل أصحاب الأخدود النار ، اى ذي النار ، ومن في قوله : من يعمل شرطية و يعمل و يكله مجزومان على حد قوله : من يعمل سوءً يجزيه

المعنى

اعلم أن مدار هذه الخطبة الشريفة على تأديب الفقراء بعدم الوقوع في الفتنة من الحسد ونحوه بما يشاهدونه في الاغنياء و على تأديب الأغنياء بالتزهد عن المال و جمعه و على العمل بالاخلاص و إخلاصه من السمع و الربا و على الترغيب في صلة الأرحام و الترهيب عن القطيعة بذكر منافع الصلة و مفسد القطيعة ، و مدار هذا الفصل على الثلاثة الاول ، كما أن مدار الفصل الآتي على الرابع

إذا عرفت ذلك فأقول : إنه عَلَيْهِ السَّلَامُ مهد أو لا مقدمة شريفة لبنى عليها غرضه و محصلها أن جميع الأمور إنما هو بقضاء إلهي و قدر رباني و أن ما يحدث من زيادة أو نقصان أو يتجدد فيما يكون به صلاح حال الخلق في أمر المعاش و المعاد إنما هو صادر عن القسمة الربانية ، فلو تفكر في ذلك العاقل و تدبر فيه رضي بما قدره الله تعالى في حقه و ما قسمه عليه و على غيره ، فاذن لا يقع في الفتنة و الحسد لو رأى لغيره مزينة عليه و إلى هذه المقدمة أشار بقوله :

(أما بعد) حمد الله سبحانه و الصلاة على رسوله و آله (فإن الأمر) اى الأمور المقدرة الحادثة في العالم السفلى (ينزل من السماء إلى الأرض) و يخرج من القوة إلى الفعل و يوجد في المواد السفلية الخارجية بعد أن كان ثابتا في الصحايف العاوية (ك) نزول (قطار المطر) إلى الأرض بأيدي المدبرات كما قال سبحانه : تنزل الملائكة و الروح فيها باذن ربهم من كل أمر ، اى كل أمر قدره الله في حق العباد و قسمه (إلى كل نفس) بمقدار (ما قسم لها) و قدر في حقها (من زيادة أو نقصان) أدقلة أو كثرة كما قال تعالى : وإن من شيء إلا عندنا خزائنه و ما ننزله إلا بقدر معلوم

(فإذا) كان نزول الأمور بتقدير الله سبحانه وتفريقها بتقسيم الملك العادل على وفق الحكمة واقتضاء المصلحة و (رأى أجدكم لأخيه) المؤمن (غفيرة) وزيادة (في أهل أومال أو نفس) أو رفعة أو مكانة (فلا بد له أن يرضى بقسمة الجبار وأن لا يتمكن) رؤية هذه الغفيرة (له فتنة) ولا توجب له ضللا ولا توقع له في الحسد ولا تبعث له إلى الرغبة إلى الأغنياء وإخلاص السعي لهم ولخدمتهم للطمع بما في أيديهم (فإن) هذه كلها تكون شاغلة له عن سلوك سبيل الحق ، حاجة عن التوجه إلى الله ، مانعة عن الوصول إلى رضوان الله وفيها دنائة النفس واذالة الطبع و (المرء المسلم ما لم يعش دنائة تظهر) و لم يأت على رذالة تشهر بين الناس (فيخشع لها إذا ذكرت) ويستحي من ذكرها ويلزمه بارتكابها الخجل (و تغرئ بها لثام الناس) و عوامهم في فعل مثلها أو هتك سره بها كان (كالعالج الياسر) والقامر الفايز (الذي ينتظر) في قماره ولعبه بالاقداح (أول فوزه من قداحه توجب له) هذه الفوزة (المغنم) و يأخذ بها نصيبه الموسوم به (و ترفع بها عنه المغرم) ويدفع ضرر الغرامة عنه

و (كذلك المرء المسلم) الصائم لنفسه الحافظ لدينه العاري من الدنائة و (البرىء من الخيانة ينتظر) في حياته مع صبره عن المعصية فوز (إحدى الحسينين إما) أن يدعوه (داعي الله) بقبضه إليه فيستجيب له ويفوز إذن بالنعيم المقيم ويدخل الجنة التي عرضها الأرض و السماء (فما عند الله خير له) وأبقى وهي فوزة لا تغنى (وإما) أن يفتح له أبواب (رزق الله) ويدركه كرامة الله (فإذا هو ذو أهل و مال ومعه دينة تحسبه) فيفوز الفوز العظيم مع الأمان من العذاب الأليم وهو أفضل عند العاقل من الفتنة بالغير و الالتفات عن الله و تدليس لوح النفس برذائل الأخلق من الحسد ونحوه .

وذلك من حيث (إن المال والبنين حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة) ومن كان يريد (١) حرث الآخرة نزله في جرته و من كان يريد حرث الدنيا نواته

منها وماله في الآخرة من نصيب ، فحرب الدنيا حقير وحرب الآخرة جليل خمير ،
و المال و البنون زينة الحياة الدنيا و الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا
و خير أملا .

(و قد يجمعهم الله لأقوام) وما كان قولهم (١) إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا
وإسرافنا في أمرنا ونبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، فأتتهم الله نواب الدنيا
وحسن نواب الآخرة والله يحب المحسنين (فاحذروا من الله) واتقوه (بما حذركم
من نفسه) بقوله : فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب
أليم (واخشوه خشية) صادقة (ليست بـ) ذاتا تعذير (إذ الاعتذار إنما ينفع عند
من هو جاهل بالسراير ومحجوب عما في الضمائر

و أما الله العالم الخبير بما في الصدور فليس للاعتذار عنده نفع و لا ثمر ،
وينبئ الإنسان (٢) يومئذ بما قدم وأختر ، بل الانسان على نفسه بصيرة و لو ألقى
معاذيره ، فيجزى المعتذرون جزاء ما كانوا يعملون ، فيومئذ (٣) لا ينفع الذين ظلموا
معدرتهم ولا هم يستعتبون

(و اعملوا في غير رياء ولا سمعة) أى عملا خالصا مخلصا عنهما و في حذف
المتعلق دلالة على العموم فيشمل جميع الأعمال و يدل على وجوب الاخلاص في
الكل كما قال الصادق عليه السلام : لا بد للعبد من خالص النية في كل حركة وسكون
لأنه إذا لم يكن بهذا المعنى يكون غافلا و الغافلون قد وصفهم الله تعالى فقال : إنهم
الآ كالأ نعام بل هم أضل سبيلا ، وقال : أو أملكهم الغافلون

قال بعض العلماء في تفسير ذلك : يجب أن يكون للعبد في كل شيء يفعل
و عمل يعمل من نية اخلاص حتى في مطعمه و مشربه و ملبسه و نومه و نكاحه ، فإن
ذلك كله من أعماله التي يسأل عنها و يجازى عليها فإن كانت لله و في الله كانت في

١- اقتباس من الآية الشريفة في سورة آل عمران. منه

٢- اقتباس من الآية في سورة القيامة ، منه

٣- الآية في سورة الروم

ميزان حسنانه ، وإن كانت في سبيل الهوى ولغير الله كانت في ميزان سيئاته ، و كان صاحبها في الدنيا على مثال البهايم الراتعة والأنعام المهملة السارقة ولا يكون على الحقيقة إنساناً مكلفاً موفقاً و كان من الذين ذكرهم الله بقوله : أغفلنا قلبه عن ذكرنا أي وجدناه غافلاً كقولك : دخلت بلدة فاعمرتها أي وجدتها عامرة فهو غافل عما يأتيه وينزعه متبعاً لهواه فيما يورده ويصدره

ثم علل ^{الغفل} وجوب ترك الريا بقوله : (فإنه من يعمل لغير الله يكله الله إلى من عمل له) ويقطع عنه ميامن لطفه والطاق نظره

و معناه ما رواه أحمد بن فهد في عدة الداعي عن النبي ^ﷺ قال يقول الله تعالى : أنا خير شريك و من اشرك معي شريكاً في عمله فهو لشريكه دوني لا أنسى لا أقبل إلا ما خالص لي

قال : وفي حديث آخر أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً ثم اشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك به دوني هذا

ولما كان همته ^{على} مقصورة على طلب السعادة الأخروية أردف كلامه بقوله (نسأل الله منازل الشهداء ومعاشة السعداء ومرافقة الأنبياء)

قال الشارح البحراني و في ذلك جذب للسامعين إلى الاقتداء به في طلبها والعمل بها وبدء ^{الطلب} بطلب أسهل المراتب الثلاثة للإنسان وختم بأعظمها فإن من حكم له بالشهادة غايته أن يكون سعيداً ، والسعيد غايته أن يكون في زمرة الأنبياء رفيقاً لهم ، وهذا هو الترتيب اللائق من المؤدب الحاذق ، فإن المرتبة العالية لاتنال دفعة دون نيل ما هو أدون منها

تكميل استبصارى

في بيان معنى الرياء وذكر بعض ما وردت فيه من الآيات والأخبار والاشارة إلى أقسامه وإلى الدواء النافع له فالكلام في مقامات أربعة

المقام الاول

في تحقيق معنى الرياء والسمة فنقول : إن الرياء هو ترك الاخلاص بملاحظة

غير الله فيه وأصله من الرؤية كأنه لا يعمل إلا إذا رأى الناس وراه، والسمعة بالضم كالرياء إلا أنها تتعلق بحاسة السمع والرياء بحاسة البصر
وعن الفارابي في ديوان الأدب يقال: فعل ذلك رياء وسمعة إذا فعل ذلك ليراه الناس ويسمعوا به

وقال الغزالي في إحياء العلوم: الرياء مشتق من الرؤية، والسمعة مشتقة من السماع وإنما الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بإبرائهم خصال الخير إلا أن الجاه والمنزلة تطلب في القلب بأعمال سوى الله، واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات وإظهارها، فحد الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله، فالمرائي هو العابد، والمرائي هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة في قلوبهم، والمرائي به هو الخصال التي قصد المرائي إظهارها، والرياء قصد إظهار ذلك.

أقول: والأولى ما ذكرناه، لكونه شاملاً للعبادات وغيرها فعلاً وتركاً حسبما تعرفه في الأقسام الآتية، وما ذكره مختص بفعل العبادات فقط فلا يعم

الثاني

في ذكر بعض ما ورد فيه من الآيات والأخبار

قال الله سبحانه: فويل للمصلين الذينهم عن صلاتهم ساهون، والذينهم يراؤن
وقال النبي ﷺ: إن النار وأهلها يحبون من أهل الرياء، فقيل: يارسول الله كيف تعج النار؟ قال: من حر النار التي يعدون بها
وقال أيضاً: ينادى المرائي يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر يا خاسر، ظلّ ضلّ سعيك، وبطل عملك، ولاخلاق لك، التمس الأجر ممن كنت تعمل له يا مخادع

وقال أيضاً: إن أول ما يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن، ورجل قاتل في سبيل الله، ورجل كثير المال فيقول الله عز وجل للقاري ألم اعلمك ما انزلت على رسولي؟ فيقول: بلى يا رب فيقول: ما عملت به فيما علمت؟ فيقول: يارب قمتم به في

آناء الليل وأطراف النهار، فيقول الله تعالى : كذبت وتقول الملائكة كذبت : ويقول الله تعالى : إنما أردت أن يقال فلان قارى فقد قيل ذلك .

ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى : ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلي أحد؟ فيقول : بلى يا رب ، فيقول : فما عملت فيما آتيتك؟ قال : كنت أصل الرحم وأتصدق ، فيقول الله تعالى : كذبت ، وتقول الملائكة : كذبت ، ويقول الله تعالى : بل أردت أن يقال فلان جواد وقد قيل ذلك .

ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى : ما فعلت؟ فيقول : امرت بالجهاد في سبيل الله فقاتلت حتى قتلت ، فيقول الله تعالى : كذبت ، وتقول الملائكة كذبت ، ويقول الله تعالى : بل أردت أن يقال فلان جري شجاع فقد قيل ذلك ، ثم قال رسول الله ﷺ : أولئك خلق الله تسعهم نار جهنم ، وهذه الأخبار ويناها من كتاب الأنوار للمحدث الجزائري

وفي الوسائل عن الكليني بإسناده عن فضل أبي العباس عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما يصنع أحدكم أن يظهر حسنا وبسراً سريماً أليس يرجع إلى نفسه فيعلم أن ذلك ليس كذلك والله عز وجل يقول : بل الإنسان على نفسه بصيرة ، إن السريرة إذا صححت قويت العلانية

وعن السكوني عنه عليه السلام أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرايرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعا في الدنيا ، لا يريدون به ما عند ربهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم .

وعن البرقي في كتاب المحاسن عن يحيى بن بشير النبيل عمّن ذكره عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من أراد الله عز وجل بالقليل من عمله أظهره الله أكثر مما أراد به ، ومن أراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله أبي الله إلا أن يقله في عين من سمعه

و روى الصدوق في كتاب عقاب الأعمال بإسناده عن علي بن جعفر عن أخيه

موسى بن جعفر عن أبيه عن آباءه صلوات الله عليهم قال : قال رسول الله ﷺ : يؤمر
برجال إلى النار فيقول الله عز وجل لمالك : قل للنار : لا تحرق لهم أقداما فقد
كانوا يمشون بها إلى المساجد ، و لا تحرق لهم وجوه هاهنا فقد كانوا يسبقون الوضوء ،
و لا تحرق لهم أيدي فقد كانوا يرفعونها بالدعاء ، و لا تحرق لهم السنة فقد كانوا
يكثرون تلاوة القرآن ، قال : فيقول لهم خازن النار : يا أشقيا ما كان حالكم ؟
قالوا : كننا نعمل لغير الله عز وجل فليل لناخذوا ثوابكم ممن عملتم

وفي الوسائل عن الكليني بإسناده عن جرّاح المدائني عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله
عز وجل : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »
قال : الرّجل يعمل شيئا من الثواب لا يطلب به وجه الله إنما يطلب تزكية النفس
يشتهي أن يسمع به الناس فهذا الذي أشرك بعبادة ربه ، ثم قال : ما من عبد أسرّ
خيرا فذهبت الأيام أبدا حتى يظهر الله له خيرا ، و ما من عبد يسرّ شرا فذهبت الأيام
حتى يظهر الله له شرا .

وعن السكوني عنه عليه السلام أيضا قال : قال النبي ﷺ إن الملك ليصعد بعمل
العبد مبتهجا به فإذا سعد بحسناته يقول الله عز وجل : اجعلوها في سجين إنه ليس
إبى أراد به .

وعن علي بن عقبة عن أبيه قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : اجعلوا أمركم هذا لله
ولا تجعلوا للناس فانه ما كان لله فهو لله وما كان للناس فلا يصعد إلى الله .
وفي عدة الداعي لأحمد بن فهد الحلبي عن الشيخ أبي جعفر محمد بن أحمد بن
علي القمي نزيل الرّوى في كتابه المنبئ عن زهد النبي عن عبد الواحد عمن حدّته
عن معاذ بن جبل قال : قلت : حدّثني بحديث سمعته من رسول الله و حدّثته من
دقايق ما حدثك به قال نعم وبكى معاذ

ثم قال : بأبي و أمّي حدّثني وأنا رديفه فقال : بينا نحن نسير إذ رفع بصره
إلى السماء فقال ﷺ : الحمد لله الذي يقضي في خلقه ما أحبّ ، ثم قال : يا معاذ

قلت : لبيك يا رسول الله وسيد المؤمنين ، قال : يا معاذ قلت : لبيك يا رسول الله امام الخير و نبي الرحمة قال ﷺ احدثك شيئاً ما حدث نبي أمته إن حفظته نفعك عيشك وإن سمعته ولم تحفظه انقطعت حجبتك عند الله

ثم قال ﷺ ، إن الله خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات فجعل في كل سماء ملكاً قد جللها بعظمته وجعل على كل باب من أبواب السماء بواباً فيكتب الحفظة عمل العبد من حين يصبح إلى حين يمسي ثم ترفع الحفظة بعمله و له نور كنور الشمس ، حتى إذا بلغ سماء الدنيا فتزكّيه وتكثّره فيقول الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الغيبة فمن اغتاب لا أدع عمله تجاوزني إلى غيري أمرني بذلك ربي .

قال : ﷺ ثم يحيى الحفظة عن الغد ومعهم عمل صالح فتمر به و تزكّيه وتكثّر حتى تبلغ السماء الثانية فيقول الملك الذي في السماء الثانية : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنما أراد بهذا العمل عرض الدنيا أنا صاحب الدنيا لأدع عمله يتجاوزني إلى غيري وهو يحب الدنيا .

قال : ثم تصعد الحفظة بعمل العبد مبهتجاً بصدقة وصلاة فتعجب به الحفظة و تجاوزه إلى السماء الثالثة فيقول الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك صاحب الكبر فيقول : إنه عمل وتكبر على الناس في مجالسهم أمرني ربي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري .

قال : و تصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كالكوكب الدرّي في السماء له دري بالتسبيح و الصوم و الحج فتمر به إلى السماء الرابعة فيقول لهم الملك : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه و بطنه أنا ملك العجب إنه كان يعجب بنفسه وإنه عمل وأدخل نفسه العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري .

قال : و تصعد الحفظة بعمل العبد كالعروس المزفوفة إلى أهلها فتمر به إلى ملك السماء الخامسة بالجهاد و الصدقة ما بين الصلاتين و كذلك العمل له رنين كرنين

الابل عليه ضوه كضوه الشمس فيقول الملك : قفوا أنا ملك الحسد و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه ، إنّه كان يحسد من يتعلم أو يعمل لله بطاعته وإذا رأى لأحد فضلا في العمل و العبادة حسده و وقع فيه فيحملوه على عاتقه و يلغنه عمله .

قال : و تصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة و زكاة و حجّ و عمرة فيتجاوزبه إلى السّماء السّادسة فيقول الملائكة : قفوا أنا صاحب الرّحمة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه و اطمسوا عينه ، لأنّ صاحبه لم يرحم شيئا إذا أصاب عبداً من عبادة الله ذنبا للأخرة أو ضراً في الدّنيا شمت به أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري .

قال : و تصعد الحفظة بعمل العبد بفقّه و اجتهاد و ورع و له صوت كالرعد و ضوه كضوه البرق و معه ثلاثة آلاف ملك فتمرّ بهم إلى ملك السّماء السّابعة فيقول الملك : قفوا و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الحجاب أحجب كل عمل ليس لله إنّه أراد رفعة عند القوادر و ذكراً في المجالس و صيتاً في المداين أمرني ربّي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري مالم يكن لله خالصاً

قال : و تصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجا به من صلاة و زكاة و صيام و حجّ و عمرة و خلق الحسن و صمت و ذكر كثير تشبّهه ملائكة السّماوات و الملائكة السبعة بجماعتهم فيطئون الحجب كلّها حتّى يقوموا بين يديه سبحانه فيشهدوا له بعمل و دعاء فيقول سبحانه : أنتم حفظة عمل عبدي و أنا رقيب على ما في نفسه إنّه لم يردني بهذا العمل عليه لعنتي فيقول الملائكة : عليه لعنتك و لعنتنا

قال : ثمّ بكى معاذ قال : قلت : يا رسول الله ما أعمل و اخلص قال : اقتدنيّك يا معاذ في اليقين قال : قلت : أنت رسول الله و أنا معاذ قال : فان كان في عملك تقصير يا معاذ فاقطع لسانك عن إخوانك و عن حملة القرآن ، و لتكن ذنوبك عليك لا تحمّلها على إخوانك ، و لا تزك نفسك بتدميم إخوانك ، و لا ترفع نفسك بوضع

إخوانك ، ولا تراء بعملك ، ولا تداخل من الدنيا في الآخرة ، ولا تفحش في مجلسك لكي يحذروك لسوء خلقك ، ولا تناج مع رجل وأنت مع آخر ، ولا تعظم على الناس فتنتقع عنك خيرات الدنيا ، ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب أهل النار ، قال الله تعالى : « والناشطات نشطا » أفندري ما الناشطات ؟ إنه كلاب أهل النار تنشط اللحم والعظم قلت : ومن يطيق هذه الخصال ؟ قال : يا معاذ أما أنه يسير على من يسر الله تعالى عليه قال : وما رأيت معاذاً يكتر تلوادة القرآن كما يكتر تلوادة هذا الحديث

الثالث

في أقسام الريا والوجوه المتصورة فيه ، وهي كثيرة إلا أنها منشعبة عن قسمين أحدهما الرياء المحض والثاني الرياء المشوب
أما الرياء المحض فهو أن لا يكون مراد بالعبادة إلا الدنيا ورؤية الناس كالذي يصلي بين أظهر الناس ، ولو كان منفرداً لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس ، فهذا يجب أن يترك لأنه معصية لاطاعة فيه أصلاً
وأما الرياء المشوب فهو يتصور على وجوه
أحدها أن يعقد على الاخلاص قلبه ثم يطره الرياء ودواعيه مثل أن يفتح الصلاة بالاقبال فيدخل عليه داخل أو ينظر إليه ناظر فيقول له الشيطان : رد صلاتك حسنا حتى ينظر إليك هذا الناظر بعين الوقار فتخشع جوارحه ويحسن صلاته وذلك مثل ما روي أن رجلاً لا يقدر على الاخلاص في العمل فاحتال وقال :
إن في ناحية البلد مسجداً مهجوراً لا يدخله أحد فأمضي إليه ليلاً وأعبده الله فيه ، فمضى إليه في ليلة ظلماء وكان ذات رعد وبرق ومطر فشرع في العبادة فيبينما هو في الصلاة إذ دخل عليه داخل فأحس به فدخله السرور برؤية ذلك الداخل له وهو مشغول بالعبادة في الليلة المظلمة ، فأخذ في الجهد والاجتهاد في عبادته إلى أن جاء النهار فنظر إلى ذلك الداخل فإذا هو كلب أسود قد دخل المسجد ممساً أصابه من المطر فندم الرجل على ما فعل وقال : يا نفس إنني فررت من أن أشرك بعبادة ربي أحداً فوعدت أن أشركت في عبادته كلباً وأسفاً وأوبلاً على هذا

الثَّانِي أن يأتيه الشَّيْطَان من معرض الخَيْر ويقول له : اعمل هذا العمل ليقتدي بك النَّاس فيحصل لك أجر من عمل به ، وهذه المكيِّدة أعظم من الأولى و ينخدع بها من لا ينخدع بتلك وهو عين الرِّيا لأنَّه إذا رأى هذه الحالة خيراً لا يرتضي بغيره تركها فلم تركه وهو في الخلوة وليس أحدٌ أغرَّ على الإنسان من نفسه

الثَّالِث أن يتنبه العاقل لهاتين ويستحيي من المخالفة بين صلاته في الخلاء والملاء فيحسن صلاته في الخلوة لي مطابق الجلوة ، وهذا أيضاً من الرِّيا لأنَّه حسن صلاته في الخلوة ليحسن في الملاء فكان نظره في عمله إلى النَّاس

الرَّابِع أن ينظر إليه النَّاس و هو في صلاته فيعجز الشَّيْطَان عن إيقاعه في الرِّيا بأن يقول له : اخشع لأجلهم ولكن يقول له : تفكَّر في عظمة الله وجبروته ومن أنت واقف بين يديه وأستحي أن ينظر الله إلى قلبك وأنت غافل عنه فيحضر بذلك وتجتمع جوارحه ويطنُّ أن ذلك عين الاخلاص و هو عين الرِّيا فإنَّ خشوعه لو كان لنظره إلى عظمة الله لم لم يكن حالته في الخلوة هكذا ؟

الخامس أن يكمل العبادة على الاخلاص لكن عرض له بعد الفراغ حب اظهارها لتحصيل بعض الأغراض ، و ذلك بأن يخدعه الشَّيْطَان ويقول له : إنك قد أكملت العبادة الخالصة و قد كنت في ديوان المخلصين و لا يقدر فيها ما يتجدد وإنما ينضمُّ إلى ما حصله بها من الخير الآجل خير عاجل فيحدث به و يظهره ، وهو أيضاً مبطل للعمل ومفسد له وإن سبق

قال الصادق عليه السلام من عمل حسنة سرّاً كتبت له سرّاً فإذا أقرَّ بها محبت و كتبت جهرّاً ، فإذا أقرَّ بها ثانياً محبت و كتبت رياء و فضل عمل السرِّ على عمل الجهر سبعون ضعفاً ، نعم لو تعلق بأذا عته غرض صحيح كما لو أراد ترغيب الغير فيه إذا لم يمكن الترغيب بدونه لم يكن به بأس

السادس أن يترك العمل خوفاً من الرِّيا ، وهذا أيضاً من خدابع إبليس اللعين لأنَّ غرضه الأقصى ترك العمل فإذا لم تجب إليه و اشتغلت به قيدوك إلى

الربِّ يا وغيره فاذا تركته فقد حصلت غرضه

قال ابن فهد في عدة الداعي ومثال ذلك من سلم إليه مولاة حنطة فيها قليل من المباين إما شعيراً ومدر ، وقال : خلصها من التراب مثلاً ونقها منه تنقية جيدة بالغة ، فترك أصل العمل و يقول : أخاف إن اشتغلت به ألا يخلص خلاصاً صافياً ويترك العمل من أصله

السابع أن يترك العمل لا لذلك بل خوفاً على الناس أن يقولوا إنه مراعي فيعصون الله تعالى به ، وهذا أيضاً كسابقه ربه خفي لأن ترك العمل خوفاً من أن يقال له : إنه مراعي عين الربِّ ، ولولا حبه لمحمدتهم وخوفه من مذمتهم فماله ولقولهم إنه مرأه أوقالوا إنه مخلص وأي فرق بين ترك العمل خوفاً من قولهم : إنه مرأه وبين أن يحسن العمل خوفاً من قولهم : إنه مقصر غافل مع ما في ذلك من سوء الظن بالمسلمين ، ومن إطاعة الشيطان في ترك العمل

الثامن أن يكون ترك العمل إشفاقاً على المسلمين بأن يقول له إبليس اللعين : اترك العمل إشفاقاً على المؤمنين من وقوعهم في الاثم بظن السوء وترك العمل إشفاقاً عليهم يقوم مقام العمل و يحصل لك بذلك الثواب لأن نظر المصلحة للمسلمين حسنة فيعادل الثواب الحاصل من العمل بل هو أفضل لأنه متعد إلى الغير ؛ وهذا الخيال من غوايل النفس الأمارة المائلة إلى الكسالة والبطالة ومكيدة عظيمة من الشيطان الخبيث لما لم يجد إليك مسلكاً فصنك من هذا الطريق وزين لك هذا التسميق

قال ابن فهد ووجه فساد يظهر من وجوه:

الأول أنه عجل لك الوقوع في الاثم المتيقن فانك ظننت أن يظنوا بك انك مرأه ، وهذا ظن سوء وعلى تقدير وقوعه منهم يلحقهم به إثم وظنك هذا بهم أيضاً ظن سوء يلحقك به الاثم إذا لم يكن مطابقاً لما ظننت بهم وتركت العمل من أجله فعدلت من ظن موهوم إلى إثم معلوم ، و حذراً من لزوم اثم لغيرك فأوقيت فيه نفسك .

الثاني أنك إذن وافقت إرادة الشيطان بترك العمل الذي هو مراده ، وترك العمل و البطالة موجب لاجتراء الشيطان عليك و تمكّنه منك ، لأن ذكره تعالى و التولى في خدمته يقربك منه و بقدر ما تقرب منه تبعد من الشيطان و ان فيه موافقة للنفس الأمارة بميلها إلى الكسالة و البطالة و هما ينبوع آفات كثيرة إن كان لك بصيرة

الثالث مما يدلك أن هذا من غوائل النفس و ميلها إلى البطالة أنك لما نظرت إلى فوات الثواب الحاصل لك من البطالة و إلى فوات وقوعهم في الاثم آثرتهم على نفسك بتخفيف ما يلزمهم من الاثم بسوء الظن و حرمت نفسك الثواب ، و تفكر في نفسك و تمثل في قلبك بعين الانصاف لو حصل بينك و بينهم في شيء من حظوظ العاجلة منازعة إما في دار أو مال أو ظهر لك نوع معيشة تظن فيها فائدة و حصول أنك تؤثرهم على نفسك و تتركه لهم ؟ كلاً والله بل كنت تناقشهم مناقشة المشاقيق و تستأثر عليهم فيما يظهر لك من أنواع المعيشة إن أمكنك فرصة الاستيثار و تقلى الحبيب و تقضي القريب

التاسع أن يقول لك اللعين إذا كنت لا تترك العمل لذلك فإخاف العمل فإن الله سيظهره عليك فاما إذا أظهرته فيمكن أن تقع في الرّيا ، و هذا التّلييس عين الرّيا لأن إخفاك له كي يظهر بين الناس هو بعينه العمل لأجل الناس ، و ما عليك إذا كان مرضياً عند الله تعالى أن يظهر للناس أويخفى

الرابع

في علاج الرّيا وهو على ما ذكره الغزالي في إحياء العلوم أن الانسان يقصد الشيء و يرغب فيه لظنه أنه خير له و نافع و لذيد إما في الحال و إما في المآل فان علم أنه لذيد في الحال و لكنّه ضارّ في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أنّ العسل لذيد و لكن إذا بان له أن فيه سمّاً أعرض عنه ، فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من المضرّة

و مهما عرف العبد مضرة الربا وما يفوته من صلاح قلبه و ما يحرم عنه في الحال من التوفيق و في الآخرة من المنزلة عند الله و ما يتعرض له من العقاب العظيم و المقت الشديد و الخزي الظاهر حيث ينادى على رؤوس الخاليق يا فاجر يا غادر يا مرائي أما استحييت ؟ إذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا ، وراقبت قلوب العباد و استهزمت بطاعة الله و تحببت إلى العباد بالتبغض إلى الله ، و تزينت لهم بالشين عند الله ، و تقربت إليهم بالبعد من الله ، و تحمدت إليهم بالتذم عند الله ، و طلبت رضاهم بالتعرض. لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله؟

فهما تفكر العبد في هذا الخزي و قابل ما يحصل له من العباد و التزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة و بما يحبط عليه من ثواب الأعمال مع أن العمل الواحد به ربما كان يترجح ميزان حسناته لو خلس فاذا فسد بالربا خول إلى كفة السيئات فترجح به و يهوى إلى النار ؛ فلولم يكن في الربا إلا إحباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره و إن كان مع ذلك سائر حسناته راجحة ، فقد كان ينال بهذه الحسنات علو الرتبة عند الله في زمرة النسيين و الصديقين ، و قد حط عنهم بسبب الربا و رد إلى صف النعال من مراتب الأولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق ،

فإن رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ، و رضا بعضهم في سخط بعضهم ، و من طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليهم و أسخطهم أيضاً عليه ثم أي عرض له في مدحهم و ايثار ذم الله لأجل حمدهم ، ولا يزيدهم حمدهم رزقا ولا أجلا ، ولا ينفعه يوم فقره و فاقته و هو يوم القيامة

و أما الطمع فيما في أيديهم فبأن يعلم أن الله هو المسخر للقلوب بالمنع و الاعطاء و الارزاق إلا الله و من طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة ، و إن وصل إلى المراد لم يخل عن المنة و المهانة فكيف يترك ما عند الله برجا ، كاذب و وهم فاسد ؟ و قد يصيب و قد يخطي و إذا أصاب فلا تنفي لذته بألم منته و مذلته .

وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئاً فإذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها فترت رغبته وأقبل على الله قلبه ، فإن العاقل لا يرغب فيما يكبر ضرره ويقل نفعه ، ويكفيه أن الناس لو علموا ما في بطنه من قصد الرياء وإظهار الاخلاص لمقتوه ، وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه إلى الناس ويعرفهم أنه مرء وممقوت عند الله ولو اخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه وحببه إليهم و سخرهم له واطلق السننهم بالمدح والثناء عليه .

أقول وهو كما روي أن رجلاً من بني إسرائيل قال: لا عبدن الله تعالى عبادة اذكر بها فمكث مدة مبالغاً في الطاعات وجعل لا يمر بملاء من الناس إلا قالوا متصنع مرء ، فأقبل على نفسه وقد قال : اتعبت نفسك وضيعت عمرك في لا شيء ، فينبغي أن تعمل لله سبحانه غير نيته وأخلص عمله لله تعالى ، فجعل لا يمر بملاء من الناس إلا قالوا ورع تقي هذا

مع أن مدح الناس لا ينفعه وهو عند الله مذموم ومن أهل النار ، وذم الناس لا يضره وهو عند الله محمود ومن أهل الجنة فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحق ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنقصات وكيف يرضى العاقل أن يجعل ثمن عمله مدح الناس له وما في أيديهم من حطام الدنيا وزخارفها مع أنها على تقدير النيل إليها ثمن بخس ورضا الله سبحانه هو الجزاء الأوفى

فلو قيل لك : إن ههنا رجلاً معه جوهر نفيس يساوي مائة ألف دينار وهو محتاج إلى ثمنه بل إلى بيعه عاجلاً وإلى أضعافه ثمناً فحضر من يشتري منه متاعه بأضعاف ثمنه مع حاجته إلى الأضعاف فأبى ببيعته بذلك و باعه بفلس واحد ألت تحكم بسفاهة ذلك البائع ونقصان عقله ؟

فحال المرءي بعينه مثل حال هذا البائع ، فإن ما يناله العبد بعمله من حطام الدنيا ومدح الناس له بالإضافة إلى ثواب الآخرة ومرضات الله سبحانه أقل من فلس في جنب ألف دينار بل أقل من نسبته إلى الدنيا وما فيها ؛ هذا كالهو الداء العلمي

و أما الدواء العملي فهو أن يعوّد نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب
 دونها كما يفلق الأبواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله وإطلاعه على عبادته
 ولا تنازعه النفس إلى طلب علم غيره سبحانه
 و لذلك كان عيسى يقول للحواريين إذا صام أحدكم فليدهن رأسه و لحيته
 و يمسح شفتيه بالزيت لئلا يرى الناس أنه صائم ، وإذا أعطى يمينه فليخف عن شماله
 و إذا صلى فليرخ ستر بابه فإن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق .
 وقال رسول الله ﷺ إن في ظل العرش ثلاثة يظلمهم الله بظلمته يوم لا ظل
 إلا ظلمته : رجلان تحاببا في الله و افترقا عليه ، ورجل تصدق بيمينه صدقة فأخفاها
 عن شماله ، ورجل دعت امرأته ذات جمال فقال : إنني أخاف الله رب العالمين
 فلا دواء للربايا مثل الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة وإذا صبر عليه مدة
 بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل الطاف الله و ما يمد به عباده من
 حسن التوفيق والتأييد والتسديد ، ولكن الله لا يغيرها بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم
 فمن العبد المجاهدة ، و من الله الهداية و من العبد قرع الباب و من الله فتح الباب ،
 والله لا يضيع أجر المحسنين ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما

تكملة

هذا الفصل من الخطبة الشريفة رواه ثقة الاسلام الكايني في الكافي عن عدة
 من أصحابنا عن سهل بن زياد عن عبدالرحمان بن أبي نجران عن عاصم بن حميد عن
 أبي حمزة عن حمى بن عقيل عن حسن رضي الله عنه قال : خطب أمير المؤمنين صلوات الله عليه
 فحمد الله و أنتى عليه و قال :

أما بعد فإنه إنما هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصي ولم ينههم
 الربانيون والأخبار عن ذلك ، وإنهم لما تماردوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون
 والأخبار عن ذلك نزلت لهم العقوبات ، فأمروا بالمعروف ، و انهوا عن المنكر ،
 و اعلموا أن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لم يقربا أجلا و لن يقطعوا رزقا ،

إِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطْرِ الْمَطَرِ ، إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَدَّرَ اللَّهُ مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ ، فَإِنَّ أَصَابَ أَحَدِكُمْ مَصِيبَةٌ فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ وَرَأَى عِنْدَ أَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا يَكُونَنَّ لَهُمْ فِتْنَةٌ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ لِبَرِيٍّ مِنْ الْخِيَانَةِ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيُخْشَعُ لَهَا إِذَا ذَكَرَتْ وَ يَغْرَى بِهَا لِثَمِّ النَّاسِ كَمَا كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قَدَاحِهِ ، تَوْجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ وَ يَرْفَعُ عَنْهُ بِهَا الْمَغْرَمَ ، وَ كَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحَسَنَيْنِ إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ ، وَإِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلِ وَ مَالٍ وَ مَعَهُ دِينُهُ وَ حَسْبُهُ إِنَّ الْمَالَ وَ الْبَنِينَ حَرِثَ الدُّنْيَا ، وَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرِثَ الْآخِرَةِ ، وَ قَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ لِأَقْوَامٍ فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ ، فَاخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ ، وَاعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَ سَمِعَةٍ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ عَمِلَ لَهُ ، نَسَأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشَّهَدَاءِ ، وَ مَعَايِشَةَ السَّعْدَاءِ ، وَ مِرَاقَةَ الْأَنْبِيَاءِ

الترجمة

از جمله خطب آن امام عالمیانت در تأدیب فقراء با عدم حسد باغنیاء و تأدیب اغنیاء با تزهید از جمع مال دنیا و در اخلاص اعمال و افعال از سمعه و ریا هیفرماید اما بعد از حمد الهی و درود حضرت رسالت پناهی پس بدرستی که امر الهی نازل میشود از آسمان بر زمین ، و خارج می شود از قوه بعمل ، و موجود میشود در مواد سفلیه بعد از وجود در صحایف علویه مانند قطره های باران بسوی هر نفسی بمقدار آنچه قسمت شده بر او از زیاده و نقصان ، پس هر گاه ببیند یکی از شما مر برادر خود را زیادتى در اهل یا مال یا نفس یا سایر آنها پس باید که نباشد مر او را فتنه و فساد چون وقوع در حسد و عناد پس بدرستی مرد مسلمان مادام که نیاید بر سر دنائت و ناکسى کد ظاهر شود آن دنائت از او در میان مردمان پس چشم بر هم نهد از خجالت برای ظهور آن دنائت در وقت مذاکره مردم آن دنائت را ، و حریص کرده شوند مردمان دنی در فعل مثل آن میشود آن مرد مسلم مثل فیروزی یابنده قمار بازنده که انتظار کشد اول بردن را از تیرها و چوبهای آن که آن بردن واجب میگرداند از برای آن غنیمت را برداشته میشود از او بجهت آن بردن غرامت و مثل همین قمار باز است مرد مسلمان که بریست از خیانت انتظار می کشد

از جانب خداوند یکی از این دو حالت را یا خواننده خدا بسوی او پس آنچه که نزد خداوند از اصناف کرامت و انواع رحمت است بهتر است هر او را ، و یا روزی خدا پس ناگاه میشود او صاحب اهل و مال درحالتی که با اوست دین و حسب و علم و ادب او بدرستی مال و اولاد کشت این سرای فانیند ، و عمل صالح کشت دار باقی است . و گاهی جمع میفرماید خداوند هر دو این کشت را از برای گروهی که متصف بشوند بصفه توکل ، پس بترسید از خداوند بآنچه که ترساننده شمارا با او از خودش ، و بترسید از او ترسیدنی که نباشد در او عنذخواهی و دروغ ، و عمل نمائید عمل خالصی که خالیست از ریا و سمعه ، پس بدرستی هر که عمل نماید از برای غیر خدا و اگذار میکند خداوند تعالی او را بر آنکس که عمل کرده از برای او ، میخواستیم از خدای تعالی منزلهای شهیدان ، و زندگانی سعیدان ، و رفاقتی بیغمبران و همراهی ایشان را .

الفصل الثاني

وهو مروی فی الکافی باختلاف کثیر وزیاده و نقصان حسبما تطلع علیه :

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَفْنِي الرَّجُلُ وَإِنْ كَانَتْ ذَامَالٍ عَنْ عَشِيرَتِهِ ،
وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ ، وَهُمُ أَعْظَمُ النَّاسِ حِطَّةً مِنْ وَرَائِهِ ،
وَأَلْمُهُمْ لِسَعْتِهِ وَأَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَزَلِهِ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ ، وَلسَانُ الصِّدْقِ
يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرَ لَهُ مِنَ أَلْبَالِ يُورِثُهُ غَيْرَهُ .

منها

أَلَا لَا يَعْدِلُنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقِرَائَةِ ، يَرَى بِهَا الْخِصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا
بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِذْ أَمْسَكَهُ ، وَلَا يَنْقُصُهُ إِذْ أَهْلَكَهُ ، وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ
عَشِيرَتِهِ فَإِنَّا نَقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ وَتُقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدِي كَثِيرَةٌ ،
وَمِنْ تَلْنِ حَاشِيَتِهِ يَسْتَدِيمُ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ .

اللغة

(الحبيطة) بكسر الحاء ومكون الياء الحفظ يقال حاطه حوطا وحيطه وحياطة حفظه و صانه و (لم) الله شعثه قارب بين شتيت اموره وجمعها و (الخصاصة) الفقر قال سبحانه : « يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » و (حاشية) الرجل نفسه وجانبه ، وحاشيته أيضاً أتباعه وخواصه وأهله

الاعراب

جملة يرى في محلّ النصب على الحالية ، وأن يسدّها في موضع الجرّ بدلا من القرابة ، وحاشيته بالرفع فاعل تلن ، وفي رواية الكافي الآتية يلن بالياء التحتانية فحاشيته بالرفع أو بالنصب مفعول له بواسطة الحرف أى يلن لحاشيته

المعنى

اعلم أنه لما أدب الفقراء بترك الحسد على الأغنياء بامرّ تفصيلا في الفصل السابق أردف ذلك بتأديب الأغنياء بعدم الزهد عن الأرحام الفقراء والبعد عنهم وعن سدّ خلقتهم وجبر فاقتهم فقال : (أيها الناس إنّه لا يستغنى الرجل وإن كان ذامال) وصاحب ثروة (عن عشيرته) وقبيلته (و) عن (دفاعهم عنه بأيديهم) صولة قبائل (و) ذبّهم عنه (بالسنتهم) مسبّة قائل .

وذلك لأنّ المال والثروة لا يغني عن الاخوان والعشيرة بل أشدّ الناس حاجة إلى الأعوان والأتباع هم أكثر الناس ثروة وغفيرة ، ألا ترى الملوك والمتشبهين بهم من أرباب الأموال كم حاجتهم إلى الأصحاب والأعوان في الأعمال والأفعال وأحقّ الناس بعدم الاستغناء عنه هم عشيرة الرجل وأقرباه (وهم أعظم الناس حبيطة من ورائه) وحفظ الجانيه (وألمّم لشعثه) وأجمعهم لمتفرّق أموره (وأعظفهم عليه عند نازلة) أو مصيبة (إذا نزلت به) و ذلك لجهة القرب الباعثة لدواعي الشفقة عليه (ولسان الصدق) والذكر الجميل المترتب على البذل والانفاق (يجعله الله للمره في الناس) و بينهم (خيرله من) جمع (المال) وامساكه حتى (يورثه غيره) ولنعم ما قال حاتم في هذا المعنى مخاطبا لامراته مارية :

أماري ان يصبح صداى لقفرة
 ترى أن ما انقت لم يك ضربى
 أمارى ما يغني الثراء عن الفتى
 أمارى إن المال غاد و رايح
 وقد علم الأقوم لو أن حاتما
 من الأرض لاءى لاى ولا خمر
 و أن يدي ممّا بخلت به صفر
 إذا حشرجت يوماً وضاق به الصدر
 ويبقى من المال الأحاديث والذكر
 أراد ثراه المال كان له وفر
 (ألا لا يعدلن أحدكم عن) الأرحام و (القرابة يرى بها) الفاقة و (الخصاصة
 أن يسدها ب) فضل ماله (الذي لا يزيد إن أمسكه و لا ينقصه إن اهلكه) أى لا
 ينفع ذلك الشخص إمساكه ولا يضره الفاقة لكونه زايداً على قدر الحاجة وفاضلاً
 على معيشته (و من يقبض يده عن عشيرته فانما تقبض منه عنهم يد واحدة و تقبض
 منهم عنه أيدي كثيرة)

قال السيد : ما أحسن هذا المعنى فإن الممسك خيره عن عشيرته إنما يمسك
 نفع يد واحدة فإذا احتاج إلى نصرتهم واضطر إلى مرافدتهم (١) قعدوا عن نصره
 وتناقلوا عن صوته فممنع ترافد الأيدي الكثيرة وتناهض الأقدام الجمّة
 (ومن تلن حاشيته) ويحسن خلقه ويتواضع للناس (يستمد من قومه المودة)
 لأن لين الجانب و حسن الخلق و التواضع جالب للالفة و كاسب للمودة كما أن
 التكبر والجفاوة وخشونة الطبيعة باعثة على الانقطاع والعداوة قال سبحانه :

« وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ

وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ » .

هذا كله إن حملنا لفظ الحاشية على النفس والجانب ، وإن حملناه على الأتباع
 والخواص فيكون المقصود به التآديب لهم باصلاح حال الأتباع

بيان ذلك أن الأتباع هم الذين عليهم يدور تدبير صلاح حال الرجل فبحسب
 شدتهم وغلظتهم ولينهم وتواضعهم يكون الناس أقرب إليه و أبعد منه وبذلك يتفاوت

بفضهم ومحبتهم له وانسهم ونفارهم عنه ، فيلزم على الرجل إصلاحهم كما يلزم عليه إصلاح نفسه و يلحقه اللوم و الذم بترك الأول كما يلحقانه بترك الثاني ، إذ بتواضعهم و لينية جانبهم يستدام المحبة ويستجلب المودة كما أن تواضعه بنفسه يستديمها ويستجلبها ولنعم ما قيل :

و إذا ما اختبرت ود صديق
فاختبر ودّه من الغلمان

تبصرة

اعلم أن هذا الفصل من الخطبة قد رواه الكليني في الكافي بزيادة و نقصان و تقديم و تأخير لا بأس بالإشارة إليه ، والسند فيه محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن عثمان بن عيسى عن يحيى عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين :
 لن يرغب المرء عن عشيرته و إن كان ذا مال و ولد ، و عن مودتهم و كرامتهم و دفاعهم بأيديهم و ألسنتهم ، هم أشد الناس حيلة من ورائه و أعظمهم عليه و ألمهم لشعته ، إن أصابته مصيبة و انزل به بعض مكاره الأمور ، و من يقبض يده عن عشيرته فأنما يقبض عنهم يداً واحدة و يقبض عنه منهم أيدي كثيرة ، و من يلن حاشيته يعرف صديقه منه المودة و من بسط يده بالمعروف إذا وجده يخلف الله له ما أنفق في دنياه و يضاعف له في آخرته ، و لسان الصدق للمر يعجاءه الله في الناس خير من المال بأكله و يورثه ، لا يزدان أحدكم كبراً و عظماً في نفسه و نأياً عن عشيرته إن كان موثراً في المال ، و لا يزدان أحدكم في أخيه زهداً و لا منه بعداً أذالم يرمنه مروّة و كان معوزاً في المال ، لا يففل أحدكم عن القرابة بها الخاصة أن يسدّها بما لا ينفعه إن أمسكه ، و لا يضرّه إن استهلكه

تكملة

قد عرفت جملة من ثمرات صلة الأرحام و مفاصد قطيعتها في هذه الخطبة مثل كونهم معاونين للرجل و حاميين له و الذائين عنه و كون البرّ عليهم موجبا للذكر الخير و الشناء الجميل و كون الممسك عنهم بمنزلة الطالب لمنفعة يد واحدة المفوت على نفسه منافع أيدي كثيرة ، و قد اشير إلى طائفة مما يترتب عليهما من الآثار

والشمرات وراه مأمراً في سائر الروايات ، ولا بأس بالإشارة إلى بعضها مما رواها ثقة الاسلام الكليني في الكافي .

فباسناده عن إسحاق بن عمار قال : بلغني عن أبي عبد الله عليه السلام أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله أهل بيتي أبوا إلا توتباً عليّ وقطيعة لي و شتيمة فأرفضهم؟ قال صلى الله عليه وآله : إذن يرفضكم الله جميعاً ، قال : فكيف أصنع؟ قال : تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، فإنك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عليهم ظهير .
و عن محمد بن عبدالله قال : قال أبو الحسن الرضا عليه السلام : يكون الرجل يصل رحمه فيكون قد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيرها الله ثلاثين سنة ويفعل الله ما يشاء وعن أبي حمزة قال : قال أبو جعفر عليه السلام صلة الأرحام تزكي الأعمال ، وتتمي الأموال ، وترفع البلوى ، وتيسر الحساب ، وتنسى في الأجل .

وعن أبي حمزة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : صلة الأرحام تحسن الخلق ، وتسمح الكف ، وتطيب النفس ، وتزيد في الرزق ، وتنسى في الأجل
وعن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أبوذر رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : حافتا الصراط يوم القيامة الرحم والأمانة ، فإذا مر الوصول للرحم المؤدي للأمانة نفذ إلى الجنة ، وإذا مر الغائب للأمانة القطوع للرحم لم ينفعه معها عمل ، وتكفأ به الصراط في النار .

وعن الحكم الحنط قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : صلة الرحم وحسن الجوار يعمران الديار ، ويزيدان في الأعمار

وعن إسحاق بن عمار قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إن صلة الرحم والبر ليهوئان الحساب ، ويعصمان من الذنوب فصولوا أرحامكم ، وبرؤوا باخوانكم ولو بحسن السلام ورد الجواب

وعن عبد الصمد بن بشير قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : صلة الرحم (١) يهون الحساب يوم القيامة وهي منسأة في العمر ، وتقى مسارع السوء ، وصدقة الليل تطفى غضب الرب

١- في الواقي عن الكافي الحديث هكذا : صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة ، وهي منسأة في العمر ، وتقى مسارع السوء الخ « المصحح »

وعن إسحاق بن عمار قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ما نعلم شيئاً يزيد في العمر إلا صلة الرحم حتى أن الرجل يكون أجله ثلاث سنين فيكون وصولاً للرحم ، فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة ، ويكون أجله ثلاث «ثلاثاظ» وثلاثين سنة فيكون قاطعاً للرحم فيقصه «فينقصه» الله ثلاثين سنة ويجعل أجله إلى ثلاث سنين ، والروايات في هذا الباب كثيرة ، وفيما رويناها كفاية إن شاء الله

الترجمة

ای گروه مردمان بدرستی که مستغنی نمیشود مرد و اگر چه بوده باشد صاحب جاه و مال از قبیلۀ خود و از رفیع کردن ایشان مکروه را از او بدستهای خود و زبانهای خود و ایشان بزرگترین مردمانند از حیثیت حفظ و حمایت از پس او ، و جمع کننده ترین مردمانند مرکارهای پریشان او را ، و مهربان ترین خلقند براو هنگام فرود آمدن بلا اگر فرود آید باو ، و زبان صدق و ذکر خیر که میگرداند خدای تعالی از برای مرد در میان مردمان بهتر است از برای او از مالی که او بگذارد آن را بغیر خود آگاه باشید باید میل نکنند و عدول ننمایند یکی از شما از خویش و قوم درحالتی که بیند در او فقر و پریشانی از آنکه سد کند فقر آن را بمال زاید خود که افزون نمی گرداند او را اگر امساک کند و نگه دارد آنرا ، و کم نمی سازد اگر بذل نماید و انفاق کند آن را ، و هر که قبض و نگه دارد دست خود را از قبیلۀ خود پس بدرستی که نگه داشته می شود از جانب او از خویشان یکدست و فراهم گرفته میشود از جانب ایشان از ادرستهای بسیار ، و هر که نرم باشد جانب او و خوش نفس باشد طلب دوام می کند از قوم خود محبت را

و من خطبة له عليه السلام و هي الرابعة و العشرون من المختار في باب الخطب

وَلَمَّعْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالٍ مَن خَالَفَ الْحَقَّ وَ خَابَطَ النَّعْيَ مِنْ إِذْهَانٍ

وَلَا إِهْيَانٍ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَفِرُّوا مِنَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ ، وَامْضُوا فِي
الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ ، وَقَوْمُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ ، فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفُلُجِكُمْ أَجَلًا إِنْ لَمْ
تُمْنَحُوهُ عَاجِلًا .

اللغة

(خابط الفئ) بصيغة المفاعلة خبط كل منهما في الآخر ، و الفئ الضلالة
(الادهان) والمداهنة المصانعة والمنافقة قال سبحانه : « ودُّوا لودهن فيدهنون »
(الايهان) مصدر أوهنه أى أضعفه و (نهج) الأمر أوضعه وجعله نهجا أى طريقا
بيننا و (عصبه بكم) أى ربطه و ناطه كالعصابة التي يشد بها الرأس و (الفلج)
بالضم الفوز ومنه الفالج الذي قد مر في الخطبة السابقة و (منحه) كضربه ومنعه
أعطاه والاسم المنحة وهي العطية

الاعراب

العمر بفتح العين و ضمها البقاء و لا تستعمل في القسم إلا بالفتح قال بعض
المحققين : قول الشخص لعمرى مبتدأ محذوف الخبر وجوبا والتقدير قسمي أوبميني
وهوداير بين فصحاء العرب ، قال تعالى : « لعمرى إنهم لفى سكرتهم يعمهون »
لا يقال : إن الحلف بغير الله تعالى منهي عنه .

لأننا نقول : ليس المراد به القسم الحقيقي بجعل غيره تعالى مثله في التعظيم
بل المراد صورته لترويح المقصود أو الكلام على حذف المضاف أى فبواهب
عمرى وعمرى .

المعنى

اعلم أن مقصوده ~~هو~~ بهذا الكلام الرد على قول من قال إن متابعتها
لمحاربيته و مصانعتهم كان أولى من محاربتهم ، فنبه على فساد ذلك القول و بطلان
هذا الزعم وقال : (لعمرى ما على من قتال من خالف الحق) و (جهاد من) خابط

الغنى من (مساهلة و ادهان ولا ضعف و ايهان) إذ مقاتله أهل التمرّد والضلالة واجبة والمداهنة فيها معصية

و لذلك إن الله سبحانه أوحى إلى شعيب النبيّ إنني معذب من قومك مائة ألف أربعين ألفاً من شرارهم و ستين ألفاً من خيارهم ، فقال : يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأختيار؟ فأوحى الله إليه داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا بغضبي (فاتقوا الله عباد الله) بالهذر عن معاصي الله (وفرّوا من) غضب (الله إلى) رحمة (الله و امضوا في) الطريق (الذي نهجه لكم) و شرعه في حقكم و هو جادة الشريعة التي يجب سلوكها لكل أحد (وقوموا بما عصبه بكم) و ربطه عليكم و هو الأوامر الشرعية و التكاليف الالهية و إذا قمتم بواجب ما امرت من هذه الأوامر (فعليّ) بن أيبطال (ضامن لفلجكم آجلاً) في دار القرار بجنّات تجري من تحتها الأنهار (إن لم تمنحوه عاجلاً) في دار الدنيا لعدم تمام استعدادكم له ، و قد يتمّ الفوز بالسعادتين العاجلية و الآجلة لمن و فت قوته بالقيام بهما و كمل استحقاقه لذلك في علم الله سبحانه و لمّا كان حصول السعادة و الفوز للدرجات العالية من لوازم التقوى ظاهر اللزوم في علمه ﷻ لاجرم كان ضامناً له و زعيماً به

اشراق

في بيان معنى التقوى لغة و شرعاً و ما يترتب عليه من الثمرات الدنيوية و الأخروية .

فنعول : التقوى في اللغة الانتقاء و هو اتخاذ الوقاية، و في العرف هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته .

و قيل هي بحسب العرف الشرعي تعود إلى خشية الحق سبحانه المستلزمة للاعراض عن كلّ ما يوجب الالتفات عنه من متاع الدنيا و زينتها و تنجية مادون و جهة القصد .

و قال الصادق عليه السلام في تفسيرها : أن لا يفقدك حيث أمرك ، و لا يراك حيث نهاك .

و قال بعض العارفين : إن خيرات الدنيا والآخرة جمعت تحت لفظة واحدة وهي التقوى انظر إلى ما في القرآن الكريم من ذكرها ، فكم عُن عليها من خير و وعد لها من نواب وأضاف إليها من سعادة دنيرية وكرامة اخروية .
وفي عدة الداعي هي العدة الكافية في قطع الطريق إلى الجنة بل هي الجنة الواقية من متالف الدنيا والآخرة ، وهي الممدوحة بكل لسان و المشرفة لكل إنسان ، وقد شعن بمدحها القرآن وكفاها شرفا قوله تعالى : « ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله » ولو كان في العالم خصلة هي أصلح للعبد وأجمع للخير و أعظم بالقدر و أولى بالايصال و انجح للامال من هذه الخصلة التي هي التقوى ؛ لكان الله أوصى بها عباده لِمكان حكمته و رحمته ، فلما أوصى بهذه الخصلة الواحدة . جمع الأولين و الآخرين و اقتصر عليها علم أنها الغاية التي لا يتجاوز عنها ولا مقتصر دونها و القرآن مشحون بمدحها و عدد في مدحها خصالا :
الأول المدحة و الثناء « وإن تصبروا و تتقوا فإن ذلك من عزم الامور » .
الثاني الحفظ و التحصين من الأعداء « و إن تصبروا و تتقوا لا يضركم كيدهم شيئا » .

الثالث التأييد و النصرة « إن الله مع المتقين »

الرابع إصلاح العمل « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و قولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم »

الخامس غفران الذنوب « و يغفر لكم ذنوبكم »

السادس محبة الله « إن الله يحب المتقين »

السابع قبول الأعمال « إنما يتقبل الله من المتقين »

الثامن الاكرام « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »

التاسع البشارة عند الموت « الذين آمنوا و كانوا يتقون لهم البشري في الحياة

الدنيا وفي الآخرة »

العاشر النجاة عن النار « ثم ننجي الذين اتقوا »

الحادي عشر الخلود في الجنة « أعدت للمتقين »

الثاني عشر تيسير الحساب « وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء »
 الثالث عشر النجاة من الشدايد و الرزق الحلال « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب و من يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً » فانظر ما جمعت هذه الخصلة الشريفة من السعادات فلا تنس نصيبك منها .

الترجمة

از جمله خطب شریفه آن حضرت است در اظهار ثبات قدم خود در محاربه جماعات طاغیه و ردّ قول کسی که قایل بمداهنه اوست در محاربه و ترهیب مردمان از تمرّد و عصیان و ترغیب ایشان بطاعت خداوند عالمیان می فرماید: قسم بزندگانی خود که نیست بر من اذمقاتله مخالفین حق و شریعت و سالکین طریق ضلالت هیچ مدارا کردن و سستی نمودن ، پس بترسید از خدا ای بندگان خدا و بگریزید بسوی رحمت خدا از غضب خدا و بروید در آن راهی که روشن ساخته است آنرا از برای شما ، و قیام نمائید بآنچه باز بسته است آنرا بشما ، و هرگاه اینطور حرکت نمائید پس علی بن ایطالب ضامن است بر رستگاری شما در آخرت اگر داده نشوید فیروزی و بمراد خود نرسید در دنیا

و من خطبة له عليه السلام وهي الخامسة والعشرون من

المختار في باب الخطب

وهي من أواخر خطبة خطب بها بعد فراغه من صفين و انقضاء أمر الحكيمين والنوارج ، وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد و قدم عليه عامله على اليمن وهما عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران لما غلب عليهما بسر بن أرطاة

فَقَامَ عَلِيٌّ إِلَى الْمَنْبَرِ ضَجْرًا يَشْتَاقُ أَصْحَابَهُ عَنِ الْجِهَادِ وَمُخَالَفَتِهِمْ لَهُ فِي الرَّأْيِ
فَقَالَ عَلِيٌّ :

مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبَضُهَا وَأَبْسَطُهَا إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهْبُ
أَعَاصِرُكَ فَقَبَحَكَ اللَّهُ ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

لَعَمْرُؤِ أَيُّكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِيَّانِي عَلَى وَضْرٍ مِنْ ذَا الْإِنْيَاءِ قَلِيلِ

ثُمَّ قَالَ :

أَنْبِتُ بُسْرًا قَدْ أَطَاعَ عَلَى الْيَمَنِ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ
سَيِّدَ الْوَلَدِ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَيَّ بِاطْلِهِمْ ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَن حَقِّكُمْ ،
وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ ، وَبِأَدَائِهِمْ
الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ ، وَخِيَانَتِكُمْ صَاحِبِكُمْ ، وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ ،
وَفَسَادِكُمْ ، فَلَوْ انْتَمَتُ أَحَدُكُمْ عَلَيَّ قُبِّ لَخَشَيْتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعَاقِبَتِهِ ،
اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَيْتُهُمْ وَمَلُونِي ، وَسَمَيْتُهُمْ وَسَمُونِي فَأَبْدِنِي بِهِمْ خَيْرًا
مِنْهُمْ ، وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي ، اللَّهُمَّ مِتْ قُلُوبُهُمْ كَمَا مَاتَ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ
أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنْ لِي بِكُمْ أَلْفُ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فَرَّاسٍ بِنِ غَضْرٍ :

هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ أَنَاكَ مِنْهُمْ قَوَارِسُ مِنْ أَرَمِيَةِ الْحَمِيمِ

ثم نزل بِالْحَمِيمِ مِنَ الْمَنْبَرِ

قال السيد: الأرمية جمع رمي وهو السحاب، والحميم في هذا الموضع وقت الصيف وإنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولا وأسرع خفوقا، لأنه لا ماء فيه، وذلك لا يكون في الأكثر إلا في الشتاء وأراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دعوا والاعانة إذا استغيثوا

اللغة

(قبض) من باب ضرب و (بسط) من باب نصر و (هبّت) الريح من باب نصرهاجت و (الأعاصير) جمع إعصار وهي الريح المستديرة على نفسها قال تعالى «فأصابها إعصار فيه نار» و (الوضر) بقية الاسم الدسم ظه في الأناه ويستعار لكل بقية من شيء، يقل الانتفاع بها و (اطلع) فلان علينا إذا ظهر و (أدالنا) الله من عدونا أي جعل الدولة والغلبة لنا عليهم و (القعب) قدح من خشب مقعر و (علاقته) ما يتعلق به عليه و (مات) زيد الملح في الماء إذا أذابه، وبنو فراس بن غنم بفتح الغين وسكون النون حتى معروف بالشجاعة من بني كنانة وهم بنو فراس بن غنم بن ثعلبة ابن مالك بن كنانة و (الجفول) في كلام الرضي الإسراع و (الخفوق) الطيران

الاعراب

كلمة مانافية وهي مبتدأ وإلا الكوفة خبر، وأقبضها خبر ثان أو خبر لمبتدأ محذوف أي أنا أقبضها، والمرجع للكلمة هي المملكة نزل حضورها في ذهنه ^{إفلا} منزلة الذكر السابق أي ما مملكتي إلا الكوفة، ويحتمل أن يكون هي ضمير شأن والكوفة مبتدأ وأقبضها خبراً عنه ونظيره في احتمال الضمير للأمرين قوله: «كلاً إنَّها لظي».

وقوله: إن لم تكوني إلا أنت كلمة أنت تأكيد للضمير المستتر وهو اسم تكون والخبر محذوف، وجملة تهب أعاصيرك في موضع الحال، وتقدير الكلام إن لم تكوني إلا أنت عدو لي وجنة اتقى بها العدو وحظاً من الملك والخلافة مع ما عليه حالك من المذام فبحاللك، ويمكن أن يقدم المستثنى منه جالاً أي إن لم

تكوني على حال إلا أن تهبَّ فيك الأعاصير دون أن يكون فيك من يستعان به على العدو فقبَّحك الله ، والخير بالجرُّ صفة لا بيك ، و قليل صفة لوضر ، و الضمير المستتر في قوله : أن يذهب بعلاقته ، راجع إلى الأُحد ، والباء للتعدية أو إلى القعب والباء بمعنى مع والباء في قوله إن لى بكم للعوذ

المعنى

اعلم أنه ينبغي لنا أن نذكر نسب معاوية عليه اللعنة والهاوية في هذا المقام أولاً ، ثم نشير إلى اطلاع بسر على اليمن اجمالاً وما جرى من جوره وظلمه على شيعة أمير المؤمنين في اليمن وغيرها ، ثم نرجع إلى شرح الخطبة فأقول : قال العلامة الحلبي قدس سره في كشف الحق روى أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي في كتاب المثالب كان معاوية لعنارة بن الوليد المغزومي ، و لمسافر ابن أبي عمرو ، ولأبي سفيان ، ولرجل آخر سمّاه ، وكانت هند أمه من المعلمات وكان أحب الرجال إليها السودان ، وكانت إذا ولدت اسود دفتته ، وكانت حمامة إحدى جدات معاوية لها راية في ذي المعجاز

وذكر أبو سعيد إسماعيل بن علي السمعاني الحنفي من علماء العامة في مثالب بني أمية ، و الشيخ أبو الفتح جعفر بن محمد الهمداني من علمائهم في كتاب البهجة المستفيد أن مسافر بن عمرو بن أمية بن عبد شمس كان ذا جمال وسخاه ، فعشق هنداً وجامعها سفاحاً واشتهر ذلك في قريش ، فلما حملت وظهر السفاح هرب مسافراً من أيها إلى الحيرة ، و كان فيها سلطان العرب عمرو بن هند و طلب أبوها عتبة أباسفيان ووعده بمال جزيل و زوجته هنداً فوضعت بعد ثلاثة أشهر معاوية ثم ورد أبوسفيان على عمرو بن هند فسأله مسافر عن حال هند فقال : إنني تزوجتها فمرضت و ماتت .

و في البحار من كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفى عن يوسف بن كليب المسعودي عن الحسن بن حماد الطائي عن عبد الصمد البارقي قال : قدم عقيل على

عليّ عليه السلام وهو جالس في صحن مسجد الكوفة فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال : و عليك السلام يا أبا يزيد ثم التفت إلى الحسن بن عليّ فقال : قم وانزل عمك ، فذهب به وأنزله وعاد إليه فقال عليه السلام له : اشتره قميصاً جديداً ورداء جديداً وازاراً جديداً ونعلاتاً جديداً ففدا على عليّ عليه السلام في الشيا ب فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين قال : و عليك السلام يا أبا يزيد قال : يا أمير المؤمنين ما أراك أصبت من الدنيا شيئاً إلا هذه وإنّي لآنر ضى نفسى من خلافتك بما رضيت به لنفسك فقال : يا أبا يزيد يخرج عطائي فادفعه إليك

فارتحل عن عليّ إلى معاوية فلما سمع به معاوية نصب كراسيه وأجلس جلسائه فورده عليه فأمر له بمائة ألف درهم فقبضها فقال له معاوية : أخبرني عن العسكرين فقال : مررت بعسكر عليّ بن أبي طالب فإذا ليل كليل النبيّ ونهار كنهار النبيّ إلا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ليس في القوم ، و مررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المناقين ممن نفر برسول الله ليلة العقبة

فقال : من هذا الذي عن يمينك يا معاوية ؟ قال : هذا عمرو بن العاص قال : هذا الذي اختصم فيه ستّة نفر فغلب عليه جزارها فمن الآخر ؟ قال : الضحّاك بن قيس الفهري قال : أما والله لقد كان أبوه جيّداً الاخذلعب (١) التيوّس خسيس النفس .

فمن هذا الآخر ؟ قال : أبو موسى الأشعري قال : هذا ابن المراقبة السراقاة . فلما رأى معاوية أنّه قد أغضب جلسائه قال : يا أبا يزيد ماتقول فيّ ؟ قال : دع عنك قال : لتقولنّ قال : أتعرف حمامة ؟ قال : ومن حمامة ؟ قال : أخبرتك ، و مضى عقيل فأرسل معاوية إلى النسابة فقال : أخبرني من حمامة ؟ قال : أعطني الأمان على نفسي وأهلي فأعطاء قال : حمامة جدّتك وكانت بغيّة في الجاهلية لها راية تؤتى قال الشيخ : قال أبو بكر بن رنين هي أمّ أمّ أبي سفيان

وفي شرح المعتزلي معاوية هو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن

حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، و أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو الذي قاد قريشا في حروبها إلى النبي* وكانت هند تذكر في مكة بفجور وعهر

وقال الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار : كان معاوية يغري إلى أربعة : إلى مسافر بن أبي عمرو ، وإلى عمارة بن الوليد بن المغيرة ، وإلى العباس عبدالمطلب ، وإلى الصباح مغن كان لعمارة بن الوليد .

قال : وقد كان أبو سفيان ذميماً قصيراً وكان الصباح عسيفاً (١) لأبي سفيان شاباً وسيماً ، فدعته هند إلى نفسها فغشيتها و قالوا إن عتبة بن أبي سفيان من الصباح أيضاً وقالوا إنها كرهت أن تضعه في منزلها فخرجت إلى أجياد فوضعت هناك ، وفي هذا المعنى يقول حسبان بن ثابت أيام المهاجرة بين المشركين والمسلمين في حياة رسول الله ﷺ قبل عام الفتح :

لمن الصبي بجانب البطحاء في التبر ملقى غير ذي مهد
بخلت به بيضاء انسة من عبد شمس صلته الخد

قال الشارح : ولي معاوية انتى وأربعين سنة منها اثنتا وعشرون سنة ولي فيها امارة الشام منذ مات أخوه يزيد بن أبي سفيان بعد خمس سنين من خلافة عمر إلى أن قتل أمير المؤمنين علي* في سنة أربعين ، ومنها عشرون سنة خليفة إلى أن مات في سنة ستين .

قال : وكان معاوية على اس الدهر مبغضاً لعلي* شديداً لانحراف عنه وكيف لا يبغضه وقد قتل أخاه يوم بدر وخاله الوليد بن عتبة وشرك انا في جده وهو عتبة أو في عمته وهو شيبة على اختلاف الرواية وقتل من بني عبد شمس نفراً كثيراً من أعيانهم و أمثالهم ، ثم جاءت الطامة الكبرى واقعة عثمان فنسبها كلها إليه بشبهة إمساكه

عنه وانضوا كثير من قتلته إليه عليه السلام فتأكدت البغضة وثار الأحقاد وتذكرت تلك التراث الأولى حتى أفضى الأمر إلى ما أفضى إليه .

قال : وقد كان معاوية مع عظم قدير علي عليه السلام في النفوس و اعتراف العرب بشجاعته وأنه البطل الذي لا يقام له يتهدده و عثمان بعد حبي بالحرب و المنابذة و يرأسه من الشام رسائل خشنة

ثم قال : و معاوية مطعون في دينه عند شيوخنا يرمى بالزندقة وقد ذكرنا في نقض السفىانية على شيخنا أبي عثمان الجاحظ ما رواه أصحابنا في كتبهم الكلامية عنه من الإلحاد والتعرض لرسول الله وما تظاهر به من الجبر والارجاء ، ولولم يكن شيء من ذلك لكان في محاربتة الامام عليه السلام ما يكفي في فساد حاله لاسيما على قواعد أصحابنا و كونهم بالكبيرة الواحدة يقطعون على المصير إلى النار و الخلود فيها إن لم يكفرها التوبة .

وأما بسر بن اوطاة وقيل ابن أبي اوطاة و كيفية خروجه و ظهوره على البلاد فهو أن قوما بصنعاء كانوا من شيعة عثمان يظلمون قتله لم يكن لهم نظام و لا رأس فبايعوا علي عليه السلام على ما في انفسهم وعامل علي عليه السلام على صنعاء يومئذ عبيد الله بن العباس ابن عبدالمطلب وعامله على الجند سعيد بن نمران .

فلما اختلف الناس على علي عليه السلام بالعراق و قتل محمد بن أبي بكر بمصر و كثرت غارات أهل الشام تكلموا ودعوا إلى الطلب بدم عثمان فبلغ ذلك عبيد الله بن عباس فأرسل إلى اناس من وجوههم فقال ما هذا الذي بلغني عنكم ؟ قالوا : اننا لم نزل ننكر قتل عثمان ونرى مجاهدة من سعى عليه فحبسهم فكتبوا إلى من في الجند من أصحابهم فثاروا بسعيد بن نمران فأخرجوه من الجند وأظهروا أمرهم وخرج إليهم من كان بصنعاء و انضم إليهم كل من كان على رأيهم ولحق بهم قوم لم يكونوا على رأيهم إرادة أن يمنوا الصدقة .

والتقى عبيد الله بن عباس وسعيد بن نمران ومعهما شيعة علي عليه السلام فقال ابن عباس لابن نمران : والله لقد اجتمع هؤلاء و إنهم لنا لمقاربون و إن قاتلناهم لانعلم على

من تكون الدبرة فهل لم نكتب إلى أمير المؤمنين نخبرهم فكتبنا إليه عليه السلام يخبر انه الخبر ، فلما دخل كتابهما ساء علياً عليه السلام وأغضبه فكتب إليهما كتاباً يوتخهما على سوء تدبيرهما في ترك قتال أهل اليمن ، وكتب إلى أهل الجند وصنعا كتاباً يهددهم فيه و يذكرهم الله سبحانه فأجابوه بأننا سامعون مطيعون إن عزلت عنا هذين الرجلين عبيد الله وسعيداً ، قالوا : وكتبت تلك العصابة حين جاءها كتاب علي عليه السلام إلى معاوية يخبرونه وكتبوا في كتابهم :

معاوي الأ تشرع السير نحونا نباع علياً أو يزيد اليمانيا
فلما قدم كتابهم إلى معاوية دعى بسر بن أبي أرطاة و كان قاسي القلب فظاسفاً كاللدماء ، لارافة عنده ولا رحمة فأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكة حتى ينتهي إلى اليمن و قال له : لا تنزل على بلد أهله على طاعة علي إلا بسطت عليهم لسانك حتى يروا أنهم لا نجاة لهم وانك محيط بهم ثم اكف عنهم وادعهم إلى البيعة لي فمن أبي فاقتله واقتل شيعة علي حيث كانوا

فتوجه بسر نحو اليمن ولما قرب المدينة كان عامل علي عليها أبو أيوب الأنصاري فخرج عنها هارباً فدخل بسر المدينة فخطب الناس وشتهم وتهددهم ثم شتم الانصار وتهددهم حتى خاف الناس أن يوقع بهم ودعى الناس إلى بيعة معاوية فبايعوه ونزل فأحرق دوراً كثيرة و أقام بالمدينة أياماً ثم قال لهم إنني قد عفوت عنكم و إن لم تكونوا لذلك بأهل وقد استخلفت عليكم أبا هريرة فأيابكم وخلافه ثم خرج إلى مكة و قتل في طريقه رجالا وأخذ أموالا وبلغ أهل مكة خبره ففتح عنها عامة أهلها و خافوا وهربوا فخرج ابنا عبيد الله بن العباس و هما سليمان و داود و أمهما حورية و تكنى أم حكيم مع أهل مكة فاضلوهما عند بئر ميمون ابن الحضرمي و هجم عليهما بسر فأخذهما و ذبحهما فقالت أمهما :

ها من احس بابني اللذين هما كالد رتين تشطى عنهما الصدف
ها من احس بابني اللذين هما سمعى و قلبي فقلبي اليوم مختطف
ها من احس بابني اللذين هما مخ العظام فمخى اليوم مزدهف

نَبَتْ بسرًا وما صدقت ما زعموا من قتلهم ومن الافك الذي افترقوا

الايامات

ولما قرب بسر من مكة هرب قثم بن العباس وكان عامل عليّ ودخلها بسر فشتهم أهل مكة وأنسبهم ثم خرج واستعمل عليها شيبة بن عثمان ودخل الطائف وبات بها وخرج منها فأتى نجران فقتل عبدالله بن عبد المدان وابنه مالكا وكان عبدالله هذا صهراً لعبيدالله بن العباس ، ثم جمعهم وقام فيهم وقال : يا أهل نجران يا معشر النصارى وإخوان القروء أما والله إن بلغنى عنكم ما أكره لأعودن عليكم بالتي تقطع النسل وتهلك الحرث وتخرّب الديار ، وتهدّد دهم طويلاً

ثم سار حتّى أتى ارحب فقتل أبا كرب و كان يتشيّع و يقال : إنه سيّد من كان بالبادية من همدان فقدّمه فقتله ، وأتى صنعاء وقدم خرج عنها عبيدالله بن العباس و سعيد بن نمران و قد استخلف عبيدالله عليها عمر بن اراكة الثقفي فمنع بسرًا من دخولها وقاتله فقتله بسر ودخل صنعاء فقتل منها قوما ، وأتاه وفد مارب فقتلهم ولم ينج منهم إلا رجل واحد

ثم خرج من صنعاء و أتى أهل حيان وهم شيعة لعليّ فقاتلهم و قاتلوه فهزمهم و قتلهم قتلا و زبعا ثم رجع إلى صنعاء و قتل بها مائة شيخ من أبناء فارس .

وروى أبي وداك قال : كنت عند عليّ عليه السلام لما قدم عليه سعيد بن نمران الكوفة فعتب عليه السلام عليه وعلى عبيدالله أن لا يكونا قاتلا بسرًا ، فقال سعيد قد والله قاتلت ولكن ابن عباس خذلني و أبي أن يقاتل ، و لقد خلوت به حين دنامنا بسر فقلت : إن ابن عمك لا يرضى منّي و منك بدون الجدّ في قتالهم قال : لا والله مالنا بهم طاقة ولا يدان فقمتم في الناس فحمدت الله ثم قلت : يا أهل اليمن من كان في طاعتنا وعلى بيعة أمير المؤمنين فإلىّ إلىّ ، فأجابني منهم عصابة فاستقدمت بهم فقاتلت قتالا ضعيفا ونفرت الناس عنّي وانصرفت

قال أبو مخنف فندب عليّ عليه السلام أصحابه لبعث سرية في أثر بسر فشقوا فقام عليه السلام إلى المنبر ضجراً بشاقل أصحابه عن الجهاد و مخالفتهم له في الرأى فقال عليه السلام :

(ماهي إلا الكوفة أقبضها وأبسطها) أي أتصرف فيها كما يتصرف الإنسان في نوبه بقبضه و بسطه .

والكلام في معرض التحقير أي ما أصنع بتصرفي فيها مع حقارتها، ويحتمل أن يكون المراد عدم التمكن التام من التصرف فيها لئلا يفتقر أهلها كمن لا يقدر على لبس ثوب بل على قبضه و بسطه ، أو المراد بالبسط بث أهلها للقتال عند طاعتهم و بالقبض الاقتصاد على ضبطهم عند المخالفة

قال الشارح البحراني : أقبضها و أبسطها كناية عن وجوه التصرف فيها ، أي إن الكوفة و التصرف فيها بوجوه التصرف حقير بالنسبة إلى ساير البلاد التي عليها الخصم فما عسى أصنع بتصرفي فيها وما الذي أبلغ به من دفع الخصم ومقاومته و هذا كما يقول الرجل في تحقير ما في يده من المال القليل إذا رام به أمراً كثيراً : إنما هو هذا الدنيا فما عسى أبلغ به من الغرم

ثم قال عليه السلام على طريق صرف الخطاب (فإن لم تكوني إلا أنت) عد و لا من الغيبة إلى الخطاب على حد قوله : إياك نعبد و إياك نستعين ، يعني إن لم تكن مملكتي من الدنيا إلا أنت حال كونك (تهب أعاصيرك) و تنبعث منك الآراء المختلفة و الفتن المضلّة و يثور الشقاق و النفاق (فقبّحك الله ثمّ تمثّل) لأجل استصغاره أمرها (بقول الشاعر :

لعمري إياك الخير يا عمرو انني على و ضر من ذا الاناء قليل)

تشبيها للكوفة بالوضر الباقي في الاناء في حقارتها بالنسبة إلى ما استولى عليها خصمه من الدنيا كحقدرة الوضر بالنسبة إلى ما يشتمل عليه الاناء من الطعام ، فاستعار لفظ الاناء للدنيا و لفظ الوضر القليل للكوفة يعني إنني على بقيّة من هذا الأمر كالوضر القليل في الاناء

(ثم) شرع في استنفارهم إلى الجهاد (فقال : أنبتت بسرا قد اطلع على اليمن و ظهر على أهلها و إنني والله لأظن هؤلاء القوم) المنافقين القاسطين (سيدالون منكم) و يغلبون عليكم (ب) بالأسباب التي توجب دولتهم و غلبتهم عليكم وهو (اجتماعهم على

باطلهم) وهو التصرف الغير الحق في البلاد (وتفرقكم عن حقكم) وهو التصرف المستحق باذن ولي الامر (وبمعصيتكم امامكم في الحق وطاعتهم امامهم في الباطل) في اواخره الباطلة و احكامه الضالة (و بأدائهم الامانة إلى صاحبهم) حيث لزموا بعهده ووفوا ببيعته (و خيانتكم صاحبكم) حيث تركتم لموارزته في القتال ونقضتم عهده وغدرتم له (وبصلاحتهم في بلادهم) حيث راقبوا انتظام امورهم (وفسادكم)

والسر في جميع ذلك ما قاله الجاحظ من أن أهل العراق أهل نظر وذو فطن ناقة ومع الفطنة والنظر يكون التنقيب (١) والبحث ، ومع التنقيب والبحث يكون القدح والطعن والترجيح بين الرجال والتمييز بين الرؤساء و اظهار عيوب الأمراء وأهل الشام ذوو بلادة و تقليد وجمود على رأى واحد لا يرون النظر ولا يسألون عن مغيب الأحوال وهذا هو العلة في عصيان أهل العراق على الأمراء وطاعة أهل الشام لهم ثم بالغ ^{الخطيب} في ذمهم بالخيانة على سبيل الكناية وقال : (فلواتمنت أحدكم على قعب خشب لخشيت أن يذهب) ذلك القعب (بعلاقته)

ثم شكى إلى الله سبحانه منهم بقوله : (اللهم إني قد مللتهم) لكثرة ما تكررت منسى الأمر لهم بالجهد والذب عن دين الله المنافي لطبايعهم والمنافر عنه قلوبهم المشغولة بالدينا و زخارفها والبقاء فيها (و ملوني) لأنني دعوتهم إلى الله سبحانه وإلى تحصيل مرضاته ليلا و نهاراً فلم يزدتهم دعوتي إلا فراراً (و ستموني)

ثم أردف تلك الشكاية بالتضرع إلى الله في الخلاص منهم ثم بالدعاء عليهم بقوله : (فأبدلني بهم خيراً منهم) كلمة الخير هنا بمنزلتها في قوله سبحانه : « أولئك خير أم جنّة الخلد » على سبيل التنزل أو التحكم ؛ وأريد بها المعنى الوصفى بدون تفضيل ولعل المراد بذلك قوم صالحون ينصرونه و يوقفون لطاعته ، أو ما بعد الموت من مرافقة النبي وآله وغيره من الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، وتمنيّه لفوارس فراس بن غنم ربما يؤيد الأول

وأما قوله : (وأبدلهم بي شرّاً منّي) فربّما استشكل صدور مثل هذا الدّعاء عنه عليه السلام من وجهين :

أحدهما أنّه يقتضى أن يكون هو ذا شرّاً وقد ثبت أنّه كان منزّهاً عن الشرور الثاني أنّه كيف يجوز أن يدعو بوجود الشرور ووجود الأشرار وأجيب عن الأوّل بوجهين أحدهما أنّ صيغة الفعل لم يرد بها التفضيل وإنّما أريد بها أصل الوصف فالمعنى أبد لهم بمن فيه شرٌّ غيري الثاني أن يكون شرّاً منّي بحسب عقايد أهل الكوفة إنّ في شرّاً عليهم واعتقادهم أنّه ذو شر لا يوجب كونه كذلك .

وعن الثاني بوجهين أيضاً أحدهما أنّ دعائه عليه السلام بما يبدلهم بمن هو شر منه مشتملة على مصلحة مقتضية لحسنه وهو أنّ هذا الدّعاء ربما يكون مخوفاً لهم جاذباً لاكثرهم إلى الله سبحانه مع ما فيه مضافاً إلى ما ذكر من أن نزول الأمر المدعوّ به عليهم بعده ممّا ينبتهم على فضله ويذكرهم أن ابتلائهم بذلك إنّما هو لتركهم أوامر الله وخرجهم عن طاعته وطاعة وليّه الثاني لعلمه إنّما دعى عليهم لعلمه أنّه لا يرجى صلاحهم فيما خلقوا لأجله ومن لا يرجى صلاحه بل يكون وجوده سبباً للفساد النظام فعده أولى فيكون الدّعاء عليهم مندوباً إليه

وعلى ذلك يحمل أيضاً دعاؤه بقوله : (اللهمّ متّ قلوبهم) بتوارد الهمّ والغمّ والخوف عليهم (كما يمتّ الملح في الماء) وذلك الدّعاء تأسّ منه عليه السلام بالسابقين من الأنبياء في الشكاية من قومهم إلى الله و الدّعاء عليهم كنوح عليه السلام إذ قال ربّ إنّني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي إلاّ فراراً ، ثمّ ختم بالدّعاء على من لم يرج صلاحهم بقوله : ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً

وروى إن اليوم الذي دعا عليهم فيه بهذا الدّعاء ولد فيه الحجاج بن يوسف ، وروى أنّه ولد بعد ذلك اليوم بأوقات يسيرة وفعله بأهل الكوفة مشهور حتّى قيل لو جئت كلّ أمة بخبيثها وفاستها وفاجرها وجئنا بالحجاج وحده لزدنا عليهم وعن مروج الذهب للمسعودي أنّ أمّ الحجاج ولدته لادبر له فتقب له دبراً وبني

أن يقبل الشدى .

و في الحديث أن ابليس تصور لهم بصورة الحارث بن كلدة فقال : اذهبوا له تيسا والعقوه من دمه واطلوا به وجهه وبدنه ففعلوا به ذلك فقبل الشدى فلاجل ذلك كان لا يصبر عن سفك الدماء وكان يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته في سفك الدماء وارتكاب امور لا يقدر عليها غيره

واحصى من قتل بأمره سوى من قتل في حروبه فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا ووجد في سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرئة ولم يجب على أحد منهم قتل ولاقطع وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد لاسقفه ، فاذا أدى المسجونون إلى الجدران يستظلون بها من حر الشمس رمتهم الحرس بالحجارة ، وكان طعامهم خبز الشعير مخلوطا بالملح والرّماد

و من أعجب ما روى أنه وجد على منبره مكتوباً « قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار » فكتب تحته « قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور » ثم قال عليه السلام (أما والله لو ددت أن لى بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم) وهو حى معروف بالشجاعة حسبما اشير إليه وتمثل بقول أبي جندب الهذلي .
(هنالك لو دعوت أتاك منهم فوارس مثل ارمية الحميم)

والخطاب لأم زيناغ وضمير منهم راجع إلى بني تميم بقرينة الذي قبله وهو قوله :

ألا يا أم زيناغ اقيمي صدور العيس نحو بني تميم

ومعنى البيت واضح مما ذكره السيد ومقصوده عليه السلام بالتمثل تمنى كون القوم الذين ود كونهم عوضا عن قومه بصفة الفوارس الذين اشار إليهم الشاعر في سرعة الاجابة والمبادرة إلى الاغانة ، و مقصوده في جميع ذلك توبيخ أهل الكوفة و تحقيرهم بشاقلهم عن الجهاد

قال الكلبي و أبو مخنف ولما تناقل أصحابه عن الخروج في اثر بسر بن ارطاة فأجابه إلى ذلك جارية بن قدامة السعدي فبعثه في ألفين فشنخص إلى البصرة ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم اليمن وسأل عن بسر ثقيل : اخذ في بلاد بني تميم فقال :

أخذ في ديار قوم يمنعون أنفسهم

و بلغ بسراً مسير جارية فأنحدر إلى الإمامة وأخذ جارية بن قدامة السير ما يلتفت إلى مدينة مر بها فلا أهل حصن ولا يعرج على شيء إلا أن يرمل بعض أصحابه من الزاد فيأمر أصحابه بمواساته أو يسقط بعير رجل أو تحفى دابته فيأمر أصحابه بأن يعقبوه حتى انتهوا إلى أرض اليمن فهربت شيعة عثمان حتى لحقوا بالجبال واتبعهم شيعة علي وتداينت عليهم من كل جانب وأصابوا منهم وصمد نحو بسر و بسر بين يديه يفر من جهة إلى جهة أخرى حتى أخرجه من أعمال علي رضي الله عنه كلها فلما فعل به ذلك أقام جارية بحرس نحواً من شهر حتى استراح وأراح أصحابه ووثب الناس ببسر في طريقه لما انصرف من بين يدي جارية لسوء سيرته و فظاظته وظلمه وغشمه وأصاب بنو تميم نقلاً من ثقله في بلاده

فلما وصل بسر معاوية قال : أحمد الله يا أمير المؤمنين إنني سرت في هذا الجيش أقتل عدوك ذاهبا جانيا لم ينكب رجل منهم نكبة فقال معاوية : الله قد فعل ذلك لا أنف وكان الذي قتل بسر في وجهه ذلك ثلاثين الفا و حرق قوماً بالنار وروى أنه دعا علي رضي الله عنه على بسر فقال : اللهم إن بسراً باع دينه بالدنيا وابتاعك صغارمك وكانت طاعة مخلوق فاجر آثر عنده من عندك اللهم فلا تمته حتى تسلبه عقله ولا توجب له رحمتك ولا ساعة من نهار ، اللهم العن بسراً وعمرواً ومعاوية وليحل عليهم غضبك و لتنزل بهم نقيمتك و ليصيهم بأسك و زجرك لا تردّه عن القوم المجرمين .

فلم يلبث بسر بعد ذلك إلا يسيراً حتى وسوس وذهب عقله فكان يهذي بالسيف ويقول : أعطوني سيفاً أقتل به لا يزال يردد ذلك حتى اتخذ له سيف من خشب وكانوا يدنون منه المرفقة فلا يزال يضربها حتى يفسى عليه فلبث كذلك إلى أن مات عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين

الترجمة

از جمله خطب آن حضرت است که فرمود درحالتی که بتواتر رسید خبرها

بغالب شدن أصحاب معاویة علیه اللعنة بر شهرها و آمدند بسوی آن حضرت عاملان او که حاکم بودند بر یمن عبدالله بن عباس و سعید بن نمران و قتیکه غالب شده بود بر ایشان بسر بن ابی اریطاة ولد الزنا ، پس برخواست آن حضرت بطرف منبر در حالتی که تنگدل بود بجهة کرانی أصحاب خود از جهاد و بجهة مخالفت کردن ایشان با او در رأی پس فرمود :

نیست مملکت من مگر کوفه در حالتی که قبض میکنم آن را و بسط میکنم آنرا : یعنی همین کوفه است که محل تصرف من است بعل و عقد و امر و نهی و اعتماد نمودن بر مردمان آن در حرب و ضرب نه سایر بلاد ، اگر نباشی ایکوفه مگر تو که باشی سپر دشمن و ساز لشکر من در حالتیکه وزد گرد بادهای تو ، پس قبیح گرداند خدای تعالی تو را

پس آنحضرت بجهة تحقیر کوفه متمثل شد بقول شاعر که معنیش اینست :
قسم بزندگان پدر تو که بهتر مردمانست ای عمرو بتحقیق که من واقع شده‌ام بر چربی اندکی که باقی مانده است از این ظرف طعام ، یعنی کوفه در نظر من در غایت حقاقتست مانند چربی که می ماند بعد از اکل در ظرف بعد از آن فرمودند که :

خبر داده شدم که بسر بن ابی اریطاة رسیده بدیاد یمن و بدرستی من قسم بخدا هر آینه گمان میکنم آن قوم را که زود باشد که دولت و تسلط داده شوند از قبل شما بسبب اتفاق ایشان بر باطل خود و تفرق شما از حق خود ، و بجهة معصیه شما امام خود را در امر حق و اطاعت ایشان امام خود را در امر باطل ، و بسبب ادا کردن ایشان امانت و عهد را بصاحب خودشان و خیانت کردن شما در امانت ، و بجهة صلاح ایشان در شهرهای خود در جمیع امور ملکی و فساد شما در بلاد خودتان ، پس اگر امین گردانم یکی از شما را بر قدح چوبین هر آینه میترسم که ببرد آن را با دوال و دسته اش .

بار خدایا بدرستی که من تنگدل شده‌ام از ایشان و تنگدل شده‌اند ایشان از من ، و سیر شده‌ام من از ایشان و سیر شده‌اند ایشان از من ، پس بدل کن برای من

ایشان را به بهتر از ایشان، و عوض کن برای ایشان مرا بکسی که متصف بصفات شرارت بوده باشد، خداوند بگدازد بترس و عذاب قلبهای ایشان را چنانچه گداخته می شود نمک در آب، آگاه باشید بخدا سوگند هر آینه دوست میدارم اینکه باشد مرا بعوض شما هزار سوار از فرزندان فراس بن غم آنجا اگر بخوانی و آوازه می آیند بسوی تو از ایشان سوارانی مثل ابرهای تابستان با سرعت و استیلا

و من خطبة له عليه السلام وهي السادسة والعشرون من المختار في باب الخطب

وهي ملتقطة من خطبة طويلة خطب بها قبل مسيره إلى النهر وان حسبما تطلع عليه وشرحها في ضمن فصول ثلاثة

الفصل الاول

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُسْنٍ وَحَيَاتٍ صُتْمٍ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَضْمَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَفْصُوبَةٌ.

اللفظة

(أناخ) الناقة أيركها و (الصم) بالضم إتماع صماء وهي الأرض الغليظة أوجمع أصم وهي الحيطة التي لا تقبل الرقي، و الرجل الأصم لا يطعم فيه، و لا يرد عن هواه، و أصمه الله فهو أصم أى به انسداد السمع و ثقل الأذن و (كدر) كدرأ و تكدر نقيض صفا فهو كدر و كدر كفخذ و فخذ بكسر العين و سكونها

و (جشب) الطعام فهو جشب وجشب أى غليظ أو بلا ادم و (المعصوبة) المشدودة
الاعراب

و اتم معشر العرب اه جملة حالية ، منيخون خبر بعد خبر ، وحيات صم ان
كان الصم جمع صمّاه فالحيات مضافة إليها و إن كان جمع أصمّ فهي صفة لها ،
وجملة تشربون وتاليها حالية أيضاً

المعنى

اعلم أن هذا الفصل من الخطبة وارد في بيان حال العرب في أيام الجاهلية
وما كانوا عليه يومئذ من الضنك والضيّق ، ومن سوء الحال في أمر المعاش والمعاد
وتذكرة بما من الله سبحانه به عليهم من بعث الرسول فيهم وتبديله سبحانه بوجوده
الشريف سوء حالهم بحسن الحال في الدنيا والآخرة حيث جعلوا ذرافهية وسعة
ونعمة ، وفتحوا البلاد و غنموا الأموال وكسروا الجيوش وفاقوا الملوك و كان لهم
الذكر الباقي و الشرف الثابت واهتدوا إلى دين الاسلام الذي هو طريق دار السلام
فاكتسبوا السعادة الباقية و فازوا المقامات العالية

إذا عرفت ذلك فلنعد إلى شرح كلامه عليه السلام فأقول : قوله : (ان الله بعث محمداً
صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين)

خصّ النذارة بالذكر و اختارها على البشارة إذا المقصود في هذا المقام
التوبيخ للعرب وترقيق قلوبهم بالمشملة على الغلظة والفظاظة ، ولا ريب أن الإنذار
أقوى في الترقيق والرّدع ، وذلك لأنّ عامّة الخلق إلا قليلاً منهم أنظارهم مقصورة
على زخارف الدنيا وشهواتها غافلون عن نعم الآخرة ولذاتها ، فلا يرغبون عن النعم
الحاضرة بما يبشرون بها من النعم الغائية ، و لا يقابلون اللذائذ الموجودة بلذائذ
الموعودة ، لكون هذه عندهم نقداً و تلك نسيئة و كان السبب الأقوى في الرّدع
والالتفاف إلى الله إنّما هو الإنذار والتخويف فاختر كونه نذيراً على كونه بشيراً
(و) اردفه بكونه (أميناً على التنزيل) غير خائن ولا مقصر في تبليغ آياته
ولا مبدل لكلماته (و اتم معشر العرب على شر دين) حيث عبدتم الأصنام و الأوثان

و اتخذتم لله الأنداد و الشركاء (وفي شردار) أراد بها تهامة أو نجد أو البوادي التي كانوا يسكنونها ، ثم فتح الله عليهم البلاد

و وصفها بالشتر من حيث فساد أمر معاشهم فيها كما فسره بقوله : (منيخون) أي مقيمون (بين حجارة خشن) صلب لاندادة فيها و لا نبات (وحيات صم) لأن أرض العرب ، على غلظتها و خشونتها ذات حيات كثيرة ، و على التركيب الوصفي فالمراد بها الحيات التي لا تقبل العوذة و لا تنزجر بالصوت لشدة قوتها قال البحراني : و وصفها بالصم لأن حيات تلك الأرض على غاية من القوة و وحدة السموم لاستيلاء الحرارة و اليبس عليها

و قال الشارح المعتزلي : و يجوز أن يعنى به المجاز وهو الأحسن يقال للإعداء حيات ، و الحية الصماء أدهى من التي ليست بصماء لأنها لا تنزجر بالصوت و يقال للعدو أيضاً إنه لهجر خشن المس إذا كان ألد الخصام (تشربون الكدر) لأن غالب مياه العرب هو الغدران و الآبار

أما الغدران فأصلها ماء المطر ينزل على الأودية السبخة و القفار الملحة فيسيل حتى يقع في تلك الغدران فيكون مرأملحا اجاجا ثم يتكدر و يتعفن من طول الزمان و وقوع الشمس عليها و تأثره بها

و أما الآبار فمضافا إلى وقوع ماء المطر الموصوف فيها ربما تنزل العشاير حولها و ينيخون أباعرهم هنالك فيثور الرياح البار «أبالظ» الأباعر و أدوانها و ساير كثافات القوم بعد ارتحالهم من ذلك المكان حتى تقع على تلك الآبار فيكون مياهها كثيفا كددا .

و ربما امسكتنا عن شرب الماء و صبرنا على العطش يوما أو يومين في مسافرتنا إلى مكة زادها الله شرفا لما شاهدناه من كثافة تلك المياه بما يتفقر عنه الطبع مع كون سفرنا في أيام الشتاء و ربما كنا نشرب عوض الماء السكنجيين و ساير الأشربة التي كانت معنا (و تأكلون الجشب) فانك تجد عامتهم يأكل ماذب من حيوان ، و بعضهم يخلط الشعير بنوى التمر و يطحنها و يتخذ منها خبزاً

قيل : كانت العرب لم تعرف طيبات الأُطعمة إنهما كان طعامهم اللحم يطبخ
بالماء والملح حتى أدرك معاوية فاتخذ ألوان الأُطعمة
قال أبو بردة : كانوا يقولون : من أكل الخبز سمن ، فلما فتحنا خيبراً جهضناهم
عن خبزهم فعدت عليه آكل و أنظر في اعطافي هل سمنت
وقال خالد بن عمير العددي : شهدت فتح الاملة فاصبنا سفينة مملوءة جوزاً
فقال رجل ، ماهذه الحجارة ؟ ثم كسرواحدة فقال : طعام طيب
وقال بعضهم : أصابوا جراباً من الكافور فخالوها الملح فذاقوه فقالوا الاملوحه لهذا الملح
فقطان ناس من أهل الخبره فجعلوا يعطونهم جراباً من ملح ويأخذون جراباً من الكافور
وقدم إلى أعرابي خبز عليه لحم فأكل اللحم وترك الخبز وقال : خذ الطبق
وكان بنو أسد يأكلون الكلاب ولذلك قال الفرزدق :

إذا اسديّ جاع يوماً بيلدة وكان سميناً كلبه فهو آكله

و قال بعضهم نزلت برجل فأضافني فأتى بحية مشوية شواء فأطعمنيها ثم أتى بماء منتن
فسقانيه فلما أردت الارتحال قال : أأقمت لطعام طيب وماء نمير؟

وكان أحدهم يتناول الشعر المحلوق فيجعله في جفنة من الدقيق ثم يأكله
مع مائه من القمل قال شاعرهم :

بني أسد جاءت بكم قملية بها باطن من داء سوء وظاهره

ومن طعامهم الفظ وهو ماء الكرش

وقيل لأعرابي : ما تأكلون ؟ فقال : نأكل ما دبّ ودرج إلا أمّ جبين فقال :

لتهنّ أمّ جبين العافية وقال أبو نواس :

ولا تأخذ عن الأعراب طعاماً ولا عيشاً فعيثهم جديب

و كان روبة يأكل الفار قليل : لم لا تستقدره ؟ فقال : هو والله لا يأكل إلا فأخرات
متاعنا .

و بنو تميم يعيرون بأكل الضب قال أبو نواس في هجوهم

إذا ما تميمي أتاك مفاخرا فقل عدّ عن ذاك كيف أكلك للضبّ

قال الاصمعي دنوت من بعض الأخبية في البادية فسقيت لبنا في إناه فلما شربته قلت هل كان هذا إلا إناه الاناء ؟ نظيفا ؟ فقيل : نعم نأكل منه في النهار ونبول فيه بالليلي فاذا أصبحنا سقيناه فيه الكلب فالحسه و نغاه ، فقلت : لعنك الله و لعن هذه النظافة (و تسفكون دماكم و تقطعون أرحامكم) فإن القتل والغارة كان شعار العرب في أيام الجاهلية حتى أن الوالد ربما كان يقتل ولده و بالعكس قال سبحانه :
« و إذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت »

قال ابن عباس السراة إذا حان وقت ولادتها حفرت حفرة وقعدت على رأسها فان ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة وإن ولدت غلاما حبسته (الأئمان فيكم منصوبة والأئمان بكم معصوبة) استعار لفظ العصب للزوم الأئمان لهم في تلك الحال

الترجمة

از جمله خطب آن حضرت است در بیان حال عرب در ایام جاهلیت میفرماید بدرستی که خداوند سبحانه و تعالی مبعوث فرمود محمد بن عبدالله را در حالتی که ترساننده بود عالمیان را از بدی افعال ایشان ، و امین بود بر آنچه نازل میشد بر او میرسانید آنرا بدون زیاده و نقصان و حال آنکه شما جماعت عرب بر بدترین دین بودید در بدترین خانها مقیم بودید ، در میان سنگهای درشت و مارهای با شدت و صلابت در حالتی که می آشامیدید آبهای ناصافرا و میخوردید طعام غلیظ و بی ادام را و میریختید خونهای یکدیگر را و قطع می کردید خوبشان خودتان را ، بتان در میان شما نصب کرده شده بودند و گناهان بر شما بسته گردیده

الفصل الثانی منها

فَنظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي ، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ ،
وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذْيِ ، وَشَرَبْتُ عَلَى الشَّجْوِ ، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ
الْكَطِيمِ ، وَ عَلَى أَمْرٍ مِنْ طَعْمِ الْعَلَقِيمِ .

اللغة

(ضنت) بكسر النون و يروى بالفتح أيضاً من الضنة وهو البخل و (أغضيت) على كذا اطبقت عليه جفني و (القذى) ما يقع في العين من تبين ونحوه يوجب أذيتها و (الشجى) ما اعترض في الحلق من نشب وعظم وقد مر هذان اللفظان في الخطبة الشقشقية و (أخذ بكظمه) محرّكة وهو مجرى نفسه و (العلقم) شجر بالغ المرارة ويقال في العرب على كل مرّ

الاعراب

كلمة إذا في قوله : فإذا ليس لي معين ، للظرف ، والتنوين عوض عن الجملة المضاف إليها أي فنظرت فاذا غصبوني حقى ليس لي معين ، و كلمة على في الموارد الأربعة إما للاستعلاء المجازي أو بمعنى مع على حدّ قوله : « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » و أمر صفة لموصوف محذوف

المعنى

اعلم أن هذا الفصل من كلامه حكاية لحاله الذي كان هو عليه بعد ارتحال الرسول صلى الله عليه وآله و ما جرى عليه من الظلم والجور في اغتصاب الحق الذي كان له صلى الله عليه وآله فكأنه يقول : إنهم بعد غصبهم للخلافة تفكّرت في أمر المقاومة والدفاع عن هذا الأمر الذي كنت أولى به (فنظرت فإذا ليس لي معين) يعينني (إلا أهل بيتي) وهم كانوا قليلين غير مقاومين للمخالفين (فضنت بهم عن الموت) لعلمي بأنهم لو قاتلوا لقتلوا (و) لمأعلمت عدم حصول المقصود بهؤلاء النفر (أغضيت) وأطبقت جفوني (على القذى وشربت على الشجى) وكنى الأغضاء و الشرب على القذى و الشجى عن تحمله على الأمور التي يصعب التحمل عليها لصعوبتها وشدتها وألمها و أذيتها كما يشهد به قوله : (وصبرت على أخذ الكظم وعلى) امور (امر من طعم العلقم) لشدة مرارتها من حيث إن فيها الألم النفساني وفي العلقم الألم البدني

و اعلم أن هذا الكلام منه صريح في اغتصاب الخلافة و نص على أن تركه مطالبته لم يكن من رغبة واختيار ، وإنما كان جبراً واضطراداً ، وقد اشرنا إلى ذلك في مقدّمات الخطبة الشَّقَشَقِيَّة و ذكر نائمة أخبار السَّقِيفَةِ الدُّالَّة على انتحال الخلافة من طرق الخاصَّة ، و المقصود الآن ذكر بعض الأخبار العامية الصريحة في ذلك مما رواها الشَّارِحُ المَعْتزَلِي عن روايتهم ، لأنَّه أثبت حجَّة و أقوى استناداً فأقول :

قال الشَّارِحُ : اختلفت الروايات في قصة السَّقِيفَةِ فالذي تقول الشيعة و قد قال قوم من المحدِّثين بعضه ورود كثير منه أن علياً عليه السلام امتنع من البيعة حتَّى اخرج كرها ، وأن الزبير بن العوام امتنع من البيعة وقال : لا ابايع إلاً علياً ، وكذلك أبو سفيان بن حرب و خالد بن سعيد بن العاص بن امية بن عبد شمس و عباس بن عبد المطلب و بنوه و أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب و جميع بني هاشم

وقالوا : إن الزبير شهر سيفه فلما جاء عمر و معه جماعة من الانصار و غيرهم قال في جملة ما قال : خذوا سيف هذا فاضربوا به الحجر و يقال : إنَّه اخذ السيف من يد الزبير فضرب به حجراً فكسره و ساقهم كلهم بين يديه إلى أبي بكر فحملهم على بيعته ولم يتخلف إلاً عليٌ وحده فإنَّه اعتصم ببيت فاطمة فتحاموا إخراجة منه قسراً و قامت فاطمة عليها السلام إلى باب البيت فاسمعت من جاء يطلبه فتنفروا و علموا أنَّه بمفرده لا يضر شيئاً فتركوه

و قيل : إنَّهم أخرجوه فيمن أخرج و حمل إلى أبي بكر فبايعه ، و قد روى

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري كثيراً من هذا

فأمَّا حديث التَّحْرِيقِ و ماجرى مجراه من الامور الفظيعة و قول من قال : إنَّهم اخذوا علياً يقاد بعمامته و النَّاسِ حوله فأمر بعيد ، و الشيعة منفرد به على أن جماعة من أهل الحديث قد رووا نحوه و سنذكر ذلك .

وقال أبو جعفر إنَّ الأَنْصارَ لما فاتها ما فاتها ما طلبت من الخلافة قالت أو قال بعضها

لأنبايع إلاّ عليّاً ، وذكر نحو هذا عليّ بن عبدالكريم المعروف بابن الاثير الموصلي في تاريخه .

فأما قوله : لم يكن لي معين إلاّ أهل بيتي فضننت بهم عن الموت ، فقول ما زال عليه السلام يقول ، و لقد قاله عقيب وفات رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لو وجدت أربعين ذوي عزم ذكر ذلك نصر بن مزاحم في كتاب صفين وذكره كثير من أرباب السيرة . وأما الذي يقوله جمهور المحدثين وأعيانهم فإنه امتنع من البيعة ستة أشهر ولزم بيته فلم يبايع حتى ماتت فاطمة فلما ماتت بايع طوعاً

و في صحيح مسلم و بخاري كانت وجوه الناس إليه و فاطمة عليها السلام لما تمت «ماتت» بعد فلما ماتت فاطمة عليها السلام انصرفت وجوه الناس عنه و خرج من بيته فبايع أبابكر و كانت مدة بقائها بعد أبيها عليه الصلاة و السلام ستة أشهر قال : و روى أحمد بن عبدالعزيز قال : لما بويع لأبي بكر كان الزبير و المقداد يختلفان في جماعة من الناس إلى علي عليه السلام و هو في بيت فاطمة فيتشاورون و يتراجعون أمورهم فخرج عمر حتى دخل على فاطمة عليها السلام و قال : يا بنت رسول الله ما من أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك ، و ما من أحد أحب إلينا منك بعد أبيك ، و أيم الله ما ذاك بما نعي ان اجتمع هؤلاء النفر عندك ان امر بتحريق البيت عليهم فلما خرج عمر جاؤها فقالت تعلمون أن عمر جاني و حلف لي بالله إن عدتم ليحرقن عليكم البيت و أيم الله ليمضين لما حلف له فانصرفوا عنا راشدين فلم يرجعوا إلى بيتها و ذهبوا و بايعوا لأبي بكر

قال : و من كتاب معاوية المشهور إلى علي عليه السلام : و عهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلا على حمار و يداك في يدي ابنيك الحسن و الحسين يوم بويع أبو بكر فلم تدع أحداً من أهل بدر و السابق إلاّ دعوتهم إلى نفسك و مشيت إليهم بامرتلك و أوليت إليهم بابنيك و استنصرتهم على صاحب رسول الله فلم يجبك منهم إلاّ أربعة أو خمسة ، و لعمرى لو كنت محقاً لأجابوك ، ولكنك ادعيت باطلا و قلت ما لا يعرف و رمت ما لا يدرك ، و مهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لما حركك

وهي جك : لو وجدت أربعين ذوي عزم لناهضت القوم فما يوم المسلمين منك بواحد
 وروى أيضاً من كتاب أحمد بن عبدالعزيز الجوهري عن حباب بن يزيد عن
 جرير بن المغيرة أن سلمان والزبير والأَنْصار كان هواهم أن يباعوا علياً بعد النبي
 فلما بويع أبو بكر قال سلمان : أصبتم الحيرة وأخطأتم المعدن
 وعن حبيب بن أبي ثابت قال : قال سلمان يومئذ : أصبتم ذالسن منكم وخالفتم
 أهل بيت نبيكم لوجعلوها فيهم ما اختلف عليكم اثنان ولا أكلتموها رغدا
 وروى أيضاً عن غسان بن عبد الحميد قال : لما أكثر في تخلف علي عليه السلام
 بيعة أبي بكر واشتدَّ عمر و أبو بكر عليه في ذلك خرجت أم مسطح بن اثانة
 فوفقت عند القبر وقالت :

كانت امور وانباہ وانبتہ «هنبتہ» لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب

إننا فقد ناك فقد الارض وابلها واخنتل قومك فاشهدهم ولا تغب

ومن كتاب الجوهري أيضاً عن أبي الاسود قال : غضب رجال من المهاجرين
 في بيعة أبي بكر بغير مشورة وغضب علي والزبير فدخلا بيت فاطمة معهما السلاح
 فجاء عمر في عصابة منهم اسيد بن حصين و سلمة بن سلامة بن وقش و هما من بني
 عبد الأشهل فصاحت فاطمة وناشدتهم فأخذوا سيفي علي والزبير فضربوا بهما الجدار
 حتى كسر وهما ثم أخرجهما امر يسوقهما حتى باعنا ثم قام أبو بكر فخطب الناس
 واعتذر إليهم و قال : إن بيعتي كانت فلتة وقي الله شرها وخشيت الفتنة وأيم الله ما
 حرصت يوماً قط و لقد قلدت أمراً عظيماً مالى به طاقة ولا يدان و لوددت ان اقوى
 الناس عليه مكاني ، وجعل يعتذر إليهم فقبل المهاجرون عذره ، إلى آخر ما رواه .
 و قد روى باسناد آخر ذكره أن ثابت بن قيس بن شماس كان مع الجماعة
 الذين حضروا مع عمر في بيت فاطمة عليها السلام ، و ثابت هذا أخو بني الحرث
 ابن الخزرج

وروى أيضاً أن محمد بن مسلمة كان معهم وأنَّ محمداً هو الذي كسر سيف الزبير
 وعن سلمة بن عبد الرحمن قال : لما جلس أبو بكر على الضريح كان علي والزبير

وناس من بني هاشم في بيت فاطمة ، فجاء عمر إليهم فقال : والذي نفسي بيده لتخرجن إلي البيت أو لتحرقن البيت عليكم ، فخرج الزبير مصلتا سيفه فاعتنقه رجل من الأنصار وزياد بن ليبيد فدق به فبدو (فبدر) السيف فصاح به أبو بكر وهو على المنبر : اضرب به الحجر قال أبو عمرو : فلقد رأيت الحجر فيه تلك الضربة و يقال هذه ضربة سيف الزبير ثم قال أبو بكر : دعوهم فسيأتي الله بهم قال : فخرجوا إليه بعد ذلك فبايعوه .

وقد روى الجوهري في رواية أخرى أن سعد بن أبي وقاص كان معهم في بيت فاطمة عليها السلام و المقداد بن الأسود أيضاً و أنهم اجتمعوا إلى أن يبايعوا علياً فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت فخرج إليه الزبير بالسيف و خرجت فاطمة تبكي و تصيح فنهت من الناس و قالوا ليس عندنا معصية ولا خلاف في خير اجتماع عليه الناس ، وإنما اجتمعنا لنؤلف القرآن في مصحف واحد ثم بايعوا أبا بكر فاستمر الأمر واطمئن الناس .

وقد روى الجوهري أيضاً عن داود بن المبارك قال : أتانا عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ونحن راجعون من الحج في جماعة فسألناه عن مسائل و كنت احد من سأل فسألته عن أبي بكر وعمر فقال : اجيبك بما أجاب به عبدالله بن الحسن فإنه سئل عنهما فقال : كانت فاطمة صديقة ابنة نبي مرسل فماتت وهي غضباء على قوم فنحن غضاب لغضبها .

و روى أيضاً بإسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام عن ابن عباس قال : قال لي عمر : أمّا والله أن كان صاحبك أولى الناس بالأمر بعد وفات رسول الله إلا أننا خفناه على اثنتين ، قلت : ما هما ؟ قال : خشيناها على حدائث سنه و حبه بني عبدالمطلب .

و عن الشعبي قال : سأل أبو بكر و قال ابن الزبير ؟ فقيل : عند علي عليه السلام و قد تقلد سيفه فقال : قم يا عمر يا خالد بن الوليد انطلقا حتى تأتياني بهما فانطلقا فدخل عمر و قام خالد على باب البيت من خارج فقال عمر للزبير : ما هذا السيف ؟

فقال : نباع علياً ، فاختارته عمر ف ضرب به حجراً فكسره ثم أخذ بيد الزبير فأقامه
 ثم دفعه و قال : يا خالد دونك فامسكه ثم قال لعلي : قم فباع لأبي بكر فتلكاه
 واحتبس فأخذ بيده و قال : قم فأبى أن يقوم فحمله ودفعه كما دفع الزبير فاخرجه
 ودأت فاطمة ما صنع بهما فقامت على باب الحجرة و قالت : يا ابا بكر ما أسرع ما
 اغترتم على أهل بيت رسول الله ، والله لا أتكلّم عمر حتّى ألقى الله ، إلى آخر ما رواه
 ثم قال المشرح واعلم أن الآثار والأخبار في هذا الباب كثيرة ومن تأملها
 وأنصف علم أنه لم يكن هناك نص صريح مقطوع به لا تختلجه الشكوك و لا
 يتطرق إليه الاحتمالات كما تزعم الامامية ، فانهم يقولون : إن الرسول نصّ نصاً
 صريحاً جليلاً ليس بنص الغدير ولاخير المنزلة ولا ماشابههما من الأخبار الواردة
 من طرق العامة وغيرها ، بل نص عليه بالخلافة وبإمرة المؤمنين وأمر المسلمين أن
 يسلموا عليه بذلك فسلموا عليه بها ، و صرح لهم في كثير من المقامات بأنه خليفة
 عليهم من بعده وأمرهم بالسمع والطاعة له

و لا ريب أن المنصف إذا سمع ما جرى لهم بعد وفات رسول الله يعلم قطعاً
 أنه لم يكن هذا النص ، ولكن قد يسبق إلى النفوس و العقول أنه قد كان هناك
 تعريض وتلويح و كناية وقول غير صريح و حكم غير مثبت ، و لعله كان يصدّه عن
 التصريح بذلك أمر يعلمه ومصلحة يراعيها ووقف مع إذن الله تعالى في ذلك
 فامتناع علي من البيعة حتّى اخرج على الوجه الذي اخرج عليه فقد
 ذكره المحمّدون ورواه السير وقد ذكرنا ما قاله الجوهري في هذا الباب و هو من
 رجال الحديث ومن التقات المأمونين ، وقد ذكر غيره من هذا النحو ما لا يحصى كثرة
 فأمّا الامور الشنيعة المستهجنة التي يذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت
 فاطمة وانه ضربها بالسوط فصار في عضدها كالدملج وبقى اثره إلى ان ماتت ، وان
 عمر ضغطها بين الباب والجدار فصاحت يا ابتاه يا رسول الله و التت جنيناً ميتاً ،
 و جعل في عنق علي حبل يقاد به وهو يعتلّ و فاطمة خلفه نصرخ بالويل و الشبور ،

(ج ٣) إنكار الشارح المعتزلي بعض ماجرى على أهل البيت (ع) و جوابه (٣٧٣)

و ابنه حسن و حسين معهما بيكيان و أن علياً لما احضر سألوه البيعة فامتنع فهدد بالقتل فقال : إذن تقتلون عبداً لله و أخا رسول الله فقالوا أما عبدالله فنعيم و أما أخو رسول الله فلا ، و أنه طعن في أوجههم بالنفاق و سطر صحيفة الغدر التي اجتمعوا عليها ، و بأنهم أرادوا أن ينفروا ناقة رسول الله ليلة العقبة ، فكله لا أصل له عند أصحابنا ولا يشبهه أحد منهم و لا رواه أهل الحديث و لا يعرفونه وإنما هوشي تنفرد الشيعة بنقله انتهى

أقول و العجب كل العجب من الشارح كيف ينكر وجود النص الصريح الذي لا يحتمل التأويل مع وجود النصوص التي رواها هو وغيره من رسول الله في حق أمير المؤمنين بأنه الامام و الخليفة و الوصي و الولي و ماشابها من الألفاظ الصريحة في الخلافة ، وقد مضت شطرها في مقدمات الخطبة الشقشقية و يأتي كثير منها في مواقعها بعد ذلك انشاء الله .

و أما عدم إفادتها للقطع عند من استحوذ عليه الشيطان و أنساه ذكر ربه ، و كان قلبه مشوباً بالشبهات و الشكوك فلا غرو فيه

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة فلا غرو أن يرتاب و الصبح مسفر
و أعجب من ذلك أنه مع روايته لتلك الأخبار و تصحيحه لها و حكمه بوثاقه
رواها يقول : إن أمير المؤمنين ترك الأمر إليهم اختياراً و طوعاً ، مع أن هذه الأخبار
كما ترى صريحة في أن خروجه من بيته و بيعته لأبي الفصيل لم يكن إلا كرهاً و إجباراً
و ترك المقاومة لهم لم يكن إلا عجزاً لا اختياراً
ثم لا أدري أنه كيف ينكر حديث التحريق و يزعم أنه مما انفردت به الشيعة
مع رواية الجوهرى له و كونه من الثقات المأمونين عنده .

و قد رواه غير واحد من رواةهم أيضاً مطابقاً لما روته الشيعة منهم إبراهيم
ابن سعيد الثقفي قال : حدثنا أحمد بن عمرو البجلي قال : حدثنا أحمد بن حبيب
العاملي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : والله ما بايع علي عليه السلام حتى
راى الدخان قد دخل عليه بيته ، رواه المرتضى في الشافي .

و فيه أيضاً عن البلادي عن مسلمة بن محارب عن سليمان التميمي عن أبي عون أن أبا بكر أرسل إلى علي فلم يبايع فجاه عمر و معه قيس فتلقاه فاطمة على الباب فقال : يا بن الخطاب أترك محرقاً ؟ قال : نعم و ذلك أقوى فيما جاء به أبوك و جاء علي ^{عليه السلام} فبايع .

قال السيد (ره) عقيب هذا الحديث : و هذا الخبر قد روته الشيعة من طرق كثيرة وإنما الطريق أن يرويه شيوخ محدثي العامة لكنهم كانوا يروون ما سمعوا بالسلامة و ربما تنبهوا على ما يروونه عليهم فكفوا عنه ، و أي اختيار لمن يحرق عليه بابه حتى يبايع .

الترجمة

بعض دیگر از فقرات این خطبه است که بیان میفرماید در او حال خود را بعد از ارتحال حضرت رسول ^{صلی الله علیه و آله} و شکایه می نماید از اهل جلافة که غصب خلافة کردند ، و می گوید که چون اهل عناد حق مرا غصب نمودند پس نظر کردم من در تدبیر امور خود پس آن زمان که غصب خلافت کردند نبود مرا یاری دهنده مگر اهل بیت خود که معدود قلیلی بود نسبت بمخالفین ، پس بخل ورزیدم بایشان از مرک یعنی ایشان را از معارک مهالك نگاه داشتم و بیوشانیدم چشم خود را بر چیزی که اذیت میکشید از او دیده من ، و آشامیدم زهر آب ستم مخالفان را در حینی که بودم گلوگیر از غصه و غم ، و صبر کردم برخشم فرو خوردن بر چیزی که تلختر بود از چشیدن درخت علقم با وجود آنکه درختی است درغایت تلخی و مرارة

الفصل الثالث منها

وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا ، فَلَا ظَفَرَتْ يَدُ الْبَايِعِ « الْمُبَايِعِ خَل » وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُتْبَاعِ ، فَخَذُوا لِلْحَرْبِ أَهْبَتَهُمَا ،

وَأَعِدُّوا لَهُمَا عُدَّتَهَا، فَقَدْ شُبَّ لَظَاهَا، وَعَلَا سَنَاها، وَأَسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ،
فَإِنَّهُ أَدْعَى لِلنَّصْرِ.

اللغة

(خزيت) من الخزي وهو الذلّ و الإهانة و (الاهبة) كالمعدة بضم الفاء
فيهما ما يعدّ للحرب من السلاح والآلات و (شبّ لظاها) بالبناء على الفاعل اى
ارتفع لهبها، أو بالبناء على المفعول اى اوقدت نارها و (السناء) الضوء (أدعى للنصر)
وفي بعض النسخ أحزم للنصر من حزمت الشيء إذا شدته كأنه يشد النصر

الاعراب

فاعل يبايع عابد إلى عمرو بن العاص، وجملة فلا ظفرت دعائية لا محلّ لها
من الاعراب، واسناده إلى الامانة من باب التوسع، والحرب مؤنث سماعي ولذلك
اعيد الضماير الخمسة بعدها إليها مؤنثة

المعنى

اعلم أن هذا الفصل من كلامه بيان لحال عمرو بن العاص مع معاوية (و) يقول
إن عمرو (لم يبايع) لمعاوية (حتى شرط أن يؤتیه) معاوية (على البيعة) مصر
طعمة و (ثمنا فلا ظفرت) ولا فازت (بالبايع) و هو عمرو في بيعته بالثمن او بما
يأمله (وخزيت امانة المبتاع) وهو معاوية

وقال الشراح المعتزلي: البايع معاوية والمبتاع هو عمرو، ولعله نظر إلى أن
معاوية باع مصر له ببيعته ولكنّه خلاف ظاهر الكلام حيث إنه لا يباع جعل البيعة
مثمنا فيكون مصر ثمنا فالأظهر ما ذكرناه

ثم أمر بأن بتهيئة أسباب الجهاد مع القاسطين بقوله: (فخذوا للحرب اهبتها)
اى سلاحها (و أعدوا لها عدتها فقد شبّ لظاها) ولهبها (وعلا سناها) وضوؤها،
استعار لفظ الظا والسنا عن أمارات الحرب لكون كل منهما علامة لما فيه مظنة

الهلاك ، ثم أمر بالصبر في الحرب بقوله : (واستشعروا الصبر) اى اجعلوه شعاراً لكم كالشوب الملازم للجسد (فانه) اى الصبر (ادعى للنصر) ومن أقوى أسبابه و اعلم أن كيفة تلك المبايعة على ما رواه المحدث العلامة المجلسي والشراح المعتزلي جميعاً من كتاب الصفتين لنصرين مزاحم مع إسقاط الزوائد منا هو أنه ^{١٤٤} حين قدم الكوفة بعد فراغه من قتال الناكثين كتب إلى معاوية كتاباً على ما يأتي ذكره في انكتاب في باب المختار من كتبه إنشاء الله يدعوه فيه إلى البيعة وأرسل جرير بن عبدالله الجلي رسولا إليه مع كتابه فقدم عليه به الشام فقرمه واغتم بما فيه و ذهبت به أفكاره كل مذهب و طاول جريراً بالجواب عن الكتاب حسبما تطلع على تفصيله في شرح كلامه الثالث والأربعين في باب المختار من الكتب

حتى كلم قوما من أهل الشام في الطلّب بدم عثمان فأجابوه وبايعوه على ذلك وأذتقوا له على أن يبذلوا انفسهم وأموالهم أو يدركوا ثاره أو يغنى الله أرواحهم فلما أمسى معاوية اغتم بما هو فيه و استحنه جرير بالبيعة فقال : يا جرير إننا ليست بخلسة وإنه أمر له ما بعده فابلغني ريمي حتى أنظر ، ودعائقاته فقال له أخوه عتبة بن أبي سفيان : استغن بعمرو بن العاص فانه من قد علمت في دهائه و رأيه و قد اعتزل أمر عثمان في حياته و هو لامرك أشدّ اعتزالاً إلا أن يثمن له دينه فسيبيعك فانه صاحب دنيا .

فكتب معاوية إلى عمرو: أما بعد فانه قد كان من أمر عليّ وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في نفر من أهل البصرة و قدم علينا جرير بن عبدالله في بيعة عليّ وقد حبست نفسى عليك حتى تأتيني فاقبل اذا كرك أموراً لا تعدم مقتبها إنشاء الله

فلما قدم الكتاب على عمرو واستشار ابنه عبدالله و محمدأ فقال : ماتريان ؟ فقال عبدالله : أرى أن نبي الله قبض وهو عنك راض والخليفتان من بعده ، وقتل عثمان وأنت عنه غائب فقرّ في منزلك فلست مجعولا خليفة ولا تريد على أن تكون حاشية لمعاوية

على دنيا قليلة أو شكتما أن تهلكا فتستويا (فتسويا خل) في عقابها
وقال محمد : أرى أنك شيخ قريش وصاحب أمرها وأن تصرم هذا الأمر و أنت
فيه غافل تصغر أمرك فالحق بجماعة أهل الشام و كن يدا من أيديها و اطلب بدم
عثمان فإنه سيقوم بذلك بنوامية .

فقال عمر وأما أنت يا عبدالله فأمرتني بما هو خير لي في ديني ، وأما أنت يا محمد
فأمرتني بما هو خير لي في دنياي وأنا ناظر فيه فلم أجته الليل رفع صوته ينشد آياتاً (١)
في ذلك ردّها فقال عبدالله : ترحل الشيخ .

و دعى غلاماً له يقال له وردان : وكان داهيا مارداً فقال : ارحل يا وردان ثم
قال : احطط يا وردان ثم قال : ارحل يا وردان احطط يا وردان فقال له : وردان
خلطت أبا عبدالله أما أنتك إن شئت أنبأتك بما في نفسك قال : هات ويحك قال :
اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت : عليّ مع الآخرة في غير الدنيا وفي الآخرة
عوض من الدنيا ، ومعاوية مع الدنيا بغير آخرة وليس في الدنيا عوض من الآخرة
فانت واقف بينهما قال : فأنك والله ما أخطأت فماترى يا وردان ؟ قال : أرى أن تقيم
في بيتك فان ظهر أهل الدين عشت في عفودينهم ، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا
عنك قال الآن لما شهدت (شهرت خ ل) العرب مسيرى إلى معاوية .

فارتحل و صار حتى قدم على معاوية وعرف حاجة معاوية إليه فباعده من
نفسه وكايد كل واحد منهما صاحبه فقال له معاوية يوم دخل عليه : أبا عبدالله طرقتنا
في ليلتنا هذا ثلاثة أخبار ليس فيها ورد ولا صدر قال : وما ذلك ؟ قال : منها أن
محمد بن أبي حذيفة كسر سجن مصر فخرج هو وأصحابه وهو من آفات هذا الدين ،
ومنها أن قيصر زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام ، ومنها أن علياً نزل الكوفة
متهيئاً للمسير إلينا .

فقال عمرو : كل ما ذكرت عظيماً أما امر ابن أبي حذيفة فما يعظملك من

رجل خرج في اشباهه ان تبعث إليه رجلا يقتله أو ياتيك به و إن قاتل لم يضرك
وأمّا قيصر فاهدله الوصايف وآنية الذهب والفضة وسله المودعة فإنه اليها سريع ،
و أمّا عليّ فلا والله يا معاوية ما يسوى العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء
و إن له في الحرب لحظا ما هو لأحد من قريش وإنه لصاحب ما هو فيه إلا أن تظلمه
قال نصروروى عمر بن سعد بإسناده قال : قال معاوية لعمر بن مرو : يا أبا عبد الله إننى
أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذى عصى ربّه و شقّ عصا المسلمين و قتل الخليفة
وأظهر الفتنة و فرّق الجماعة و قطع الرّحم ، قال عمرو : من هو ؟ قال : عليّ قال عمرو :
والله يا معاوية ما أنت وعليّ حملى بغير مالك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا فقهه
ولا علمه ، والله إن له مع ذلك جدّاً و جدوداً و خطئاً و خطوة و بلاء من الله حسناً
فما تجعل لي عليّ أن شايعنّ عليّ ما تريد قال : حكمك قال : مصر طعمة

قال : فتلكاه (١) عليه معاوية قال له : أبا عبد الله أما تعلم أن مصر مثل العراق
قال : بلى ولكنّها إنّما تكون لي إذا كانت لك و إنّما تكون لك إذا غلبت عليّ
على العراق .

قال : فدخل عليه عتبة بن أبي سفيان فقال : أما ترضى أن تشتري عمرواً بمصر
إن هي صفت لك ليتك لا تغلب عليّ الشّام فقال معاوية : يا عتبة بت عندنا الليلة قال
فلما جنّ الليل عليّ عتبة رفع صوته بسمع معاوية بأبيات (٢) يحثّه فيها على ارضاء
عمرو فلما سمع معاوية ذلك أرسل إلى عمرو وأعطاها إياه . فقال عمرو : ولى الله
عليك بذلك شاهد قال له معاوية : نعم لك الله عليّ بذلك إن فتح الله علينا الكوفة
فقال عمرو : والله عليّ ما نقول و كيّل فخرج عمرو من عنده فقال له ابنه : ما صنعت ؟
قال : أعطانا مصر طعمة قالوا : و ما مصر في ملك قال : لا أشبع الله بطونكمما إن لم
يشبعكما مصر .

١- أى ما طل في الجواب .

٢- الابيات المذكورة في شرح المعتزلي ، منه

قال : وكتب له معاوية بمصر كتابا وكتب على أن لا ينقض شرط طاعته فكتب عمرو أن لا ينقض طاعته شرطاً وكأيد كل منهما صاحبه

قال وكان مع عمرو ابن عم له فتى شاب وكان داهيا فلما جاء عمرو بالكتاب مسروراً عجب الفتى وقال : لا تخبرني يا عمرو بأي رأى تعيش في قريش أعطيت دينك ومنيت دنيا غيرك ، أترى أهل مصر وهم قتلة عثمان يدفعونها إلى معاوية وعلي حي ؟ وأتراها إن صارت لمعاوية لا يأخذها بالحرف الذي قدمه في الكتاب ؟

فقال عمرو : يا ابن أختي إن الأمر لله دون علي ومعاوية وأنشد الفتى في ذلك شعراً (١) فقال له عمرو : يا ابن عم لو كنت مع علي وسعني بيتي ولكنني مع معاوية فقال له الفتى : إنك إن لم ترد معاوية لم تردك ولكنك تريد دنياه ويريد دينك .

وبلغ معاوية قول الفتى فطلبه فهرب ولحق بعلي فحدثه بأمر عمرو ومعاوية ، قال : فسر ذلك علياً وقر به قال : وغضب مروان وقال : ما بالي لا اشتري كما اشتري عمرو فقال له معاوية : انما نبتاع لك

قال نصر فلما كتب الكتاب قال معاوية لعمرو ماترى ؟ قال : امض الرأى الأول فبعث مالك بن هبيرة الكندي في طلب محمد بن أبي حذيفة فأدركه وقتله ، وبعث إلى قيصر بالهدايا فوادعه ، ثم قال : ماترى في علي ؟ قال : إنته قد أتاك في طلب البيعة خير أهل العراق ومن عند الناس في أنفس الناس ودعواك أهل الشام إلى رد هذا البيعة خطر شديد ، ورأس أهل الشام شرحيل بن السمط الكندي وهو عدو لجبرير المرسل إليك فابعث إليه ووطئه له ثقاتك فليفشوا في الناس أن علياً قتل عثمان وليكونوا أهل الرضا عند شرحيل فإنها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحب وإن تعلقت بقلب شرحيل لن تخرج منه بشيء أبداً

فكتب إلى شرحيل أن جبرير بن عبدالله قدم علينا من عند علي بن أبي طالب بأمر مفضل فاقدم ، فدعى معاوية بريد بن ليث وبسر بن أرطاة وعمرو بن سفيان ومخارق ابن الحرث الزبيدي وحمزة بن مالك وعابس بن سعيد الطائي وهؤلاء رؤساء قحطان واليمن وكانوا ثقات معاوية وخاصته وبني غم شرحيل بن السمط فأمرهم أن يلتقوه

ويخبروه أن علياً قتل عثمان .

فلما قدم كتاب معاوية على شرحبيل وهو بجمص استشار بأهل اليمن فاختلفوا عليه ، فقام إليه عبدالرحمن بن غنم وهو صاحب معاذ بن جبل وختنه وكان أقره أهل الشام ، فنهاه عن المسير إلى معاوية ووعظه ونهاه أيضاً عياض اليماني و كان ناسكاً فأبى شرحبيل إلا أن يسير إلى معاوية فلما قدم تلقاه الناس فاعظموه و دخل على معاوية .

فقال له معاوية : يا شرحبيل إن جرير بن عبدالله يدعونا إلى بيعة علي و علي خير الناس لولا أنه قتل عثمان و حبست نفسي عليك و إنما أنا رجل من أهل الشام أرضى ما رضوا وأكره ما كرهوا فقال شرحبيل : أخرج و أنظر ، فلقيه هؤلاء النفر الموطون له فكلتهم أخبره أن علياً قتل عثمان ، فرجع مغضباً إلى معاوية فقال : يا معاوية أباي الناس إلا أن علياً قتل عثمان ، والله إن بايعت له لنخرجك من شامنا أو لنقتلنك .

فقال معاوية : ما كنت لأخالف عليكم ما أنا إلا رجل من أهل الشام قال : فرد هذا الرجل إلى صاحبه فعرف معاوية أن شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق و أن الشام كله مع شرحبيل وعند ذلك استعد للقتال و كتب إلى علي عليه السلام : ما استعرفه في شرح الكلام الثالث والأربعين إن شاء الله

تكملة

قد اشرنا سابقاً إلى أن هذا الفصل من كلامه عليه السلام كالفصلين السابقين ملتقط من كلام طويل له عليه السلام ولكونه مشتملاً على مطالب نفيسة أحببنا أن نورد هنا بتمامه فأقول : روى العلامة المجلسي في البحار والشارح المعتزلي في شرح الكلام السابع والستين جميعاً من كتاب الغارات لابراهيم بن مسعود الثقفي عن رجاله عن عبدالرحمان بن جندب عن أبيه قال دخل عمرو بن الحمق وحجر بن عدي و حبة العرنبي والحارث الأعدو وعبدالله بن سبا على أمير المؤمنين بعد ما افتتحت مصر وهو مغمووم حزين فقالوا له : بين لنا ما قولك في أبي بكر وعمر ؟ فقال لهم علي عليه السلام :

هل فرغتم لهذا وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي قد قلت أنا مخرج إليكم كتاباً أخبركم فيه عما سألتهم وأسألكم أن تحفظوا من حقّي ما ضيعتم فاقروه على شيعتي وكونوا على الحقّ وهذه نسخة الكتاب :

من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى قرآء كتابي هذا من المؤمنين و المسلمين السلام عليكم فاني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن الله بعث محمداً نذيراً للعالمين أميناً على التنزيل وشهيداً على هذه الأمة ؛ وأتم معاشر العرب يومئذ على شرّ دين وفي شرّ دار منيخون على حجارة خشن وجنادل صمّ وشوك مبثوث في البلاد ، تشربون الماء الخبيث وتأكلون الطعام الجشب وتسفكون دماءكم و تقتلون أولادكم وتقطعون أرحامكم وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل ، سبلكم خائفة والأصنام فيكم منصوبة ، ولا يؤمن أكثركم بالله إلا وهم مشركون .

فمن الله عزّ وجلّ عليكم بمحمّد فبعثه إليكم رسولا من أنفسكم وقال فيما انزل من كتابه : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » وقال : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم » وقال : « لتن من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم » وقال : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

فكان الرسول إليكم من أنفسكم بلسانكم ، فعلمكم الكتاب والحكمة والفرايض والسنة ،

وأمركم بصلة أرحامكم وحقن دماءكم وصلاح ذات البين ، وأن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها ، و أن توفوا بالعهد ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها .

وأمركم أن تعاطفوا وتبادوا وتباشروا وتبازلوا وتراحموا ،

و نهاكم عن التماهيب و التظالم و التحاسد و التبغاي و التقاذف و عن شرب

الحرام و بخرس المكياج ونقص الميزان ، و تقدم اليكم فيما تلى عليكم أن لاتزنوا ولا تربوا ولا تأكلوا أموال اليتامى ، و أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وأن لاتعشوا في الأرض مفسدين ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين .

فكل خير يدني إلى الجنة ويباعد من النار أمركم به ، وكل شر يدني إلى النار ويباعد من الجنة نهاكم عنه .

فلما استكمل مدته من الدنيا توفاه الله إليه سعيداً حميداً فإياها مصيبة خصت الأقربين وعمت جميع المسلمين ، ما أصيبوا قبلها بمثلاً و لن يعاينوا بعدها اختها فلما مضى لسيلاه ﷺ تنازع المسلمون الأمر من بعده ، فوالله ما كان يلتقى في رعى ولا يخطر على بالي أن العرب تعدل هذا الأمر بعد محمد ﷺ عن أهل بيته ولا أنهم تنحوه عني من بعده .

فما راغني إلا انبئال الناس على أبي بكر واجفالهم (١) إليه ليبايعوه ، فأمسكت يدي ورأيت أنني أحق بمقام محمد ﷺ وملة محمد ﷺ في الناس ممن تولى الأمر بعده .

فلبثت بذلك ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام تدعو إلى محق دين الله وملة محمد ، فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى فيه نلماً وهد ما تكون المصيبة (الصاب خ ل) بهما أعظم من فوات ولاية اموركم التي إنما هي متاع أيام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب وكما يتقشع السحاب فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق و كانت كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون ، فتولى أبو بكر تلك الأمور وسدد وليس وقارب واقتصد ، فصحبته مناصحاً ، وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً .

و ما طمعت أن لو حدثت به حدث وأنا حي أن يرد إلى الأمر الذي بايعته فيه طمع مستيقن ولا يئست منه يائس من لا يرجوه ، ولولا خاصة ما كان بينه وبين عمر

لظننت أنه لا يدفعها عني

فلما احتضر بعث إلى عمر فولاه فسمعنا و أطعنا و ناصحنا و تولى عمر الأمر فكان مرضي (١) السيرة ميمون النقيبة

حتى إذا احتضر قلت في نفسي لن يعتدلها عني ليس يدافعها عني فجعلني سادس ستة فما كانوا لولاية أحد أشد كراهية منهم لولايتي عليهم ، فكانوا يسمعونني عند وفات الرسول أحاج أبابكر وأقول يامعشر قريش إنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم ، أما كان فينا من يقرء القرآن ويعرف السنة ويدين بدين الحق؟

فخشي القوم إن أنا وليت عليهم أن لا يكون لهم من الأمر نصيب ما بقوا فأجمعوا إجماعاً واحداً فصرفوا الولاية إلى عثمان وأخرجوني منها رجاء أن ينالوها ويتداولوها إذ يسوا أن ينالوها من قبلي ثم قالوا لهم فبايع وإلاً جاهدناك فبايعت مستكرها وصبرت محتسباً فقاتل قاتلهم : يا بن ايطالب إنك على هذا الأمر لحريص فقلت : إنهم أحرص مني و أبعد ، أينما أحرص أنا الذي طلبت تراني و حقني الذي جعلني الله ورسوله أولى به أم أتم إذ تضربون وجهي دونه و تحولون بيني و بينه فبهتوا والله لا يهدي القوم الظالمين

اللهم إنني استعديك على قريش فانهم قطعوا رحمي وأضاعوا اناتي و صغروا عظيم منزلتي و أجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به منهم فسلبوني به ثم قالوا : ألا إن في الحق أن تأخذه و في الحق أن تمنعه فاصبر كمدا (٢) أومت أسفا وحقنا فنظرت فإذا ليس معي رافد و لا ذاب و لا ناصر و لا مساعد إلا أهل بيتي فضننت بهم عن المنية فاغضيت على القذى و تجرعت ريقى على الشجى و صبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم و ألم للقلب من خرا الشفار .

حتى إذا نقتم على عثمان أيتموه فقتلتموه ثم جئتموني لتبايعوني فأبيت

١ - أى ظاهراً عند الناس و كذا ما مر في وصف أبي بكر و آثار النقيبة و المصلحة في

الخطبة ظاهرة بل الظاهر انهم من العاقبات المغالين ، بحار

عليكم و امسكت يدي فنازعتموني و دافعتموني و بسطتم يدي فكففتها ، ومددتموها فقبضتها ، و ازدحمت على حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعضكم و أنكم قاتلي فقلتم بايعنا لانجد غيرك ولا نرضي إلا بك بايعنا لانفترق ولا تختلف كلمتنا فبايعتكم و دعوت الناس إلى بيعتي ، فمن بايع طوعا قبلته منه و من أبى لم اكرهه و تركته فبايعني فيمن بايعني طلحة و الزبير و لوأبيا ما اكرهتهما كما لم اكره غيرهما .

فما لبثنا إلا يسيراً حتى بلغني أنهما قد خرجا من مكة متوجهين إلى البصرة في جيش ما منهم رجل إلا قد أعطاني الطاعة و سمح لي بالبيعة ، فقد ما علي عاملي و خز أن بيت مالي و على أهل مصر في الذين كلهم على بيعتي و في طاعتي ، فشتتوا كلمتهم و أفسدوا و اجماعتهم ، ثم دثبوا على شيعتي من المسلمين فقتلوا طائفة منهم غدراً ، و طائفة منهم غضبوا لله فشهروا سيوفهم و ضربوا بها حتى لقوا الله صادقين .

فوالله لولم يصيبوا منهم إلا رجلاً واحداً متممدين لقتله لحد لي به قتل ذلك الجيش بأسره فدع ما أنتم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدة التي دخلوا بها عليهم ، وقد أدال الله منهم فبعد اللقوم الظالمين .

ثم إنى نظرت في أمر أهل الشام فاذا أعراب أحزاب و أهل طمع جفاة طغاة يجتمعون من كل أوب من كان ينبغي أن يؤدب أو يولى عليه ويؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين ولا الأ نصار ولا التابعين باحسان ، فسرت إليهم فدعوتهم إلى الطاعة و الجماعة فأبوا إلا شقاقا و فراقا و نهضوا في وجوه المسلمين ينظموهم بالنبل و يشجرونهم بالرماح فهناك نهدت إليهم بالمسلمين فقاتلتهم .

فلمّا عضهم السلاح و وجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها فأنباتكم أنهم ليسوا بأهل دين ولا قرآن و أنهم رفعوها غدراً و مكيدة و خديعة و وهنا وضعوا فامضوا على حقتكم و قتالكم ، فأبيتم على و قلتم اقبل منهم فان أصابوا إلى ما في الكتاب جامعونا على ما نحن عليه من الحق ، و إن أبوا كان أعظم لحجتنا

عليهم فقبلت منهم وكففت عنهم إذ دينتم وأبئتم
وكان الصلح بينكم وبينهم على رجلين يحييان ما أحبب القرآن ويميتان ما
أما القرآن ، فاختلف رأيهما وتفرق حكمهما ونبذا حكم القرآن وخالفا ما في
الكتاب فجنبهما الله السداد وولاهما في الضلالة ، فنبذا حكمهما وكانا أهله
فانخزلت فرقة منا فتركتاهم ما تركونا حتى إذا عشا في الأرض يقتلون
ويفسدون أبنائهم فقلنا ادفعوا إلينا قتلة إخواننا ثم كتاب الله بيننا وبينكم قالوا :
كلنا قتلهم وكلنا استحل دماهم ودمائكم وشدت علينا خيلهم ورجالهم فصرعهم الله
مصارع الظالمين .

فلما كان ذلك من شأنهم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوكم
فقلتم: كلت سيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت (١) سنة رماحنا ، وعاد أكثرها قصدا فارجع
بنا إلى مصرنا لنستعد بأحسن عدتنا فإذا رجعت زدت في مقاتلتنا عدة من هلك منا
وفارقنا فإن ذلك أقوى لنا على عدونا

فأقبلت بكم حتى إذا ظلتم (٢) على الكوفة أمرتكم أن تنزلوا بالنخيلة
وأن تلتزموا معسكركم وأن تضموا قواضيكم وأن توطنوا على الجهاد أنفسكم و لا
تكثروا زيارة أبنائكم و نساتكم فإن أهل الحرب لمصابروها ، و أهل القشيم فيها
غاصية فلا من بقى منكم صبر و ثبت ، و لا من دخل المصر عاد إلى و رجع ، فنظرت
إلى معسكري وليس فيه خمسون رجلا :

فلما رأيت ما أبئتم دخلت إليكم فلم أقدر إلى أن تخرجوا إلى يومنا هذا
فما تنتظرون أماترون أطرافكم قد انتقصت ، و إلى مصركم قد فتحت ، و إلى شيعتي
بها قد قتلت ، و إلى مسالحكم (٣) تغرى (٤) ، و إلى بلادكم ، تغزى ، و انتم ذوو عدد

١- نصل السهم إذا خرج منه النصل ونصل السهم إذا ثبت نصله ق

٢- اطل على الشيء. اشرف

٣- السالح النور

٤ اي خالية عن الرجال والسلاح

كثير ، وشوكة وبأس شديد .

فما بالكم لله انتم من أين تؤتون ، ومالكم تسحرون ، وأنسى تؤفكون ، ولو عزمتم وأجمعتم لم تراموا إلا أن القوم قد اجتمعوا وتناشبو وتناصحوا وأنتم قد دينتم و تغاشستم و افترقتم ما أنتم إن اتمتم عندى على هذا بمنقذين فاتتهوا عمسا نهيمتم واجمعوا على حقكم و تجردوا لحرب عدوكم قد أبدت الرجوة من التصريح (١) وبين الصبح لذي عينين .

انما تقاتلون الطلقاء و أبناء الطلقاء و اولى الجفاء و من أسلم كرها فكان لرسول الله انف (٢) الاسلام كله حربا باعداء الله والسنة والقرآن و أهل البدع والأحداث و من كانت بواقه تقى و كان على الاسلام و أهله مخوفا آكلة الرشا و عبدة الدنيا . لقد انهى إلى أن ابن السابغة لم يبايع معاوية حتى اعطاه و شرط له أن يؤتبه اتيه هي أعظم ممسا في يده من سلطانه الا صفرت يده هذا البايع دينه بالدنيا ، و خزيت أمانة هذا المشتري بنصرة فاسق غادر بأموال المسلمين وأن فيهم من قد شرب فيكم الخمر و جلد الجلد (الحدخ) يعرف بالفساد في الدين وفي الفعل السيئ ، وأن فيهم من لم يسلم حتى رضخ له رضية (رضخة خ)

فهؤلاء قادة القوم و من تركت ذكر مساويه من قاداتهم مثل من ذكرت منهم بل هوشر و بود هؤلاء الذين ذكرت لوولوا عليكم فأظهروا فيكم الكفر والفساد والفجور والتسلط بالجبرية و اتبعوا الهوى و حكموا بغير الحق ، و لا تتم على ما كان فيكم من تواكل و تخاذل خير منهم و أهدي سبيلا فيكم العلماء والفقهاء والنسبجاء والحكماء و حملة الكتاب و المتمجدون بالأسحار و عمارة المساجد بتلاوة القرآن أفلا تسخطون و تهتمون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم و الأشرار الأرازل منكم فاسمعوا قولي و أطيعوا أمري إذا أمرت فوالله لئن أطعتموه لا تغفرون ، و إن عصيتموه لا ترشدون .

١- التصريح اللبن الخالص اذا ذهب رغوته

٢- انف كل شيء اوله و انف البرد اشده

خذوا للحرب اهبتها وأعدوا عدتها فقد شبت نارها وعلاسناؤها وتجر دلكم فيها الفاسقون كى يعدّوا عباد الله ويطفؤوا نور الله إلا إنّه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والمكر والجفاء بأولى في الجدد في غيرهم وضلالهم من أولياء الله أهل البر والزّهادة والاخبات بالجد في حقهم وطاعة ربهم ومناصحة إمامهم اي والله لولقيتهم فرداً وهم ملاء الأرض ما باليت ولا استوحشت و انى من ضلالتهم التي هم فيها والهدى الذي نحن عليه لعلى ثقة وبيّنة وبقين وبصيرة ، و انى إلى لقاء ربى لمشتاق و لحسن نوابى لمنتظر ولكن أسفا يعتربنى وحزنا يخامرني أن يلى أمر هذه الامة سفهاؤها و فجارها ، فيتخذوا مال الله دولا و عباد الله خوفاً و الفاسقين حزباً

وأيّم الله لولا ذلك لما أكثرت تأنيبكم وتحريضكم، ولتركتكم إذا دنيتم وأيتم حتى ألقاهم بنفسى متى حم (۱) لى لقائهم ، فوالله انى لعلى الحق ، و انى للشهادة لمحب .

فانفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، و لا تقاتلوا إلى الأرض فتقرّوا بالخسف و تبوءوا بالذلّ و يكن نصيبكم الآخر إنّ أخا الحرب ليقظان ومن ضعف أودى (۲) و من ترك الجهاد كان كالمغبون المهين .

اللهم اجمعنا و إيتاهم على الهدى ، و زهدنا و إيتاهم في الدنيا ، و اجعل الآخرة خيراً لنا ولهم من الأولى ، والسلام .

الترجمة

بعض دیگر از این خطبه اشاره است بر قصه بیعت عمرو عاص بر معاویه ملعون می فرماید که بیعت نکرد عمرو عاص حتی اینکه شرط نمود آنکه بدهد معاویه باو بر بیعت او من و بهائی که عبارت بود از حکومت مصر ، پس مظفر مبادست بیعت کننده

و خوار و ذلیل باد عهد و پیمان بیعت نموده شده ، پس اخذ نمایند از برای جنک و اسلحه جنک را و مهیّا سازید از برای اوساز و یراق آنرا ، و بتحقیق که افروخته شد آتش حرب و بلند شد شعله او و شعار خود نمایند صبر و شکیبائی را در معرکه قتال پس بدرستی که استشعار صبر اقوی داعی است از برای انتصار و ظفر والله اعلم .

و من خطبة له عليه السلام وهي السابعة والعشرون من المختار في باب الخطب

وهذه من مشاهير خطبه و صدرها مروية في الوسائل من الكافي عن أحمد بن محمد بن سعيد عن جعفر بن عبدالله العلوي و عن أحمد بن محمد الكوفي عن علي بن العباس عن إسماعيل بن إسحاق جميعاً عن أبي روح فرخ بن فروة عن مسعدة بن صدقة عن ابن أبي ليلى عن أبي عبدالرحمان السلمي عنه عليه السلام و رواها المبرّد في أدبيل الكامل والعلامة المجلسي في البحار من معاني الأخبار للصدوق بزيادة و نقصان ليطلع عليها بعد الفراغ من شرح ما أورده السيد في الكتاب وهو قوله :

أما بعدُ ، فإنَّ الجهادَ بابٌ من أبواب الجنّة ، فتحه اللهُ لِخاصّةٍ أو ليأيه
و هو لباسُ التقوى و درعُ اللهِ الحَصينةُ و جنتُهُ الوثيقةُ ، فَمَنْ تَرَكَهُ
رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللهُ تَوْبُ الذُّلِّ و سَمِيَةَ البَلَاءِ ، و دُيِّتَ بِالصَّغَارِ و الْقِيَاءِ ،
و ضُربَ عَلَيَّ قَلْبُهُ بِالأَسْدَادِ ، و أُدبِلَ الحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الجِهَادِ ، و سَمِيَ
الخَسْفَ و مُنِعَ النِّصْفَ .

ألا و إني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً و نهاراً و سراً

وَإِعْلَانًا ، وَقُلْتُ لَكُمْ اغزؤم قَبْلَ أَنْ يَغزؤكُمْ ، فَوَاللَّهِ مَا غَزِي قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا ، فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنْتُمْ عَلَيكُمْ الْغَارَاتُ ، وَمَلَكَتْ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانُ ، وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خِيَاهُ الْأَنْبَارَ ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَانَ بْنَ حَسَنِ الْبَكْرِي وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا ، وَلَقَدْ بَأَفَنِي أَنْ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْثَةِ السَّلَامَةَ ، وَالْآخَرَى الْمَعَاهِدَةَ فَيَنْتَزِعُ حَجَلَهَا وَقَلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرِعَائِهَا ، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالْإِسْتِرْجَاعِ وَالْإِسْتِرْحَامِ ، ثُمَّ انصَرَفُوا وَافْرِينَ مَا نَالَ رُجُلًا مِنْهُمْ كَلِمًا ، وَلَا أَرِيْقَ لَهُ دَمٌ .

فَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا ، بَلْ كَانَتْ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا ، فَيَا عَجَبًا عَجَبًا وَاللَّهِ يُبَيْتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ اللَّهُمَّ مِنْ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ، فَقُبْحًا لَكُمْ وَتَرَحًا ، حِينَ صَرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى ، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيَّرُونَ ، وَتُغَزُونَ وَلَا تُغَزُونَ ، وَيُضَى اللَّهُ وَتُرْضُونَ ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَةٌ الْقَيْظِ أَمَهَلْنَا يَسْبِخُ عَنَّا الْحَرُّ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَةٌ الْقُرِّ أَمَهَلْنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبَرْدُ ، كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَفِرُونَ فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَفْرٌ .

يا أشباه الرجال ولا رجال، حُلومُ الأَطفالِ، وعُقُولُ رَبَّاتِ الحِجَالِ ،
لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمُ وَلَمْ أَعْرِفَكُمُ، مَعْرِفَةُ وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدَمًا وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا،
فَاتْلَكُمُ اللَّهُ لَقَدْ مَلَكْتُمُ قَلْبِي فَيْحًا، وَسَخَنْتُمُ صَدْرِي غَيْظًا، وَجَرَعْتُمُونِي
نُجَبَ التَّهَامِ أَنْفَاسًا، وَأَفْسَدْتُمُ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ، حَتَّى
قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنْ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ، وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ
لِلَّهِ أَبُوهُمْ، وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي،
لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ، وَهَذَا إِذَا قَدْ ذَرَفَتْ عَلَى السِّتِينَ
وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ.

اللغة

(درع) الحديد مؤنث سماعي وقد يذكّر و (الجنة) بالضم كل ما وقى
و (شمله) ربّما يفره بالتاء وهي كساء تغطى به و الفعل أظهر كما هو المضبوط
و (ديه) ذلله ومنه الدبوت الذي لاغيرة له و (الصغار) الذل والضميم و (القماء)
بالمد الصغار وعن الرأوندي القما بالقصر وهو غير معروف ، وفي رواية الكافي القماعة
قال في القاموس : قمأ كجمع و كرم قماعة وقماعة وقماء بالضم و الكسر ذلّ
وصغر و (الاسداد) بفتح الهمزة جمع السدّ وهو الحاجز يقال : ضربت عليه الارض
بالاسداد سدت عليه الطرق وعميت عليه مذاهبه وفي بعض النسخ بالاسهاب يقال اسهب
الرجل بالبناء للمفعول إذا ذهب عقله من اذى يلحقه و (ادبل الحق منه) أى يقلب
الحق عليه فيصيبه الوبال كقول سيّد العابدين (عليه السلام) في الصّحيفة ادل لنا ولا تدل
منّا ، والادالة الغلبة و (سيم) بالبناء للمفعول من سامه خسفا أى كلفه ذلا و (النصف)

بكسر النون الانصاف و (عقر) الشيء بالضم أصله ووسطه و (التواكل) أن يكل الأمر كل واحد منهم إلى صاحبه يقال تواكل القوم اتكل بعضهم على بعض و تخاذلوا و منه رجل و كل اى عاجز يكل أمره إلى غيره و (شنت) أى مزقت

قال الشارح المعترلي : و ما كان من ذلك متفرقاً نحو إرسال الماء على الوجه دفعة بعد دفعة فهو بالشين، و ما كان ارسالاً غير متفرق فهو بالسین المهملة و (اخوغامد) هو سفیان بن عوف الغامدى منسوب إلى الغامد قبيلة من اليمن و (الانبار) بلد قديم من بلاد العراق على الفرات من الجانب الشرقى و (المسالح) جمع مسلحة و هى الحدود التى رتب فيها ذوالأسلحة لدفع العدو كالنفر و (المعاهدة) بصيغة اسم الفاعل ذات العهد و هى الذميمة و (الحجل) بفتح الحاء و كسرهما الخلخال و (القلب) بالضم سوار المرمة و (الرعات) جمع رعثة بفتح الرء و سكون العين و فتحها و هى القرط ، و الرعات أيضاً ضرب من الحلوى

و (الاسترجاع) قول إن الله و إنما إليه راجعون ، و قيل ترديد الصوت بالبكاء و (الاسترحام) مناشدة الرّحم أى قول انشدك الله و الرّحم ، و قيل طلب الرّحم و هو بعيد و (انصرفوا و افرين) اى تايمين يقال و فر الشيء أى تم و وفرت الشيء أى أتمته .

و فى رواية المبرد و الصدوق موفورين ، و هو بمعناه و (الكلم) الجرح و (الترح) محرّكة ضدّ الفرح و (الغرض) الهدف و (خمارة القيظ) بتشديد الرّاء شدة حرّه و (تسبخ الحرّ) بالسّين و الباء و الخاء المعجمة سكن و فتر كسبخ تسيبها و (صبارة) الشّتاء بالتشديد شدة برده و (القرّ) بضمّ القاف البرد أو يخصص بالشّتاء و (ربّات الحجّال) النّساء أى صواحبها أو اللاتي ربّين فيها ، و هى جمع حجلة و هى بيت يزيّن فيها .

و (السّدم) الحزن و (قاتلكم الله) كناية عن اللّعن و الابعاد و (القبيح) الصّديد بلام و (النّهب) جمع نغبة كالجرعة لفظاً و معنى و (التّهمام) بفتح التاء

المهم و (انفاسا) أى جرعة بعد جرعة و (لله أبوهم) كلمة مدح ولعلها استعملت هنا للتعجب و (المراس) مصدر مارسه أى زاوله و عالجه و (ذرفت على الستين) بتشديد الراء أى زدت

الاعراب

لباس التقوى بحذف المضاف أى لباس أهل التقوى ، و يمكن عدم الحذف بالتأويل الآتى : إضافة الثوب إلى الذل بيانية ، والباء في قوله بتضييع الجهاد للسببية و سيم الخسف التائب عن الفاعل ضمير من ، و الخسف بالنصب مفعول أى كلف بالخسف والزمه ، وكلمة على في قوله وملكت عليكم تفيد الاستعلاء بالقهر والغلبة والضمير في قوله ما كان به راجع إلى الموت المستفاد من مات .

وقوله : فياعجبا منصوب على النداء اصله يا عجمي أى احضر هذا أوانك ، وعجبا الثاني إماتو كيده أو منصوب بالمصدرية أى أيها الناس تعجبوا منهم عجبا ، والقسم معترض بين الصفة والموصوف .

و قبحاً وترحاً منصوبان على المصدرية ، و لا رجال خبره محذوف ، وحلوم الاطفال وعقول ربّات الحجال إمّا بالنصب على حذف حرف النداء أى يازوى حلوم الأطفال و ذوى عقول النساء ، وفي بعض النسخ بالرّفع أى حلومكم حلوم الأطفال وعقولكم عقول النساء ، و معرفة يمكن أن يكون فعله محذوفاً أى عرفتكم معرفة جرت ندما ، وأنفاسا مفعول مطلق لجرعتموني على غير لفظه ، والضمائر الثلاثة للحرب وهى مؤنثة و قد يذكر .

المعنى

اعلم أن هذه الخطبة الشريفة مما خطب بهافي أواخر عمره الشريف ، و ذلك بعد ما انقضت وقعة صفين و استولى معاوية على البلاد و أكثر القتل و الغارة في الأطراف و أمر سفيان بن عوف الغامدى بالسير إلى الأنبار و قتل أهلها .

و تفصيله هو ما رواه الشارح المعتزلي من كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الشقفي عن ابن الكنود .

قال حدثني سفيان بن عوف الغامدي ، قال دعاني معاوية فقال : انسي باعذك في جيش كثيف ذي اداة و جلادة فالزم لي جانب الفرات حتى تمر بهيت فقطعها فان وجدت بها جندا فاغر عليهم و إلا فامض حتى تغير على الأنبار فان لم تجد بها جندا فامض حتى توغل المداين ، ثم أقبل إلى واتق أن تقرب الكوفة و اعلم أنك إن أغرت على الأنبار و أهل المداين فكأنك أغرت على الكوفة ، إن هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق ترعب قلوبهم ، و تفرح كل من له فينا هوى منهم ، و تدعو اليناكل من خاف الدوائر ، فاقتل من لقيت ممن ليس هو على مثل رأيك ، و اخرب كل ما مررت به من القرى ، و احرب الأموال فان حرب الأموال شبيه بالقتل ، و هو أوجع للقلب .

قال : فخرجت من عنده فعسكرت و قام معاوية في الناس خطيبهم فقال : أيها الناس انتدبوا مع سفيان بن عوف فإنه وجه عظيم فيه اجر سريرة فيه ادبتكم إن شاء الله ثم نزل . قال : فوالذي لا إله غيره ما مررت ثالثة حتى خرجت في ستة آلاف ، ثم لزم شاطيء الفرات فاغذت السير حتى أمرت بهيت فبلغهم انسي قد غشيتهم فقطعوا الفرات فمررت بها و ما بها غريب كأنها لم تحل قط ، فوطيتها حتى أمرت بصدوراء ففر و فلم ألق بها أحدا فامض حتى افتتح الأنبار و قد انزر و ابي فخرج صاحب المسلحة فوقف الى فلم اقدم عليه حتى أخذت غلمانا من أهل القرية فقلت لهم : أخبروني كم بالأنبار من أصحاب علي ؟ قالوا : عدة رجال المسلحة خمسمائة و لكنهم قد تبدوا و رجعوا إلى الكوفة و لاندري بالذي يكون فيها قد يكون مأتى رجل .

فزلت فكتبت أصحابي كتابي ثم أخذت أبعثهم إليه كتيبة بعد كتيبة فيقاتلهم والله و يصير لهم و يطاردهم و يطاردون في الأزقة فلما رأيت ذلك انزلت إليهم نحواً من مائتين و أتبعتهم الخيل ، فلما حملت عليهم الخيل و أمامها الرجال تمشي لم يكن شيء حتى تفرقوا ، و قتل صاحبهم في نحو من ثلاثين رجلا ، و حملنا ما كان في الأنبار من الأموال ثم انصرفت .

فوالله ما غزوت غزاة كانت أسلم ولا أقر للعيون ولا أسر للنفوس منها و بلغني

أنهار عبت الناس فلما عدت إلى معاوية حدثته الحديث على وجهه فقال : كنت عند ظني بك لا تنزل في بلد من بلداني إلا قضيت فيه مثل ما يقضى فيه أميره وإن أحببت توليته وليتك ، و ليس لأحد من خلق الله عليك أمر دوني قال : فوالله ما لبثنا إلا يسيراً حتى رأيت رجال أهل العراق يأتوننا على الأبل هرأبا من عسكر علي عليه السلام .
قال إبراهيم و قدم علعج من أهل الأنبار على علي فأخبره الخبر فصعد المنبر فخطب الناس و قال : إن أخاكم البكري قد أصيب بالأنبار و هو معتزل لا يخاف ما كان و اختار ما عند الله على الدنيا ، فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم فإن أصبتم منهم طرفاً انكتموهم عن العراق ابداً ما بقوا .

ثم سكت عنهم رجاء أن يجيبوه أو يتكلم متكلم منهم بكلمة ، فلم ينفس أحد منهم بكلمة فلما رأى سمتمهم نزل و خرج يمشي راجلاً حتى أتى النخيلة والناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من أشرافهم فقالوا : ارجع يا أمير المؤمنين نحن نكفيك ، فقال : ما تكفونني ولا تكفون أنفسكم ، فلم يزالوا به حتى صر فوه إلى منزله ، و هو واجم كتيب .

و دعى سعيد بن قيس الهمداني فبعثه من النخيلة في ثمانية آلاف ، و ذلك إنه أخبر أن القوم جاؤوا في جمع كثيف ، فخرج سعيد بن قيس على شاطيء الفرات في طلب صفيان بن عوف حتى إذا بلغ عامات ، سرح أمامه هاني بن الخطاب الهمداني فاتبع آثارهم حتى دخل أدنى أرض قنسرين ، و قد فاتوه فانصرف .

قال : و لبث علي عليه السلام حتى ترى فيه الكأبة والحزن حتى قدم عليه سعيد بن قيس و كان تلك الأيام عليلاً فلم يقو على القيام في الناس بما يريد من القول ، فجلس بباب السدة التي تصل إلى المسجد و معه ابناه حسن و حسين عليهما السلام و عبدالله بن جعفر .

و دعا سعداً مولاة ، فدفع إليه الكتاب و أمره أن يقرأه على الناس ، فقام سعد بحيث يسمع علي عليه السلام صوته و يسمع ما يرد الناس عليه ثم قرأ الخطبة هذه (أمّا بعد فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنة فتحة الله لخاصة أوليائه) كما رواه في الكافي

عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: للجنة باب يقال باب المجاهدين يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم.

والمراد بخواص الأولياء المخلصون له في المحبة والعبادة، و من المعلوم أن الجهاد في سبيل الله لوجه الله لا لغرض آخر من خواص الكاملين في العبادة والخالصين في المحبة.

و ذلك لأن المرء المسلم إذ افارق أهله و أولاده و سلك إلى الجهاد مع علمه بأن العدو لو قهره قتله و يملك أمواله و يستبيح ذريته و مع هذه كلها يوطن نفسه على الصبر و الثبات امتثالاً لأمر الله و طلباً لمرضاته سبحانه فذلك الولي الكامل و المؤمن الخالص في مقام الإيمان و العبودية ، و حقيق بأن يدخل في زمرة :

« أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » و أن

يستبشر ببشارة : « إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »

(و هو لباس التقوى) أى به يتقى في الدنيا من غلبة الأعداء ، وفي الآخرة من حر النار كما يتقى بالتوب من الحر و البرد ، أو هو يدفع المضار عن التقوى و يحرسها ، أو عن أهل التقوى بحذف المضاف (و درع الله الحصينة) الواقعة (و جنته الوثيقة) المحكمة بها يحفظ النفس من المضار و يحترز من ذوى الأشرار (فمن تركه) كراهة له و (رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل) في الآخرة و الأولى (و شمله البلاء) و فتنة الأعداء (و دبت بالصغار و القهه) .

كما قال صلوات الله و سلامه عليه وآله : (١) فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً و فقرأفي معيشته ، و محقأفي دينه إن الله أغنى أمتي بسنابك خيلها و مراكز رماحها (و ضرب على قلبه بالاسدار) فعجز عن تدبير مصالحه و عميت عليه مذاهبه و ضاقت له مسالكه (و ادبل الحق منه بتضييع الجهاد) فتورط في الضلال و لحقه الوبال (و سيم الخسف) و الذلة (و منع النصف) و العدالة .

و قد تحصل مما ذكره عليه السلام منافع الجهاد و مصالحه و مفسد تركه و معايبه ، و فيه تحضيض على القيام به ، و ترهيب عن القعود عنه ، فانه و إن كان شاقاً على النفس في بادى الأمر من حيث كون أعظم ما يميل إليه الطبع الحياة ؛ و كون بقاء النفس للنفس مطلوباً إلا أنه بعد ملاحظة ما يترتب على القيام به من المنافع و الثمرات و على القعود عنه من المضار و العيوبات يسهل عليه القيام به ، و يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله كما قال تعالى :

« كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ »

يعنى أن الشئ ربما كان شاقاً عليكم في الحال و هو سبب للمنافع الجليلة في المستقبل و بالعكس ، و لأجله حسن شرب الدواء المر في الحال لتوقع حصول الصحة في المستقبل ، و حسن تحمل الأخطار في الأسفار بتوقع حصول الربح و الجهاد كذلك لأن تركه و إن كان يفيد في الحال صون النفس عن خطر القتل و صون المال عن الانفاق ، ولكن فيه أنواع من المضار الدنيوية و الأخروية ، كالذل و الفقر و حرمان بالغنيمة و محق الدين و طمع الأعداء ، حيث إن العدو إذا علم ميل نظرائه إلى الدعة و السكون قصد بلادهم و حاول قتلهم فاماً أن يأخذهم

و يستبيح دماءهم و أموالهم و يسبى ذراريهم ، و إما أن يحتاجوا إلى قتاله من غير اعداد آلة و سلاح .

وهذا يكون أكثر مداواة المريض مرضه في أول ظهوره بسبب مرارة الدواء، ثم يصير في آخر الأمر مضطراً إلى تحمّل أضعاف تلك النّفرة والمشقة ، مضافاً إلى ما يفوته من الثمرات الجليلة في الدنيا والآخرة من الأمن و سلامة الوقت والفوز بالغنيمة و حلاوة الاستيلاء، على الأعداء ، والدراجات التي وعدّها الله بقوله :

« فضل الله المجاهدين بأموالهم و أنفسهم على القاعدين درجة و كلاً وعد الله الحسنی ، و فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ، درجات منه و مغفرة و رحمة و كان الله غفوراً رحيماً . »

و البشري التي بشر بها رسول الله ﷺ للشهداء منهم بقوله : للشهيد سبع خصال (١) من الله أول قطرة منه مغفور له كلّ ذنب ، والثانية يقع رأسه في حجر زوجته من الحور العين و تمسحان الغبار عن وجهه و تقولان مرحباً بك و يقول هو مثل ذلك لهما ، والثالثة يكسى من كسوة الجنة ، والرابعة تبتره خزنة الجنة بكلّ ريح طيبة أتهم يأخذه معه ، والخامسة أن يرى منزله ، والسادسة يقال لروحه اسرح في الجنة حيث شئت ، والسابعة أن ينظر في وجه الله و أنّها لراحة لكلّ نبي و شهيد .

و كيف كان فأنه ﷺ لما صدرت خطبته بذكر منافع الجهاد و مضارّه فعلا و تركا أشار إلى مقصوده الذي مهّده له تلك المقدمة و هو حشّهم على جهاد معاوية و أصحابه فقال : (الأواني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم) القاسطين الفاسقين (ليلاً ونهاراً و سرّاً و إعلاناً و قلت لكم : اغزوهم قبل أن يغزوكم فوالله ما غزى قوم قط في عقدرارهم إلا ذلّوا).

و سرّاً ذلك ما أشار إليه الشّارح البحراني ، و هو أنّ للأوهام أفعال عجيبة

في الأبدان تارة بزيادة القوة و تارة بنقصانها حتى أن الوهم ربّما كان سببا لمرض الصحيح لتوهّمه المرض و بالعكس ، فكان السبب في ذلك من غزى في عقرداره و إن كان معروفا بالشجاعة هو الأوهام .

أما أوهامهم فلا نيتها تحكّم بأنّها لم تقدم على غزوهم إلا لقوة غازيهم و اعتقادهم فيهم الضعف بالنسبة إليه ، فينفع إذن نفوسهم عن ذلك الأوهام ، و تنقهر عن المقاومة و تضعف عن الانبعاث و تزول غيرتها و حميتها فتحصل على طرف رذيلة الدّل .

و أما أوهام غيرهم فلا أن الغزو الذي يلحقهم يكون باعنا لكثير الأوهام على الحكم بضعفهم و محرّكا لطمع كلّ طامع فيهم ، فيشير ذلك لهم أحكاما و حمية يعجزهم عن المقاومة .

ثمّ إنّه أشار إلى ما قابلوا به نصحه بقوله (فتواكلتم) أي و كل كلّ واحد منكم أمره إلى غيره (و تخاذلتم) أي خذل بعضكم بعضا (حتى شنت عليكم الغارات) و صبّت من كلّ جانب دفعة بعد دفعة (و ملكت عليكم الأوطان) بالقهر و الغلبة و العدوان (و هذا أخو غامد) سفيان بن عوف الغامدي (قد وردت خيله الانبار) بأمر معاوية اللعين الجبار (وقد قتل حسان بن حسان البكري) و كان من اصحابه و اليا على الأنبار .

روى إبراهيم بن محمد الثقفى في كتاب الغارات عن عبد الله بن قيس عن حبيب ابن عفيف قال: كنت مع حسان بالانبار على مسلحها إذ صبحنا سفيان بن عوف في كتاب تلمع الأبصار منها فما لونا والله و علمنا إذ رأيناهم أنّه ليس لنا طاقة بهم ولا يد ، فخرج إليهم صاحبنا وقد تفرّقنا فلم يلقم نصفنا ، و أيم الله لقد قاتلناهم فأحسننا قتالهم حتى كرهونا ، ثمّ نزل صاحبنا وهو يتلو قوله تعالى:

فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا

ثمّ قال لنا : من كان لا يريد لقاء الله ولا يطيب نفسا بالموت فليخرج عن القرية

مادمنّا نقاتلهم ؛ فانّ قتالنا إياهم شاغل لهم عن طلب هارب ، و من أراد ما عند الله فما عند الله خير للأبرار ، ثمّ نزل في ثلاثين رجلاً ، فهومت بالنزول معه ثمّ أبت نفسى فتقدّم هو و أصحابه فقاتلوا حتّى قتلوا رحمهم الله .

(و أزال خيلكم عن مسالحتها) و حدودها المعدة لها (و لقد بلغنى أنّ الرّجل منهم كان يدخل على المرثمة المسلمة و) المرثمة (الأخرى المعاهدة) كان (ينتزع) منها (حججها) و خلخالها (و قلبها) و سوارها (و قلائدها) من نحرها (و رعائنها) من آذانها (ما) يمكن ان (تمتنع منه إلاّ) بالتذلل و (بالاسترجاع) و الخضوع (و الاسترحام) ثمّ انصرفوا (بعد القتل و الغارة) وافرّين (تامين غير مرزويين) مانال رجل منهم كلم و لا أريق له دم فلو أنّ امرء مسلماً (ذا غيرة و حميّة) مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً) و حقيقة .

(فيا عجبا عجبا) أى عجب (والله يميت) ذلك العجب (القلب و يجلب المهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم) مع علمهم بأنهم على الباطل (و تفرّقكم عن حقّكم) مع معرفتكم بأنّكم على الحقّ (فقبحاً لكم و ترحاً) و همّا (حين) تقاتلتم عن الجهاد حتّى (صرتم غرضاً يرمى) بالنبال ألاّ تستحيون من سوء عملكم و لا تخجلون من قبح فعلكم (يغار عليكم و لا تغيرون و تغزون و لا تغزون و يعصى الله) بقتل الأّنف و نهب الأموال و هتك العرض و تخريب البلاد (و) أتمّ (ترضون) بذلك إذ لو لا رضاكم لما تمكّن العدو منكم و لما هجم عليكم (فاذا أمرتكم بالسّير إليهم في أيام الحرّ) تخلفتم عن أمرى و اعتذرتم و (قلتم هذه حمارة القيظ) و هجمة الصيف (أهلنا حتّى يسبخ عنّا الحرّ) و يفتر عنّا الحجر (و إذا أمرتكم بالسّير إليهم في) أيام (الشّتاء) عصيتم أمرى و (قلتم هذه صبارة القرّ) أهلنا ينسلخ عنّا البرد) و ينقضى القرّ و (كلّ هذا) الاستمهال و الإعتذار (فراراً من الحرّ و القرّ) فاذا كنتم من الحرّ و القرّ تفرّون) مع هوانهما (فأنتم والله من السّيف أفرّ) على شدّته إذ لا مناسبة بين شدّة الحرّ و القرّ و بين القتل بالسّيف و المجاهدة مع الأبطال .

(يا أشباه الرجال) خلقة و صودة (و لا رجال) غيرة و حمية حلومكم
(حلوم الأطفال و) عقولكم (عقول ربّات الرجال) .

أما وصفهم بحلوم الأطفال فلأن ملكة الحلم ليس بحاصل للطفل و إن كانت
قوة الحلم حاصلة له لكن قد يحصل له ما يتصور بصورة الحلم كعدم التسرع إلى
الغضب عن خيال يرضيه و أغلب أحواله أن يكون ذلك في غير موضعه و ليس له
ملكة تكسب نفسه طمأنينة كما في حق الكاملين فهو إذن نقصان ، ولما كان تاركوا
أمره ^{عليهم} قد تركوا المقابلة حلماً عن أدنى خيال كتر كهم الحرب بصفتين عن خدعة
أهل الشّام لهم بالمسالمة و طلب المحاكمة و رفع المصاحف ، فقالوا إخواننا في
الدين لا يجوز لنا قتالهم ، كان ذلك حلماً في غير موضعه حتى كان من أمرهم ما
كان بأشبه رضى الصّبيان .

و أما إلحاق عقولهم بعقول النساء فللاشتراك في التصور و النقصان و قلة
المعرفة بوجوه المصالح المخصوصة بتدبير الحرب و المدين ثم إنه عرفهم محبته
لعدم رؤيتهم ومعرفتهم بقوله (لوددت أنني لم أركم) رؤية أبدأ (ولم أعرفكم معرفة)
أصلاً (والله لقد جرّت) معرفتكم على (ندما) و سئما (وأعقت) حزنا و (سدما)
ثم دعا عليهم بقوله (قاتلكم الله) أي لعنكم .

قال ابن الأباري : المقاتلة من القتل فإذا أخبر الله بها كان معناها اللعنة
منه ، لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك ، يعني أن المقاتلة لما كان غير
ممكن بحسب الحقيقة في حق الله سبحانه فإذا اسند الله سبحانه لابدّ و أن يراد بها
لوازمها ، كاللعن و الطرد و البعد و منع اللطف و نحوها .

(لقد ملأتم قلبي) لسوء أعمالكم سيديداً و (قيحا و شحنتم صدري) بقبح
فعالكم غضبا و (غيظا و جرعثموني نغب التهمام) و جرع الهموم (أنفاسا) أي
جرعة بعد جرعة (و أفسدتم على رأبي بالعصيان و الخذلان) و معنى إفسادهم له
خروجه بسبب عدم التفاتهم إليه عن أن يكون منتفعا به لغيرهم (حتى لقد قالت
ج ٢٥ <

قريش : إن ابن أيطالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب .
وذلك لأن الناس إذا رؤوا من قوم سوء تدبير أو مقتضى رأي فاسد كان الغالب أن ينسبوه إلى رئيسهم ومقدمهم ، ولا يعلمون أنه من تقصير القوم لا من قصور الرئيس ،
ولذلك تعجب منهم و رد توهمهم بقوله : (لله أبوهم وهل أحد أشد لها) للمعرب
(مراسا) ومعالجة (وأقدم فيهماقاما) وممارسة (مئتي ولقد) صرفت فيها تمام عمري
و (نهضت فيها وما بلغت العشرين وها أنا قد ذرفت على الستين) .
ثم بيّن أن السبب في فساد حال أصحابه ليس ما تخيله قريش فيه من ضعف
الرأي في الحرب وقلة التدبير ، بل عدم طاعتهم له فيما يراه و يشير إليه و ذلك
قوله (ولكن لا رأى لمن لا يطاع) فان الرأي الذي لا يقبل بمنزلة الفاسد و إن
كان صوابا ، والمثل له .

قيل : و إنما قال أعداؤه لا رأى له ، لأنه كان متقيداً بالشرعية لا يرى
خلافها ولا يعمل بما يقتضى الدين تحريمه ، وقد قال هو عليه السلام : لولا الدين و التقى
لكنت أدهى العرب ، و غيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه و يستوقفه
سواء كان مطابقاً للشرع أو لم يكن هذا .

روى في البحار من كتاب إرشاد القلوب باسناده إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام
قال : بينما أمير المؤمنين يتجهز إلى معاوية و يحرض الناس على قتاله إذا اختصم
إليه رجلان في فعل فعجل أحدهما في الكلام و زاد فيه ، فالتفت إليه أمير المؤمنين
عليه السلام و قال له : اخسأ ، فاذا رأسه رأس الكلب ، فبهت من حوله و أقبل الرجل
بأصبعه المسبحة يتضرع إلى أمير المؤمنين عليه السلام و يسأله الاقالة فنظر إليه و حرك
شفتيه فعاد كما كان خلقاً سوياً .

فوثب إليه بعض أصحابه فقال له : يا أمير المؤمنين هذه القدرة لك كما
رأينا و أنت تجهز إلى معاوية فما لك لا تكفيناه ببعض ما أعطاك الله من هذه القدرة ؟
فأطرق قليلا و رفع رأسه إليهم و قال :

والذي فلق الحبة و برى النسمة لو شئت أن أضرب برجلي هذه التصيرة في

طول هذه الفيافي والفلوات والجبال والأودية حتى أضرب بها صدر معاوية على سريره فاقبله على أم رأسه لفعلت ، ولو أقسمت على الله عز وجل أن اوتى به قبل أن أقوم من مجلسي هذا و قبل أن يرتد إلي أحد منكم طرفه لفعلت ، ولكننا كما وصف الله في كتابه : عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .

ثم روى في البحار من الارشاد باسناده إلى ميثم التمار قال : خطب بنا أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة فأطال في خطبته وأعجب الناس تطويلها وحسن وعظها وترغيبها وترهيبها ، إذ دخل نذير من ناحية الأبنار مستغيثاً يقول : الله الله يا أمير المؤمنين في رعيتك وشيعتك ، هذه خيل معاوية قد شنت علينا الغارة في سواد الفرات ما بين هيمت والأبنار .

فقطع أمير المؤمنين عليه السلام الخطبة وقال : ويحك بعض خيل معاوية قد دخل الدسكرة التي تلى جدران الأبنار فقتلوا فيها سبع نسوة وسبعة من الأطفال ذكرانا وسبعة انا و شهرنا بهم ووطؤوهم بحوافر الخيل وقالوا هذه مراغمة لأبي تراب .

فقام إبراهيم بن الحسن الأزدي بين يدي المنبر فقال يا أمير المؤمنين هذه القدرة التي رأيت بها وأنت على منبرك إن في دارك خيل معاوية ابن آكلة الأكباد وما فعل بشيعتك ولم يعلم بها هذا فلم تفضى عن معاوية .

فقال له : ويحك يا إبراهيم ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حي عن بينة ، فصاح الناس من جوانب المسجد يا أمير المؤمنين فالى متى يهلك من هلك عن بينة و يحيى من حي عن بينة ؟ وشيعتك تهلك ، فقال لهم : ليقضى الله أمراً كان مفعولاً .

فصاح زيد بن كثير المرادي وقال : يا أمير المؤمنين تقول بالأمس وأنت تجهز إلى معاوية وتحرضنا على قتاله ويحتكم إليك الرجلان في الفعل فتعمل فيجعل ظهرك عليك أحدهما في الكلام فتجعل رأسه رأس الكلب فتستجير بك فترده بشراً سوياً . و نقول لك ما بال هذه القدرة لا تبلغ معاوية فتكفينا شره فتقول لنا :

و قال الحبّة و باري، النّسمة لو شئت أن أضرب برجلي هذه القصيرة صدر معاوية لفعلت ، فما بالك لا تفعل ما تريد إلا أن تضعف نفوسنا فنشكّ فيك فندخل النار . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : لأفعلن ذلك و لأعجلنّه على ابن هند ، فمدّ رجله على منبره فخرجت عن أبواب المسجد و ردّها إلى فخذيه و قال : معاشر النّاس أقيموا تاريخ الوقت و أعلموه فقد ضربت برجلي هذه السّاعة صدر معاوية فقلبتّه عن سريره على أم رأسه فظنّ أنّه قد احيط به ، فصاح يا أمير المؤمنين فأين النّظرة ؟ فرددت رجلي عنه .

و توقع النّاس ورود الخبر من الشّام و علموا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لا يقول إلاّ حقّاً ، فوردت الأخبار و الكتب بتاريخ تلك السّاعة بعينها من ذلك اليوم بعينه أنّ رجلاً جائت من ناحية الكوفة ممدودة متّصلة فدخلت من أبواب معاوية و النّاس ينظرون حتّى ضربت صدره ، فقلبتّه عن سريره على أم رأسه فصاح يا أمير المؤمنين و أين النّظرة ؟ و ردّت تلك الرّجل عنه ، و علم النّاس ما قال أمير المؤمنين إلاّ حقّاً .

تكملة

قد أشرنا سابقاً إلى أنّ هذه الخطبة من خطبه المشهورة ، و أنّها ممّا رواها جماعة من العامّة و الخاصّة ، و ممّا كانت رواية الصدوق مخالفة لرواية السيّد في بعض فقراتها أحببنا إيرادها بسند الصدوق أيضاً ازدياداً للبصيرة فأقول :

روى في البحار و الوسائل من كتاب معاني الأخبار للصدوق عن محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني عن عبد العزيز بن يحيى الجلودي عن هشام بن عليّ و محمد بن زكريّا الجوهري ، عن ابن عايشة باسناد ذكره أنّ عليّاً انتهى إليه أنّ خيلاً لمعاوية و رد الأتباع فقتلوا عاملاً له يقال له : حسّان بن حسّان ، فخرج مغضباً يجرّ ثوبه حتّى أتى النّخيلة و اتبعه النّاس فرقى رباوة من الأرض فحمد الله و أنتى عليه و صلى على نبيّه ثمّ قال :

أمّا بعد فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصّة أوليائه و هو

لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنبته الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله نوب الذلّ وسيماء الخسف (١) و ديث بالصغار ، وقد دعوتكم إلى حرب هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً وقلت لكم : اغزوهم من قبل أن يغزوكم فوالذي نفسي بيده ما غزى قوم قط في عقر ديارهم إلا ذلّوا .

فتواكلتم و تخاذلتم ونقل عليكم قولي واتخذتموه ورائكم ظهرياً (٢) حتى شنت عليكم الغارات ، هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار و قتلوا حسان بن حسان و رجالاً منهم كثيراً و نساء .

والذي نفسي بيده لقد بلغني أنه كان يدخل على المرثمة المسلمة و المعاهدة فينتزع أحجالهما و رغنهما (٣) ثم انصرفوا موفورين لم يكلم أحد منهم كلما فلو أن امرء مسلماً مات من دون هذا أسفا ما كان عندي فيه ملوما بل كان عندي به جديراً .

يا عجباً كلّ العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم ، و فشلكم عن حقتكم إذا قلت لكم اغزوهم في الشتاء قلتم هذا أوان قرّ و صرّ ، و إن قلت لكم اغزوهم في الصيف قلتم هذا حمارة القيظ انظرونا ينصرم الحرّ عنّا ، فإذا كنتم من الحرّ و البرد تفرّون فأنتم والله من السيف أفرّ .

يا أشباه الرجال ولا رجال ، و يا ظعام الأحمال ، و يا عقول ربّات الحجال و الله لقد أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان و لقد ملتكم جوفى غيظاً حتى قالت قريش إن ابن أبيطالب شجاع ولكن لا رأى له في الحرب ، لله درهم و من ذا يكون أعلم بها و أشد لها مراساً منّي ، فوالله لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين ، و لقد نيفت اليوم على الستين ، ولكن لا رأى لمن لا يطاع يقولها ثلاثاً .

فقام إليه رجل و معه أخوه فقال : يا أمير المؤمنين أنا و أخي هذا كما قال

١- سيماء الخسف علامة الخسف ،

٢- أي لم تلتفت إليه يقال لا تجعل حاجتي منك بظهري أي لا تطرحها غير ناظر إليها صدوق

٣- هي الشنوف واحدها رعنة وجمعها رعات وجمع الجمع رعت ، ص

الله عزوجل حکایه عن موسى: ربّ إنسی لا أملك إلاّ نفسي و أخي، فمرنا بأمرک فوالله لئنهتن کذا» إلیه ولو حال بیننا و بینہ جمر الغضا و شوک القتاد، فدعا له بخیر ثمّ قال ﷺ و ابن تقعان ممّا أريد، ثمّ نزل.

قال إبراهيم في كتاب الغارات: إن القائم إلیه العارض علیه جنذب بن عفيف الأزدی هو، و ابن أخ له يقال له عبد الرحمن «بن ظ» عبد الله بن عفيف، والله أعلم بحقایق الوقایع.

الترجمة

از جمله خطب شریفه آن حضرتست در توییح اصحاب خود بجهت تباقل ایشان از قتال وجدال و تحضیض ایشان بجهاد معاویه رئیس بدعت و ضلال میفرماید بعد از حمد الهی و درود ناهمتاهی بر حضرت رسالت پناهی:

پس بدرستی که جهاد دری است از درهای بهشت عنبر سرشت، گشاده است آنرا خداوند و دود بجهت دوستان خاصه خود، و اوست لباس پرهیز کاری و تقوی و زره استوار خدا و سپر محکم حق سبحانه و تعالی، پس هر که ترک نماید آن را پیوشاند خدا او را جامه خواری، و شامل شود او را بلا و گرفتاری، و خار گردانیده شود بمذلت و بی اعتباری، و زده شود بر دل او بذهاب عقل و بیخردی، و گردانیده شود حق از او، و مغلوب میشود بجهت تزییع کارزار، و الزام میشود بذلت و خواری، و ممتوع میشود از انصاف و دادگری.

آگاه باشید که بتحقیق خواندم شمارا به محاربه این فرقه طایفه شب و روز و در نهان و آشکار، و گفتم بشما که جنگ کنید با ایشان پیش از آنکه ایشان با شما جنگ نمایند پس بخدا قسم که هیچ غزا کرده نشد قومی هرگز در اصل خانه خودشان مگر اینکه خوار و ذلیل شدند پس موکول کردید شما کار خود را بیکدیگر، و خوار نمودید شما بیکدیگر را، تا اینکه ریخته شد غارتها بیای پی بر شما، و گرفته شد از شما وطنها با غلبه و استیلا.

و این مرد که برادر غامد و سفیان بن عوف غامدی است بتحقیق که وارد

شده لشکریان او بشهر انبار، و یقین که کشته است حسّان بن حسّان بکری را و زایل نموده سواران شما را از سرحد های آنها، و بتحقیق که رسید بمن آنکه مردان قبیله داخل شده برزن مسلمه و بر کافر ذمیّه پس بر می کنده خلخال و دست برنجهای او را، و گردن بندها و گوشواره های آنرا، امتناع نتوانسته است آن زن از آن مرد مگر با گریه و زاری و با قسم دادن بقرابت و خویشی.

پس آن قوم بد نهاد بعد از غارت کردن مراجعت نموده اند درحالی که تمام بوده اند در حین مراجعت باغیمت، نرسیده بمردی از ایشان هیچ زخمی و ریخته نشده او را خونی، پس اگر بمیرد مرد مسلمان پس از این ظلم دل سوز از روی غم و اندوه نباشد بمردن ملامت کرده شده، بلکه هست نزد من بآن لایق گردیده. ای بسا تعجب ای ترم تعجب کنید چه تعجبی بخدای لایزال که می میراند دل را، و میکشد اندوه را از انفاق آن گروه بر باطل خود، و از تفرقه شما از حق خود، پس زشت باد روی شما و حزن باد بر شما هنگامی که گشتید هدف تیر انداخته شده، غارت میکنند بر شما و غارت نمیکند و جنگ میکنند با شما و جنگ نمی نمایند، و نافرمانی کرده میشود خدا و شما خوشنود میباشید.

پس هرگاه امر میکنم شما را برفتن سوی دشمنان در ایام تابستان میگویند که این شدت گرماست مهلت ده مارا تا سبک شود از ما گرما، و هر وقتی که امر میکنم شما را بسیر نمودن بطرف خصمان در وقت زمستان میگویند که این شدت سرماست مارا بگذار تا برطرف شود از ما سرما.

این همه عذر ها از برای گریختن است از گرما و سرما پس چون بودید از گرما و سرما میگریزید پس شما بخدا سوگند از شمشیر گریزاتر هستید.

ای جماعت شیبه بمردان بحسب شکل و صورت و نیستید مردان از روی معنی و حقیقت، حلمهای شما مانند حلمهای بچگانست، و عقلهای شما مانند عقلهای زنان، هر آینه دوست میداشتم آنکه نمی دیدم شما را و نمی شناختم شما را شناختنی که بخدا سوگند که کشیده است ندامت و پشیمانی را و متعقب شده است

اندوه و پریشانی را .

لعنت کند خدا شمارا هر آینه بر کردید دل مرا از ریم و زرداب ، و بر ساختید
سینه مرا از خشم و التهاب ، و نوشانیدید مرا جرعه های غم و اندوه نا نفس نفس ،
و فاسد ساختید رأی مرا بر من با معصیت د خذلان تا آنکه گفتند قریش بدرستی
که بسر ایطالب مردی است شجاع و لکن مهارت در حرب ندارد .

خدا نکم دار بار پدران ایشان را آیا هیچیک از ایشان سخت تر است مر حرب را
از روی علاج و مقدم تر است در حرب از روی ایستادن از من ، هر آینه قیام
نمودم در معارك قتال با شجاعان و ابطال در حالتیکه نرسیده بودم بیست سالگی ،
و اکنون که سن من افزون گشته بر شصت سال ، یعنی در عرض این مدت غالباً
مشغول بوده ام بر جنگ و جدال ، و لکن هیچ رأی نیست کسی را که فرمانبردار
نشود و اطاعت او را نکنند .

الى هنا انتهى الجزء الثالث من هذه الطبعة النفيسة وقد تصدى لتصحيحه
و تهذيبه العبد : «السيد ابراهيم الميانجي» و وقع الفراغ في شهر
ذي القعدة الحرام سنة ١٣٧٨ و يليه الجزء الرابع انشاء الله و اوله
أول المختار الثامن والعشرين والحمد لله كما هو أهله .

فهرس الجزء الثالث

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
	ذكر نبذ من القضايا التي أفتى فيها	٢	في كيفية نصب الخلافة
٦١	عمر.	١٠	فيمن أنكر على أبي بكر الخلافة
	العلم بجميع الأحكام مختص	١٢	احتجاج الصحابة على أبي بكر
٦٧	بالأئمة عليهم السلام.	٢٣	بعث أبي بكر إلى علي عليه السلام لاختذ البيعة
	تعيين مرجع الضمير في قوله عليه السلام	٢٤	دخول القنفذ على بيت علي عليه السلام
٦٨	(فصاحبها)	٢٧	احتجاج علي عليه السلام على أبي بكر
٧٣	جعل عمر الخلافة في ستة بالشورى	٢٨	حديث التابوت
٧٥	كيفية قتل عمر و قاتله	٣١	كتاب أبي بكر إلى اسامة وجوابه
٧٦	تعيين يوم قتل عمر	٣٢	الإشارة إلى بعض طرق الخطبة
٨٠	ذكر أخبار الشورى	٣٦	شرح بعض جملات الخطبة
٨٦	احتجاجاته عليه السلام في مجلس الشورى	٣٨	ترجمة أبي بكر
٩٥	الفصل الرابع من الخطبة	٤١	مدح أبي بكر لعلي عليه السلام
	عطايا عثمان على أقاربه من بيت		في أن الأئمة عليهم السلام البر
٩٨	المال و يوم قتله	٤٢	المعطلة والقصر المشيد.
١٠١	الفصل الخامس من الخطبة		تردده عليه السلام بين أمرين : القتال
١٠٤	حديث شريف عن ام سلمة	٤٤	أو الصبر
١٠٦	تفسير آية « تلك الدار الآخرة »	٤٧	شرح الفصل الثاني من الخطبة
١٠٨	قصد المعصية أم لا	٥٠	ترجمة عمر
١١٠	الفصل السادس من الخطبة	٥٣	كيفية عقد أبي بكر الخلافة لعمر
	الكتاب الذي دفعه الرجل إلى	٥٧	حديث إقالة أبي بكر
١١٤	علي عليه السلام وما فيه	٥٨	قصة إسلام جبلة و ارتداده

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
١٦٤	المختار الحادي عشر .	١١٧	الفصل الأول من المختار الرابع
١٦٥	سنة امور في آداب الحرب .	١١٨	آل محمد عليهم السلام هم الوداة
١٦٧	غزوة الجمل .	سر وصفه <small>عليه السلام</small> السمع بعدم الفقه	
١٧٦	ترجمة محمد بن الحنفية .	١٢٤	لا بعدم السماع .
١٨١	المختار الثاني عشر .	الأئمة عليهم السلام يعرفون محبيهم	
١٨٣	مروره <small>عليه السلام</small> على قتلى الجمل	و مبغضيه .	
١٨٥	ومكالمته معهم .	١٢٦	قضاء علي <small>عليه السلام</small> على امرأة لزوجها
١٨٧	قضية الشيخ المفيد مع الرمانى .	١٢٨	في الجواد المضلة .
١٨٨	المختار الثالث عشر .	١٣١	المختار الخامس .
١٩٢	سبعة امور في ذم أهل البصرة .	١٣٥	جوابه <small>عليه السلام</small> عن يحثه على المبايعة .
١٩٥	في تحريم مجالسة أهل المعاصى .	١٣٧	رضا الناس لا يملك والسنتم لا تضبط
١٩٧	كلامه <small>عليه السلام</small> مع الحسن البصرى .	١٣٩	في المراد من العلم الممكنون فى
١٩٨	اخباره <small>عليه السلام</small> بالغيب فى ارض البصرة	قوله <small>عليه السلام</small>	
١٩٩	بالفرق والهدم .	١٤٠	المختار السادس .
٢٠٠	الآيات و الروايات الواردة فى نهى	١٤٣	ترجمة طلحة والزبير .
٢٠٤	عائشة عن الخروج إلى القتال .	١٤٥	سبب نقض طلحة والزبير بيعة على <small>عليه السلام</small>
٢٠٧	حديث الطير المعروف بين الفريقين .	١٤٦	المختار السابع .
٢٠٨	الروايات الواردة فى نهى عائشة	١٥٠	ذمه <small>عليه السلام</small> المتمردين عن طاعته .
٢١١	عن الخروج .	١٥١	المختار الثامن .
٢١٣	المختار الرابع عشر .	١٥٤	فى قتل طلحة والزبير .
٢١٤	المختار الخامس عشر .	١٥٦	كيفية قتل الزبير
٢١٦	فيما رده <small>عليه السلام</small> على المسلمين من	١٥٨	المختار التاسع .
٢١٧	قطايع عثمان .	١٥٩	فى ذم طلحة و الزبير و أتباعهما .
٢١٨	المختار السادس عشر .	١٦١	المختار العاشر .

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
٢٧٧	في النهى عن العمل بالرأى والقياس	٢١٧	اول خطبة خطبها <small>عليه السلام</small> بالمدينة .
٢٨١	المختار التاسع عشر .		لا بد للناس من أن يمحصوا
٢٨٣	اعتراض الأشعث على علي <small>عليه السلام</small>	٢٢١	و يغربلوا
	في المراد من قوله <small>عليه السلام</small> : حائك	٢٢٣	في أن التقوى مطايا ذلل .
٢٨٥	ابن حائك .	٢٢٥	ذكر الخطبة على رواية غير الرضى «قد»
٢٨٦	حديث شريف في ذم الحائك .	٢٢٩	تقسيم المكلفين على خمسة أقسام .
٢٨٨	اسر الأشعث في الكفر والاسلام .	٢٣٢	الفصل الثاني من المختار .
٢٩٢	المختار العشرون .	٢٣٥	تقسيم الناس إلى اقسام ثلاثة .
٢٩٤	ندبة مولانا زين العابدين <small>عليه السلام</small> .		المراد من الطريق الوسطى هي
٢٩٩	نقل الخطبة عن الكافي .	٢٣٩	الولاية .
٣٠٠	انمختار الحادى والعشرون .		فى أن حساب الخلق إلى الأئمة
٣٠٢	ما ذكره الشراح في المقام .	٢٤١	عليهم السلام .
٣٠٥	في زهد سلمان «رض» .	٢٤٣	ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة .
٣٠٧	المختار الثاني والعشرون .	٢٤٥	في إصلاح ذات البين .
	فصول الخطبة على رواية البحراني	٢٤٦	المختار السابع عشر .
٣١٢	و المعتزلي والكليني .	٢٥١	تحقيق معنى البدعة .
٣١٨	المختار الثالث والعشرون .	٢٥٢	محدثات الامور بعد النبي <small>عليه السلام</small> .
٣١٩	في تهذيب الفقراء وتأديب الأغنياء .		أوصاف ناني الرجلين من قضاة
	في الريا و بعض ماورد فيه من	٢٥٥	الجور .
٣٢٤	الآيات و الأخبار .		ذكر الخطبة على رواية غير
٣٣٠	في أقسام الريا .	٢٦١	الرضى «ره» .
٣٣٣	في علاج الريا .	٢٦٦	المختار الثامن عشر .
٣٣٦	نقل الخطبة عن الكافي .	٢٦٨	فى بيان التخطئة و التصويب .
		٢٧٢	فى ذم العلماء و القضاة السوء .

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
٣٦٧	الرسول ﷺ .	٣٣٨	الفصل الثاني
	إنكا الشارح المعتزلي بعض	٣٣٩	في الأربصلة ارحام الفقراء .
	ماجرى على اهل البيت عليهم السلام		ثمرات صلة الأرحام و مفاسد
٣٧٢	وجوابه .	٣٤١	قطيعتها .
٣٧٤	الفصل الثالث .	٣٤٣	المختار الرابع و العشرون .
	بيان حال عمرو بن العاص مع	٣٤٥	بيان معنى التقوى لغة و شرعا .
٣٧٥	معاوية.		المختار الخامس و العشرون في
	نقل الخطبة مفصلا على رواية		تضجره ﷺ عن تناقل أصحابه
٣٨٠	غير السيد «ره»	٣٤٧	عن الجهاد .
	المختار السابع و العشرون في	٣٥٠	ترجمة معاوية .
٣٨٨	فضل الجهاد و استنهاض الناس	٣٥٣	قصة بسرين أبي أرطاة .
٣٩٢	خبر غزو الانبار .	٣٥٨	ولادة الحجاج .
٣٩٦	منافع الجهاد و مصالحه.	٣٦٠	في دعائه ﷺ على بسر .
٣٩٨	حنه ﷺ أصحابه على جهاد معاوية.	٣٦٢	المختار السادس و العشرون .
٤٠٣	ذكر المختار على رواية الصدوق.	٣٦٣	العرب في أيام الجاهلية .
٤٠٥	ترجمة الخطبة .	٣٦٦	الفصل الثاني .
			فيما جرى عليه ﷺ بعد ارتحال

ترجمه جلد دوازدهم

بخار الانوار

تالیف

میرزا محمد باقر مجلسی

در زندگانی

حضرت علی بن موسی الرضا علیه السلام

مترجم: موسی خسروی

حق چاپ محفوظ

از انتشارات:

کتابفروشی اسلامیة

تهران - خیابان بوذرجمهری شرقی - تلفن ۵۲۱۹۶۶



